مجلّة كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد

العدد الخامس

نيسان ١٩٦٢

مطبعة العاني ـ بغداد

لجنة المجلة

السكرتير

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم : الاستاذ ناجي معروف
عميد كلية الآداب

(١) أهمية العلم وأسلوب البحث العلمي :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » وبعد فان « العلم الذي استهانت به الاديان ، يجله المسلمون حقاً . والمسلمون يرون ان الناس موتى ، وأهل العلم أحياء » .

و « من ظن انه يستغني عن التعلم ، فليبك على نفسه » .

ولعل من البديهيات القول : بأن أي تقدم لاية أمة ، أو مجتمع لا يتم الا اذا استند الى العلم ، والى البحث الدقيق الذي يتبع الطرق العلمية ، والاساليب الصحيحة ، كما يمكن القول بأن كل خطة عامة للبلاد ، وكل توجيه لأبنائها لا يقوم على أساس من البحث العلمي يؤدي الى أكبر الاخطار على الامة . والحق ان رقي الامة ، وحسن سمعتها في المجتمع العالمي يقومان بالدرجة الاولى على قدر مساهمتها بالانتاج العلمي . ولا تحتل الامة مكانتها بين الامم المتقدمة الا بفضل مشاركتها في العلوم والمعارف .

والامة التي تهدف الى التقدم الصحيح ينبغي أن تعنى بجوانب الحياة المختلفة ، المادية منها والروحية ، النظرية ، والتطبيقية ، العلمية والادبية ، والفنية ليكون تقدمها شاملا جميع نواحي الحياة .

ولئن عنيت بعض البلاد في بعض نواحي الحياة ، وقدرت العلوم الطبيعية والتطبيقية ورأت انها العامل الوحيد للتقدم والرقي الذى يجب أن ينصب عليه كل الاهتمام فاننا مع ذلك كله نرى الا تهمل الجوانب الادبية ،

والفنية ، والخلقية ، والروحية لان بها تتميز الانسانية عن سائر الكائنات في الطبيعة ، بل هي المعيار الرئيس الذى يقاس به رقي الفرد ، والمجتمع ، بل لا نغالي اذا قلنا : ان عليها يتوقف تقدم البشرية ، وبقاؤها بل تأخرها ودمارها .

(٢) الدراسات العربية :

ان الدراسات القيمة هي التي تتبع أساليب البحث الصحيحة في التتبع الدقيق ، وعدم التحيز ، أو اتباع الهوى ، والا فقدت الدراسة قيمتها ، وضاعت أهميتها ، وأصبحت عديمة الجدوى ان لم تكن مصدر خطر كبير . ولذلك ينبغي أن يكون البحث العلمي أساس دراستنا للمشاكل المختلفة كقضايا العراق ومشاكل الوطن العربي . والمجتمع العربي ، والتنمية الاقتصادية في البلاد العربية والفكر العربي خلال العصور الاسلامية ، والحضارة العربية وما الى ذلك من الموضوعات الحيوية التي تتصل بحياتنا وتراثنا .

واذا كنا سنعنى بمثل هذه الدراسات المهمة فلأن تاريخ أمتنا العربية يكشف لنا بصورة جلية واضحة كفاياتنا الفذة ، وقابلياتنا العظمى في المساهمة في الانتاج الفكري ، ويطلعنا على مقدار تشبع أجدادنا بالمثل الانسانية السامية التي مكنتهم من انتاج حضارة عربية عظيمة كانت يومئذ النور الساطع للانسانية . ولا يزال لانتاجها الضخم ، واتجاهاتها القويمة ، ومثلها القيمة ، ومثلها العليا رصيد عظيم في الحضارة العالمية . فاذا دعونا اليوم الى نهضة يكون رائدها الحق ، وهدفها خدمة الانسانية في مادين الحياة المختلفة فاننا انما تدعو الى أمور لم تكن غريبة عنا ، بل هي أصيلة فينا ، تمتد جذورها عميقة في تاريخنا ، وتراثنا . وهي لا تزال كامنة في ذاتنا ، وكياننا ، وروحنا . ومن ثم يجب أن ينصب واجبنا على استثارة هذه القوى الكامنة ، والقابليات الفذة ، وتنشيطها للعمل ، وتوجيهها الوجهة الحسنة التي تنفع البلاد .

(٣) كلية الآداب :

لقد استعانت كلية الآداب منذ تأسيسها بأساتذة من مختلف البلاد العربية والغربية بعد أن اتصلت بخيرة الجامعات وانتدبتهم للتدريس فيها . وفي الوقت نفسه أخذت تعمل أكثر فأكثر على الاعتماد على أساتذة عراقيين، واستطاعت برغم الصعوبات الجمة أن تجمع منهم نخبة صالحة أثبتت كفاية وجدارة في جميع الاحوال ، وقد عمل هؤلاء الاساتذة بدورهم على تثبيت دعائم الكلية وعلى وضع مناهجها ونظمها بحسب اجتهادهم وكفايتهم وبهذا استطاعت الكلية أن تحصل على اعتراف الجامعات العربية والغربية بشهادتها وكفاية خريجيها .

وقد استطاعت الكلية اليوم أن تسند الى الاساتذة العراقيين رئاسات الاقسام العشرة التي تتكون منها الكلية وبذلك أصبح مجلس الكلية يتكون من أعضاء عراقيين فقط بعد أن كان فيه أعضاء من غير العراقيين لأن أبناء البلد أعرف بمشاكله وأدرى بأهله . أما غير العراقيين فقد عملنا على الاستفادة من علمهم ، وخبراتهم الجامعية .

وقد سارت الكلية بروح علمية عالية فتكونت فيها منذ تأسيسها حتى اليوم عشرة أقسام علمية يتولى كل قسم وضع مناهجه ، وترشيح هيئته التدريسية ، ثم يقدم ذلك الى مجلس الكلية ليكتسب صفته النهائية . وكان لهذا كله أثره في تعزيز روح المشاركة ، والشعور بالمساهمة في بناء كيان الكلية وتأكيد المسؤولية المشتركة .

وتحقيقا لأهداف الكلية المهمة فقد أدخلت ـ منذ البدء حتى اليوم ـ موضوعات في كل قسم من الاقسام المذكورة تتصل بالعراق ، والبلاد العربية في الاقتصاد ، والاجتماع ، والجغرافية ، والآثار ، والعلوم السياسية وذلك الى جانب اهتمامها بتراثنا في التاريخ ، والفلسفة ، والعربية . وقد رأت الكلية ان دورها في تأدية رسالتها ينبغي أن يكون ايجابيا وذلك بتوجيه طلبتها للعناية بمجتمعهم وبمشاكله المختلفة وبدراستها بتحرر وعمق . ولم تترك الكلية مناهجها للصدف والاهواء بل دأب مجلسها

ومجالس أقسامها على مناقشتها بدقة في جلسات متعددة وستنشر هذه المناهج في الدليل الذي اعتادت اصداره .

ولقد قرر مجلس الكلية في هذه السنة جعل التاريخ الاسلامي والحضارة العربية موضوعا أساسيا في أقسامها العشرة وقرر تدريسهما في بعض الاقسام في السنتين الاوليين وفي بعض الاقسام في السنوات الاربع .

وقد اتجهت الكلية اول الامر الى تدريس تاريخ الحضارة العربية وزادت العناية بذلك في الوقت الحاضر كما زاد الاهتمام بالحركات المختلفة والتيارات الكبرى ، وهذا ما يعرفه طلبتها وما يتمثل في مؤلفات أساتذتها وفي محاضراتهم بل ان هذه الكلية كانت أول من عني بالتاريخ الاقتصادي للدولة العربية في خلال العصور الاسلامية ، واول من اهتم بالحركات الاجتماعية . وقد سارت الدراسة فيها على أسس علمية رصينة ، بعيدة عن الاهواء ، والاجواء المتقلبة ، بعيدة عن الاتجاهات التي تريد اتخاذ التاريخ أداة لتبرير وضع ، او لتبني تفسير معين سواء كان ماديا أم غير مادي .

وتظهر هذه الاهداف واضحة في أقسام الماجستير الاربعة التي تم انشاؤها في الكلية وهي : الماجستير في التاريخ الاسلامي ، وفي الآثار ، وفي الجغرافية ، وفي العربية وآدابها . والكلية عاملة على خلق أقسام أخرى في العلوم الاخرى على الاسلوب نفسه .

(٤) رسالة كلية الآداب :

وكلية الآداب التي تعد اليوم أكبر كليات جامعة بغداد تشعر بأن رسالتها الحقيقية هي استثارة روح التفكير الصادق ، الصحيح ، المجانب للعواطف المتحيزة ، والاتجاهات المتقلبة . وتوجيه هذا التفكير نحو الدراسات التي تهدف الى مصلحة الانسانية وتقدمها على أسس من الخلق العظيم ، والذوق الرفيع ، والروح السامي .

وكلية الآداب ترى أن تشمل رسالتها هذه منتسبيها كافة من طلبة ، وموظفين ، وهيآت تدريسية مختلفة ، واذا كان الطلبة هم الغالبية العظمى التي ينبغي أن ينصب عليهم الاهتمام الاكبر في حسن توجيههم ، وتنمية

التثنية في الاسماء التاريخية

اسلوب عربي قديم

الاستاذ ناجي معروف

١ ـ زيادة الالف والنون في الاعلام والقطائع والانهار ليس محصورا في البصرة :

لقد جابهتني ، وأنا أبحث في (خطط البصرة القديمة) مسألة لغوية تاريخية تتلخص في أن كثيرا من القطائع التي اقطعها الخلفاء والولاة في البصرة ، وكثيرا من الانهار التي حفرت أو أقطعت يومئذ كانت تثنى على الاغلب بالالف والنون • ولا يزال بعض هذه الاسماء المثناة بالالف والنون مستعملة في البصرة ، وما جاورها حتى اليوم ، تقول حَمْدان في تثنية حمد ، ومهيجران في تثنية مهيجر ، وعبّادان في تثنية عبّاد ••• الخ •

وقد ذكر البلاذري في (فتوحه) ، وياقوت في (معجم بلدانه) عددا من الاسماء المثناة التي أطلقت على القطائع ، والانهار التي أقطعت في البصرة ، أدوّنُ لك جانبا منها ثم اذكر ما يماثلها في بلاد فارس ، وخراسان • ثم ارجعُ بك الى الجزيرة العربية لأثبت لك ان هذا الاسلوب في التسمية أو التثنية ، انما هو أسلوب عربي قديم ، مأخوذ فيما أرى من جزيرة العرب ، وليس من الفرس ، كما انه ليس بصريا خاصا بالبصرة • ولعل في اغفال البلاذري تفسير هذه الصيغة ما يشير بوضوح الى أن هذا الاسلوب ، أسلوب عربي بحت ، وليس طارئا على اللغة العربية • ثم جاء ياقوت بعده بعدة قرون وحاول أن يجعل هذا الاسلوب استعمالا بصرياً ، بينما تشير الشواهد التي ذكرها في تضاعيف (معجم البلدان) ، وما ورد في الشعر الجاهلي ، الى ان هذا الاسلوب كان معروفا في الجزيرة العربية قبل الاسلام •

وقد حاولت أن أجد شرحا لذلك عند الـكتّاب ، والباحثين المحدثين ، فلم أعثـر عـلى شيء من ذلك • فالمستشرق « پـلا Pellat »[1] اكتفى

(١) ص ٣٧ من كتابه الجاحظ •

بقوله : « القطائع التى أُطلق عليها أسماء أصحابها مضافا اليها ألف ونون » •
والدكتور أحمد كمال‌الدين لخَص رأي ياقوت الحموي بقوله : « ان الالف والنون المذيل بهما على كل عَلَم استعمال أسلوبى خاص بالبصريين[٢]
واليك :

(أ) أسماء قطائع وأنهار بصيغة الرفع أو النصب تكون مبنية وتلازم حالة واحدة اما الفع واما النصب •

لقد ذكر البلاذرى عددا من القطائع ، والانهار بأسماء أصحابها مثناةً فى حالة الرفع ، فمن القطائع المذكورة :ـ

بلالان	أى قطيعة بلال بن أبي بردة
عبّادان	أى قطيعة عبّاد بن الحُصَين
مغيرتان	أى قطيعة المغيرة
زيادان	أى قطيعة زياد
أزرقان	أى قطيعة الأزرق بن مسلم
خَيْرتان	أى قطيعة خَيْرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب •
أميّتان	أى قطيعة أبى أمية

ومن الانهار :ـ

نهر يزيدان	أى نهر يزيد بن عمرو الأُسيدى
نهر حُصَيْنان	أى نهر حُصَيْن
نهر عُبَيْدان	أى نهر عُبَيْد
نهر مَنْقذان السُلمي	أى نهر منقذ السُلمي
نهر نافعان الثقفي	أى نهر نافع الثقفي
نهر أسلمان الكلابي	أى نهر أسلم الكلابى
نهر قُتَيْبَتان	أى نهر قتيبة

وهكذا يمكن أن نقرأ القطائع والانهار التالية : مَعْقِلان ، ومحمدان ،

(٢) ص ٣٧ من الحاشية المرقمة (١) من كتابه الحياة الادبية فى البصرة •

وعبدالرحمانان ، وخالدان ، وكثيران ، وشبلان ، وطلحتان ، ومهلبان ، وجبيران ، وخلفان ، وحفصان ، وسليمانان ، وصلتان ، وعباسان ، وقاسمان • ويمكنك أن تقول : قصر كوكبان[٣] ، ومر الظهران ، وقصر زيدان ، وبالسيدان[٤] ، وبالكومخان •

ومن أمثلة الاسماء المثناة التي تلازم حالة النصب او الجر فقط : البحرين ، والجامعين ، والقرنين ، والغمرين ، ••• الخ •

(ب) أسماء مثناة تكون معرفة تتغير بحسب حروف الجر ، أو الحروف المشبهة بالفعل ، ذكرها ياقوت وغيره كالجبلين : أجأ وسلمى[٥] ، والروضتين ، والرامتين ، والرقمتين ، والرمانتين ، والقرينين[٦] ، والسهلين[٧]، والعروسين من حصون اليمن[٨]، والعلمين ، والأجرعين •

٢ ـ دلالة الاسماء المثناة

ان الامثلة التي ذكرتها ، والامثلة التي سأسوقها بعد ذلك تدل بوضوح تام على أن بعض هذه الاسماء انما ثنيت للدلالة : ١ـ على التثنية ، ٢ـ على المفرد ، ٣ـ للتغليب ، ٤ـ للضرورة الشعرية ووزن الشعر ، ٥ـ على الجمع •

ويبدو لي ان بعض هذه الاسماء المثناة انما ثنيت لأنها تدل على وجود شيئين اثنين ، وليس للنسبة • فان (حصيثان) ، عبارة عن قطيعة ونهر • و (نافعان الثقفي) عبارة عن قطعية ونهر أيضا • قال ياقوت[٩] في «زيادان» ما يلي : زيادان : ناحية ونهر بالبصرة منسوبة الى زياد مولى بني الهجيم جد يونس بن عمران بن جميع بن بشار بن زياد ، وجد عيسى بن عمر النحوي ، وحاجب بن عمر لأمهما • وقال في المسروقانان : نهران بالبصرة

---

(٣) مراصد الاطلاع ٣ : ١٢٤١ •
(٤) ياقوت ٣ : ٢٩٤ •
(٥) ياقوت ٢ : ١٠٢ •
(٦) ياقوت ٣ : ٢٦٩ •
(٧) ياقوت ٣ : ٢٩٠ •
(٨) ياقوت ٤ : ١١٢ •
(٩) ياقوت ٣ : ١٦٢ •

لأبي بكرة • وحكَمان مثنى ، اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاصي الثقفي • وهذا ما يؤيد رأينا من أن الالف والنون هما للتثنية وليسا للنسبة • وان مثل هذه الكلمات ما قيلت بهـذه الصيغـة الا لوجود شيئين كالنهر ، والناحية • أو في نهرين ، أو في قطيعتين ، أو جبلين ، أو ماءين •• الخ • بينما نجد ان ياقوت يقول في هذا الصدد : وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا حتى سموا عبداللان في قرية سميت بعبدالله • وكانت هذه الضيعة لبني عبدالوهاب الثقفيـين موالي جنان صاحبة أبي نواس(١٠) •

ويقول عن أسلمان(١١) : هو نهر بالبصرة لأسلم بن زرعة اقطعـه اياه معاوية •وهذا اصطلاح قديم لأهل البصرة اذا نسبوا النهر والقرية الى رجل زدوا في اسمه الفا ونونا ، كقولهم : عبّادان نسبة الى عبّاد بن الحُصَيْن • وزيادان نسبة الى زياد حتى قالوا عبداللان نسبة الى عبدالله • وكأنها من نسب الفرس لأن أكثر أهل تلك القرى فرس الى هذه الغاية • وقد فنّدنا هذا الرأي وبينا فساده وأثبتنا ان هذا الاسلوب ، أسلوب عربي ، قديم ، وجد مع العرب في جزيرتهم قبل الاسلام •

(أ) دلالة الاسماء المثناة على النسبة :وقد نجد في اللغة الفارسية بعض الكلمات المنسوبة بصيغة التثنية فهم يقولون : الدَّيْلَمان وكأنه ــ كما يقول ياقوت ــ نسبة الى الدَّيْلَم او جمعه بلغة الفرس(١٢) غير أنني استبعد أن يكون العرب قد استعملوا للنسبة هذا الاسلوب الفارسي للاسباب التالية :

١ ــ ان نسبة القطائع بالعربية الى زياد ، وعُبَيْد ، وبلال ، وسعد ، وسليمان هي : الزيادية ، والعبيدية ، والبلالية ، والسعدية ، والسليمانية ، وهي أسهل بكثير من قولك : زيادان وعبيدان وبلالان وسعدان وسليمانان •

---

(١٠) معجم البلدان ٢ : ٢٨٠ •
(١١) ياقوت ١ : ١٨٩ •
(١٢) ياقوت ٢ : ٥٤٤ •

٢ ـ لا يمكن أن نقول : ان العرب بعد الاسلام مباشرة قد خضعوا للفرس فى لغتهم فاقتبسوا منهم هذا الاسلوب وهم فى ابان مجدهم ، واستعلائهم على الفرس الذين انضووا تحت لواء العرب •

٣ ـ ان العرب كانوا يأنفون يومئذ أن يأخذوا من الاعاجم لغتهم ، أو دينهم اللذين كانوا يبشرون بهما فى البلاد المفتوحة •

(ب) دلالة الاسماء المثناة على التثنية :

لذلك كله استبعد أن يكون العرب قد استعملوا هذا الاسلوب للنسبة ، وانما استعملوه للتثنية كما مر بك ، وربما استطعنا أن نعكس الامر فنقول : ان الفرس قد استعملوا هذا الاسلوب للتثنية أى لأكثر من واحد باعتبار ان التثنية غير موجودة فى اللغة الفارسية • كما تدل على ذلك الاعلام الآتية :ـ

طابران : وهما مدينتان بطوس ، أكبرهما : طابران والاخرى نوقان[١٣] •

وطالقان : وهما بلدتان أحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ[١٤] •

وطبران : اسم لبلدة • قال ياقوت[١٥] وهى تثنية طَبَر •• والالف والنون فيه تشبيها بالنسبة •

والطَّبَسان : تثنية طبس وهما : بلدتان كل واحدة يقال لها : طبس • او هما بابا خراسان •[١٦]

وطخارستان : العليا والسفلى • ياقوت ٤: ٢٣

والماهان : الدينور ونهاوند • ياقوت ٥: ٤٨

ومع ذلك كله فان الاعلام الفارسية وان دلت على شيئين اثنين فهى ألفاظ قليلة جداً بعكس الاعلام العربية فانها كثيرة لا تعد ، استُعملت فى الجاهلية ، والاسلام ، فى الجزيرة العربية ، وخارجها • وذُكِر الكثير

---

(١٣) ياقوت ٤ : ٣ •
(١٤) ياقوت ٤ : ٦ •
(١٥) ج ٤ : ص ١٣ •
(١٦) ياقوت ٤ : ٢٠ •

منها فى الشعر الجاهلى ، وفى الشعر الاسلامي ، وفي القرآن أيضا ، الأمر الذى يجعلنا نؤمن بأن هذا الاسلوب العربى قد طغى على البلاد التى تجاور أرض العرب فانتقل منها الى الفرس عن طريق العراق قبل الفتح ، وبعده • وعلى هذا يكون الفرس هم الذين أدخلوا هذا الاسلوب الى لغتهم ، اقتباسا من العربية • وليس العكس ، وقد استعمل العرب هذا الاسلوب فى بلاد الفرس أيضا سواء دل على المفـرد ، أو التثنية • قالوا : القَرِينَيْن من قرى مرو سُميت بالقَرِينَيْن لـكونها كانت تقرن مرة بمرو الشاهجان ومرة بمرو الروذ (ياقوت ٤: ٣٣٨) وقالوا : فِيلان : بلد ، وولاية قرب باب الابواب (ياقوت ٤: ٢٨٦) ، والصالحان : محلة بأصبهان •

وفي فتوح البلدان للبلاذري ، ومعجم البلدان لياقوت ، ومراصـــد الاطلاع لصفيالدين عبدالمؤمن ، ودواوين الشعر العربية مئات من هذه الاسماء التاريخيـة المثنـاة تدل على التثنية العربيـة • وتشير الى أن هذا الاسلوب عربى قديم ، تمتد جذوره الى العصر الجاهلى ، وينتشر فى كل ناحية من نواحي الجزيرة العربية • وسأذكر لك من الامثلة بالاضافة الى ما ذكرته قبلا ما يؤكد هذا الزعم ويؤيده •

قالت العرب : القريتان • وأرادوا بهما مكة ، والطائف • وفى القرآن الـكريم « وقالوا : لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » •

وفى شهر معن بن أوس :

لهـا موردٌ بالقريتـين ومصـدرٌ لفَوْتِ فـلاةٍ لا تزال تنـازلهُ

والقريتـان أيضا فى طريق مكة من البصرة وهما : قرية عبدالله بن عامر ، وقرية جعفر بن سليمان(١٧) •

وأبانان : أي أبان الابيض ، وأبان الاسود • وهما جبلان بنواحي

---

(١٧) ياقوت ٤ : ٣٣٦ •

البحرين ، الابيض لبني فزارة والاسود لبني أسد .

والحيرتان : الحيرة والكوفة[18] .

والبصرتان : البصرة والكوفة[19] ويقال أيضا : الرافدان ، والمصران ، والعراقان[20] .

والأبرقان : ويريدون به أبرقَيْ حجر باليمامة . وهو منزل على طريق مكة من البصرة « ياقوت ١: ٦٦ و ٣: ٧٣ » .

والأغرّان : وهما جبلان من جبال رمل البادية « ياقوت ١: ٢٢٤ » .

والاخرجان : جبلان في بلاد بني عامر ١: ١٢٠ .

والاخشبان : بمكة ١: ١٢٢

والقصران : بالقاهرة ٤: ٣٥٤

والأُخَيّان : جبلان ١: ١٢٥

واريكتان : جبلان ١: ١٦٦

والأزوران : وروضة الازورين ١: ١٦٩

والمَوْصِلان : للموصل والجزيرة ٥: ٢٢٤

والهَجَران : مدينتان متقابلتان ٥: ٣٩٢

وأشمذان : جبلان بين المدينة وخيبر .

والأشيمان : موضعان ١: ٢٠٣

والأعزلان : واديان وهما : الاعزل الريان والاعزال الظمآن .

والمديدان : جبلان ٥: ٧٧

والاملحان : ما آن لبني ضبة . ١: ٢٥٥

والضمران : جبلان ١: ٢٧١

والانعمان : واديان ٣: ٢٤٤

والرقّاشان : عمودان طويلان من الهضب ٢: ٥٦

---

(١٨) ياقوت ٢ : ٣٢٨ .

(١٩) راجع ياقوت ٣ : ١٥ و ٤ : ٩٣ .

(٢٠) ١٣٧ ، ٢٢٤ .

والرقبتان : جبلان أسودان ٢: ٥٧

وشمسان : مُوَيْهتان ٣: ٣٦٢

والرقتان : الرقة والرافقة ٣: ٥٧

ومما يدل على أن هذه الصيغة استعملت للدلالة على التثنية ما ذكره ياقوت[٢١] الحموى قال : روى أبو سعد عن محمد بن هبةالله البرجردى عن محمد بن طاهر المقدسى أن « عَبْدان » أحد شيوخ الحديث في مرو انما سمي بذلك لأن كنيته : أبو عبدالرحمن ، واسمه : عبدالله فاجتمع في اسمه وكنيته العَبْدان فقيل له عَبْدان •

ويظهر أن هذا الاسلوب ليس غريبا عن العرب فقد قال ياقوت نقلا عن البلاذري بصدد نهر سَيْحان ما يأتي : سَيْحان : نهر بالبصرة كان للبرامكة وهم سموه سيحان • وقد أسمت العرب كل ماءٍ جارٍ غير منقطع سَيْحان[٢] •

(جـ) دلالة الاسماء المثناة على المفرد :

لقد ذكر العرب أماكن في جزيرتهم ، وفي شعرهم بصيغة التثنيـــة ولـكنها تدل على المفرد • ويظهر أنها لم توضع أولا مفردة ثم ثنيت بل وضعت مثناة مجموعة من الاصل فهي صيغة مرتجلة ، قالوا :

يزيدان : نهر بالبصرة • قال ياقوت وهـذا اصطلاح لأهل البصرة يزيدون في الاسم ألفا ونونا اذا نسبوا أرضا الى اسم رجل • منسوب الى يزيد بن عمرو الاسيدي وكان رجل أهل البصرة في زمانه[٢٣] •

والقريتان : قرية كبيرة من أعمال حمص • ياقوت ٤: ٣٦٦

وشاتان : قلعة بديار بكر • ياقوت ٣: ٣٠٤

---

(٢١) معجم البلدان ١ : ٤٠٥ •
(٢٢) المصدر السابق ٣ : ٢٩٣ •
(٢٣) ج ٥ : ٢٣٦ •

والاجرعان : علم لموضع باليمامة ١: ١٠٢

والسِّيدان : موضع وراء كاظمة بين البصرة وهجر ٣: ٢٩٤

والاحصبان : موضع باليمامة ١: ١١٢

وشبلان : نهر بالبصرة ٣: ٣٢٢

والاشأمان : موضع في قول ذى الرمة :

كأنهـا بعد أحوال مضين لهـا   بالأشأمين يمان فيه تسهيم ١: ١٩٥

والاحوران : موضع فى قول زيد الخيل :

وتقطع رمـل الاحوَرَيْن براكب
صبور على طول السُّرى والتَهَجُّرِ ١: ١١٨

والاقدحان : موضع فى شعر ذى الرمة ١: ٢٥٣

والحصْنان : موضع بعينه ٢: ٢٦٣

المرغابان : نهر بالبصرة ٥: ١٠٧

(د) دلالة الأسماء المثناة على الجمع

ولما كانت اللغة الفارسية خالية من التثنية فقد يراد الجمع في الاسلوب المستعمل على صيغة التثنية ،

تقول : قصران الخارج
وقصران الداخل

وهما ناحيتان كبيرتان بالري كما تقول :

مَرْدان : في جمع مَرْد أي رجل

وزِنان : في جمع زَنْ أي المرأة

والدَّيْلمان : قال ياقوت[٢٤] : كأنه نسبة الى الدَّيْلم أو جمعه بلغة الفرس .

مختاران : قال ياقوت : كأنه جمع مختار بالفارسية[٢٥]

---

(٢٤) معجم البلدان ٢ : ٥٤٤ .
(٢٥) ٥ : ٧١ .

على ان هذا الاسلوب في الجمع انما هو أسلوب عربي أيضا • قال ياقوت عند كلامه على « حبزان » وهو بلد في ديار بكر : يجوز أن يكون جمع الحَوْز[٢٦] وهو الشيء يحوزه ويحصله نحو رأل ، ورِئْلان • وقَتَب ، وقتْبان (٤: ٣١٠) موضع في نواحي عدن • وذِئب وذئبان وغمد وغَمْدان •• الخ

(هـ) دلالة الاسماء المثناة على التغليب والضرورة الشعرية :

قال ياقوت : [٢٧] والبُلَيّيْن : تثنية بُلَيّ وقال : تثني الشعراء هذا وأمثاله كثيرا اما يعتقدون ضمه الى موضع آخر ثم يثنونه كما قالوا : أبانان ، وهما : جبلان بنواحي البحرين : أبان الابيض ، وأبان الاسود • واما للتغليب كما قالوا : العُمران ، والقَمران في أبي بكر وعمر ، والشمس والقمر • وكما قالوا : الحَسَنان ، والعراقان ، والفراتان •• الخ واما لاقامة وزن الشعر •

وقال ياقوت عند ذكره « ابانان »[٢٨] : أبان جبل معروف ، وقيل : ابانين لأنه يليه جبل نحو منه يقال له شَرَوْرى فغلّبوا ابانا عليه فقالوا : أبانان •

ويظهر ان النحويين بحثوا في هذه المسألة ، فقالوا : ان أبانين ، وما أشبههما لم توضع أولاً مفردة ثم ثنيت ، بل وضعت كما أسلفنا من المبتدأ مثناة ، مجموعة • ولذلك يمكن أن نعد هذه الصيغة صيغة مرتجلة • قالوا : أبانان : علم لجبلين وليس كل واحد منهما أبانا على انفراده ، بل أحدهما أبان والآخر متالع •

وقالوا : قد يجوز أن تقع النسبة بلفظ التثنية ، والجمع • فتكون معرفة بغير لام ، وذلك لا يكون الا في الاماكن التي لا يفارق بعضها بعضا

---

(٢٦) ٢ : ٣٣١ •
(٢٧) معجم البلدان ١ : ٤٩٤ •
(٢٨) ١ : ٦٣ •

نحو أبانين ، وعرفات • وانما فرقوا بين أبانين ، وبين زَيْدَيْن من قبل انهم لم يجعلوا التثنية ، والجمع علما لرجلين ، ولا لرجال بأعيانهم • وجعلوا الاسم الواحد علما بعينه • فاذا قالوا : رأيت أبانَيْن فانما يعنون هذين الجبلين بأعيانهما المشار اليهما لأنهم جعلوا أبانين اسما لهما لا يشاركهما في هذه التسمية غيرهما ، ولا يزولان • وليس هذا في الأناسى ، لأن كل واحد من الاناسى يدخل فيما دخل فيه صاحبه ، ويزولان • ، والاماكن لا تزول فيصير كل واحد من الجبلين فيما دخل فيه صاحبه من الحال ، والثبات ، والجدْب والخِصْب ، ولا يشار الى أحد منهما بتعريف دون الآخر • فصار كالواحد الذى لا يزايله منه شيء • ومثل ذلك يقال فى القطائع ، والأنهر التي على صيغة التثنية كل منها يعتبر كالواحد الذى لا يزايله منه شيء •

٣ ـ التثنية فى الاسماء التاريخية اسلوب عربى قديم :

مما تقدم يمكن أن نقول : ان تثنية الاعلام ، والاسماء التاريخية ، بالالف والنون ، والياء والنون ، أسلوب عربي قديم ، كان مستعملا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وبعده • وربما انتقل الى البصرة ، وسائر البلاد المجاورة للجزيرة العربية ، كبلاد فارس ، وبلاد الجزيرة ، ومصر عند الفتح الاسلامي • وانتشر بوجه خاص في العراق أو انه كان مستعملا في العراق ، حين كانت القبائل العربية تسكن فى بقاعه المختلفة • ومن العراق تنتقل الى فارس •

ويتطلب اثبات هذه الدعوى معرفة ما كان في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، من ثروة في المدنية والعمران ، وأساليب لغوية ، في لغتهم ، وأدبهم • ولذلك رجعنا الى المعاجم ، وكتب التاريخ الاسلامى ، لالقاء ضوء على هذا الاسلوب فتوصلنا الى أن تثنية الاعلام التاريخية ، أسلوب لم يكن مستعملا في البصرة فحسب • ولم يقتبسه العرب من الفرس ، ولم يكن يدل على المفرد فقط ، وانما هو أسلوب عربي قديم كان يطلق في الجزيرة العربية على المدن ، والقرى ، والجبال ، والمياه والرياض ، والدارات ،

والمنازل ، والهضاب ، والرمال ، والقصور ، والحصون ، والقلاع ، والآبار •• الخ •

ويتبين لنا أن أسلوب التثنية الذي شرحناه وأوردنا له الامثلة الكثيرة أسلوب عربي صميم يدل أحيانا على المفرد ، باعتباره صيغة مرتجلة • كما يدل على الاكثر على التثنية • وعلى التغليب • ويستعمل لأقامة وزن الشعر والدلالة على الجمع أيضا •

منطقة الحيرة

دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر الادبية

الدكتور صالح أحمد العلي

لمنطقة الحيرة أهميـة كبيرة فى تاريخ العراق وتاريخ العرب ، فان الحيرة كانت قاعدة دولة المناذرة التي لعبت دورا مهماً فى السيطرة على أطراف العـراق وضبط حـدوده ، وبسط النفوذ على كثـير من عشائر الجزيرة العربيـة وأراضيها ؛ فضلا عن معاونـة أمراءها الساسانيين فى حروبهم مع الروم • يضاف الى ذلك انها كانت تقوم بحراسة القوافل ونقل التجارات • وقد تطلب كل ذلك منها أن تكون ذات قوة عسكرية كافيـة وادارة محكمة ونظم راقية نسبياً ، والواقع ان ادارة دولة المناذرة الذيـن كانت عاصمتهم الحيرة ، تقدم انموذجا مهماً عن ادارة الساسانيين وعلاقتهم بالامراء المحليين ، وهى بلا ريب أوسع صورة يمكن أن نحصل عليها من ادارة أى أمير آخر فى العصر الساسانى •

ثم ان للحيرة قبل الاسلام حضارة خاصة بها لدينا عنها تفاصيل طيبة نسبيا ، وربما كانت أوسع من التفاصيل التى عن أية دولة عربية أخرى قبل الاسلام ، ما عدا مكة ، وقد وصفها المرحوم يوسف غنيمة فى كتابه عن الحيرة بتفصيل واف • ولعل وفرة هذه التفاصيل راجعة الى بقاء الوثائق المتعلقة بتاريخ الكوفة فى العصر الاسلامى حيث استفاد منها الرواة وخاصة هشام ابن الكلبى ، كما أن معظم القبائل والعشائر ذات الصلة بالمناذرة استقرت بالكوفة ، فاحتفظت وروت أخبار علاقتها مع المناذرة • يضاف الى ذلك ان الحيرة كانت مركزا مهما للنصارى ، ففيها أنشئت أديرة كثيرة ومراكز لترجمة العلم •

وقد لعبت الحيرة في تاريخ الاسلام دورا كبيرا ، فان موقف أهل الحيرة الودى من الفتح الاسلامى ضمن لها مكانة طيبة فى الدولة ، كما أن خبرات أهلها التجارية أتاح لها مجالا واسعا للاستفادة المادية من الفتوح الاسلامية ، ثم أن كونها مركزا مسيحيا قرب الكوفة أتاح لها أن تكون من مراكز اللهو والتحرر لأهل الكوفة ، وان يقصدها الكثير من الزوار •

وبالرغم من هذه الاهمية فلم تجر عنها دراسات كافية ، ولم تجر الا حفريات قليلة فى مناطق محدودة ، قام بها رايس سنة ١٩٣٢ ، والمتحف العراقى فى سنة ١٩٥٠ ونشرت عن ذلك مقالات حول الاماكن المحدودة التى جرت الحفريات فيها • أما دراسة الواموزيل التى دونها فى كتابه عن الفرات الاوسط فمع ثروتها الهائلة من المعلومات ، الا أن منطقة الحيرة لم تحض بالاستيعاب الكامل •

وسنحاول فى مقالنا هذا تقديم وصف طوبوغرافى للاماكن التى ورد ذكرها فى المصادر العربية الادبية والتاريخية والجغرافية فى العصور الاسلامية الاولى محاولين تحديد كل مكان ، وسنقصر بحثنا على المنطقة الممتدة بين العذيب والكوفة ، فندخل فى هذا الوصف منطقة القادسية والنجف أيضا ، دون أن نشمل بحثنا الكوفة التى سنخصص لها بحثا خاصا ، وسنبدأ ببحثنا من العذيب التى تقع على الطرف الغربى من حدود العراق ، ثم نتقدم فى الوصف شرقا •

العذيب والقادسية :

وفى الطرف الغربى من القادسية يقع العذيب ، « وهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال والى المغيثة اثنين وثلاثين ميلا ، وقيل هو حد السواد »[١] ويروى الطبرى ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابى وقاص عندما أرسله الى القادسية « اذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس[٢] » ويرى ياقوت فى هذا النص ان هناك عذيبان ، الهجانات والقوادس[٣] ، غير أنه يمكن القول بأن العذيب واد ينسب شرقيه الى القوادس ، وغربيه الى الهجانات ، وقد ذكر السكونى ان « العذيب يخرج من قادسية الكوفة اليه »[٤] ويصفه ابن جبير بأنه « واد خصيب وعليه بناء وحوله فلاة خصيبة فيها مسرح للعيون وفرجة ، وأعلمنا أن بمقربة منه بارقا ، ووصلنا منه الى الرحبة وهى بمقربة منه[٢] » .

كانت المنطقة الواقعة بين العذيب والقادسية عند ظهور الاسلام مجدبة ليس فيها غير نخلة واحدة ، دفن عندها قتلى المسلمين فى القادسية[٦] ، غير أنها ازدرعت فيما بعد ، فكان بها فى زمن المسعودى نخل كثير[٧] « بينها

---

(١) ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٣ ص ٦٢٦ طبعة ليدن . ويروى ياقوت عن العمرانى ان من العذيب الى القادسية ستة أميال (ياقوت ج ٤ ص ٣٥٩) ويذكر الازهرى ان العذيب على مرحلة من الكوفة (لسان العرب ج ٢ ص ٧٥) انظر أيضا ج ٨ ص ٥٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك I ص ٢٢٢٤ طبعة ليدن .

(٣) ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ . ويرى الواموزيل ان عذيب الهجانات هو المكان الذى يسمى ، عندما زار المنطقة سنة ١٩١٥ ، عين السيد ، اما عذيب القوادس فهو عين النجارية A. Musil. Middle Euphrates PIII

(٤) ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ .

(٥) ابن جبير : الرحله ص ١٩٦ طبعة حسين نصار .

(٦) الطبرى I ص ٢٣١٧ .

(٧) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٦ .

وبين القادسية حايطان متصلان بينهما نحل وهى ستة أميال فاذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة[٨] » وهى على طريق الحج ، وقد مر منها عدد غير قليل[٩] .

لقد كانت العذيب للمناذرة حيث كان بها هجائن النعمان ترعى هناك[١٠] وكانت عند الفتح الاسلامى مسلحة للفرس[١١] ، وقد وجد فيها المسلمون رماحا ونشابا[١٢] ، وقد كان فيها قصر اتخذه سعد مقرا له يشرف منه على معركة القادسية[١٣] ، وقد وضع فى هذا القصر النساء وعين لها مفرزة من الخيالة تحميها[١٤] .

وبين العذيب والقادسية عين شمس[١٥] وهو ماء ، يجرى بينه وبين العذيب وادى مشرق[١٦] دفن فيه عدد من شهداء القادسية[١٧] ، وفى شرقى العذيب الاقيلبة فقد روى ياقوت « وفى كتاب الفتوح ولما نزل سعد بالقادسية أنزل بكر بن وائل القلب وهى تدعى الاقيلبة فاحتفروا بها القلب بين العذيب وبين مطلع الشمس[١٨] .

تتجلى الاماكن الواقعة بين العذيب والقادسية من وصف تقدم جيش سعد ، حيث كانت تتقدمه طليعة بقيادة زهرة بن حويه « فقدم زهرة سعد حتى عسكر

---

(٨) ابن رستة · الاعلاق النفيسه ص ١٧٥ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(٩) انظر طبرى II ص ٣٠٥ ، ١٠٧٢ ، ١٣٨٠ ، ١٦٧٧ III ص ٤٥٦ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(١٠) طبرى II ٣٠٢ ·
(١١) طبرى I ٢٢٣١ ياقوت ج ٣ ص ٦٢٦ ·
(١٢) طبرى I ٢٢٣٢ ·
(١٣) طبرى I ٢٣٥١ المسعودى · مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٣ ·
(١٤) طبرى I ٢٢٣٢ ·
(١٥) ياقوت ج ٣ ص ٧٦٣ ·
(١٦) ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ ·
(١٧) الطبرى I ص ٢٣٠٤ ، ٢٣١٧ ، ٢٣٣٨ ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ ·
(١٨) ياقوت ج ١ ص ٣٤١ ·

بعذيب الهجانات ثم خرج في اثره حتى ينزل على زهرة بعد وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة يومئذ أسفل منها بميل » ثم « نزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم »[١٩] .

يتبين من هذا ان قديس هي بين العذيب والمكان الذي صار يطلق عليه فيما بعد القادسية ، وانها على بعد ميل من القادسية ، وهي مائلة الى الجنوب حيث يروي الطبري ان رستم تقدم الى القادسية « ثم قدم ذا الحاجب فلما انتهى الى العتيق ياسر حتى اذا كان بحيال قديس خندق خندقا »[٢٠] ويبدو ان المعركة نشبت بين قادس والعتيق « كان صف المشركين على شفير العتيق ، وكان صف المسلمين مع حائط قديس ، الخندق من ورائهم ، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق[٢١] ، « وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق »[٢٢] « ودافن شهداء ليلة الهرير من ليالي القادسية وقتلى يوم القادسية وهي آخر أيام القادسية حول قديس من وراء العتيق وكانوا ٢٥٠٠ بحيال مشرق[٢٣] والعتيق هو مجرى جاف للفرات حيث كان يجري فيه قبيل الاسلام[٢٤]

ان الخندق الذي يتردد ذكره في أخبار معركة القادسية هو خندق القادسية[٢٥] ، ولما « كان صف المسلمين مع حائط قديس : الخندق من وراءهم[٢٦] » فيكون الخندق غربي قديس والواقع ان مكان القادسية التي

---

(١٩) طبري I ٢٢٣٣ ياقوت ج ٤ ص ٤٢ ــ ٣ .
(٢٠) الطبري I ٢٢٦٥ .
(٢١) طبري I ٢٢٩٤ ، ٢٢٨٨ .
(٢٢) طبري I ٢٣٣٨ .
(٢٣) ياقوت ج ٤ ص ٥٣٩ .
(٢٤) مروج الذهب ج ١ ص ١٠٣ .
(٢٥) طبري I ٢٥٤٣ .
(٢٦) طبري I ٢٢٩٤ .

معركة «بين العتيق والخندق »(27) أما العتيق فنظرا لان الفرس طفة فيه في القادسية(28) فمعنى ذلك انه كان شرقي القادسية ويبدو ه كان مجرى نهر ، لانه « لما أراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بحيال قادس وهو يومئذ اسفل منها اليوم مما يلي عين شمس ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار »(29) .

لقد أورد الطبري نصا يصف فيه منطقة القادسية ، فان عمر « كتب اليه سعد بصفة البلدان : القادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما على يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وان ما عن يمين القادسية الى الولجه فيض من فيوض مياههم »(30) .

وقد وصف بعض جغرافيي العرب القادسية فيقول الاصطخري « القادسية على شفير البادية وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وزروع ليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر »(31) . ويقول المقدسي « والقادسية مدينة على سيف البادية تعمر أيام الحاج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصن طين وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد وثم عيون غربيه ، وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحاج وهي سوق واحد الجامع فيه »(32) ويقول ابن جبير « القادسية قرية كبيرة فيها حدائق

---

(27) طبري I ٢٢٣٠ ، ٢٣٣٨ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٢٩ ياقوت ج ٤ ص ٨ .
(28) طبري I ٢٢٩٤ .
(29) طبري I ص ٢٢٨٦ .
(30) طبري I ٢٢٢٩ ياقوت ج ٤ ص ٨ .
(31) الاصطخري . المسالك ص ٨٣ .
(32) المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١١٧ .

من النخيل »[٣٣] .

ويقول الاصطخرى « والقادسية والحيرة والخورنق هى على طرف البادية مما يلى المغرب ويحيط بها مما يلى المشرق النخيل والانهار والزروع وهما والـكوفة فى أقل من مرحلة »[٣٤].

وتذكر بعض المصادر ان « من الـكوفة الى القادسية مرحلة » [٣٥]
كما تذكر مصادر أخرى « من الـكوفة الى ... خمسة عشر ميلا ،
ثم الى العذيب طرف البادية ستة أميال ...

ان الخصوص الذى ذكر فى وصف سعد للقادسية هو نهر كان بين الحيرة والقادسية [٣٧] ، وهو شمال القادسية ، ويبدو انه كان منطقة عامرة ، ومركزا صناعيا ، فيروى ياقوت انه تنسب اليه الدنان فيقال دن خصي » [٣٨] .

لقد ذكرت المصادر بعض الاماكن قرب القادسية دون أن تحدد مواقعها : كالرقراقة وهى ماءة قرب القادسية نزلها جيش امام القادسية[٣٩]، وخريم الذى يصفه نصر انه ماء قرب القادسية [٤٠] ، والقرة وهى قرية من القادسية [٤١] ؛ والصوأر وهو « على أربعة أميال من القادسية عرضا

(٣٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٩٧ طبعة حسين نصار .
(٣٤) الاصطخرى ص ٨٢ . ويرى موزيل (ص ١٠٩ فما بعد) ان القادسية مكانها غدير المقصورة وهو فرع من شعيب الحسب وقد وصف منطقتها بالتفصيل .
(٣٥) الاصطخرى ص ٧٩ المقدسى ص ١٣٤ .
(٣٦) ابن خرداذبه . المسالك والممالك ص ١٢٥ . قدامه : كتاب الخراج ص ١٨٥ ابن رسته ص ١٧٥ .
(٣٧) ياقوت ج ٢ ص ٢٨٩ ج ٤ ص ٨ .
(٣٨) ياقوت ج ٢ ص ٤٤٩ . الفيروز ابادى . القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٠١ . ويذكر موزيل ان بقايا الخضوض لا تزال موجودة (ص ١١١) .
(٣٩) ياقوت ج ٢ ص ٨٠٠ ج ٤ ص ١٨١ .
(٤٠) ياقوت ج ٢ ص ٤٣١ .
(٤١) ياقوت ج ٤ ص ٧٦ .

في البر »[٤٢] .

والرحبة وهي « قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج اذا أرادوا مكة وقد خربت الان بكثرة طروق العرب لانها في ضفة البر ليس بعدها عمارة ، وقال السكوني ومن اراد الغرب دون المغيثة خرج على [illegible] طف الحجاز فأولها عين الرحبة وهي من القادسية على ثلاثة أميال ثم [illegible] [٤٣] ، وبين خفان والقادسية ستة أميال[٤٤] .

أما الاماكن [illegible] القادسية فنجد أبرزها مذكورة في وصف حركات تقدم الجيس [illegible] نحو ميدان في القادسية ؟ فيروى الطبري أن رستم خرج « ونزل بحيال دير الاعور ، ثم انصب الى الملطاط ، فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف ، بحيال الخورنق الى الغريين[٤٥] ثم « أمر الجالنوس ان يسير من النجف ، فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم فنزل النجف[٤٦] « ورأى رستم أن ينزل من العتيق والنجف »[٤٧] « فاذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب ، فارتحل الجالينوس ، فنزل ذو الحاجب منزله ، والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها »[٤٨] « فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالنوس وذا الحاجب ، فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة .. ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباد ، ونزل رستم منزل ذي الحاجب بالخرارة ، ثم قدم ذا الحاجب ، فلما

---

(٤٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٥ .
(٤٣) ياقوت ج ٢ ص ٧٦٢ وقد اورد موزيل نصوصا عنها وحاول تحقيق موضعها والاماكن المجاورة الاخرى (ص ١١٠ فما بعد) وقد تجنبنا الدخول في تفاصيل هذه المنطقة لانها خارج نطاق دراستنا .
(٤٤) المسعودي : التنبيه ص ٣٣٨ .
(٤٥) طبري I ٢٢٥٥ .
(٤٦) طبري I ٢٢٥٦ .
(٤٧) طبري I ٢٢٥٧ .
(٤٨) طبري I ٢٢٦٤ .

انتهى الى العتيق تياسر حتى اذا كان بحيال قديس خندق خندقا ، وارتحل الجالنوس فنزل عليه .. فلما انتهى رستم الى العتيق وقف عليه بحيال عسكر سعد .. ثم صعد القنطرة [٤٩] .

يتبين من الوصف المتقدم أعلاه ان محطات الجيش الساسانى هى من الشرق الى الغرب : دير الاعور ـ الملطاط (عند النجف والخورنق والغريين ـ السيلحين ـ الخرارة ـ طيزناباد)

فأما طيزناباد فيروى البلاذرى انها كانت تدعى ضيزناباد نسبة الى الضيزن بن معاوية بن عمر بن عبيد السليحي ، ثم حرفت الى طيزناباد [٥٠] وهى « بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج ، وبينها وبين القادسية ميل [٥١] ، ويقول المسعودى انها « قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم واشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل العقاب عن الفرات ، شرابها موصوف بالجود كوصف القطربلى » [٥٢] غير انها خربت فيما بعد كما يدل على ذلك قول ياقوت انها « كانت من انزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة ، وهو الآن خراب لم يبق به الا اثر قباب يسمونها قباب أبى نواس ، ولاهل الخلاعة فيه أخبار يطول ذكرها » [٥٣] .

---

(٤٩) طبرى I ٢٢٦٥ . البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥٥ .
(٥٠) فتوح البلدان ص ٢٨٤ ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ . ويجدر بنا ان نذكر احتمالات اخرى لتسمية طيزناباد فيقول ابن منظور « الضيزنان صنمان للمنذر الاكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة ، والضيزن الذى يسميه اهل العراق البندار يكون مع عامل الخراج » (لسان العرب ج ١٧ ص ١٢٣) فلعل أصل هذا المكان مدخل الحيرة ، وفيه أصنام ، وفيه مركز جباية الضرائب .
(٥١) ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ ويرى ابراهيم حلمى انها هى الطعيزيات الواقعة على ٦ أميال من ابى صخير انظر لغة العرب ج ٢ ص ٣٢١ ـ ٦ .
(٥٢) مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ .
(٥٣) ياقوت ج ٣ ص ٥٧٠ .

وقد أقطع عثمان طيزناباد الاشعث بن قيس الكندي[٥٤] ، وكان لابنه محمد فيها قصر مما يلي القادسية [٥٥] أمر المختار بهدمه [٥٦] .

وفي طيزناباد كان دير سرجس وبكس وهو منسوب الى راهبين وكان هذا الدير بطيزناباد بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق ، وبينهما وبين القادسية ميل ، وكانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة، وقد خربت الآن وبطلت وعفت اثارها وتهدمت ابارها ، ولم يبق من جميع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق ، تسميه الناس معصرة أبي نواس[٥٧] » وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارة وأنزهها موضعا [٥٨] » .

ويروي ياقوت عن الشابشتي أن دير الزرنوق كان يسمى باسم دير بطيز ناباذ بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل[٥٩]. ويقول البكري انها موضع دون القادسية[٦٠] أما الخرارة التي تقع بين طيز ناباذ والسيلحين فليس في الكتب عنها سوى ما رواه ياقوت انها قرب السيلحون من نواحي الكوفة [٦١] .

---

(٥٤) طبري I ٢٨٥٥ فتوح البلدان ص ٢٧٤ ياقوت ج ٣ ص ٥٦٩ .
(٥٥) طبري II ص ٦٨٠ البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٤١ .
(٥٦) طبري II ص ٧١٨ .
(٥٧) الشابشتي : كتاب الديارات ص ١٥٠ ياقوت ج ٢ ص ٦٦٧ (ويسميها قباب ابي نواس ابن فضل‌الله العمري : مسالك الابصار ج ١ ص ٢٨٤ .
(٥٨) الشابشتي ص ١٥١ .
(٥٩) ياقوت ج ٢ ص ٦٦٣ .
(٦٠) البكري . معجم ما استعجم ص ٤٩٣ طبع مصطفى السقا .
(٦١) ياقوت ج ٢ ص ٤٠٩ .

أما السيلحون فهو أحد طساسيج البهقباذ الاسفل[٦٢] ، أما الطساسيج الاخرى فهى الكوفة ، وفرات بادقلى ، والحيرة ، ونستر ، وهرمز جرد[٦٣] « وطسوج السيلحين وفيه الخورنق وطيزناباد ، وبيادره أربع وثلاثون بيدرا الحنطة ألف كر ، الشعير ألف وسبعمائة كر ، الورق مائة ألف وأربعون ألف[٦٤]. وكان فى السيلحون نهر السيلحون وهو يجرى من الفرات[٦٥]، وكانت فيه أحد » مسالح كسرى[٦٦] .

وبقرب السيلحين تقع الصنين[٦٧] « وهو بلد كان بظاهر الكوفة ، كان من منازل المنذر ، وبه مزارع باعه عثمان بن عفان مـــن طلحة بن عبيدالله وكتب له كتابا مشـــهورا مذكـــورا عنـد المحدثين وجدت نسخته سقيمة فلم أنقله » [٦٨] .

ونهر السيلحين قريب من مجتمع الانهر فيروى الطبرى انه عندما تقدم المصعب بن لازبير الى الـكوفة « ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليـه فى البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السيلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر برسف (يوسف ؟) فسكر الفرات على مجتمع الانهار فذهب ماء الفرات كله فى هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين »[٦٩] .

---

(٦٢) ياقوت ج ١ ص ٢٤١ .
(٦٣) ياقوت ج ١ ص ٧٧٠ .
(٦٤) خرداذبه ص ١٢ قدامه كتاب الخراج ص ٢٣٧ .
(٦٥) البلاذرى : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٥٨ .
(٦٦) ياقوت ج ٣ ص ٢١٨ .
(٦٧) طبرى I ٢٢٣٢ .
(٦٨) ياقوت ج ٣ ص ٤١٣ .
(٦٩) طبرى II ص ٧٢٥ .

الحيرة تبعد ثلاثة اميال عن الكوفة ، على موضع يقال له النجف[١] ، يرويها نهر كافر[٢] وهو يسمى نهر الحيرة[٣] .

تروى بعض المصادر انه كان فيها من جميع القبائل : من مذحج ، وحمير ، وطى ، وكلب ، وتميم [٤] . ومع ان بعض هذه القبائل قـــديم سكناها فى الحيرة ، الا ان بعضها استوطن الحيرة بعد الفتح الاسلامى أو ازدادوا فيها بعد الفتح على الاقل .

وقد ذكر النسابون من القبائل التى استوطنت الحيرة بنو عوف بن أبى سلمى[٥] ، وبنو عمار بن عبدالمسيح بن قيس بن حرملة[٦] أصحاب قصر العدسيين ، وهما من كلب ، وجفنه وهم بطن من بنى عوف بن عمرة بن ربيعة بن حارثة الخزاعيين[٧] ، وبنو زمـان بن تيم الله بن جفال[٨] ، وبنو سنيد ومره اولاد زيد بن سعد بن عدى بن نمر ويقال لهم بنو مطر ، ومنهم بقيلة صاحب قصر بنى بقيلة ، وبنو هند من بنى زيدالله بن عمرو بن مازن ، وهـم من الازد[٩] . وبنو الساطع وهـم بنو عـدى بن عمره بن

---

(١) اليعقوبى . البلدان ص ٣٠٩ ابن رسته ص ٣٠٩ ياقوت ج ٢ ص ٣٧٥ ويروى الاصطخرى (ص ٨٢) ان بينها وبين الـكوفة فرسخ ، وهى رواية غير دقيقة ، او انه قدر المسافة من أبعد نقطتين بين الـكوفة والحيرة . ويرى موزيل ان مركز الحيرة يبعد ٥ كيلو مترات عن الـكوفة والخورنق ، وعشرة كيلومترات عن النجف (ص ١٠) .

(٢) البكرى ص ١١١٠ الاغانى ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) ابن سعد . كتاب الطبقات ج ٦ ص ١٤٥ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٧ طبرى II ص ٧٢٥ .

(٤) ياقوت ج ٢ ص ٣٧٨ .

(٥) ابن الـكلبى . كتاب النسب ص ٤٢٣ مخطوطة الاسكوريال .

(٦) ابن الـكلبى ص ٤٢٤ .

(٧) ابن الـكلبى ص ٣١٠ .

(٨) ابن الـكلبى ص ٣٢١ .

(٩) ابن الـكلبى ص ٣٢٣ .

كنانة(١٠) ، وبنو عدى بن الرميل بن لوب بن اسس اصحاب بيعة عدى وهم من لخم(١١) ، والحمرات من بنى اراش بن حرملة بن لخم(١٢) ، وبنو سمينة الطائيين(١٣) ، وبنو المحلق بن بكر بن وائل(١٤) ، وسلسلة من بنى ملك بن هزيم الجعفى(١٥) ، وبنو عبدالخيار ــ وبنو مالك من أياد (١٥) أ .

وكانت الحيرة مشهورة بخماراتها(١٦) ، حيث كان يؤمها كثير من أهل الكوفة متحررين من قيود الوقار التى يفرضها عليهم بقاؤهم فى الكوفة ؛ كما زارها عدد من خلفاء بنى العباس « لطيب هوائها وصفاء جوها وصحة تربتها وصلابتها ، غير انها بدأت تنحط تدريجيا ، حتى انها كانت فى زمن المعتضد خرابا »(١٧) .

وفى الحيرة عدة اديرة منها دير هند الصغرى ، وقد بنته هند بنت النعمان « وترهبت فيه وسكنته دهرا طويلا ثم عميت ، وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة واعمرها وهو بين الخندق وحضرا (صحراء ؟) بكر ، ولما قدم الحجاج الكوفة سنة ٧٤ قيل له ان بين الحيرة والكوفة ديرا لهند بنت النعمان ..»(١٨) ، ولما ولى بشر بن مروان امارة الكوفة « شق له نهرا من الفرات ، ولم يزل النهر يجرى حتى خرب الدير»(١٩)

---

(١٠) ابن الكلبى ص ٤٥٠ .
(١١) ابن الكلبى ص ١٣٩ ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٧ طبعة عبدالسلام هارون .
(١٢) ابن الكلبى ص ١٤١ .
(١٣) ابن الكلبى ص ١٥٦ .
(١٤) ابن الكلبى ص ٢١٩ .
(١٥) ابن الكلبى ص ٢١٨ .
(١٥أ) البلاذرى . انساب الاشراف ج ١ ص ٢٧ ــ ٨ .
(١٦) الاصفهانى : كتاب الاغانى ج ١١ ص ٢٥٤ ــ ٢٧١ طبعة دار الكتب .
(١٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٤ الاصطخرى ص ٨٢ .
(١٨) الشابشتى ص ١٥٧ الاغانى ج ٢ ص ١٣٥ .
(١٩) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ج ١ ص ٣٢٣ .

ويروى البكرى ان « هذا الدير يقارب بنى عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلى الخندق ، فى موضع نزه »[٢٠] .

اما دير هند الكبرى فهو غير الدير السابق ، وهو على طف النجف[٢١] . وعند هذا الدير دير اللج[٢٢] الذى بناه النعمان ابو قابوس ، « ولم يكن فى ديارات الحيرة احسن بناءا منه ولا انزه موضعا »[٢٣] .

ومن اديرة الحيرة دير ابن مزعوق « وهذا الدير فى وسطها ، وهو دير كثير الرهبان حسن العمارة احد المتنزهات المقصودة والاماكن الموصوفة [٢٤] ، وبالقرب من هذا الدير مائلا نحو الشمال يقع دير الحريق »[٢٥] .

ومن الاديرة التى بظاهر الكوفة دير عبدالمسيح بن بقيلة الغسانى « وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة .. وخرب الدير بعد مدة فظهر فيه ازج معقود من حجارة »[٢٦] وهو يسمى أيضا دير الجرعة .[٢٧] اما الجرعة فيذكر ابن سعد انها بين الكوفة والحيرة[٢٨] ، ويذكر ياقوت انها بين النجفة والحيرة [٢٩] ويمكن التوفيق بين الروايتين بالقول ان الجرعة

---

(٢٠) البكرى ص ٦٠٥ .
(٢١) البكرى ص ٦٠٧ .
(٢٢) البكرى ص ١١٩٦ .
(٢٣) البكرى ص ٥٩٥ الاغانى ج ١١ ص ٣٦٥ ياقوت ج ٢ ص ٦٩١ .
(٢٤) الشابشتى ص ١٤٨ . مسالك الابصار ص ٣١٥ ياقوت ج ٢ ص ٧٠١ .
(٢٥) مسالك الابصار ص ٣١٦ ياقوت ج ٢ ص ٦٥٤ .
(٢٦) ياقوت ج ٢ ص ٢٧٧ .
(٢٧) ياقوت ج ٢ ص ٦٥١ .
(٢٨) كتاب الطبقات ج ٥ ص ٢٢ .
(٢٩) ياقوت ج ٢ ص ٦٢ ويذكر ان منظور ان « الجرعه اسم موضع بالكوفة كان فيه فتنة فى زمن عثمان بن عفان » (لسان العرب ج ٩ ص ٣٩٧) .

بين الكوفة والحيرة والنجف ، أى انها فى شمال غربى الكوفة .

ومن ابرز ما فى الحيرة قصور يجمل الشابشتى موقعها بنص يذكره عن ابنية المناذرة حيث يقول « ومن هذه الابنية المسقطات ، وهو قصر فيه ازاج مستطيلة مسقطة شرقى الحيرة على طريق الحاج ؛ ثم القصر ؛ ثم كرة البقال ؛ ثم قصر العدسيين ؛ ثم الاقصى (القصر !) الابيض ؛ ثم بنى بقيلة وكان هذا القصر لعبدالمسيح بن بقيلة الغسانى .. ومن بعده دار عون ، ثم فيه عصر (؟) مما يلى النجف ، فهذه قصور الحيرة الباقية الآن(٣٠) .

لقد تردد ذكر هذه القصور فى اخبار الفتوح الاسلامية ، فيروى ياقوت ان قصر العدسيين « كان بالكوفة فى طرف الحيرة لبنى عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة»(٣١) ؛ ولما حاصرت قوات خالد بن الوليد قصور الحيرة فى خلافة ابى بكر « كان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر العدسيين ، وفيه عدس بن عدس المقتول »(٣٢) ، وقد نزل المستورد بن علفة « فنزل دارا بالحيرة الى جنب قصر العدسيين من كلب»(٣٣) .

وقصر العدسيين فهو لبقيلة (٣٤) .

أما القصر الابيض فهو من قصور الحيرة(٣٥) ، ولما تقدم خالد لحصار الحيرة « تحصن اهلها فى القصر الابيض وقصر ابن بقيلة وقصر العدسيين»(٣٦) ويذكر الاصبهانى انه « كان لجابر بن شمعون

---

(٣٠) الشابشتى ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٣١) ياقوت ج ٤ ص ١١٦ ، ويبدو انه أخذ روايته من ابن الكلبى الذى يذكر ان « لهم قصر العدسيين » (النسب ص ٤٢٤ مخطوطة الاسكوريال .

(٣٢) طبرى I ٢٠٣٩ .

(٣٣) طبرى II ٢٩ .

(٣٤) ابن الكلبى . النسب ص ٣٢٣ مخطوطة الاسكوريال . ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٨٥ (طبعة عبدالسلام هارون) .

(٣٥) ياقوت ج ٤ ص ١٠٦ .

(٣٦) فتوح البلدان ص ٢٤٤ انظر أيضا انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٣٢ .

الاسقف »[٣٧] ، كما يذكر ياقوت ان هذا القصر « هو أبيض النعمان قصر كان له بالحيرة »[٣٨] اما ابن الفقيه فيقول عنه انه « في طرف الحيرة لبنى عمار بن عبدالمسيح »[٣٩] • ويذكر الطبرى ان رستم عسكر « بين الغريين والقصر الابيض »[٤٠] ومعنى هذا ان القصر الابيض قرب الغريين فى جهة النجف •

وقد ذكر من قصور الحيرة ايضا قصر بنى مازن[٤١] وقصر الطين[٤٢] •

ومن قصورها ايضا قصر الفرس « حكى الاديبى ان قصر الفرس احد قصور الحيرة الاربعة »[٤٣] •

والزوراء « وهى دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة هدمها ابو جعفر المنصور »[٤٤] وعمير اللصوص « وكان مقابل الحيرة »[٤٥] •

وفى الحيرة أيضا « قبة الشنيق وهى من الابنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج ، وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للنصارى »[٤٦]•

تذكر المصادر عدداً غير قليل من الاديرة فى منطقة الحيرة دون أن تحدد مواقعها بالضبط ، ومن هذه الاديرة دير علقمة[٤٧] ، ولعله هو دير حنظله الذى يروى ابو الفرج الاصبهانى انه « من ديارات بنى

---

(٣٧) الاغانى ج ٢ ص ١١٥ •
(٣٨) ياقوت ج ٤ ص ٣٥٣ •
(٣٩) مختصر كتاب البلدان ص ١٨٣ •
(٤٠) طبرى I ٢٠٣٩ •
(٤١) طبرى I ص ٢٠٣٩ •
(٤٢) ياقوت ج ٣ ص ٥٧١ ج ٤ ص ١١٤ •
(٤٣) ياقوت ج ٣ ص ٨٧٤ ج ٤ ص ١٠٨ •
(٤٤) ابن قتيبة : المعانى الكبير ج ١ ص ٤٦٥ البكرى ص ٧٠٤ ياقوت ج ٢ ص ٩٥٥ لسان العرب ج ٥ ص ٤٢٧ ــ ٨ •
(٤٥) البكرى ص ١٠٠٤ ياقوت ج ٣ ص ٧٣١ •
(٤٦) الشابشتى ص ١٥٥ مسالك الابصار ص ٣٢٨ •
(٤٧) ياقوت ج ٢ ص ٦٨١ •

علقمة »[٤٨] •

ومن هذه الاديرة دير السوا « اى العدل لانهم كانوا يتحالفون عنده ، فيتناصفون ، وقال الكلبى هو منسوب الى رجل من اياد ، وقيل هو منسوب الى بنى حذاقة ، وقيل السوا امرأة منهم ، وقيل السوا ارض تسب الدير اليها[٤٩] •

وكذلك الاكيراح فيقول ياقوت « روى ابو سعيد السكرى عن ابى جعفر احمد بن الهيثم البجلى « رأيت الاكيراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة مما يلى مغرب الشمس من الحيرة ، وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء ، وروى الخالدين ان الاكيراح رستاق نزه بأرض الكوفة •• بالقرب منها ديران يقال لأحدهما دير مر عبدا ، وللآخر دير حنة ، وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض »[٥٠] •

فاما دير عبدا فهو « ينسب الى مر عبدا ابن حنيف بن وضاح اللحيانى كان مع ملوك الحيرة ، وهو دير ابن وضاح »[٥١] ويسميه الاصبهانى دير الاكيراح[٥٢] •

اما دير حنة فهو « دير قديم بالحيرة منذ ايام بنى المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم[٥٣] بنو ساطع ، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القايم لبنى أوس بن عمرو بن عامر » •

وقد ذكر فى منطقة الحيرة أيضا دير ابن براق[٥٤] •

وعند الحيرة ايضا اماكن لا نستطيع تحديد مواقعها بالضبط مثل[٥٥]

---

(٤٨) البكرى ص ٥٧٧ انظر أيضا ياقوت ج ٢ ص ٦٥٦ •
(٤٩) فتوح البلدان ص ٢٨٣ ياقوت ج ٢ ص ٦٧٢ •
(٥٠) ياقوت ج ١ ص ٣٤٥ ـ ٦ •
(٥١) ياقوت ج ٢ ص ٦٩٩ •
(٥٢) البكرى ص ٥٧٩ •
(٥٣) البكرى ص ٥٧٨ (عن الاصبهانى) •
(٥٤) ياقوت ج ٢ ص ٦٤٠ •
(٥٥) ياقوت ج ٤ ص ٦٤٣ •

الباغوث [٥٦] ، وقلاية القس [٥٧] ، والفروط [٥٨] ، وبين « وهى موضع قريب من الحيرة »[٥٩] ؛ وكانت فى طرف السواد من ناحية الحيرة[٦٠]، وجفر الاملاك « وهو موضع دير بنى مرينا »[٦١]؛ وانقره « وهى موضع بنواحى الحيرة[٦٢] ، والجرف « كانت به منازل المنذر[٦٣] .

---

(٥٦) البكرى ص ٢٢١ .
(٥٧) البكرى ص ١٠٩١ .
(٥٨) البكرى ص ١٠٢٣ .
(٥٩) ياقوت ج ١ ص ٤٢٥ .
(٦٠) ياقوت ج ٤ ص ٩٧٩ .
(٦١) ياقوت ج ٢ ص ٦٥٦ ــ ٧ .
(٦٢) ياقوت ج ١ ص ٣٩١ .
(٦٣) ياقوت ج ٢ ص ٦٣ .

الخورنق والسدير وقصر ابى الخصيب :

الخورنق قصر كان بظهر الحيرة[1] ، « بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل[2] ، وهو مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق[3] » ، وهو كما نعلم يرجع الى عهد المناذرة[4] ، وقد اضيفت اليه فى العصر الاسلامى عدة اضافات « فلم يقدم احد من الولاة الكوفة الا واحدث فى قصرها المعروف بالخورنق شيئا من الابنية ، فلما قدم الضحاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيضه وتنقده »[5] . فلما ظهرت الدولة العباسية « أقطع الخورنق ابراهيم بن سلمه أحد الدعاة بخراسان .. وابراهيم أحدث قبة الخورنق فى خلافة ابى العباس ولم تكن قبل ذلك »[6] ، وقد تردد ذكر الخورنق فى الشعر العربى[7] .

وقد تردد ذكر الخورنق فى احداث الفتوح الاسلامية ، فلما اصاب « خالد ابن الازادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق اصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف فقدم خالد الخورنق .. ثم .. خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع الازاد به بين الغريين والقصر الابيض »[8] ، « وقال خذوا على الجوف ، فسلكوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق ، وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه وطلع جرير على الجوف فانتهوا

---

(١) ياقوت ج ٢ ص ٤٩١ .

(٢) ياقوت ج ٢ ص ٣٧٥ ، ويقول ابن رسته انه على ثلاثة أميال من الحيرة (الاعلاق النفيسة ص ٣٠٩) ولعل اختلاف التقدير راجع الى البدايات التى تقدر منها المسافات .

(٣) ياقوت ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٤) انظر فى وصفه كتاب الحيرة ليوسف غنيمة .

(٥) ابن الفقيه ص ١٧٨ ياقوت ج ٢ ص ٤٩٣ عن الهيثم بن عدى . وعن زيادة عبدالملك بن مروان انظر انساب الاشراف ج ٥ ص ٧٥٢ .

(٦) فتوح البلدان ص ٢٨٧ – ٨ .

(٧) انظر طبرى II ١٤٦ ياقوت ج ١ ص ٣٩١ ، ٤٦٣ ج ٢ ص ١٤٦ ، ٤٧٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٠ ، ٧٨٨ .

(٨) طبرى I ص ٢٠٣٨ .

الى المثنى وهو على البويب »[٩] وقد رأينا ان سعدا قال في وصفه منطقة « وان عن يسار القادسية بحر أخضر لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما احدهما فعلى الظهر ، واما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة »[١٠] وان رستم خرج « ونزل بحيال دير الاعور ، ثم انصب الى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال الخورنق الى الغريين[١١] .

ومن هذا يتبين ان الخورنق قريب من النجف ، ومن الغريين ، وان منها طريق يربطها بالنهرين وطريق القادسية عن طريق نهر الخصوص .

وتقع انقرة وهي « موضع بظهر الكوفة من الخورنق»[١٢].

ومن الاماكن البارزة قرب الخورنق هو السدير « في وسط البرية التي بينها (الحيرة) وبين الشام » [١٣] أي انه في الشمال الغربي من الحيرة ؛ ولا ريب ان اهميته وشهرته اقل من الخورنق بدليل اختلاف المتأخرين في أخباره . فيروى ياقوت انه « قال العمراني السدير موضع بالحيرة ، وقال السدير نهر وقيل قصر قريب من الخورنق كان النعمان اتخذه لبعض ملوك العجم » . وقال ابن الفقيه قالوا السدير ما بين نهر الحيرة الى النجف الى كسكر من هذا الجانب »[١٤] ويقول الشابشتي « والسدير قصر عظيم من ابنية ملوك لخم في قديم الزمان ، وما بقي الان منه فهو ديارات وبيع للنصارى »[١٥] .

ويقول ابن منظور « السدير بناء هو بالفارسية سهدلى أي ثلاث شعب أو ثلاث مداخلات ، وقال الاصمعي السدير فارسية ، كأن أصله سادل أي قبة في ثلاث قباب متداخلة وهي التي يسميها الناس اليوم سدلى فاعربته العرب

---

(٩) طبري I ص ٢١٨٤ .
(١٠) طبري I ٢٢٣٠ .
(١١) طبري I ٢٢٥٥ .
(١٢) البكري ص ٢٠٣ .
(١٣) ياقوت ج ٢ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت ج ٣ ص ٦٠ ـ ٦١ .
(١٥) الشابشتي ص ١٥٢ .

فقالوا سدير ، والسدير النهر وقد غلب على بعض الانهار .. التهذيب السدير نهر بالحيرة .. والسدير النهر ويقال قصر وهو معرب واصله بالفارسية سه‌دله أى فيه قباب متداخلة مثل الحارى بكمين »[١٦] .

اما قصر ابى الخصيب فهو « بظاهر الكوفة قريب من السدير ، بينه وبين السدير ديارات الاساقف ، وهو أحد المتنزهات يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كله يصعد من اسفله فى خمسين درجة الى سطح آخر افيح فى غاية الحسن ، وهو عجيب الصنعة »[١٧] « وبنى المنصور بالكوفة الرصافة وأمر أبا الخصيب مرزوقا مولاه فبنى له القصر المعروف بأبى الخصيب على اساس قديم ، ويقال ان ابا الخصيب بناه لنفسه ، فكان المنصور يزوره فيه »[١٨] .

وقد ذكر على بن محمد العلوى الحمانى بعض الاماكن القريبة من قصر أبى الخصيب بقوله :

سقيا لمنزلة وطيب ... بين الخورنق والكثيب
بمدافع الجرعات من ... اكناف قصر ابى الخصيب
دار تخيرها الملوك ... فهتكت رأس اللبيب[١٩]

وبين قصر أبى الخصيب والسدير تقع ديارات الاساقف[٢٠] « وهذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة وهو اول الحيرة ، وهى قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير (السدير ؟) ، عن يمنه قصر أبى الخصيب وعن شماله السدير »[٢١] .

وبالقرب من هذا القصر ايضا دير مارت مريم وهو « دير قديم من بناء آل المنذر بنواحى الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر ابى الخصيب مشرف على النجف »[٢٢] .

---

(١٦) لسان العرب ج ٦ ص ١٩ ـ ٢٠ .
(١٧) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٤ ص ١٠٧ .
(١٨) فتوح البلدان ص ٢٨٧ . ابن الفقيه ص ١٨٤ .
(١٩) ياقوت ج ٢ ص ٤٩٣ .
(٢٠) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٤ ص ١٠٧ .
(٢١) الشابشتى ص ١٥٢ ياقوت ج ٢ ص ٦٤٢ .
(٢٢) البكرى ص ٥٩٧ ياقوت ج ٢ ص ٦٩٢ .

النجف والهاشمية :

لقد لاحظنا انه بقرب الخورنق كانت النجف « وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها » [١] وكان يقال لظهر الكوفة اللسان[٢] ، « واللسان لسان البر الذى ادلعه فى الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم »[٣] « وهو فيما بين النهرين الى العين عين بنى الحذاء ، كانت العرب تقول ادلع البر لسانه فى الريف ، فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط ، وما كان يلى الطين منه فهو النجاف »[٤]

وكان الظهر « يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقاق »[٥] و « كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة فى جبابينهم فلما ثقل خباب قال لى أى بنى اذا انا مت فادفنى بهذا الظهر ، فانك لو قد دفنتى بالظهر قيل دفن بالظهر رجل من اصحاب رسول الله ص ، فدفن الناس موتاهم ، فلما مات خباب رحمه الله دفن بالظهر فكان اول مدفون بظهر الكوفة خباب »[٦] . ثم « ان عمرو بن عتبة ومعضد بن يزيد العجلى بنيا مسجدا بظهر الكوفة فاتاهم ابن مسعود فقال جئت لاكسر مسجد الخبال »[٧] .

لقد تردد ذكر النجف فى احداث الفتوح الاسلامية الاولى ، و« لما اصاب خالد ابن الازادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق اصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف فقدم خالد الخورنق .. وكان

---

(١) ياقوت ج ٤ ص ٧٦٠ .
(٢) طبرى I ص ٢٤٨٥ ياقوت ج ٤ ص ٦٣٣ .
(٣) طبرى I ٢٤١٩ .
(٤) طبرى I ص ٢٤٨٥ ياقوت ج ٤ ص ٣٥٥ .
(٥) فتوح البلدان ص ٢٧٧ .
(٦) ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١١٨ .
(٧) ابن سعد ج ٦ ص ١٤٤ .

عسكره بين الغريين والقصر الابيض »[٨] ثم ان المثنى « قال خذوا على الجوف ، فسلكوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه »[٩] . ولما تقدم رستم الى القادسية « نزل بحيال دير الاعور ثم انصب الى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال اهل النجف بحيال الخورنق الى الغريين »[١٠] ، ثم « أمر الجالنوس أن يسير من النجف فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم فنزل النجف »[١١] ، « وراى رستم ان ينزل بين العتيق والنجف »[١٢] ، « فاذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب ، فارتحل الجالنوس، فنزل ذو الحاجب منزله والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها »[١٣] ، « وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف »[١٤] .

وهناك اشارات الى النجف في العصر الاموي[١٥] .

وقد ورد وصفها ومدحها في قصيدة لاسحق بن ابراهيم الموصلي يمدح بها الواثق[١٦] .

تشير بعض المصادر الى ان النجف كانت فيها دومة : فيروى البكري ان « دومة الكوفة هي النجف بعينها »[١٧] ، ويقول ياقوت ان « دوما

---

(٨) طبري I ص ٢٠٣٨ .
(٩) طبري I ص ٢١٨٤ .
(١٠) طبري I ص ٢٢٥٥ .
(١١) طبري I ص ٢٢٥٦ .
(١٢) طبري I ص ٢٢٥٧ .
(١٣) طبري I ص ٢٢٦٤ .
(١٤) طبري I ص ٢٣٣٩ .
(١٥) انظر طبري II ص ٧٤٦ ، ١٦٥٣ وكيع : اخبار القضاة ج ٢ ص ٢٦٧ البكري ص ١٢٩٩ .
(١٦) اغاني ج ٩ ص ٢٨٩ ياقوت ج ٤ ص ٧٦٠ .
(١٧) البكري ص ٥٦٦ .

بالكوفة والنجف محلة منها ، ويقال اسمها دومة لان عمر لما اجلا اكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنى بها حصنا وسماه دومة ايضا »[١٨] .

ولدينا عن دومة التي في هذه المنطقة اخبار من مصادر اخرى فيروى البلاذري عن هشام بن الكلبي عن أبيه « وجه رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى اكيدر فقدم به عليه فاسلم ، فكتب له كتابا ، فلما قبض النبي(ص) منع الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناءا سماه دومة بدومة الجندل » ويقول بعد ان يورد روايات عن عوانه بن الحكم وعن الواقدي في توجيه خالد الى اكيدر « وسمعت بعض اهل الحيرة يذكر أن اكيدر واخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة ، وكانوا يزورون اخوالهم من كلب فيتغربون عندهم ، فانهم لمعهم وقد خرجوا للصيد اذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق الا بعض حيطانها وكانت مبنية بالجندل ، فاعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة »[١٩] .

ويبين هذا النص ان دومة الحيرة اقدم من دومة الجندل ، وانها القاعدة القديمة لاكيدر . ومهما كانت صحة هذه التفاصيل ، فالثابت فيها وجود دومة بالحيرة ، كانت معروفة .

ويذكر ابن الكلبي ان « اكيدر وبشر وحريث بنو عبدالملك بن عبد الحي بن اعيابن الحرث بن معاوية بن حلاوة بن ايامه بن شكامة صاحب دومة الجندل كان رسول الله (ص) صالحه على شيء يؤديه اليه ففعل ، فلما قبض رسول الله (ص) منع ذلك ابا بكر ، فاخرج من جزيرة العرب من دومة ولحق بالجزيرة وابتنا بها بناءا وسماه دومة بدومة الجندل »[٢٠].

ان المعلومات المذكورة في المصادر الآنفة الذكر تحملنا على الاعتقاد بأن كلمة (الجزيرة) هي من خطأ الناسخ وحقيقتها (الحيرة) . أما ذكر

---

(١٨) ياقوت ج ٢ ص ٦٢٤ ، ويذكر ياقوت في ص ٦٢٦ من نفس الجزء عن السكوني ان اكيدر اجلاه عمره الى الحيره « فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بها منازل وسماها دومه وقيل دوماء باسم حصنه بوادي القرى فهو قائم يعرف الا انه خراب » .

(٢٠) كتاب النسب ص ١٢٦ مخطوطة الاسكوريال .

بعض المصادر كون دومة فى الحيرة ، وذكر اخرى انها بالنجف فيرجع الى ان النجف متصلة بالحيرة ، وقد يدل على ان دومة بينهما .

وبظاهر النجف يقع الغريين[٢١] ، وقد أشار الطبرى الى هذا المكان فى النصوص التى أوردناها أعلاه ، ويروى ابن منظور « .. قال أبو سعيد : الغرى نصب كان يذبح عليه النسك وكل بناء حسن غرى ، والغريان المشهوران بالكوفة منه .. وقال ابن برى .. وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمى جذيمة الابرش وسميا الغريين لان النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه »[٢٢] وفى أسفل النجف دير فائيون[٢٣] وعلى طرفها دير هند الكبرى[٢٤] .

لقد ذكرنا ان « ظهر الكوفة يقال له اللسان .. فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلى الطين منهو فهو النجاف »[٢٥] ويروى البلاذرى عن شيخ من الكوفيين« ان ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط »[٢٦] .

وكانت تقع فيه شوميا اذ لما عبر مهران « فنزل على شاطىء الفرات معهم فى الملطاط فقال المثنى لذلك الرجل ما يقال لهذه الرقعة التى نزل مهران وعسكره قال شوميا »[٢٧] ويبدو انه كان يمتلكه آل كسرى «لوددت ان هذا الملطاط لك يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذى يلى الكوفة »[٢٨] .

لقد بنى المنصور بظهر الكوفة مدينة سماها الرصافة[٢٩] ، ونزلها

---

(٢١) ياقوت ج ٣ ص ٧٩٢ .

(٢٢) لسان العرب ج ١٩ ص ٣٥٨ ويقول ابن قتيبه « الغربيين وهما طربالان يغريهما (النعمان) بدم من يقتل اذا ركب يوم بؤسه » المعارف ص ٦٤٩ طبعة ثروت عكاشه .

(٢٣) ياقوت ج ٢ ص ٦٩٣ .

(٢٤) ياقوت ج ٢ ص ٧٠٩ .

(٢٥) طبرى I ص ٢٤٨٥ ابن قتيبه : المعارف ص ٢٤٦ ياقوت ج ٤ ص ٦٣٣ .

(٢٦) فتوح البلدان ص ٢٣ .

(٢٧) طبرى I ص ٢١٨٥ .

(٢٨) طبرى I ص ٢٩٠٨ .

(٢٩) فتوح البلدان ص ٢٨٧ طبرى III ص ٢٧١ ، ٢٩٣ ياقوت ج ٢ ص ٧٨٧ ــ ٨ .

عدة مرات[٣٠] ، غير اننا لا نعلم موقع هذه المدينة بالضبط .

يذكر البلاذري « حدثني ابو مسعود وغيره قالوا : كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم ، فاتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاوره اهل الكوفة فتركها ، وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا .

فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها واحدث فيها بناءا وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة ، فقال ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها ، فرفضها وبنى بحيالها المدينة الهاشمية ثم اختار نزول الانبار فبنى بها مدينته المعروفة ، فلما توفى دفن بها ، واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة ، واستتم شيئا كان بقي منها ، وزاد فيها بناءا وهيأها على ما اراد ثم تحول منها الى بغداد .. وبالهاشمية حبس المنصور عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بسبب ابنيه محمد وابراهيم وبها قبره » [٣١] .

ويتبين من هذا النص :

١ ــ ان ابن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ، وهي غير قصر ابن هبيرة المشهورة والتي هي على جسر سورا ، وانه نزلها مدة قصيرة من قبل أن تتم ، ثم تركها لاسباب ادارية .

٢ ــ ان السفاح اكملها وسماها الهاشمية ولكن تسميته لم تعم بين الناس.

٣ ــ ان السفاح بنى بقرب هذه المدينة مدينة أخرى سماها الهاشمية ونزل فيها امدا .

٤ ــ ان المنصور نزلها واكملها وزاد في بناءها قبل ان يتحول الى بغداد .

٥ ــ ان فيها دفن عبدالله بن حسن .

ويقول الطبري « ان ابا جعفر المنصور بنى فيما ذكر حين افضى الامر اليه الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق ، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بحيالها مدينة ابي جعفر الهاشمية ، الى جانب الكوفة . وبنى

---

(٣٠) طبري III ص ٢٩٤ ، ٣٣٥ ، ٣٨٣ ، ٤٤٥ .

(٣١) فتوح البلدان ص ٢٨٦ ياقوت ج ٤ ص ١٢٣ ، ٩٤٦ .

المنصور ايضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة . فلما ثارت الراوندية بابى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية ، وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة ، كره سكناها لاضطراب من اضطرب امره عليه من الراوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يأمن اهلها على نفسه فاراد ان يبعد من جوارهم »[٣٢] ..

ويختلف نص الطبرى عن البلاذرى من حيث انه ينسب بناء الهاشمية الى المنصور ولكن الراجح ان البلاذرى ادق ، لان الطبرى نفسه يذكر فى مواضع أخرى نزول السفاح بها ، ودفن ابى اسلمه فيها ، مما يؤيد انها موجودة زمن السفاح . ثم ان نص الطبرى :

١ ـ يميز بين الهاشمية والرصافة ؛ فالاولى بحيال مدينة ابن هبيرة والثانية بظهر الكوفة .

٢ ـ ان الهاشمية لا يفصلها عن مدينة ابن هبيرة الا عرض الطريق .

٣ ـ انها الى جانب الكوفة ، فهى اذاً ليست بقرب قصر ابن هبيرة .

٤ ـ انه بقى فيها امدا ، وثار عليه فيها الراوندية .

٥ ـ انه تركها لاسباب ادارية وسياسية .

وقد ذكرت هاشمية الكوفة فى بعض المواضع من تاريخ الطبرى ، فهو يذكر ان السفاح بعد أن بويع له بالخلافة ذهب الى عسكره « وأقام أبو العباس فى العسكر شهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة »[٣٣] ؛ كما ان أبا جعفر بعد ان زار بيت المقدس والشام سنة ١٤٠هـ عاد الى الرقة ثم انحدر « فسلك الفرات حتى أتى الهاشمية ، هاشمية الكوفة »[٣٤] . كما ان ثورة الراوندية وما رافقها من اضطراب « وكان ذلك كله فى المدينة الهاشمية بالكوفة »[٣٥] ، ويروى عن مسلم الخصى

---

(٣٢) طبرى III ص ٢٧١ ـ ٢ .

(٣٣) طبرى III ص ٣٧ .

(٣٤) طبرى III ص ١٢٣ انظر أيضا ابن قتيبه . المعارف ص ٣٧٨ طبعة ثروت عكاشه .

(٣٥) طبرى III ص ١٣١ .

مولى محمد بن سليمان قال « كان أمر ابراهيم وانا ابن بضع عشـــرة سنة وانا يومئذ لابى جعفر فانزلنا الهاشمية بالكوفة ونزل هو بالرصافة فى ظهر الـكوفة • وكان جميـع جنـده الذين فى عسـكره نحـوا مـــن ألـف وخمسمائة »[٣٦] •

وقد ذكرت الهاشمية مجردة دون قرنها بالكوفة ، فقد دفن ابو سلمة الخلال فى الهاشمية[٣٧] ، وحبس أبو جعفر بنى الحسن فى الهاشمية[٣٨] وان وجود النصـوص السابقة يؤيد ان المقصـود بالهاشمية نفس هاشمية الـكوفة •

يقول ابن رسته ان « الهاشمية بين الكوفة والحيرة »[٣٩] •

أما اليعقوبى فيقول ان المهدى عاد من خراسان سنة ١٤٤ « فخرج أبو جعفر لاستقباله بنهاوند وقدم الى الكوفة فنزل الحيرة والمدينة التى بناهـــا المنصور وسماها الهاشمية »[٤٠] •

---

(٣٦) طبـرى III ص ٢٩٣ انظـر أيضـا ابن قتيبه • المعـارف ص ٤٨٠ •

(٣٧) طبرى III ص ٦٠ •

(٣٨) طبرى III ص ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٥٠٨ • أبو الفرج الاصبهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٢٦ •

(٣٩) الاعلاق النفيسه ص ٢٣٧ •

(٤٠) اليعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٤٥٠ ومن الجدير بالملاحظة ان اليعقوبى يذكر كثيرا من حوادث السفاح والمنصور فى الحيرة : فقد صلب السفاح اثنين من الامويين فيها (ج ٢ ص ٤١٤) ، و « انتقل أبو العباس من الحيرة فنزل الانبار » (ج ٢ ص ٤٢٩) و « قدم أبو جعفر الكوفة غرة المحرم فنزل الحيرة وصلى بالناس الجمعة ثم شخص الى الانبار » (ج٢ ص٤٣٨) كما قدم عليه سليمان بن على وهو بالحيره (ج ٢ ص ٤٤٢) ولما عاد من الرقه « نزل الحيره » (ج ٢ ص ٤٤٥) •

ونحن نرجح ان اليعقوبى كان يقصد بالحيره الهاشمية ، لان المصادر الاخرى ذكرت بعض هذه الاحداث متصلة بالهاشمية ، وهذا يدل على ان الهاشمية كانت فى الحيرة أو قريبة جدا من الحيره ، وانها اختلطت فيما بعد وزال اسمها بحيث أصبح اليعقوبى يذكر الحيره باعتبارها الاسم الاشهر بعد ان طمس اسم الهاشمية •

رسالة فى تحقيق لفظ الزنديق

وتوضيح معناه لغة وشرعا وبيان حكمه

لابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ

تحقيق : الدكتور حسين علي محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة صغيرة فى (الزنديق) ، تأليف ابن كمال باشا[١] المتوفى سنة ٩٤٠هـ • وقد اعتمدت في تحقيقها على صورة للنسخة المخطوطة ، المحفوظة بخزانة بيت محمد علي أفندى بن الخليفة ، فى مدينة الموصل •[٢]

قوام هذه النسخة سبع صفحات ، وهى غفل عن اسم الكاتب ، خلو من تاريخ الاستنساخ • وقد عمدت الى تصحيحها ؛ فقابلتها بالمراجع ، وعارضتها بالاصول ، وأكملتها ، وعلقت عليها ، وذكرت تراجم من وردت أسماؤهم فيها •

---

(١) راجع : الشقائق النعمانية ج ١ ص ٤٢٠ ـ ٤ ، وعقود الجوهر ج ١ ص ٢١٧ ـ ٢٦ ، وفرهنكنامهٔ پارسى ج ١ ص ٦٣٢ ـ ٣ ، ومخطوطات الموصل (راجع فهرسته ص ٣٥٧) ، والفوائد البهية ص ٢١ ـ ٢ ، وشذرات الذهب ج ٨ ص ٢٣٨ ـ ٩ ، ومعجم المطبوعات ع ٢٢٧ ـ ٨ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٣٢٧ ، وقاموس الاعلام ج ٥ ص ٣٨٨٥ ـ ٦ ، وفهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسالار ج ٢ ص ٢٥٩ ـ ٦١ و٣١٩ و٣٩٣ و٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، وفهرس الخزانة التيمورية ج ٣ ص ٢٥٨ ـ ٩ ، وبروكلمن ج ٢ ص ٤٤٩ ـ ٥٣ ، وتكملته ج ٢ ص ٦٦٨ ـ ٧٣ • وريحانة الادب ج ٥ المخطوط نقلا من تاريخ أحمد رفعت ج ٤ ص ١٥٠ ، رياض العلماء ص ٣١٧ و٤٣١ و٤٣٩ ، ورسالة مزية اللسان الفارسى على سائر الالسنة ما خلا العربية ص ٢٠ ، والكشاف (راجع فهرسته ص ٣٧٢) ، وكشف الظنون •

(٢) راجع : مخطوطات الموصل ص ٢٩٧ •

وفى خزانة الاوقاف ببغداد نسخة فى المجموع المرقوم ٤٧٢٣ ؛ راجع : الكشاف ص ٢٦٨ • وفى اوربا واستانبول نسخ منها أيضا ، راجع : تكملة بروكلمن ج ٢ ص ٦٦٩ •

اتكل المؤلف فى تأليف هذهْ الرسالة ، على طائفة من المصادر ؛ هى :

(١) **المغرب فى ترتيب المعرب للمطرزى** •

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادى •

(٣) أبكار الافكار للآمدى •

(٤) المواقف للأيجى •

(٥) شرح المواقف للشريف الجرجانى •

(٦) الصحاح للجوهرى •

(٧) شرح مفتاح العلوم للتفتازانى •

(٨) مفتاح المفتاح للشيرازى •

(٩) المصباح للشريف الجرجانى •

(١٠) شرح المقاصد للتفتازانى •

(١١) الفتاوى البزازية للكردرى •

(١٢) التجنيس للمرغينانى •

(١٣) الفتاوى الخانية لقاضيخان •

(١٤) التلويح للتفتازانى •

(١٥) مفاتيح العلوم للخوارزمى ؛ لكن نسبه ــ غلطاً منه ــ الى الفخر الرازى ، وعبر عنه بالتفسير الكبير ، وقد فليت باب (بيان فرق أهل الاديان وشرح كل فرقة) من التفسير الكبير (أى : مفاتيح الغيب) ، وعارضت نص ما عزاه اليه به فلم أعثر عليه ، وهو موجود فى كتاب الخوارزمى المذكور ، على أن المطرزى أسند تلك العبارة ــ أيضاً ــ اليه •

وأشار المؤلف ــ أيضا ــ الى رسالته المعمولة فى تحقيق التعريب •

وقد ألف ابن كمال باشا هذه الرسالة ، لما استفتى فى أمر القابض العجمى ــ الذى ابتدع (الخبمسيحية) فى زمان الصدر الاعظم ابراهيم باشا ــ سنة ٩٣٤هـ ــ ١٥٢٧م •

الدكتور حسين علي محفوظ

رسالة في تصحيح لفظ الزنديق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي التوفيق ، والصلوة على النبى الشفيق ، محمد الهادى الى طريق التحقيق ، وعلى آله وصحبه حماة الدين الوثيق •

وبعد ؛ فهذه رسالة معمولة فى تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق ، وترجيح الكلمة الحقيق بالقبول ، المطابق للقواعد والموافق للاصول ؛ فنقول :

لفظ الزنديق فارسى معرّب – على ما نص عليه أئمة اللغة(١) – أصله : زَنْده ، أو زندى ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الاول على ما حققناه(٢) فى رسالتنا المعمولة فى تحقيق التعريب(٣)، وعلى الوجهين ؛

---

(١) وقد اختلفوا فى اصله اختلافا كبيرا ؛ ففى جمهرة اللغة ج ٣ ص ٥٠٤ : زنده‌گر ، وفى المخصص ج ١٤ ص ٤٣ : زندكر ، وفى لسان العرب ج ١٢ ص ١٢ : زندكر ، وفى المزهر ج ١ ص ٢٧٨ ـ ٩ : زنده‌كرد ، وفى المحيط للصاحب بن عباد ج ١ ص ٤٤٠ : زنده ، وفى شفاء الغليل ص ١١٢ : زنده كرد ، زند ، زندى ، زن دين ، زنده ، وفى تاج العروس ج ٦ ص ٣٧٣ : زن دين ، وفى المعرب ص ١٦٦ ـ ٧ زنده كرد ، زينده ، وفى منتهى الارب ج ١ ص ٥١٨ ـ ٩ : زن دين ، وفى مجمع البحرين (مادة زن دق) زند ، زندا ، زن دين ، وفى القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٢ : زن دين) ، وفى أقرب الموارد ج ١ ص ٤٧٧ : زنده ، وفى محيط المحيط ج ١ ص ٨٨٩ : زن دين ، وفى البستان ج ١ ص ١٠١٧ : زن دين •

وراجع : المصباح المنير ج ١ ص ٣٤٩ ، والصحاح ج ٢ ص ٨٨ ، ودائرة المعارف ج ٩ ص ٢٧٠ ، ودائرة معارف القرن الرابع عشر ج ٤ ص ٦٠٨ ، وفرنودسار ج ٣ ص ١٧٨٣ ، وبرهان قاطع ج ٢ ص ١٠٣٩ ، وكتاب صدّيقى ص٢١ و٩٠ ، والبديع ص٩٥ ، والالفاظ الفارسية المعربة ص ٨٠ ـ ١ ، وترجمان اللغة مادة (زندىق) ، والانساب (ورقة ٢٨٠/ب) فى مادة الزندى ، وجامع التعريب بالطريق القريب (ورقة ١٧١أ ـ ورقة ١٧٢أ) ، وضياء الحلوم ج ٢ (ورقة ٥٠/ب) •

(٢) راجع : مجلة المقتبس مج ٧ ج ١٠ ص ٧٢٧ •

(٣) أى : رسالة فى الكلمات المعربة ؛ التى عنى بنشرها سليم أفندى البخارى فى المقتبس مج ٧ ج ١٠ (١٣٣٠/١٩١٢) نقلا من نسخة خطية عتيقة فى خزانة جميل أفندى الشطى • وطبعت بمصر موسومة =

نسبته الى زند .

وأما ما نقله الامام المطرزى[٣] فى المغرب[٤] من ابن دريد[٥] ؛ ان « أصله زنده ؛ أى يقول بدوام بقاء الدهر[٦] » فمبناه على عدم الفرق بين الزنديق والدهرى ـ على ما أفصح عنه بقوله قبيل هذا المنقول ـ « وعن ثعلب[٧] ؛ ليس زنديق ولا فرزين من كلاب العرب ، وقال معناه[٨] على

بـ : رسالة فى تعريب الالفاظ الفارسية ؛ راجع : معجم المطبوعات ع ٢٢٨ ، وسماها الحاج خليفة : رسالة فى التعريب ؛ راجع : كشف الظنون ج ١ ع ٨٥٣ . وتوجد فى الموصل نسختان اسمهما كذلك ؛ راجع : مخطوطات الموصل ص ١٠٤ و٢٩٧ .

(٣) هو أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزى الخوارزمى الحنفى ؛ توفى سنة ٦١٠هـ . له ترجمة فى : الـكنى والالقاب ج ٣ ص ١٥٥ ـ ٦ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٤٨ ـ ٩ ، والفوائد البهية ص ٢١٨ ـ ٩ ، ومعجم الادباء ج ٩ ص ٢١٢ ـ ٣ ، ووفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥١ ـ ٢ .

(٤) أى : كتاب « المغرب فى ترتيب المعـــرب » فى اللغة للمطرزى المذكور ، راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٧٤٧ ـ ٨ ، ومعجم المطبوعات ع ١٧٦٠ ـ ١ .

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد البصرى الازدى ؛ توفى سنة ٣٢١هـ . له ترجمة فى : الـكنى والالقاب ج ١ ص ٢٧٣ ـ ٤ ، ونزهة الالباء ص ٣٢٢ ـ ٦ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٢٤٦ ـ ٧ ، والفهرست ص ٩١ ـ ٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ ـ ٩١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٥ ـ ٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٨٨ ـ ٩ ، ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١٢٧ ـ ٤٣ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٤٩٧ ـ ٥٠٠ .

(٦) المغرب ج ١ ص ٢٣٥ .

(٧) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى ، ثعلب ؛ صاحب الفصيح ، توفى سنة ٢٩١هـ . له ترجمة فى :
الـكنى والالقاب ج ٢ ص ١١٥ ـ ٧ ، ونزهة الالباء ص ٢٩٣ ـ ٩ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٢١٥ ـ ٦ و٢١٧ ـ ٨ ، والفهرست ص ١١٠ ـ ١١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ ـ ٨ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٤ ـ ١٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١ ، ومعجم الادباء ج ٥ ص ١٠٢ ـ ٤٦ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣٠ ـ ١ ، وضبط الاعلام ص ٢٤ ، وانباه الرواة ج ١ ص ١٣٨ ـ ٥١ .

(٨) فى الاصل : قال ومعناه .

ما يقول العامة ملحد و[9] دهرى »[10] . انتهى كلامه . وسنقف باذن الله على الفرق بين هذه الثلاثة .

وأما الذى ذهب اليه صاحب[11] القاموس[12] ؛ من : « انه معرب زَنْ دين »[13] فلا وجه له كما لا يخفى . وزند[14] ؛ اسم كتاب أظهره مزدك[15] رئيس الفرقة المزدكية[16] من الفرق الثنوية فى زمن كسرى قباد[17] ، ونسبت اليه أصحابه ؛ وهم الزنادقة . وقتله كسرى أنو شروان[18] .

والمزدكية غير المانوية[19] أصحاب مانى بن ماين[20] الحكيم ؛ الذى ظهر فى زمن شابور بن اردشير[21]، وقتله بهرام[22] بن هرمز بن شابور ، بعد مبعث عيسى عليه السلام ، صرّح بهذا كله الآمدى[23] فى أبكار

---

(٩) فى الاصل : ملحد دهرى .

(١٠) المغرب : ج ١ ص ٢٣٥ .

(١١) هو مجدالدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى ، توفى سنة ٨١٧هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٣ ص ٣٠ ـ ٢ ، وفهرس الفهارس ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٧٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٤٥ ـ ٧ ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ١٢٦ ـ ٣١ ، والشقائق النعمانية ج ١ ص ٣٢ ـ ٤ .

(١٢) أى : القاموس المحيط فى اللغة للفيروزآبادى المذكور ، راجع كشف الظنون ج ٢ ع ١٣٠٦ ـ ١٠ ، ومعجم المطبوعات ع ١٤٧٠ ـ ١ .

(١٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٢ .

(١٤) راجع كتاب مزديسنا ص ١٣٧ ـ ٤٢ .

(١٥) تراجع قصته فى الفهرست ص ٤٧٩ ـ ٨٠ .

(١٦) راجع : الملل والنحل ج ٢ ص ٦٩ ـ ٧٠ ، والفهرست ص ٤٧٩ ـ ٨٠ .

(١٧) له ترجمة فى : تاريخ گزيده ص ١١٤ ـ ٥ .

(١٨) له ترجمة فى : تاريخ گزيده ص ١١٥ ـ ٩ .

(١٩) راجع : الملل والنحل ج ٢ ص ٦٥ ـ ٩ .

(٢٠) كذا فى الاصل ؛ وفى الملل والنحل ص ٦٥ : فاتك ، وفى الفهرست ص ٤٥٦ فتقّ بابك .

(٢١) له ترجمة فى : تاريخ گزيده ص ١٠٥ ـ ٦ .

(٢٢) له ترجمة فى المرجع المذكور ص ١٠٦ .

(٢٣) هو سيف‌الدين أبو الحسن على بن ابى على بن محمد التغلبى

الافكار[٢٤] .

والامام الرازى[٢٥] لم يصب [ص٢] فى عدم الفرق بين المانوية والمزدكية ، حيث قال فى تفسيره الكبير[٢٦] الموسوم بمفاتيح العلوم[٢٧]: « الزنادقة [هو][٢٨] المانوية ، وكانت[٢٩] المزدكية يسمّون بذلك ، ومزدك هو الذى ظهر [فى][٢٨] أيام قباذ[٣٠] [وكان موبذان موبذ . أى ؛ قاضى القضاة للمجوس][٢٨] وزعم انالاموال والحرم مشتركة ، وأظهر كتابا سمّاه زند[٣١] [وزعم أن فيه تأويل الابستا][٢٨] وهو كتاب المجوس الذى جاء

الحنبلى ثم الشافعى ؛ توفى سنة ٦٣١هـ . له ترجمة فى :
شذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٤ ــ ٥ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣٢٩ ــ ٣٠ ، والكنى والالقاب ج ٢ ص ٦ .

(٢٤) كتاب فى الكلام للآمدى المذكور ؛ راجع كشف الظنون ج ١ ع ٤ .
أقول : وقد عثرت على نسخة منه فى خزانة (ميرزا فضل‌الله شيخ الاسلام الزنجانى) ببلدة زنجان ، قوامها جزءان ، أكمل المصنف تأليفها فى شهر ذى الحجة سنة ٦١٢هـ . أما النسخة المذكور فتاريخها ٢٨ المحرم سنة ٧٧٩هـ . وكانت عند السيد محمود شكرى الالوسى نسخة منه أيضا .

(٢٥) كذا فى الاصل ، وانما أراد : ابا عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى ــ صاحب مفاتيح العلوم ــ المتوفى سنة ٣٨٧هـ . اما الامام الرازى ، فهو : فخرالدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الطبرى الرازى الشافعى المفسر المتوفى سنة ٦٠٦هـ . راجع :
شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١ ــ ٢ ، والتعليقات السنية ص ١٩١ ــ ٣ ، والكنى والالقاب ج ٣ ص ٩ ــ ١٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٩٤ ــ ٥ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧٤ ــ ٦ .

(٢٦) كذا ما فى الاصل ، وهو من الغلط المبين فانه ليس فى فصل : (بيان فرق أهل الاديان وشرح كل فرقة) ج ١ ص ٣٣١ ــ ٣ من مفاتيح الغيب ذكر الزنادقة ، بل نص العبارة موجود فى مفاتيح العلوم للخوارزمى .

(٢٧) مفاتيح العلوم للخوارزمى ــ المذكور أولا ــ وليس بتفسير . راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٧٥٦ ، ومعجم المطبوعات ع ٨٣٩ .

(٢٨) الزيادة من مفاتيح العلوم ص ٢٥ .

(٢٩) فى الاصل : كان .

(٣٠) فى الاصل : قباد .

(٣١) فى الاصل : زندا .

به زرادشت[٣٢] ، الذى يزعمون انه نبيهم[٣٣] ، فنسب[٣٤] أصحاب مزدك[٣٥] الى زند ؛ [فقيل : زندى][٢٨] وعربت[٣٦] الكلمة ؛ فقيل [للواحد][٢٨] : زنديق ، [وللجماعة زنادقة][٢٨] »[٣٧] الى هنا كلامه •

ثم انه لم يصب فى قوله : « وهو كتاب المجوس »[٣٨] لانه فرق بينهما على ما ستقف عليه باذن الله تعالى • ثم ان المجوس غير الثنوية[٣٩] ؛ وان شاركوهم فى أصل الشرك •

قال الآمدى فى أبكار الافكار : « وأما الثنوية ؛ فهم فرق خمسة :

(الفرقة الاولى) المانوية •[٤٠]

(الفرقة الثانية) المزدكية •

(الفرقة الثالثة) الديصانية •[٤١]

(الفرقة الرابعة) المرقونية •[٤٢]

(الفرقة الخامسة) الكينونية •[٤٣]

وأما المجوس ؛ فقد اتفقوا أيضا على أن أصل العالم ؛ النور والظلمة ، كمذهب الثنوية • وقد اختلفوا وتفرقوا فرقا أربعا :

(الفرقة الاولى) الكيومرثية •[٤٤]

---

(٣٢) فى الاصل : زردشت •
(٣٣) فى الاصل : نبى •
(٣٤) فى الاصل : نسب •
(٣٥) فى الاصل : مژدك •
(٣٦) فى مفاتيح العلوم ص ٢٥ : أعربت •
(٣٧) تراجع مفاتيح العلوم ص ٢٥ •
(٣٨) فى الاصل : المجوسى •
(٣٩) راجع الملل والنحل ج ٢ ص ٦٥ •
(٤٠) راجع الملل والنحل ج ٢ ص ٦٥ ــ ٩ •
(٤١) فى الاصل : الريصانية ؛ وراجع المصدر المذكور ج ٢ ص ٧٠ ــ ١ •
(٤٢) فى الاصل : المرقويية ؛ وفى الفهرست ص ٤٧٤ : المرقيونية ، وراجع الملل والنحل ج ٢ ص ٧١ ــ ٣ •
(٤٣) راجع الملل والنحل ج ٢ص ٧٣ •
(٤٤) تراجع الملل والنحل ج ٢ ص ٥٩ ــ ٦٠ •

(الفرقة الثانية) الزروانية .[٤٥]

(الفرقة الثالثة) المسخيّة .[٤٦]

(الفرقة الرابعة) الزرادشتية »[٤٧] . انتهى .

وبهذا التفصيل ، تبين ان صاحب[٤٨] المواقف[٤٩] ؛ لـم يصب فى قوله : « واعلم انه لا مخالف فى هذه المسألة ـ يعنى مسألة التوحيد ـ الا الثنوية » .[٥٠]

وكذا الشريف الفاضل[٥١] ؛ لم يصب فى قوله : « والمجوس منهم ـ يعنى من الثنوية ـ ذهبوا الى أن فاعل الخير ؛ هو يزدان ، وفاعل الشر ؛ هو أهرمان[٥٢] . ويعنون به الشيطان »[٥٣] ؛ لما عرفت ان المجوس[٥٤] بفرقهم مغايرة لفرق الثنوية ، وان شاركوهم فى أصل الشرك .

ولما كان دين الزنادقة خارجا عن الاديان السماوية كلها ، وما فى كتابهم من اباحة الاموال والنساء ، والحكم باشتراك الناس فيهما ،كاشتراكهم فى الماء والكلأ ، مخالفا للكتب الالهية كلها ؛ سمّى العربُ زنديقا ،

---

(٤٥) تراجع المصدر المذكور ج ٢ ص ٦٠ ـ ٢ .

(٤٦) فى الاصل : المسيحية ؛ وراجع : الملل والنحل ج ٢ ص ٦٢ .

(٤٧) المرجع المذكور ج ٢ ص ٦٢ ـ ٤ .

(٤٨) هو القاضى عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد الايجى النحوى الفقيه ؛ توفى سنة ٧٥٦هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ٤٣١ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٥١ ، وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٧٤ ـ ٥ ، (وفيه ان وفاته كانت سنة ٧٥٣هـ) .

(٤٩) أى : المواقف فى علم الكلام وتحقيق المقاصد وتبيين المرام ؛ للايجى المذكور ، الفه من أجل غياث‌الدين وزير خدابنده ؛ راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٨٩١ ـ ٤ ، ومعجم المطبوعات ع ١٣٣٢ ـ ٣ .

(٥٠) شرح المواقف ج ٨ ص ٤٣ .

(٥١) هو السيد الشريف على بن محمد الجرجانى ؛ توفى سنة ٨١٦هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ٣٢٤ ـ ٦ ، والفوائد البهية ص ١٢٥ ـ ٣٤ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٣٥ ـ ٦ .

(٥٢) فى شرح المواقف ج ٨ ص ٤٤ : أهرمن .

(٥٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٤٤ .

(٥٤) فى الاصل : المجوسى .

ونسب الى كتابهم ، كل من خرج عن الاديان السماوية بالانكار لواحد أو أكثر من أصول الدين التى اتفق عليها الاديان السماوية كلها ، سواء كان ما أنكره ، وجود البارى ، فيوافق الدهرى ؛ ولهذا لم يفرق بينه وبين الدهرى فى اطلاق العامة ــ على ما سبق بيانه ــ أو وحدته ؛ ولهذا قال الجوهرى(٥٥) فى الصحاح(٥٦) : « الزنديق من الثنوية »(٥٧) ، أو علمه وحكمته ؛ كما فى قول ابن الراوندى : (٥٨)

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه — و(٥٨أ) جاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة — وصيّر العالم النحرير زنديقا(٥٩)

يعنى : لو كان العالم صانعا(٦٠) حكيما ، لما كان العاقل ردى الحال ،

---

(٥٥) هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى اللغوى ؛ توفى سنة ٣٩٣هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٤٤ ، ونزهة الالباء ص ٤١٨ ــ ٢١ ، ويتيمة الدهر ج ٤ ص ٤٠٦ ــ ٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٢ ــ ٣ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠٩ ــ ١١ ، ومعجم الادباء ج ٦ ص ١٥١ ــ ٦٥ .

(٥٦) أى ؛ صحاح اللغة للجوهرى المذكور ، راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٠٧١ ــ ٣ .

(٥٧) الصحاح ج ٢ ص ٨٨ .

(٥٨) هو أحمد بن يحيى المروزى ؛ الشهير بابن الراوندى ، توفى سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٤٥ وقيل ٢٤٣ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ١ ص ٢٧٧ ــ ٩ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٥ ــ ٦ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧ ــ ٨ ، وضبط الاعلام ص ٦٣ ، واعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٣٩ ــ ٤٩ ، ورياض العلماء « ص ٤٠٥ » ، ومجلة أرمغان ١٢ : ٧٣٥ ــ ٤٤ نقلا من المقتطف .

(٥٨أ) فى الاصل : وكم .

(٥٩) جامع الشواهد ص ٢١٠ ، والغيث المسجم ج ٢ ص ٧٤ ؛ وردّ عليه الشيخ صالح بن عبدالكريم الكرزكانى البحرانى ــ المتوفى سنة ١٠٩٨هـ ــ قال :

ان الكريم الذى يعطى على قدر — يراه ذو اللب احسانا وتوفيقا
فذو الجهالة مرزوق لتكملة — وذو النباهة من ذا صار ممحوقا

راجع : أنيس المسافر ج ٢ ص ٢١٥ ، وقد تصحفت وتحرفت فيه .

(٦٠) كذا ما فى الاصل : وربما كان الصحيح : لو ان للعالم .

والجاهل رخي[٦١] البال •

وأما ابطان الكفر ، واعلان الاسلام ، فقصده لا يناسب المقام ، كما لا يخفى على ذوي الافهام • [ص٣] فالشارحان الفاضلان : العلامة التفتازاني [٦٢] ، والشريف الجرجاني ، لم يصيبا في اعتبار ابطان الكفر هنا ؛ على ما صرحا به في شرحهما للمفتاح [٦٣] ؛ حيث قالا : « زنديقا ، أي : مبطنا للكفر ، نافيا للصانع الحكيم »[٦٤] •

وقال العلامة الشيرازي[٦٥] في شرحه[٦٦] : « [زنديقاً] [٦٧] لا مبطنا للكفر ، على ما قيل ؛ لانه اصطلاح الفقهاء • اللهم الا ان يقال : يجوز أن يكون[٦٨] الشاعر [قال][٦٩] على اصطلاحهم ، لكنه لا يناسب

---

(٦١) في هامش الاصل : رضي خ ل •

(٦٢) هو سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني ؛ توفي سنة ٧٩١هـ • له ترجمة في :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٠٨ ، والفوائد البهية ص ١٣٤ ــ ٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٣٥ ، وشذرات الذهب ج ٦ ص ٣١٩ ــ ٢٢ •

(٦٣) تراجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٧٦٢ ــ ٨ ؛ اما شرح الجرجاني فاسمه « المصباح » •

(٦٤) المصباح ص ١٣٨ •

(٦٥) هو قطب‌الدين محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازي ؛ توفي سنة ٧١٠هـ • له ترجمة في :
الكنى والالقاب ج ٣ ص ٥٩ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٥١ ، والتعليقات السنية ص ١٢٦ ــ ٧ •

(٦٦) أي مفتاح المفتاح ، راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٧٦٣ • وفي « كتابخانهٔ ملي » بطهران نسخة مخرومة منه ــ رقمها ٨٤٩ ــ عليها اجازة بخطه لابي بكر محمد بن محمد بن أبي بكر التبريزي في ذي الحجة سنة ٧٠١هـ •

(٦٧) الزيادة من مفتاح المفتاح •

(٦٨) في الاصل : يقول •

(٦٩) الزيادة من مفتاح المفتاح •

المقام . بل قائلا بالنور والظلمة ، وعلى ما قال[70] فى الصحاح : [71] الزنديق من الثنوية ، وهو معرب ، والجمع الزنادقة ، والهاء عوض من[72] الياء المحذوفة وأصله : الزناديق ، وقد تزندق ، والاسم الزندقة . او نافيا للصانع[73] قائلا : لو كان له وجود لما كان الامر كذا [74] ، وهذا أنسب بالمقام[75] من حيث العرف »[76]. الى هنا كلامه . ولقد أصاب فى ما قاله أولا وآخرا ، الا انه لم يصب فى قوله : « بل قائلا بالنور والظلمة ولهذا قال فى الصحاح » لا فى التعليل ولا فى المعلّل ، كما لايخفى على من تأمل .

وقد أصلح العلامة التفتازانى ، فى التعبير عن هذا الوجه من الخلل حيث قال : « أى قائلا بألهين ؛ أحدهما خالق الخير ، والثانى خالق الشرور والقبايح »[77] .

وزاد عليه الشريف الجرجانى فى شرحه للمفتاح ؛ « فنسب مثل هذه الامور الى خالق الشرور ، وهو مذهب المجوسى[78] »[79] . انتهى كلامه .

وبالجملة ؛ الزنديق فى لسان العرب ، يطلق على من ينفى البارى (تعالى) ،وعلى من يثبت الشريك له ، وعلى من ينكر حكمته ، غير مخصوص بالاول ؛ كما زعمه ثعلب ، ولا بالثانى ؛ كما هو الظاهر من كلام الجوهرى .

---

(٧٠) فى الاصل : ولهذا قال .
(٧١) فى الاصل : والزنديق .
(٧٢) فى الاصل : عن .
(٧٣) فى الاصل : زيادة (الحكيم) .
(٧٤) فى الاصل : كذلك .
(٧٥) فى مفتاح المفتاح : من المقام ، والصحيح ما فى الاصل .
(٧٦) مفتاح المفتاح (ورقة ٥٧/أ ــ ب) .
(٧٧) فى « كتابخانة ملى » نسخة مخرومة من شرح المفتاح للتفتازانى ــ رقمها ١٣٤ ــ لم أعثر على هذا الكلام فيها .
(٧٨) كذا ما فى الاصل ، ولعل الصحيح : المجوس (ظ ؟) .
(٧٩) لم أقف على هذه الجملة فى مظنتها من « المصباح » .

والفرق بينهم وبين المرتد ؛ انه قد لا يكون مرتدا ، كما اذا كان زنديقا أصليا ، غير منتقل عن دين الاسلام •

والمرتد قد لا يكون زنديقا ؛ كما اذا ارتد عن دين الاسلام ، وتدين بواحد من الاديان السماوية الباطلة • وقد يجتمعان في مادة • كما اذا كان مسلما فتزندق ، فالنسبة بينهما عموم وخصوص من وجه • هذا بحسب اللغـة •

أما بحسب اصطلاح أهل الشرع ، فالفرق بينهما أظهر ؛ لأنهم اعتبروا في الزنديق أن يكون مبطنا للكفر على ما نقلناه عن العلامة الشيرازى في ما سبق • وسيأتى في كلام العلامة التفتازانى أيضا ما يوافقه •

وذلك القيد غير معتبر في مفهوم المرتد ، فاتسع[٨٠] دائرة الفرق ، ومع هذا فالنسبة بينهما على حالها • وفي الزنديق قيد آخر اعتبره ــ أيضا ــ أهل الشرع • وبه ــ أيضا ــ يفارق المرتد ؛ وهو أن يكون معترفا بنبوة نبينا عليه السلام • صرح به العلامة التفتازانى في شرحه للمقاصد[٨١] ، حيث قال في تفصيل فرق الكفار : «[٨٢] قد ظهر ان الكافر اسم لمن لا ايمان له ، فان أظهر الايمان ؛ خص باسم المنافق ، وان طرأ كفره بعد الاسلام ، خص باسم المرتد لرجوعه عن الاسلام • وان قال بألهين أو أكثر [ص ٤] خص باسم المشرك ؛ لاثباته[٨٣] الشريك في الالوهية • وان كان متدينا ببعض الاديان والكتب المنسوخة ؛ خص باسم الكتابى ، كاليهودى[٨٤] والنصرانى[٨٥] • وان كان يقول بقدم الدهر ، واسناد الحوادث اليـه ؛ خص باسم الدهرى ، وان كان لا يثبت البـارى (تعـالى) ؛ خص باسم

(٨٠) كذا ما في الاصل •

(٨١) أى : شرح مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين ؛ راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٧٨٠ ــ ١ ، في مادة « المقاصد » ، ومعجم المطبوعات ع ٦٣٨ •

(٨٢) في الاصل : وقد •

(٨٣) في الاصل : لاثبات •

(٨٤) في الاصل : كاليهود •

(٨٥) في الاصل : والنصارى •

المعطّل ، وان كان مع اعترافه بنبوة النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) [٨٦] ، واظهاره عقائد[٨٧] الاسلام ؛ يبطن عقائد هي[٨٨] كفر بالاتفاق ؛ خصّ باسم الزنديق ؛ وهو في الاصل منسوب الى زند ؛ اسم كتاب أظهره مزدك في أيام قباد[٨٩] ، وزعم انه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت[٩٠] الذي يزعمونه[٩١] نبيهم »[٩٢] الى هنا كلامه •

الا ان أهل الشرع انما اعتبر[وا] القيد المذكور في الزنديق الاسلامي ، لا في مطلق الزنديق ؛ لأنه قد يكون من المشركين ، وقد يكون من أهل الذمة ، على ما ستقف عليه ان شاء الله تعالى • فالعلامة[٩٣] المذكور[٩٤] ؛ لم يحسن في تفصيله الزنديق عن سائر الفرق بوجه مخصوص ببعض أقسامه ، ثم ان في قوله : « بالاتفاق » اشارة الى فرق آخر بينه وبين المرتد ، وهو ان الكفر الطارىء المعتبر في حد المرتد ، لا يلزم ان يكون مجمعا عليه • ولذلك ترى الاختلاف بين الائمة في بعض المرتد[ين] بخلاف الكفر المضمر المعتبر في حدّ الزنديق •

ثم انه بفرقه بين الدهري والمعطّل ، قد ردّ على صاحب المواقف[٩٥]؛ وذلك انه قال في تفصيل الكفار : « الانسان اما معترف بنبوة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم)[٩٦] ، أو : لا • والثاني ؛ اما معترف بالنبوة في الجملة ؛ وهم اليهود والنصارى وغيرهم ــ يعني : المجوس ، فانهم معترفون

---

(٨٦) في الاصل : عليه السلام •
(٨٧) في الاصل : شعائر •
(٨٨) في الاصل : عقائده كفر •
(٨٩) تراجع : تاريخ گزيده ص ١١٤ ــ ٥ •
(٩٠) في الاصل : زردشت •
(٩١) في الاصل : يزعمون انه •
(٩٢) شرح مقاصد الطالبين ج ٢ ص ٢٦٨ ــ ٩ •
(٩٣) أي : التفتازاني ، وقد قدمنا ترجمته •
(٩٤) في الاصل : المذكورة •
(٩٥) أي : القاضي الايجي ، السالف ايراد ترجمته •
(٩٦) في الاصل : عليه السلام •

بالنبوة ؛ حيث زعموا ان زردشت الحكيم نبى ــ واما غير معترف بها ــ أصلا ــ وهو اما معترف بالقادر المختار ؛ وهم البراهمة ؛ أو : لا ؛ وهم الدهرية[٩٧] » .[٩٨]

وكأن الشريف الجرجانى لم يتفطن للرد المذكور ، حيث لم يتعرض له فى شرحه .

ثم ان صاحب المواقف ، لم يصب فى زعمه ان فرق البراهمة عن سائر الفرق ، بانكارهم النبوة على الاطلاق ، واعترافهم بالقادر المختار ؛ لان منهم من لا ينكر أصل النبوة ــ على ما صرح به الآمدى فى أبكار الافكار ــ حيث قال : « فذهب البراهمة[٩٩] والصابئة[١٠٠] والتناسخية[١٠١] الى امتناع البعث عقلا ، الا ان من البراهمة من اعترف برسالة هرمس وغازيمون[١٠٢] ؛ وهما : شيث وادريس[١٠٣] دون غيرهما » .

ومن هنا تبين ان صاحب المواقف والعلامة التفتازانى ، لم يحسنا فى تفصيل فرق الكفار حيث تركا ذكر الصابئة والتناسخية ، وهما من أصولهم العظيمة .

وأما الفرق بين الزنديق والمنافق ، مع اشتراكهما فى ابطان الكفر [ص٥] ؛ ان الزنديق معترف بنبوة نبينا (عليه السلام) دون المنافق . وهذا الفرق بين الزنديق من أهل الاسلام والمنافق المصلح[١٠٤] .

---

(٩٧) راجع : تبصرة العوام ص ١٢ .
(٩٨) شرح المواقف ج ٨ ص ٣٣٣ .
(٩٩) راجع : تبصرة العوام ص ٢٧ .
(١٠٠) راجع : الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦ ــ ١١٦ .
(١٠١) راجع : الملل والنحل ج ٢ ص ٧٣ ــ ٤ .
(١٠٢) كذا ما فى الاصل . وفى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ : عاذيمون ، وفى ص ٧٩ : عذيمون ؛ وفى الفهرست ص ٤٧٩ وبيان الاديان ص ١٢ : اغاذيمون ؛ وهو : ''Agathodæmon'' . راجع E. R. ص ١١ .
(١٠٣) كذا . وفى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٩ : ما يوهم التعدّد ، وراجع الفهرست ص ٤٩٤ .
(١٠٤) كذا ما فى الاصل .

وأما الفرق بين الزنديق والدهرى ، فبما ذكروا : ان الدهرى ينكر استناد الحوادث الى الصانع المختار ، بخلاف الزنديق •

وأما الفرق بينه وبين الملحد ـ الذى هو أيضا من زمرة الكفرة ـ على ما دل عليه قول حافظ الدين الكردرى[١٠٥] ؛ فى فتاواه الشهير بالبزازية[١٠٦] : « لو[١٠٧] قال أنا ملحد[١٠٨] يكفر »[١٠٩] فبما من ان الاعتراف بنبوة نبينا ـ عليه السلام ـ معتبر فيه دون الملحد ، وان لم يكن الاعتراف به أيضا معتبرا فيه • وبأن القول بوجود الصانع المختار ؛ معتبر فيه ، دون غيره ، وان لم يكن القول بالعدم ـ أيضا ـ معتبرا فيه •

وبهذا ؛ أى : بعدم اعتبار القول بعدم الصانع المختار فى الملحد ، يفارق الملحدُ الدهرىَّ • وان لم يفرق الامام ثعلب بينهما ـ على ما وقفت عليه فى ما سبق ـ لأنه من أئمة اللغة ، [و] قلما يتفطن للفرق الذى اعتبره أهل الشرع •

واضمار الكفر ـ أيضا ـ غير معتبر فى الملحد ، وبه يفارق المنافق •

والاسلام السابق ـ أيضا ـ غير معتبر فيه ، وبه يفارق المرتد •

فهو ؛ من مال عن النهج المستقيم ، وعدل عن سنن الشرع القويم ؛ الى جهة من جهات الكفر ، ونحو من أنحاء الضلالة ؛ أىّ نحو كان •

---

(١٠٥) هو حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الحنفى الكردرى ؛ توفى سنة ٨٢٧هـ • له ترجمة فى :
الفوائد البهية ص ١٨٧ ـ ٨ ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ١٨٣ ، والشقائق النعمانية ج ١ ص ٣٢ •

(١٠٦) أى : البزازية فى الفتاوى ؛ راجع : كشف الظنون ج ١ ع ٢٤٢ فى مادة « البزازية » ، ومعجم المطبوعات ع ٥٥٥ ـ ٦ •

(١٠٧) لو : زائدة فى الاصل •

(١٠٨) فى الفتاوى البزازية ج ٣ ص ٣٣٠ : مخلد •

(١٠٩) الفتاوى البزازية ج ٣ ص ٣٣٠ على هامش الفتاوى الهندية ج ٦ •

من (ألحد) ؛ بمعنى مال • يقال : ألحد في دين الله أي جار وعدل[١١٠] •

ومنه : « [قيل لدهرىّ ؛ قال عليه السلام :][١١١] ما بين منبرى وروضتى ، روضة من رياض الجنة » • فقال الدهرى هذا : نرى المنبر والقبر ، ولا نرى الروضة ، يكفر[١١٢] »[١١٣] من الخلل ،[١١٤] ، فتأمّل •

ولما تيسر الفراغ بعون الله تعالى من[١١٥] تصحيح لفظ الزنديق ، وتوضيح معناه لغة وشرعا ، فلنشرع في بيان حكمه ؛ فنقول وبالله التوفيق :

اعلم ان الزنديق ، لا يخلو من أن يكون معروفا داعيا الى الضلال ، أو : لا يكون كذلك • والثاني ما ذكره صاحب[١١٦] الهداية[١١٧] ، في

---

(١١٠) تراجع : تاج العروس ج ٢ ص ٤٩٢ ، والصحاح ج ١ ص ٢٥٨ ، والنهاية ج ٤ ص ٥٠ ، ومختار الصحاح ض ٤٦٩ ، ومنتهى الارب ج ٢ ص ١١٣٤ ، واقرب الموارد ج ٢ ص ١١٣١ ، والبستان ج ٢ ص ٢١٥٣ •

(١١١) الزيادة من الفتاوى البزازية ج ٣ ص ٣٢٨ •

(١١٢) في الاصل : فكفر •

(١١٣) تراجع الفتاوى البزازية ج ٣ ص ٣٢٨ في فصل « ما يكون كفرا من المسلم وما لا يكون » • وروى الشيخ الحرّ العاملي في الوسائل ج ١ ص ١٩ : « ••• أي البقاع أعظم حرمة ؟ قال : الله ورسوله وابن رسوله أعلم • قال : يا ميسر ؛ بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة » • وفي صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٢ : « ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة » و « ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى » • وراجع : ص ٢٢١ و ج ٤ ص ٩٧ و١٨٠ •

(١١٤) كذا ما في الاصل ؛ ولعل في النسخة سقطا •

(١١٥) في الاصل : عن •

(١١٦) هو برهان الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني الرشداني الحنفي ، شيخ الاسلام ؛ توفى سنة ٥٩٣هـ • له ترجمة في :

الكنى والالقاب ج ٢ ص ٧٠ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٠٢ ، والفوائد البهية ص ١٤١ ــ ٤ •

(١١٧) أي : الهداية في الفروع ؛ راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ٢٠٣١ ــ ٤٠ ، ومعجم المطبوعات ع ١٧٣٩ ــ ٤٠ •

التجنيس[118] ؛ حيث قال (فى فصل حكم الزنادقة ، نقلا عن عيون المسائل[119] ، للفقيه أبى الليث[120] : « الزنادقة على ثلاثة أوجه : اما ان يكون زنديقا من الاصل على الشرك ، أو يكون مسلما فتزندق ، أو يكون ذمياً فتزندق •

ففى الوجه الاول ؛ ترك على شركه ، يعنى : ان كان من العجم ؛ لانه كافر أصلى •

وفى الوجه الثانى ؛ يعرض عليه الاسلام ، فان أسلم ، فبها والا : قتل ؛ لانه مرتد •

وفى الوجه الثالث ؛ يترك على حاله ، لأن الكفر ملة واحدة » • الى هنا كلامه •

وانما قال : « يعنى ان كان من العجم » ؛ لان المشرك من العرب ، لا يترك على شركه ــ على ما بين فى موضعه ــ من أن الحكم فيه ؛ اما الاسلام ، أو السيف •

وقوله فى الوجه الثانى : « يعرض •• الخ » ؛ صريح فى أن الزنديق الاسلامى ، لا يفارق المرتدّ فى الحكم ، وقد نبّهت على ذلك •

واذا لم يكن [ص ٦] داعيا الى الضلال ، ساعيا فى افساد الدين ، معروفاً به ؛ والاول لا يخلو من أن يتوب بالاختيار ، ويرجع عما فيه قبل أن يؤخذ ، أو : لا • والثانى ؛ يقتل ، دون الاول •

---

(١١٨) أى : التجنيس والمزيد وهو لاهل الفتوى غير عتيد ؛ راجع : كشف الظنون ج ١ ع ٣٥٢ ــ ٣ •

(١١٩) أى : عيون المسائل فى فروع الحنفية ؛ راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١١٨٧ •

(١٢٠) هو أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى الحنفى ، الفقيه المعروف بامام الهدى ؛ توفى سنة ٣٧٦ (وقيل ٣٧٣هـ) • صاحب كتاب « المقدمة » فى الصلاة ، [فى خزانتى نسخة من شرحها المسمى بالتقدمة لجبريل بن حسن بن عثمان بن محمود بن عثمان الكنجانى المتوفى سنة ٧٥٢هـ] راجع ترجمة ابى الليث فى : الكنى والالقاب ج ١ ص ١٤٤ ــ ٥ ، والفوائد البهية ص ٢٢٠ ، وتذكرة النوادر ص ١٨ ــ ٩ •

قال الفقيه[١٢١] : اذا تاب الساحر قبل أن يؤخذ ؛ يقبل توبته ، ولا يقتل . وان أخذ ثم تاب ، لم تقبل توبته ، وكذا الزنديق المعروف ، الداعي .

وقال الامام القاضي فخر الدين ؛ قاضيخان[١٢٢] : « والفتوى على هذا القول »[١٢٣] .

وانما قال : « على هذا القول » ؛ لأن هنا قولا آخر ، ذكره حافظ الدين الكردري ؛ في فتاواه[١٢٤] بقوله : « [الساحر][١٢٥] لا يستتاب ، ويقتل . والزنديق ـ عند الامام الثاني (يعني : أبا يوسف[١٢٦] ـ رضه) ـ يستتاب »[١٢٧] . انتهى .

أراد بالاستتابة ؛ طلب التوبة ، وذلك دليل على القبول ، ومرادهم من قبولها ؛ قبولها قضاء باطلاق التائب ، لا قبولها عند الله ـ تع ـ لأنه أمر لا علم لنا به .

وبما قررنا ، تبين ما في كلام الآمدي ؛ حيث قال ؛ في أبكار الافكار :

---

(١٢١) لعله : أبو الليث المذكور . والفقيه مطلقا ـ عندهم ـ هو أبو بكر محمد بن عبدالباقي الحنبلي المتوفى سنة ٥٣٥ (ظ ؟) . راجع : شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠٨ ـ ١٠ .

(١٢٢) هو فخر الدين حسن بن منصور الاوزجندي الفرغاني المعروف بقاضيخان الحنفي ؛ توفى سنة ٥٩٢هـ . له ترجمة في :
الفوائد البهية ص ٦٤ ـ ٥ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠٨ .

(١٢٣) تراجع : فتاوى قاضيخان ج ٣ ص ٤٨١ (على هامش ج ٣ من الفتاوى الهندية) ، وفتح القدير ج ٢ ص ٧٨٣ .

(١٢٤) أي : الفتاوى البزازية .

(١٢٥) الزيادة من الفتاوى البزازية .

(١٢٦) هو أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ؛ توفى سنة ١٨٢هـ . له ترجمة في :
الكنى والالقاب ج ١ ص ١٨٠ ـ ١ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٤٢ ـ ٦٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٠ ، والفهرست ص ٢٨٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٣٠١ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٤٢ ، والفوائد البهية ص ٢٢٥ ، ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٠٣ ـ ٧ ، وكتاب « أبو حنيفة » ص ١٩٥ ـ ٢٠٥ .

(١٢٧) الفتاوى البزازية ج ٣ ص ٣٤٨ (على هامش ج ٦ من الفتاوى الهندية) وراجع : ص ٣٢١ و٣٢٢ .

« فان قيل : فمن قضيتم[128] بكفره ، من أهل الاهواء ، ماحكمهم فى متابعتم ، وقتلهم ، وتوبتهم ؟ وما حكم أموالهم ؟ قلنا حكمهم ؛ حكم المرتدين ؛ فلا تقبل منهم جزية ، ولا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم ، ولا دية على قاتل واحد منهم . وان لحق واحد منهم ـ بدار الحرب ـ وسبى ؛ لا يسترق .

ولو تاب واحد منهم ؛ فان كان ذلك ابتداء منه ـ من غير خوف ـ قبلت توبته ، وان كان ذلك خوفا من القتل ـ بعد الظهور على بدعته ـ فقد اختلف فى قبول توبته ؛ فقبلها الشافعى[129] ، وأبو حنيفة[130] . ومنع ذلك مالك[131] ، وبعض أصحاب الشافعى ؛ وهو اختيار الاستاذ أبو اسحق[132] .

ولو قتل واحد منهم ، أو مات ، فماله مخمّس عند الشافعى ، وأبى

---

(١٢٨) فى الاصل : قضيتهم .

(١٢٩) هو أبو عبدالله محمد بن ادريس ؛ توفى سنة ٢٠٤هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ٣١٣ ـ ٧ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٦ ، والفهرست ص ٢٩٤ ـ ٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩ ـ ١١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ ـ ٧٣ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١ ، ومعجم الادباء ج ١٧ ص ٢٨١ ـ ٣٢٧ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٤٤٧ ـ ٩ ، وكتاب « الشافعى » .

(١٣٠) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفى ؛ توفى سنة ١٥٠هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ١ ص ٥٠ ـ ٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٣ ـ ٤٢٣ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٩ ، والفهرست ص ٢٨٤ ـ ٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٩ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٣٨ ـ ٩ ووفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٣ ـ ٦ ، وكتاب « أبو حنيفة » .

(١٣١) هو مالك بن انس الحميرى الاصبحى المدنى ؛ توفى سنة ١٧٩هـ . له ترجمة فى :
طبقات الفقهاء ص ٤٢ ـ ٣ ، والانساب « ورقة ٤١/أ » وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٢ ، والفهرست ص ٢٨٠ ـ ١ .

(١٣٢) كذا ما فى الاصل ؛ وهو الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاسفراينى الشافعى ؛ توفى سنة ٤١٨هـ . له ترجمة فى :
الكنى والالقاب ج ٢ ص ٢٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ ـ ١٠ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٤ ، وضبط الاعلام ص ٤ .

ح[١٣٣] • وعنـد مالك ؛ ماله كله فيء ، لا خمس فيـه لأهل الخمس » (الى هنا كلامه) من الخلل[١٣٤] ، في نقله حكم الزنديق ، على مذهبنـا فتأمّل •

فان قلت : كيف يكون الزنديق معروفا ، داعيا الى الضلال ــ وقـد اعتبر في مفهومه الشرعي ؛ ان يبطن الـكفر ؟

قلت : لا بعـد فيـه ؛ فان الزنديق ، يموّه كفره ، ويروّج عقيدته الفاسدة ، ويخرجهـا في الصورة الصحيحة ؛ وهذا معنى ابطانه الـكفر ، فلا ينافي اظهاره الدعوة الى الضلال ، وكونه معروفا بالاض[لال] •

فان قلت : أليس المفهوم من كلام العلامةالتفتازاني (؛ فيالتلويح[١٣٥]؛ حيث قال ــ في بيان رخصة أبي حنيفة في اسقاط النظم[١٣٦] القرآني : « وقيل مـن غـير تعمّد ، والا كان[١٣٧] مجنونا فيداوى ، أو زنديقـاً فيقتل »[١٣٨]• أن[١٣٩] يقتل الزنديق حتماً ؟

قلت : لا ؛ لأن المراد ، أنه يقتل ، ان أصر على الزنديقية ، كما أن المراد في مقابلة انه يداوى ان قبل الصلاح ، الا أنه اختصر في الـكلام ، فاقتصر على قدر الحاجة في المقام ، فان بيان حكم الزنديق غير مهم هناك •

واذا تقرر ما قدمناه من بيان المعنى الشرعي للزنديق وحكمه [ص٧] ؛ فنقول :

---

(١٣٣) أي : أبو حنيفة •

(١٣٤) الجار والمجرور متعلقان بالفعل : تبين (ما في كلام الآمدي) •

(١٣٥) أي : التلويح في كشف حقائق التنقيح ؛ راجـع : كشـف الظنون ج ١ ع ٤٩٦ ، في مادة (تنقيح الاصول) ، ومعجم المطبوعات ع ٦٣٦ •

(١٣٦) تصفحت في الاصل الى : ألفاظ لزوم التعلم •

(١٣٧) في الاصل : لـكان •

(١٣٨) التلويح : (ورقة ١٠٨/ب ــ ١٠٩/أ) •

(١٣٩) في الاصل : ان ان •

ان الرجل الشهير بالقابض[١٤٠] ؛ المقبوض روحه بأمر القابض فتوحه[١٤١] ، كان زنديقا ـ على التعريف الفقهى للزنديق ، المنقول فى شرح المقاصد[١٤٢] ـ وكان داعيا الى الضلال ، معروفا بالاضلال ، ساعيا فى فساد الدين المتين ، على ما اشتهر وثبت بشهادة ثقات من العدول ، وتقاة من الفحول ، وقد مر فى المنقول عن الفتاوى الخانية[١٤٣] : أن الفتوى على وجوب قتل من كان كذلك .

والعجب !! ممن[١٤٤] وقف على حاله ، وتأمل فى مآله وانكشف عنده وجها ضلاله واضلاله ثم تردد فى امره ، وأبى عن الحكم بقتله ، وانعزل عن جمع من أرباب القلم[١٤٥] ، وأصحاب السيف[١٤٦] ؛ الذين سعوا فى احياء الدين ، وافناء رئيس المفسدين ، كيف يدّعى لنفسه كعباً شامخاً فى علم الفتوى ؟! ولا يستحى من الخلائق ! ، أو قدما راسخا فى علم التقوى ؟! ولا يخاف من الخالق !

تمت الرسالة الكمالية بعون الرزاق

---

(١٤٠) أى : القابض العجمى ؛ كان من علماء السنة فى تركية ، وهو الذى ابتدع الطريقة (الخبمسيحية) فى أيام السلطان سليمان القانونى . وكان يفضل عيسى (ع) على محمد (ص) ، ويدعو الى ذلك فى كل مكان . وقد أفتى ابن كمال باشا فى قتله ٨ صفر سنة ٩٣٤هـ الموافق لثالث تشرين الثانى سنة ١٥٢٧م ، فقتل فى اليوم الذى يليه . راجع مختصر ترجمته ومقتله ومحاجته والرد عليه فى :
I. A. ج ٥٥ ص ١٥ ـ ٦ فى مادة "KABIZ"

(١٤١) أراد السلطان سليمان القانونى (ظ ؟) .

(١٤٢) راجع : شرح مقاصد الطالبين ج ٢ ص ٢٦٨ ـ ٩ .

(١٤٣) أى : فتاوى قاضيخان ؛ راجع : كشف الظنون ج ٢ ع ١٢٢٧ ـ ٨ ، ومعجم المطبوعات ع ١٤٨٧ ـ ٨ .

(١٤٤) تعريض بالقاضى محيي‌الدين ابن الفنارى ؛ قاضى عسكر كورة الروم ؛ وقادرى افندى ، قاضى عسكر أناطول . راجع : I. A. ج ٥٥ ص ١٥ ـ ٦ ، مادة "KABIZ" .

(١٤٥) منهم : سعدى الچلبى ؛ قاضى استانبول . تراجع : المصدر المذكور .

(١٤٦) منهم : ابراهيم پاشا ؛ الصدر الاعظم . تراجع . المصدر نفسـه .

مراجع التحقيق والتراجم :

ابو حنيفة ـ محمد أبو زهرة · مصر ١٣٦٦هـ ·

اعيان الشيعة ـ السيد محسن الامين العاملي · دمشق ١٣٥٧هـ ·

اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ـ الشرتوني · بيروت ١٨٨٩م ·

الالفاظ الفارسية المعربة ـ أدى شير · بيروت ١٩٠٨م ·

إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ القفطي · مصر ١٣٦٩هـ ·

الانساب ـ السمعاني · ليدن ١٩١٢م ·

أنيس المسافر وجليس الحاضر (كشكول) · الشيخ يوسف البحراني · بمبى ١٢٩١هـ ·

البديع في معرفة اللغة ـ السيد علي الميبدي · طهران (؟) ·

برهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي · طهران ١٣٣١ ش ·

البستان ـ الشيخ عبدالله البستاني · بيروت ١٩٢٧م ·

بيان الاديان ـ أبو المعالي محمد الحسيني العلوي · طهران ١٣١٢ ش ·

تاج العروس ـ السيد مرتضى الزبيدي · مصر ط١ ١٣٠٦ ـ ٧ هـ ·

تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ـ مصر (ج ٢/ ١٩٣٠م) ، (ج ٣/ ١٩٣١م) ·

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي · مصر ١٣٤٩هـ ·

تايخ گزيده ـ حمدالله المستوفي · ليدن ١٩١٠م ·

تبصرة العوام في معرفة مقالات الانام · السيد مرتضى بن داعي الحسني الرازي · طهران ١٣١٣ ش ·

تذكرة البحرانيين ـ محمد أمين الخنجي · (مخطوط) ، خزانة الخنجي بطهران ·

تذكرة النوادر ـ السيد هاشم الندوي · حيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ ·

ترجمان اللغة ـ محمد يحيى بن محمد شفيع القزويني · طهران ١٢٧٣هـ ·

التعليقات السنية على الفوائد البهية ـ اللكنوي · (على هامش الفوائد البهية الآتي) ·

التلويح في كشف حقائق التنقيح ـ التفتازانى · مخطوط سنة ٨٢٥هـ ، نسخة (كتابخانة مدرسة عالى سپهسالار) المرقومة ٩٠٥ ·

جامع التعريب بالطريق القريب[1] · (مخطوط سنة ١٢٠٢هـ) ، نسخة (مكتبة الاوقاف العامة ببغداد) المرقومة ٦٠١٥ ·

جامع الشواهد ـ محمد باقر بن على رضا · ايران ١٢٨٨هـ ·

جمهرة اللغة ـ ابن دريد الازدى · حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ ·

دائرة المعارف ـ البستانى · بيروت ١٨٨٧م ·

دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ محمد فريد وجدى · مصر ١٣٤٢هـ ·

رسالة مزية اللسان الفارسى على سائر الالسنة ما خلا العربية ـ ابن كمال پاشا · طهران ١٣٣٢ ش ·

رياض العلماء ـ مرزا عبدالله الافندى (نسخة خزانة المشكاة بطهران) ، مخطوط ·

ريحانة الادب فى تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب ـ محمدعلى المدّرس التبريزى · ج ٥ مخطوط ·

الشافعي ـ محمد أبو زهرة · مصر ١٣٦٧هـ ·

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ ابن العماد · مصر ج ١ ـ ٤ (١٣٥٠هـ) و ج ٥ ـ ٨ (١٣٥١هـ) ·

شرح مفتاح العلوم ـ التفتازانى (مخطوط عتيق) · نسخة (كتابخانة ملى) المرقومة ١٣٤ ·

شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول عقائد الدين ـ التفتازانى · تركية ١٣٠٥هـ ·

شرح (المواقف ـ للأيجى) ـ الشريف الجرجانى · مصر ١٣٢٥هـ ·

شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ـ الخفاجي · مصر ١٢٨٢هـ ·

الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ـ طاش كبرى زاده · (ح وفيات الاعيان) مصر ١٣١٠هـ ·

صحاح اللغة ـ الجوهرى · مصر ١٢٩٢هـ ·

الصحيح ـ البخارى · مصر ١٣٥١هـ ·

ضبط الاعلام ـ أحمد تيمور پاشا · مصر ١٣٦٦هـ ·

---

(١) تراجع : فهارس المكتبة العربية فى الخافقين ص ٥٧ ، والكشاف ص ١٧٢ ـ ٣ ·

ضياء الحلوم المختصر من كتاب شمس العلوم – محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى (نسخة خزانة المشكاة بطهران) ، مخطوط .

طبقات الفقهاء – أبو اسحق الشيرازى . مصر ١٣٥٦هـ .

عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفا فأكثر – جميل العظم . بيروت ١٣٢٦هـ .

الغيث المسجم فى شرح لامية العجم – الصفدى . مصر ١٣٠٥هـ .

الفتاوى البزازية – حافظ الدين الكردرى . ج ٣ (على هامش الفتاوى الهندية ج ٦) بولاق ١٣١٠هـ .

فتاوى قاضيخان – قاضيخان . ج ٣ (على هامش الفتاوى الهندية ج ٣) بولاق ١٣١٠هـ .

فتح القدير ؛ تعليق على (الهداية للمرغينانى) – كمال‌الدين محمد بن عبدالواحد السيواسى الشهير بكمال ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١هـ . طبعة نولكشور فى الهند سنة ١٣١٣هـ .

فرنودسار – ناظم الاطباء . طهران ١٣١٩ – ٢٠ .

فرهنگامۀ پارسی – سعيد نفيسى . طهران ١٣١٩ش .

الفهرست – ابن النديم . مصر ١٣٤٨هـ .

فهارس المكتبة العربية فى‌الخافقين – يوسف اسعد داغر . بيروت ١٩٤٧م .

فهرست كتابخانۀ مدرسۀ عالى سپهسالار – ابن يوسف الشيرازى . طهران ١٣١٨ ش .

فهرس الخزانة التيمورية . مصر ١٩٤٨م .

فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات – الشيخ محمد عبدالحى بن عبد الكبير الكتانى الحسنى الادريسى . فاس ١٣٤٧هـ .

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية – اللكنوى الهندى . مصر ١٣٢٤هـ .

قاموس الاعلام – ش.سامى . استانبول ١٣٠٦هـ .

القاموس المحيط – الفيروزابادى . مصر ١٣٥٢هـ .

الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف – محمد أسعد طلس . بغداد ١٣٧٢هـ .

كشف الظنون – حاجى خليفة . تركية (ج ١/١٩٤١م) و (ج ٢/١٩٤٣م) .

الكنى والالقاب – الشيخ عباس القمى . صيدا ١٣٥٨هـ .

لسان العرب – ابن منظور الافريقى . مصر ١٣٠٢هـ .

منتهى الارب فى لغة العرب ـ الصفى پورى · طهران ١٢٩٦هـ ·

مجلة ارمغان ـ (السنة ١٢) · طهران ١٩٣١م ·

مجلة المقتبس ـ (المجلد ٧/ج ١٠) · دمشق ١٩١٢م ·

مجمع البحرين ـ الطريحى · طهران ١٢٩٨هـ ·

المحيط ـ الصاحب بن عباد (مخطوط سنة ١٣٥٤هـ ، كتبه الشيخ محمد السماوى بالنجف) ·

نسخة (مكتبة المتحف العراقى ببغداد) المرقومة ٥٢٨ ·

محيط المحيط ـ المعلم بطرس البستانى · بيروت ١٨٦٧م ·

مختار الصحاح ـ الرازي · مصر ١٣٥٣هـ ·

المخصص ـ ابن سيده · مصر ١٣٢٠هـ ·

مخطوطات الموصل ـ الدكتور داود الجلبي الموصلى · بغداد ١٣٤٦هـ ·

مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودى · مصر ١٣٥٧هـ ·

مزديسنا وتأثير آن در أدبيات پارسى ـ الدكتور محمد معين · طهران ١٣٢٦ ش ·

المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطى · مصر (طبعة البجاوى) ·

المصباح (فى شرح المفتاح) ـ الشريف الجرجانى (مخطوط سنة ٩٥٠هـ ، كتبه يوسف بن عبدالله ، فى أسكوب) · نسخة (كتابخانهٔ ملى) فى طهران المرقومة ٤٥١ ·

المصباح المنير ـ الفيومى ـ مصر ١٩٣٩م ·

معجم الادباء ـ ياقوت الحموى · مصر (طبعة دار المأمون) ·

معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ يوسف اليان سركيس · مصر ١٣٤٦هـ ·

المعرب من الكلام الاعجمى على حروف المعجم ـ الجواليقى · مصر ١٣٦١هـ ·

مفاتيح العلوم ـ الخوارزمى · مصر ١٣٤٢هـ ·

مفاتيح الغيب ـ (تفسير الفخر الرازى) · تركية ١٣٠٧هـ ·

مفتاح المفتاح ـ قطب‌الدين الشيرازى · نسخة (كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسالار) فى طهران المرقومة ٢٩٩١ ·

الملل والنحل ـ الشهرستانى (على هامش الفصل لابن حزم) · مصر ١٣٤٧هـ ·

نزهة الالباء فى طبقات الادباء ــ الانبارى ٠ مصر ١٢٩٤هـ ٠

النهاية فى غريب الحديث والاثر ــ ابن الاثير ٠ مصر ١٣١١هـ ٠

وسائل الشيعة الى تحصيل مســائل الشريعة ــ الحر العــاملى ٠ ايران ١٣٢٣هـ ٠

وفيات الاعيان ــ ابن خلـكان ٠ مصر ١٣١٠هـ ٠

يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ــ الثعالبى ٠ مصر ١٣٦٦هـ ٠

Brockelmann' C.: Geschichte Der Arabischen Litteratur, Leiden, 1943.

____________: Supplementband, Leiden, 1937.

Encyclopædia of Religion and Ethics, (Index Volume), Edinburgh, 1927. (=E.R.).

Islâm Ansiklopedisi, I stanbul, 1952. (=I.A.).

Siddiqi, A.: Studien über die Persischen Frendwörter im Klassischen Arabisch, Göttingen, 1919.

لامية الطغرائي

(تحقيق وتحليل)

الدكتور علي جواد الطاهر

مقـــدمة

عرفت الطغرائي عام ١٩٤٣ ، ولم أنسه بعـد ذلك ، ولم أفارقه في القاهرة أو باريس • وكان ركنا مهما من اطروحتي الرئيسة في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » •

حتى اذا كانت المناقشة في السوربون (شباط ١٩٥٤) لاحظ الاستاذ شارل پللا ـ أحد المناقشين ـ ان الاطروحة تذكر لامية الطغرائي وتشيد بها هنا وهناك دون أن تخصها ببحث مستقل مسهب • والملاحظة صحيحة ، فما جاء عن اللامية في الاطروحة لا يفيها حقها ولا يطلع القارىء على حقيقتها ولا يذكر نصها ولا يشرحها ويحللها ويناقش الآراء فيها •

وكتب لي بعد ذلك أن أدرس هذه اللامية في دار المعلمين العاليـة وكلية الآداب ببغداد فاطلعت على جوانب مجهولة منها ووقفت على أسرار من جمالهـا ومعلومات جديـرة ببحث مستقل ، وازددت ايمـانـا بصحة رأي الاستاذ پللا •

وهانذا أحاول أن أقدم هذه الدراسة في التحقيق والتحليل ـ راجيا ألا تكون الاخيرة في بابها •

١

فى عام ٤٤٧هـ دخل طغرلبك السلجوقى بغداد ، وقضى بذلك على البويهيين ، ودخلت فى ملكه رقعة واسعة قوامها العراق وبلاد العجم •
وتوفى عام ٤٥٥ فتولى بعده السلطنة من آل سلجوق :

الب أرسلان	٤٥٥ ــ ٤٦٥
ملكشاه	٤٦٥ ــ ٤٨٥
محمود بن ملكشاه	٤٨٥ ــ ٤٨٧
بركياروق	٤٨٧ ــ ٤٩٨
محمد	٤٩٨ ــ ٥١١
محمود	٥١١ ــ ٥٢٥ •••

ولم يتخذ السلاجقة بغداد عاصمة لهم ، وان أقام أكثرهم فيها مددا محدودة ، ويمكن القول ان مقرهم كان فى أصبهان •

وكانت الوزارة منصبا مرموقا فى الدولة ، وقد يمسك الوزير ، اذا كان كبيرا ، بمهام الدولة كلها •

وتلي الوزارة الدواوين : الاستيفاء ، الاشراف ، الانشاء والطغراء ••
والطغرائي هو صاحب الطغراء ــ وهى « الطرة التى تكتب فى أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه »[١] • ويضم ديوان الطغراء : الرسائل والانشاء ، ويتولى صاحبه

(١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ؛ ياقوت ١٠ : ٥٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغراء • ــ « واللفظة اعجمية محرفة من الطرة » وفى ابن جماعة انها علامة تكتب على التوقيعات •

شؤون الوزارة فی الصيد[٢] •

عاصر هؤلاء السلاجقة من خلفاء بنی العباس :

القائـم	٤٢٢ – ٤٦٧
المقتدي	٤٦٧ – ٤٨٧
المستظهر	٤٨٧ – ٥١٢
المسترشد	٥١٢ – ٥٢٩ •••

وبغداد هی مقر الخلافة ، وسلطة الخليفة دينية فقط ، والسلاطـين يرعونه ويتظاهرون باحترامه ، ولـكنهم لا يتورعون من مخالفة أمره أو اهانته اذا اقتضت مصلحتهم • فلم يكن للخليفة الا الاسم « لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه » • وربما حانت للخليفة فرصة او كان له حظ من الطماح فتململ كما حدث للمستظهر يوما ما ، أو كما أعلنها المسترشد حربا على السلطان ••

وتتألف حاشية الخليفة من الوزيـر وكاتب الانشاء وصاحب المخزن وكاتب الزمام واستاذ الدار ••[٣]

فی هذا العصر عاش الطغرائی

وهو أبو اسماعيل مؤيدالدين الحسين بن علي بن عبدالصمد المشهور بالطغرائی[٤] •

ولد عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، فی جيّ من أصبهان فی أسرة من ولد أبی الاسود الدؤلی[٥] •

---

(٢) الاصبهانی ، النصرة ، البنداری ، الزبدة ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٧ •

(٣) للتوسع فی هذه المقدمة ينظر الطاهر فی « المدخل » من كتاب الشعر العربی فی العراق وبلاد العجم فی العصر السلجوقی ١ : ٣٩ – ٧٠ •

(٤) فصـل المؤلف حيـاة الطغرائی ومصـادر دراسته فی كتـابه « الشعر العربی •• فی العصر السلجوقی » ، وتنظر مقالته عنه فی المجلد السادس من مجلة « الاستاذ » ، وفی العدد الاول من مجلة « كلية الآداب » • وينظر الوهابی ٣ : ١٣١ – ١٣٣ ، آقا بزرك ص ٦٤٨ – ٦٤٩ •

(٥) وزاد العماد : « قال والدی هو نسيبنا من قبل الاخوال » •

وقد ألم بمعارف عصره ، وقال الشعر ، وأحس في نفسه طماحا الى المناصب فانخرط في سلك الكتاب يتقرب من المتنفذين والوزراء كمعين الملك ونظام الملك ، ودلف الى السلاطين فخدم ملكشاه ، ثم ولده محمدا .

وبعد أن تقلب في حلو العيش ومره أصبح نائبا في ديوان الطغراء في وزارة الخطير . حتى اذا توفي الطغرائي الاصيل عام ٥٠٥ جلس مؤيدالدين مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء . « ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء[٦] » .

ولا شك انه ابتهج كثيرا للمنصب الذى هو أهله ، والذى حقق به هدفا طالما سعى إليه ، فهو يطمع بالصدارة ولا يرضى لنفسه أن يبقى كاتبا بين كتاب كثيرين ، أو نائبا يعيش ظلا لغيره . ثم انه لا يسعى الى ديوان الطغراء من أجل ديوان الطغراء ، ان هذا لا يكفيه ، وما هو الا مرحلة تقربه من الهدف الابعد .

ولم يكن في افكاره تلك بالخيالى الذى يطلب ما ليس له او يزحم انسانا بعيدا عنه . انه في الثانية والخمسين وقد رأى كثيرا ، ويكفيه انه رأى نظام الملك ، ولم يبق في المعاصرين مثل نظام الملك كي يحترمه ويكبره وكي يحد من مطمحه . ليس هؤلاء القابضون على أزمة الدواوين أقدم منه أو أقدر أو أجل . وليس هذا المتربع على دست الوزارة والملقب « بالخطير » أفضل منه . ان الخطير لا يزيد عن « جبة وعمامة »[٧] بينما مثل الطغرائى الخبرة والعلم والفضل .

والسلطان محمد لم يكن بذلك السلطان الذى رآه يوم حكم الب ارسلان أو ملكشاه .

ان من حق الطغرائى ان يطمح ، وان يسعى الى الوزارة ، لانه يريد

---

(٦) على رضائى عن العماد ، ياقوت ١٠ : ٥٨ . وروى على رضائى انه « تولى الاستيفاء » . وفي التعليقة ما يدل على ان السلطان محمد ولاه « اشراف المملكة في بعض الاوقات .

(٧) ديوان الطغرائى ١٢٨ .

أن يحقق ذاته وأن يحكم وأن يصول ويجول .

وطبيعي أن تنعكس هذه الافكار على سلوكه ، وطبيعي أن يحس بها الصدور فيتتبعوا حركاته وسكناته ، ويفسروا كل نأمة ، ويحسدوا ويحقدوا ويشوهوا الحقائق ويختلقوا الاباطيل ، ويصبح ديدنهم ازاحة الطغرائي عن طريقهم ، والاستعانة في سبيل تلك الغاية بكل وسيلة .

وها هم اولاء يقتربون من غايتهم ، ويغيرون عليه قلب السلطان ، ويؤلبون اللؤماء ، ويحدون من كلمته ويحطون من مكانته ، فلم يبق له ذلك الاسم ، ولم يعد له ذلك النفوذ ولقد بات في هم وقلق وبين اقدام واحجام ، وماذا عساه أن يفعل ازاء طغمة ألفت الدسائس واستسهلت الكذب . أيبقى في منصبه ، والمنصب عزيز عليه اثير لديه ؟ ولكن ما قيمة هذا المنصب الذي جرد من روحه . أيعتزل ؟؟ :

أبى الله ان اسمو بغير فضائلي ... اذ ما سما بالمال كل مسوّدِ

وان كرمت قبلي اوائل اسرتي ... فاني بحمد الله مبدأ سؤددي

يذم لاجلي المهر ان يكبُ مرة ... بجدي وان ينهض بجدي يحمد

وما منصب الا وقدريَ فوقه ... ولو حطّ رحلي بين نسر وفرقد

اذا شرُفت نفس الفتى زاد قدرُه ... على كل اسنى منه ذكرا وأمجدِ

* * *

تكاد ترى من لا يقاس نجاده ... بشسعي اذا ما ضمنا صدر مشهد

وما المال الا عارة مستردة ... فهلا بفضلي كاثروني ومحتدي

وان اناسا صرت جار بيوتهم ... عباديد شذر فصلت بزبرجد

يسر بقربي منهم كل أصيد ... ويكره كوني منهم كل أنكد

واصحب منهم سائسا غير حازم ... واتبع منهم غاويا غير مهتد

اذا لم يكن لي في الولاية بسطة ... يطول بها باعي وتسطو بها يدي

ولا كان لي حكم مطاع أجيزه ... فارغم اعدائي واكبت حُسدي

ولم يغش بابي موكب بعد موكبِ ... مخافة ايعاد وتأميل موعد

فأروح من هذا اعتزال يصونني ... صيانة مطرور الغرارين مغمد

فأعذر ان قصرت فى حق مجتد وآمن ان يعتادنى كيد معتــدى
أأكفى ولا أكفي وتلك غضاضـــة اري دونها وقع الحسام المهنـــد
ولولا تكاليف العـــلى ومغـــارم ثقال واعقاب الاحاديث فى غـــد
لأعطيت نفسى فى التخلى مرادَها فذاك مرادى مذ نشأت ومقصدي
من الحزم أن لا يضجر المرء بالذي يعانيه من مكروهة فكأن قـــد
اذا جلدي فى الامر خان ولم يعن مريرة عزمي ، نابعنه تجلُّدي[٨]

انها لنفثة حارة صدرت عن أعماق صدر تمور به المطامع وتصطرع فى جنباته الرغبات وتكتنفه ظروف عصيبة ؛ تدفعه حينا الى الفخر والـكبرياء واعـلان كنوز شخصيته ، وترغمـه طورا الى هجو أعدائـه وتعرية ما فى نفوسهم من حقد ورخص وحطة .. وهو بين أخذ ورد ، حتى ليكاد يقبل ضيما ، ثم لا يلبث أن يعود الى كرامته ومكانته فيضطرم ويثور .. ثم يحاول أن يهدأ ويتجلد و « يفلسف » الاحوال ؛ فما زالت فيه بقية من أمل ، وما كان لرجل يعرف بالطغرائى أن يستسلم بيسر .

هــو فى بغـــداد ليس بأسعد حظا مما كـان عليـه فى أصفهان . ولم يجد عند الخليفة (المستظهر) ما كان ينتظر ، وحتى مايمكن أن يكون جزاء على فضل سابق وخدمة سابقة . ومثل الخليفة حاشيته . وليس من السهل على الخلافة أن تختص رجلا لم ترض عنه السلطنة .

واذن فقد وقعت الواقعة

وعزل الطغرائى مـن ديوانه عـام (٥٠٥) ، وتلك مصـيبة عظمى ومضاعفة ، فلقد خسر الديوان فى الوقت الذى كان يحدث نفسه بالوزارة.

وهذا صميم دافع حداه الى نظم قصيدتين طويلتين عامرتين : بائيـة ولاميّـــة .

وفى البائية[٩] :

أهـــاب به داعى الهوى فأجـــابا وعـــاوده نكس الصـــبا فتصابى

(٨) الطغرائى ، ديوانه ، ٥٩ .
(٩) نفسه ٥٦ ــ ٥٨ .

بعد مقطع غزلي يعلن هجر العراق :

ملت ثوائي بالعـــــراق وملّني رفاقي وكانوا بالعـــراق طرابا

ويبين خيانة الصحاب اياه ، ويذم أهله وتقلبهم ، ويعتب على الخلافة ، ويحاسب شخصا اسمه « زريق » • ثم يتذكر بلاده :

لعمرك ما فارقت ربعي عـــن قِلىً ولا رضيت نفسي سـواه مـآبـا
ولـكن تكاليف السـيادة جعجعت بـرحلي ودهـر بالحوادث رابـا

وأما اللامية فهي :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الحلم زانتني لدى العطـــل

وقد قالها في العام (٥٠٥) نفسه ، وأفرغ فيها كل ما كان يخامره من مشاعر وأفـكار ، ولا شـك أنه أعجب بهـا ، وارتاح اليهـا ، وقرأهـا واستعادها وظل يرويها للمقربين أمثال الشهرزوري وابن الشجري وابن الاخوة ، والمعجبون حوله يستعيدونها و «يتراوونها »[١٠]•

ثم جمع ديوانه [١١] بنفسه فكانت اللامية بارزة فيه ، وذكرها نصاً المؤلفون الذين أفاضوا في ترجمة الطغرائي من أمثال العماد وياقوت وابن خلـكان ثم جاء الصفدي فأفاض في شرحها وأطال •

وانا اليوم ، كي ندرس نص اللامية جيدا لابد لنا من اثبات أصح نص وبيان الاختلافات التي طرأت عليها • وبمعنى أدق : لابد من تحقيق القصيدة تحقيقا علميا • وقد اعتمدنا لذلك المصادر الآتية ـ المبينة رموزها ازاءها :

ل ـ مخطوطة ديوان الطغرائي المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن • رقم ٧٥٥٨ وهي انموذج لمجموعة النسخ التي تتبع في نظامها حروف الهجاء للقوافي • وتنص مقدمتها على ان الذي جمعها

---

(١٠) ابن جماعة •

(١١) الطاهر ، الشعر العربي ٩٧ ـ ٩٩ (ولم يرد هناك كلام على نسخة راغب باشا) •

هو الشاعر نفسه .

غ ـ مخطوطة ديوان الطغرائى ، نسخة راغب باشا المحفوظة بمكتبة استانبول رقم ١١٠٧ ، وتقع اللامية بين الورقة ٥٢ـ٥٥ منها . وهى انموذج لمجموعة النسخ المرتبة على نظام يكاد يتبع طريقة الموضوعات . ولعلها بوبت كذلك بعد وفاة الشاعر(١٢) .

يا ـ النص الذى أورده ياقوت الحموى فى كتاب « ارشاد الاريب » المعروف « بمعجم الادباء » . وقد اعتمدنا طبعة دار المأمون .

خ ـ النص الذى أورده ابن خلكان فى « وفيات الاعيان » وقد اعتمدنا طبعة مطبعة الوطن ١٨٩٩ .

ص ـ النص الذى عقد عليه الصفدى شرحه المسمى « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » والمطبوع عام ١٣٠٥ فى القاهرة . وقد أفدنا منه فى المقابلة واقتبسنا للشرح .

أما الديوان المطبوع (الجوائب ١٣٠٠) فلم نر ان نستشيره ، لكثرة أخطائه وتصحيفه ، ولم نشر اليه الا عند الضرورة القصوى(١٣) .

(١٢) وقد يكون جامعها بعض احفاده (ينظر حاج خليفة : الدواوين) .

(١٣) قال المرصفى ، ٢ : ٢٢٥ ، « وقد جمع شعره فى ديوان وطبع غير مرة ... » . ولا صحة لهذا القول . واكبر الظن ان محمد عبدالغنى حسن حسب ص (١٤٩) طبع الجوائب طبع الشام .

٢

(١)

أصالـةُ الـرأي صـانتني عـن الخَطَـلِ
وحِـلية الفضـل زانتني لـدى العَطَـلِ(١)
مجـدي أخـيراً ومجـدي أولاً شَرَعٌ
والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَفَلِ(٢)
فيـم الاقامةُ بالزوراءِ لاسكني بها « ولا ناقتي فيها ولا جملي »(٣)
نـاءٍ عـن الأهـل صفـرُ الـكف منفـردٌ
كالسيف عُـرِّيَ متنـاهُ عـن الخِلـلِ(٤)

---

(١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ؛ العطل : فى الاصل خلو جيد المرأة من القلائد ، وفى البيت تجريد الشاعر من المنصب ٠

(٢) مجدى أخيرا ومجدى أولا : قد يكون القصد ، مجدى بعد التعطيل وقبله ، وقد يكون ، مجد اسلافى ومجدى ؛ المعنى الاول أنسب ٠ شرع : سواء ٠ رأد الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها ، والرأد ارتفاعها ٠ الطفل : قرب الغروب ، طفلت الشمس ، مالت الى الغروب ؛ والمقصود فى البيت : الرأد أول النهار ، والطفل آخره ٠

والمعنى : مجدى فى الاول والآخر سواء ، كما ان الشمس هى الشمس فى أول النهار وفى آخره ٠

(٣) غ ، يا ، خ ، ص لاسكنى : لا وطنى ، ل ٠ السكن : ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره ٠

(٤) غ ، يا ، خ ، ص كالسيف ٠٠ عن : كالنصل ٠٠ س ، ل ٠

متناه : المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ، وهما جانبا السيف ٠ الخلل : جمع خلة ، والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره ٠

والمعنى : أصبحت كالسيف الذى جرد من حليته فلا تنظره العيون ٠

فلا صديقَ اليـه مشتكى حَزَني ولا أنيسَ اليــه منتهى جذلي[٥]

طال اغْترابيَ حتى حنَّ راحلتي ورحلُها وقَرى العسالة الذُبل[٦]

وضجَّ مــن لَغَب نِضوي وعجَّ لمـــا

يلقى ركابي ، ولجَّ الرَّكبُ في عَذلي[٧]

أُريـد بسطةَ كفٍّ أستعينُ بهـا على قضاءِ حُقوق للعُلى قِبَلي[٨]

والدَّهرُ يعكِسُ آمالي ويُقنعني من الغنيمة بعد الـكدّ بالقَفَل[٩]

(٢)

وذي شطاط كصدر الرمح معتقلٍ بمثلهِ غيرِ هيابٍ ولا وكِلِ[١٠]

---

(٥) صديق .. انيس شكلها ناشر ياقوت : صديق (بضمتين) .. أنيس (بضمتين) . ل ، يا ، خ ، ص اليه منتهى : لديه ، غ .

(٦) ل ، غ ، خ قرى : قرا ، يا . وشكلت فى غ بكسر القاف .

الراحلة : الناقة ؛ العسالة : واحدها عسال ، وهى الرماح ؛ قرى : اعلى السنان ؛ الذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة .

طال اغترابى وامتد سفرى الى ان حنت راحلتى وحن رحلها وحنت أعالى رماحى الى الدعة والسكون والاستقرار .

(٧) النضو : البعير المهزول .

(٨) ل ، غ للعلى : للعلا ، يا ، خ ، ص .

بسطة كف : سعة فى المال .

(٩) ل ، غ ، خ ، الـكد : الجد ، يا .

(١٠) ل ، ص ، بمثله : لمثله غ ، يا ، خ .

الشطاط : بالفتح والـكسر اعتدال القامة (واختار ناشر ياقوت فتح الشين) . الاعتقال : هو ان يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه ؛ ومعتقل مجرور على انه صفة بعد صفة لذى . بمثله : جار ومجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معقتل كأنه قال معتقل مثله (بفتح اللام) . غير : مجرور على انها صفة لمعتقل (وقد شكلها محقق ياقوت بفتح الراء) . الوكل : العاجز الذى يتكل على غيره .

حلو الفُكاهة مر الجد قد مُزجت   بقسوة البأس منه رقة الغزل[11]

طـردتُ سـرحَ الـكرى عن ورد مقلتـهِ

واللّيــلُ أغـرى سوامَ النوم بالمُقـلِ[12]

والركبُ ميـلٌ على الأكوار مـن طـربٍ

صاحٍ ، وآخرَ من خمر الـكرى ثَمِـلِ[13]

فقلـتُ أدعـوك للجُـلى لِتَنصُرَني

وأنت تخـذُلني في الحـادث الجَـلَـلِ[14]

تنامُ عنّي وعـينُ النجمِ ساهرةٌ   وتستحيل وصَبغ الليل لم يحُلِ[15]

---

(١١) حلو .. مر .. فى الصفدى صفة لذى فى البيت الذى تقدم . وكذلك ورد شكلها فى غ . اما (ل) ومحقق (يا) فاختار الضم .

غ ، يا ، خ ، ص مزجت .. منه : لعبت .. فيه ، ل . ل ، غ ، بقسوة : بشدة ، غ ، يا ، خ ، ص .

(١٢) ورد بكسر الواو ، وجاءت بالفتح فى ع ، يا . السرح : المال السائم . السوام : المال الراعى .

منعته النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد اقبل بالنوم على العيون .

(١٣) ل ، غ ، ص ، الـكرى : الهوى ، يا ، خ .

طرب بكسر الراى فى (غ) ، وقال (ص) بكسر الراى ، اسم فاعل هنا وليس مصدر فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى ، وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الـكرى معطوفا على غير شيء ولم يتعلق بما يربطه ... وآخر معطوف على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف . ووردت طرب فى (ل) وعنـد محقق ياقوت بفتـح الراى ، ووردت آخر فى (غ) ويا بضم الراء .

ميل : جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج . والطرب : خفة يلحق الانسان لشدة حزن أو سرور . يقول الصفدى انه هنا يحتمل ان يكون من الفرح وان يكون من الحزن ، ولـكنه الى الحزن اقرب لانه جاء فى سياق شدة السهر .

(١٤) غ ، يا تخذلنى (بضم الذال : تخذلنى (بكسر الذال) ، ل . الجلى : الامر العظيم .

(١٥) غ ، يا ، ص ، عنى : عينى ل ، خ . يا ، خ الليل : النجم ، ل ، غ .

تستحيل : تتغير . الصبغ بالفتح اللون وقد وردت كذلك فى غ ، ص . وفى ل ، يا بالـكسر . وهو ما يصبغ به .

فهل تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بـه والغيُ يزجر أحيانا عن الفشل[١٦]

اني أُريـد طروقَ « الحي » من « إضمٍ »

وقـد حماه رمـاة الحي من « ثُعَلِ »[١٧]

يحمـون بالبيض والسـمر اللّدانِ بـه

سودَ الغـدائـر حمرَ الحَلى والحُلل[١٨]

فالحِبُ حيث العـدا والاسـدُ رابضـةٌ

حول الـكِناس لهـا غاب من الاسـل[٢٠]

نـؤم ناشـئةً « بالجـزع » قـد سُـقيت

نصالُهـا بميـاه الغُنْج والـكَحَـل[٢١]

---

(١٦) ل ، يا ، خ ، ص ، يزجر : يصدف ، غ .
الغى : الضلال . الفشل : الجبن .
هل لك ان تعين صاحبك على غى هم به ، فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن .

(١٧) غ ، يا ، خ ، ص ، الحى : الجزع ، ل . يا ، خ ، ص ، حماه : رماه ، ل : حمته ، غ . ل ، يا ، ص ، رماة : حماة ، ل . فى ل ، رماة الحى من ثعل ، وفى غ ، حماة الحى من ثعل . وفى يا ، خ ، ص : رماة من بنى ثعل .
اضم : جبل بارض المدينة . ثعل : أبو حى من طىء وهو ثعل بن عمرو . وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمى .

(١٨) غ ، يا ، خ ، ص ، به : بهم ، ل .
به : الضمير يعود الى الحى . الحلل : جمع حلة وهى البردة اليمانية ، والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(١٩) ل ، يا خ ، ص ، ذمام : ظلام ، غ . غ ، يا ، خ ، ص ، معتسفا فنفحة : مهتديا بنفحة ل .
معتسفا ، اعتسف مشى على غير طريق . الحلل : جمع حلة : بيوت القوم .
سر بنا فى ذمة الليل فانه يسترنا ، واعتسف لسير ولا تخش الضلال عن طريق الحى ، فان نفحة الطيب من اهله ترشدك الى الحلة التى هم بها نزول .

(٢٠) ل ، يا ، خ ، ص ، العدا : العدى ، غ .
الـكناس : موضع الظبى . الاسل : الرماح .

(٢١) الجزع : منعطف الوادى . النصال : جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم . وهنا ، نصالها التى تحميها .

قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرام بهـا
ما بالكرائم من جُبن ومن بَخَل(٢٢)

تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كبدٍ
حرّى ، ونار القِرى منهم على القلل(٢٣)

يقتُلْنَ أنضاءَ حب لاحَراك بها   وينحرون كرامَ الخيل والابل(٢٤)

يُشفى لديغُ العوالي في بُيوتهم   بنهلة منغدير الخمر والعسل(٢٥)

لعلَّ المامةً « بالجِزع » ثانيـةً   يدِبُّ منها نسيمُ البُرء في عللي(٢٦)

لا أكره الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ
برشقة من نبـال الأعين النُّجُل(٢٧)

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعِدُني
باللمح من خَلَل الأستار والكلل(٢٨)

---

(٢٢) ل ، يا ، ص ، طيب : غ ، طيب • ل ، بخل (بفتحتين) غ ، يا : بخل (بضمتين) ل والجبن والبخل صفتان محمودتان فى النساء ••• برأى القدماء •

(٢٣) غ ، يا ، ص ، القلل : قلل ، خ : قبل ، ل •
نساء الحى حسان ، ورجاله كرام •

(٢٤) بها ، ل ، غ ، خ : ص ، بهم : به ، يا • ل ، غ ، خ ، ص ، ينحرون : يحتوين ، يا •
انضاء : جمع نضو ••

(٢٥) غ ، يا ، خ ، ص ، العوالى : الغوانى ، ل • ل بيوتهم : بيوتهم ، غ ، ومن الخطأ المطبعى فى يا كسر الياء • غ ، يا ، خ ، ص • غدير : لذيد ، ل •
ان الذى تطعنه الرجال بالرماح ، متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات شفى •

(٢٦) غ ، يا ، خ ، ص ، عللى : علل ل •

(٢٧) غ ، يا ، خ ، ص ، برشقة : برشفة ، ل : بردفة ، المطبوع •
كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحى لما اخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة •

(٢٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الصفاح : صفاح ، ل • يا ، خ ، ص ، من خلل الاستار : من صفحات البيض ، ل ، غ •
تسعدنى : تعيننى • الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلالل مثل جبل وجبال ، هكذا فى الصفدى ، وقد فتح محقق ياقوت الخاء •

ولا أخِــــلُ بغِزلان أُغازلُها   ولو دهتني أسود الغِيل بالغَيَل(٢٩)

(٣)

حبُّ السـلامةِ يَثني هـمَّ صـاحبـه
عن المعـالى ويُغـري المـرءَ بالـكسلِ(٣٠)
فـإن جنحتَ إليـه فاتَّخـذ نَفَقـاً
في الأرض أو سـلَّمـاً في الجو فاعْتزل(٣١)
ودعْ غمـارَ العلى للمقدِمين على   ركوبها ، واقْتنع منهنَّ بالبلل(٣٢)
رضى الذليل بخفض العيش مسكنةٌ   والعزُّ عند رسيم الاينق الذُلُل(٣٣)

---

(٢٩) ل ، غ ، ص ، اغازلها : تغازلنى ، يا ، خ • غ ، الغيل بالغيل : الغيل (بفتح الغين) ل : الغيل بالغيل (بفتح الغين الاولى وكسر الثانية) يا •

(٣٠) ل ، غ ، يا ، خ ، ص ، همّ : عزم يا (طبعة مار گوليوث) •
ان ملت الى حب السلامة فادخل فى نفق فى الارض أو اصعد فى سلم فى الجو ، لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول فى النفق ولا الى الصعود فى سلم فى الجو ، اذ لابد لك من الناس ، والسلامة فيهم عزيزة — وفى هذا تحريض على الحركة والسعى والاجتهاد فى احراز المعالى ، لان السلامة ممتنعة ، فالاولى بالانسان الطلب والسعى الى المعالى ••

(٣١) غ ، يا ، خ ، ص ، سلما : مصعدا ، ل • غ ، ل ، يا ، ص ، فاعتزل : واعتزل ، خ •

(٣٢) ل ، ص ، غ ، العلى : العلا ، يا ، خ •
غمار : جمع غمر وهو فى الاصل الشدة والزحمة ، وفى المـاء : اللجج •

(٣٣) ص ، رضى ، خ ، رضا : يرضى ، غ ، ل ، يا • ص ، يا ، خ ، مسكنة : يخفضه ، ل ، غ • ع ، ل ، ص ، عند : تحت ، يا ، خ ؛ ص ، يا ، خ ، الاينق : الانيق ، غ ، ل •
الرسيم : ضرب من سير الابل • فى الانيق قال الصفدى : جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانهـا جمعت على نوق مثـل بدنة وبدن وخشبة وخشب وقد جمعت فى القلة على انوق ، ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق •• ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق •

فادْرأ بهـا في نُحور البيـد جـافـلةً
معـارضـاتٍ مثـاني اللُجمِ بالجُدُلِ (٣٤)
ان العلى حدّثتني ، وهى صادقةٌ فيما تحدث ، أن العز في النُقل(٣٥)
لـو أنّ في شرَف المـأوى بـلوغَ مُنىً
لم تبرحِ الشمسُ يومـاً دارَةَ الحَمَلِ(٣٦)

(٤)

أهبتُ بالحظّ لو ناديتُ مستمعا والحظُ عنّيَ بالجُهالِ فيشُغلِ
لعله ان بـدا فضـلي ونقصُهُـمْ لعينهِ ، نام عنهم أو تنبّهَ لى(٣٧)
أُعلـلُ النفسَ بـالآمـال أرقُبُهـا
ما أضيقَ العيشَ لـولا فُسحةُ الأمـل(٣٨)
لـم أرْتضِ العيشَ والأيـامُ مقبـلةٌ
فكيف أرضى وقـد ولّتْ عـلى عَجَلِ(٣٩)
غالىُ بنفسيَ عِرفاني بقيمتهـا فصُنتها عن رخيص القدْر مبتذَلِ

---

(٣٤) غ ، يا ، خ ، ص ، البيد : الخيل ، ل • غ ، يا ، الجدل (بضم الجيم والدال) : الجدل (بضم الجيم وفتح الدال) ، ل •

ادرأ : ادفع • جافلة : مسرعة • معارضات : مماثلات ، مباريات • مثانى : جمع مثنى أى اثنين اثنين • اللجم : جمع لجام • الجدل : جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول اى المحكم الفتل •

ادفع بالنوق والخيل في القفار مسرعة ، فعارض لجم الخيل بازمة النوق ـ حثا منه على السير •

(٣٥) غ ، يا ، خ ، ص ، فيما : فى ما ، ل •

(٣٦) غ ، يا ، خ ، ص ، منى : علىً ، ل ، ابن جماعة • (ومن الخطأ المطبعى كسر الميم فى يا) •

الدارة : هى ـ فى الاصل ـ ما يدور حول الشىء ، وتكون للقمـر والشمس ، واستعملها الشاعر للحمـل • والحمل : أول برج من بروج الـكواكب الاثنى عشر •

(٣٧) لعله ، الهاء تعود الى الحظ •

(٣٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الامل : الاجل ، ل •

(٣٩) ل ، ص ، لم أرتض : لم أرض بالعيش ، غ ، يا ، خ ، غ ، يا ، خ ، ص ، وقد : فقد ، ل •

وعـــادة النصـــل أن يُزهى بجوهـــرهِ

وليس يعمـــل الاّ في يَـدي بَطَـل[٤٠]

مـــا كنتُ أُوثـر أن يمتـــدَّ بي زمني

حتى أرى دولـةَ الأوغـاد والسَفَـل[٤١]

تقدمتني اناسٌ كـــان شوطُهُمُ وراء خطوي اذ أمشي على مَهل[٤٢]

هذا جزاء امرىءٍ أقرانُهُ دَرَجوا من قبلِه فتمنى فُسحةَ الأجل

وإن عَـــلاني مَـــنْ دوني فـــلا عَجَبٌ

لي أُسوةٌ بانْحطاط الشمس عن زُحَل[٤٣]

فاصبر لهـــا غـيرَ محتـــال ولا ضَجِرٍ

في حادث الدهـر ما يُغني عـن الحيـل[٤٤]

---

(٤٠) غ ، يا ، خ ، ص ، وليس : فليس ، ل .
النصل : السيف .
عادة السيف ان يفخر بجوهره ، ولـكن المراد منه القطع ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به فيصيب .
اننى فى ذاتى كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ، ولـكن لا نفع لها ، لانها كامنة ، فلو باشرت أمرا أو توليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرز فى الظاهر نفـع ما لدى .

(٤١) ل ، يا ، السفل (بفتح السين) : السفل (بكسر السين) ، غ .
وهذا دليل سوء الحال .

(٤٢) ل ، يا ، خ ، اذ : لو ، غ ، ص .

(٤٣) الشمس فى الفلك الرابع ، والزحل فى الفلك السابع .
اخذ يسلى نفسه ويتأسى .
وان علانى هؤلاء الذين ذممت دولتهم وايامهم وهم دونى فى كل شىء ، فان لى اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل .

(٤٤) غ ، يا ، خ ، عن : من ، ل .
لها : الضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام والحوادث . غير محتال : مسلما . حادث الدهر : ما يحدثه . الحيل : جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك .
اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها ، فان فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل ، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك .

(٥)

أعدى عدوك أدنى من وثقت به
فحاذر الناس وأصحبهم على دخل[٤٥]

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شرا وكن منها على وجل[٤٦]
غاض الوفاء ، وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل

وشان صدقك عند الناس كذبهم
وهل يطابق معوج بمعتدل[٤٧]

ان كان ينجع شيء فى ثباتهم
على العهود فسبق السيف للعذل[٤٨]

(٦)

يا وارداً سؤر عيش كله كدر انفقت صفوك فى أيامك الاول[٤٩]

---

(٤٥) الدخل : المكر والخديعة ·

·· خذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ، ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه اشد عداوة من كل عدو ·

(٤٦) ـ (٤٧) ل ، يا ، خ ، ص ، وحسن ··· غاض ··· غاض : غاض ··· وحسن ، غ · ل ، وكن منهم : وكن فيها ، غ ؛ وكن منها ، يا ، خ ، ص ·

(٤٨) ل ، يا ، ص ، يطابق (بفتح الباء) : يطابق (بكسر الباء) ، غ ·

ان كان شيء من الاشياء نافعا فى ثبات الناس على العهود وذلك الشيء مثل اللوم والعذل على ما ارتكبوه من نقص الوفاء واظهار فان السيف سبق العذل فى ذلك · يعنى انهذا الامر فات وما بقى يفيد فيهم العذل شيئا ، كما ان السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت فى كفه بعدما يمضى · لا تطمع فى عود رعيهم للعهود كما ان المقتول لا يطمع فى حياته ·

(٤٩) ع ، يا ، خ ، ص ، صفوك : عمرك ، ل ، غ ·

وهذا البيت يسميه أرباب البلاغة التجريد ، وهو ان يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه ·

فيم اقتحامُك لُجَّ البحر تركَبُهُ وأنت يكفيك منه مصّةُ الوشل[٥٠]

ملكُ القنـــاعـة لا يُخشى عليـه ولا

يُحتـــاج فيـه الى الأنصـار والخَوَل[٥١]

ترجو البقـــاءَ بدار لاثباتَ لها فهـل سمِعت بظـلٍّ غير منتقـل

ويــا خبــيراً عــلى الأســرار مطّلِعــا

أُصْمُتْ ففى الصمت منجـاة من الزلل[٥٢]

قـد رشَّحوكَ لأمــر لـو فطِنتَ لــهُ

فاربأ بنفسـك أن ترعى مـع الهَمـل[٥٣]

---

(٥٠) غ ، يا ، خ ، ص ، فيم : فى ما ، ل • يا ، خ ، ص اقتحامك : اعتراضك ، غ ، ل • أخذ يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد ان كان قد ثار واحتدم واحتدوا واضطرم •

(٥١) الخول : الحشم ، العبيد •

ان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة ، والى العساكر ليحفظوا البلاد ، فيضطرون الى أموال ينفقونها • ثم هم مع ذلك فى هم وفكر فى تحصيل الاموال وتدبير الرعايا فى خوف وحرص ••

(٥٢) غ ، يا ، خ ، اصمت : أنصت ، ل •

(٥٣) غ ، ص ، ان فطنت له : لو ، ل ، يا ، خ •

رشحوك : فلان يرشح للوزارة اى يرى ويؤهل • الهمل : الابل بلا راع •

قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه فى مرادهم منك ، فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملا فتعود سدى •

يحذر نفسه من اعاديه الذين يسعون فى قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به •

٣

(١)

يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وبفضله وبمجده •• وليس لاحد أن يكذبه في دعواه وهو الذى بلغ في عصره المنزلة المرموقة علما وأدبا وسياسة ••

ولكن ، لم هذا الفخر ؟ وما الداعى اليه ؟ انه مشوب بشيء من الشكوى والمرارة ؛ لقد فقد صاحبه شيئا عزيزا عليه ، قد يكون أهم مايملك، وأكبر ما يرى فى الحياة ، وفيه عزته وكبرياؤه • واذا ما أصيب المرء بمثل ذلك خف الى رصيده الاول ، يستنجده ويستعينه • وهكذا ، يكون الفخر ، تعويضا عن الفقد ، وتعزية لنفس مضامة ، وتغطية لخيبة ، وتماسكا أمام هذا الناس الذى ألفه على غير ما حل به وصار اليه •

ولو كان فخرا للفخر ، لما كانت هذه الـ « فيم » ، « فيم الاقامة بالزوراء ؟ » ، ان فيها أسىً شديداً وعتابا للنفس مرّاً ، انه استفهام صدر عن أعماق نفس متألمة وغير راضية عن اقامتها فى بغداد ، ودعوة الى الهجرة، وتبرير لهذه الدعوة بأكثر من سبب ، فهو فى موقف من يريد أن يقنع شخصا آخر ما زال مشدودا الى بغداد بشيء ، فوالى الادلة الداعية الى الهجرة•ليس للشاعر فى مدينة السلام أهل أو عمل أو مال أو صديق، وانه قد طال اغترابه واشتد به الحنين ، ولابد من العودة ، رضى أم لم يرض •

واذا تركنا المكابرة جانبا ، وتناسينا مسألة الاغتراب والحنين وما الى

ذلك من الالفاظ التى هى « شعر » وتبرير أكثر منها واقعا ، رأينا انه لابد من العودة اعترافا بالواقع وخضوعا للمنطق •

لقد جاء الطغرائى بغداد وأقام فيها من أجل شيء عزيز عليه ، سعى نحوه حثيثا وطويلا ، ألا وهو « الصدارة » او « العلى » ـ كما سماه • لقد قصدها فرحا وخف اليها طربا وحسبها الجنة الفيحاء والدنيا السعيدة • ولم لا ؟ وما قيمة الاقامة فى مسقط الرأس ؟ انه يورث الخمول والفقر ! واليوم يحدث ما يحدث ، فيصاب الرجل فى طماحه ، فاذا بغداد غير بغداد أمس ، لقد أنكرها ، وتنكر لها • وبغداد هى هى ، وما للطغرائى معها عداوة خاصة ، او كره معين ، انما ينطق تحت وطأة ظرف قاس •

واذن فما عليه الا أن يرجع ، أى يقتنع بالرجوع • وهذا هو القول الصحيح •• أما الحنين فمسألة طارئة جاءت علة لنكوص عن غاية ، ودعوة لتمويه عن دعوة أخرى ، ويقظة لأمر ثانوى كان راقدا يغط فى رقوده • والا ، فأين كان أمس هذا الحنين ؟ لقد أمضى الرجل عمره فى الاسفار والغربة والاقامات البعيدة عن « الاهل » والوطن •• فلم يبد عليه مثل هذا الحنين الجامح !

مهما يبالغ المرء فى اخفاء السبب الحقيقى ، يعجز ، حتى لو كان ذلك من امالى العاطفة ، ويعد الى الصراحة وهى أجدى • واذن فلابد من الرحلة • وطبيعى أن تكون نحو أصفهان حيث الاهل والاحبة وحيث يمكن أن ينعم بالدعة ويسكن الى الراحة ــ او الى الكيمياء ، هذا هو الطبيعى •

(٢)

وليس من الطبيعى أن يحدثنا عن أشياء ليست بذات صلة بما هو عليه من الحالة النفسية وعزم أكيد على الهجرة •

لقد حدثنا عن رحلته ، وعن معدات رحلته ولكن على غير ما انتظرنا ، وعلى غير ما تقتضيه طبيعة الاشياء • فلقد بدأ يتحدث عن رفيقه فى السفر مادحاً خلقته وخلقه بين استواء القامة والشجاعة والشدة حينا ، والرقة حينا ••

سار هو ورفيقه فى ركب ، حتى اذا أخذ منهم التعب مأخذه ، ومضى من الليل أكثره غلب النوم على هذا الرفيق الذى أعده الشاعر للملمات •

وها هم أولاء يقتربون من الهدف ، والرفيق نائم او شبه نائم ، فيهزه ، ويعاتبه ويوقظه •

ولكن ما الغاية التى دعاها الشاعر « بالجلى » ؟ أول ما يتبادر الى ذهن من استوعب المقطع الاول ، بلوغ الوطن •• او •• اذا كان لابد من الابتعاد عن الجو قليلا •• العلى ، كأن يكون الشاعر قد ثاب الى نفسه فعاود الجد من أجل تحقيق مطمحه •• أما أن يكون غير هذا ، فلا •• أن يكون غيا يحمل الشاعر لأن يطرق أحياء الناس الساهرين على أعراضهم ، فيندس تحت ستار الليل الى خدر « امرأة » يدّعى انه يحبها ، ويدّعى أكثر من ذلك ، بأنها تحبه ، وان فى رضابها وتقبيلها •• شفاء لما هو فيه من سقام وعلل •• أما هذا ، فلا • وليس الظرف ظرف غزل ومغامرة هى أشبه بمغامرات امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة ؟ وحتى هذان الشاعران لم يكونا ليفعلا ما ادعاه الطغرائى لو كانا مكانه •

اذن ، لابد من أن يكون فى الامر شىء آخر ، او أشياء أخرى هى غير ما يبدو للناظر • فما هو ؟ وما هى ؟

ان أمر الغزل غريب فى بابه ، ونشاز فى مكانه • ولو جاء فى مطلع القصيدة لقلنا انه ضرب من التقليد ، فقد درج شعراء العربية على افتتاح قصائدهم بالغزل • وكل ما يمكن أن يقال فى هذه الحالة ، ان الشاعر خضع للتقليد أكثر مما يجب • فلقد اعتدنا ـ أكثر ما اعتدنا ـ أن يكون الغزل فى مطالع قصائد المديح • أما فى قصيدة تقال فى الظرف الذى يعانيه الطغرائى فغير مألوف وغير مستساغ •

ولكنه لم يأت فى بداية القصيدة • وهذا ما دعا الى الاهتمام والتساآل • وقد يدعو تقصى الاسباب والاعذار الى الاغراق والاغراب • وفى سعى من هذا الوادى يلمع فى ذهن المرء افتراض خلاصته ان الطغرائى لم يتغزل ، وان هذا الذى يبدو غزلا ليس من الغزل بالمرأة فى شىء ؟ انه غزل بالمجد ،

ورمز عن هذا المجد بالمرأة الممنعة الجميلة • ولا يبلغ المجد بيسر ، فلابد من مغامرة ولابد من سهر وأعوان •

الافتراض جميل ، ولو صح ، لكان أجل وأدخل في مسيرة القصيدة وألصق بالحالة النفسية التي يأتزم بها الشاعر ؟ ولكن تصديقه ليس سهلا ، فما ألف مثله في شعر الطغرائي وشعر عصره وجملة الشعر العربي • ثم ان الشاعر حين جرى في غزله انفصل انفصالا تاما عن الحالة التي كان عليها ، ولم يدع ما يشير الى مجده وطماحه من حرارة او ابداع[1] • ولم يبق الا غزل تقليدي لا فضل لصاحبه أكثر من التمكن في البناء الخارجي • ولقد بعد عهد ابي اسماعيل بالغزل الصادق فقد نيف على الخمسين وتزوج أكثر من مرة ورزق أكثر من ولد ــ ولات حين غزل • واذن ، فما عليه الا أن يعمل فكره في جمع عناصر متفرقة من هنا وهناك مما ذاع في الشعر العربي في المرأة والجمال والسرى •• ومما قام منذ قام امرىء القيس (وقبله) وشتان •

بقي أمامنا مجال آخر ، أن يكون هذا المقطع الغزلي دخيل على القصيدة ، وقد دسه الشاعر متأخرا عن الظرف الذي نظمها فيه ، في احدى قراءاته ومراجعاته بعد أن مرت العاصفة •

اننا اليوم نفضل أن تكون اللامية مجردة من مقطعها الغزلي • ولم يكن تفضيلنا هذا قائما على الاقتراح وعلى الدراسة الداخلية لها فقط • فلقد رويت مرة كما نريد ، رواها ثقة هو ابو الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن الاخوة عن الشاعر نفسه ، وقبل أن يكون للشاعر ديوان[2] •

---

(١) لا يخلو من فائدة ان نذكر ما جاء في « اعيان الشيعة » للعاملي ٢٧ : ٧٩ « ••• وفي « الرياض » ••• كان (الطغرائي) مشهورا بمعرفة الكيمياء ••• ولاشتهاره بعلم الكيمياء قيل عن لاميته •• انها رمز الى علم الكيمياء • وهو خيال فاسد » •

(٢) ينظر ابن جماعة في التعليقة و ٧٤ ب •

(٣)

أي نعم ، فما أنسب أن ننتقل من المقطع الاول الى الثالث •• من :

والدهر يعكس آمالي ويُقنعني من الغنيمة بعد الجد بالقفل

الى : حب السلامة يثني همّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وكأن المقطع الغزلى لم يكن • وهنا تقول ، ومن حقك أن تقول وتعترض بهذا الفرق « الهائل » بين المقطعين : مقطع ينتهى باليأس والاستسلام ، ومقطع يدعو الى المعالي والعلى والعمل وتحمل المشاق وقطع البيد ومواصلة الاسفار ••

وطبيعى ان هذه الاسفار غير الاسفار التى دعا اليها فى مقطعه الاول مما يتصل بالهجرة واللياذ بالسكينة فى ربوع الوطن •• انها أسفار جديدة ، انها استئناف العمل والسعى ، واستئناف الطمع والطماح ••

اذن ، لقد اتضح الفرق وبانت الهوة ، واين الاستسلام من المقاومة غير اليائسة ! والحق معك، لأنك تزن الامور بالميزان المنطقي، بمنطق العقل، والعقل ألوان ــ ان شئت • واذن ، فالفرق هائل ، وسياق المنطق يدل على أن الرجل ، بعد أن يئس قرر الهجرة وحببها الى نفسه ونفذها ــ هذا ما يقوله المنطق العقلي • ولكن المنطق النفسي لا يشترط ذلك ، وانه يجيز ما وقع فيه الطغرائي بل يؤده ، فان هذا الذى بدا تناقضا واضطرابا هو ادل على صدق الشاعر وعلى اعرابه عن حالة حادة يعانيها ، فما يكاد ينتهى الى شيء حتى يثور ويحطم ما بنى ليشيد خطة جديدة لا ينفك يجمع لها الادلة والبراهين •

فهو هنا يدعو الى العمل والى المخاطرة والى قطع البيد ، ويهجن حب السلامة الذى يحول دون المعالى ويغرى صاحبه بالكسل ويورثه المذلة والمسكنة ــ وكأنه شاعر آخر غير الذى رأيناه فى مطلع القصيدة •

وهو صادق فى دعواه ، مطمئن اليها يزجيها بكل تأكد وبغير قليل من النضج والحدة • ولا غرو فهو فى شدة وازاء نفس عنود •

(٤)

ولـكنه مهما يجمع الادلة ، ومهما يستنجد بعقله الواعى لا يستطيع ان يقنع نفسه ، أو قل ، لا يستطيع أن يصد الالم الطاغى ويدفع الاسى المسيطر • فأين هو من المعالى ؟ ومن العز ! ومن « فادرأ بها » ؟ وواقعه مر ، وحاله يشعر بالخيبة • واذا صعب عليه تعليل الاشياء بما يليق برجـل رصين ، انحدر به الضعف الى « الحظ » وكأنه كل شيء ، فهو الذى يأخذ ، وهو الذى يعطى ، فراح يدعوه ويعاتبه ويناقشه ـ وهيهات •

ولمحة من لمحات العقل تريه استحالة ما هو فيه ، وغرور ما هو عليه ، انها أعاليل بأباطيل ، لا تحل مشكلا ـ وان خففت وطأ •

فأين هو ؟ وكيف ينسجم وعصره ؟ انه صعب المراس ، شديد الثقة بنفسه ، معتد بقيمته ، مترفع عن الدنايا • انه لم يرض عن أيام كان فيها معززا مكرما ؛ فكيف يرضى الآن ، مهما يكن أمره ؟ كيف ••؟ والدولة دولة أوغاد ، والحكم حكم جهال ، وقد علاه من كان دونه بأشواط • كيف يرضى ؟ ذلك بعيد •

لم يكن كاذبا اذ وصف السلطة عام ٥٠٥ بما وصفها ، فذلك مما يؤيده التاريخ • ولـكننا نسأله : أين كنت قبـل اليوم ؟ انـه لم يجد قبل اليوم ما يدعوه لمثل هذه التصريحات ، ولم يكن على الحالة التى تريه حكام عصره على الشكل الحقير والاحقر • كان سجين مطامحه ورهين أمانيه ، كان فى طريقه الصاعد لا ينظر يمنة او يسرة • أما وقـد حيل بينه وبين القمـة ، فكل شيء واضح ازاءه على حقيقته وعلى أحسن من حقيقته ، وان له من الوقت ما يستطيع معه أن يتبين ويتفحص ويتأمل ويحكم •

بل انه ازاء نفسه وجها لوجه ، هذه النفس التى غررت به وأوقعته فى مهاوى الآمال البعيدة وفى « تمنى فسحة الاجل » • انه ليعاتبها ويقول لها : تسأهلين ، ذوقى • ولكنه لا يستمر طويلا ، لانه رجل لا ينسى ذاته طويلا ؛ وله فى مجده الماضى أعظم مظهر للتعزية والسلوان ، فهو الشمس وسواه زحل •• واذا انحط فهو الشمس على أى حال • ومثله لا ييأس ،

وما عليه الا أن يصبر ، فاذا ضاقت بـه الوسائل فليكف عنها ، وليصبر ، ولينتظر المصادفات و « حادث الدهر » •

من الصعب على امرىء عرف بالطغرائى ورأى ما رأى الطغرائى أن يستسلم بيسر ، ومن دون ثورة نفس وتضارب أفكار وتصادم هواجس وضرب أخماس بأسداس وكبرياء وتعاظم وسخط على الدهر والحظ •

(٥ ــ ٦)

كل هذه « عموميات » يرسلها الطغرائى دون تخصيص لأنه تحت مجموع الـكارثة ، لا يراها مجزأة ولا يحدها بسبب واحد ، انه يتخبط لان الضربة شديدة ••• حتى اذا اتضحت الامور قليلا ، قارب التخصيص فصاح :

أعـدى عـدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل

واذن ، فمن مأمنه أتي الطغرائى واذا أصدقاؤه ألد أعدائه ، لقـد أوقعوا به ، وأنزلوه من مجده • ولم يزد على ذلك فى التصريح ، كأنه يرى نفسه أكبر من أن تنزل الى مثل هذا الدرك او كأن المسألة أكبر من ذلك[١] •

فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن أن يكون عليه من ضيق ، وانه لم يعد حتى ذلك الطغرائى الذى يكابر وهو فى منزلة ذلة ، ويفخر وهو فى موطن عزاء ، ويأمل وهو فى ميدان يأس •

أجل ، لقد ضاقت وانتهى عالم •• وبدأ عالم أسود ، كل ما فيـــه يدعو الى التشاؤم بحرارة وحماسة و « صدق » : أهل هذا العالم قوم أعداء ، شيمتهم الغدر ، كذابون ، لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يثق بالآخرين ، صادق ، اذا قال فعل •• انه لعالم حالك وحقير ، ومؤلم أن يكون عالم الانسان •

لقد رأى الطغرائى عالم عصره خلال تجربته الخاصة ، ولـكنه مـا زال يوسع الخاص ويوسعه حتى جعله عاما • وله فى حقيقة السوء الذى

---

(١) وما يذكر انه كان أكثر تفصيلا فى البائية •

كان عليه العصر مساند ، وهكذا يكون قد قدم لنا صورة لزمانه ، ويكون قد استوعب المجتمع الذى احتواه •

واذا كان العالم كذلك ، والناس كذلك ، أصبحت النتيجة الحتمية واضحة ، وهى نفسها التى انحدر اليها الطغرائى ــ بعد تردد وممانعة ــ ألا وهى اليأس أو القناعة ــ ان شئت •

ولكن نفسا يحملها الطغرائى « لا تقنع » من غير أن تتعب صاحبها . انها على الرغم مما قاست وعانت ومما انتهت اليه ، ما زالت تنطوى على بقية من طماح وشرارات من أمل •• مما استوجب الحجاج وزيادة الادلة والبراهين : فالعيش كدر ، ومصة الوشل تغنى عن البحر ، وملك القناعة لا يخشى عليه ، والدنيا فانية ، والصمت منجاة •• الخ •

ترى هل قنع ؟ يبدو • ولكن ذلك صعب على مثله • ان الادلة التى ساقها تقنع غيره وترضى سواه ، أما هو فاذا رضى فالى حين واذا صمت فعلى مضض واذا يئس فعلى أمل •

٤

(١)

هذه اللامية اذن سجل لأطوار قلب ثائر ونفس طعين ، عبرت عما يكتنف الشاعر من طماح وقناعة وأمل وألم واقامة وهجر وحب وكره • ان العواطف لتجرى حارة فى عروق القصيدة ، عميقة ، عنيفة ، صادقة ، أصيلة ؛ بلغة سليمة هى لغة الشاعر العربى المتمكن الكبير •

كل ذلك من غير افتعال وكذب وضجيج مختلق وقرقعة متكلفة ، ولو لم تكن كذلك لما كان لها شأن يذكر حتى اليوم ، ولذهبت مذهب عشرات القصائد التى قامت شهرتها على الزيف وفساد الاذواق والظرف الآني •

لقد أولع عدد من الدارسين **برد معانى اللامية الى أصولها** ، أو بمعنى أدق رد معنى أبياتها الى أبيات شعراء سبقوا الطغرائى ، كأنهم يريدون أن يقولوا ان الطغرائى أشار اليهم او أخذ عنهم أو سرق منهم •

ومحاولة رد أبيات الطغرائى الى غيره من أمثال المتنبى والشريف الرضى والمعرى ليست مستحيلة ، او مطلقة فى العبث • وقد عمل ذلك الصفدى بحسن نية[١] ، ولعل الذى بعثه سعة علمه وغزارة محفوظه[٢]

---

(١) الصفدى ، الغيث ••

(٢) السبكى ٦ : ٩٤ ؛ العسقلانى ٢ : ٨٧ •

وتطبيق لخطة يجعل بها شرحه للامية كتابا أوسع من « شرح » • ثم ان مبدأ « الرد » مألوف فى الدراسات الادبية القديمة ، وظل حيا عبر أجيال حتى انتهى ـ فيما رأينا ـ الى استاذنا المرحوم طه الراوى ، فلقد كتب مقالات يرد فيها اللامية الى غير صاحبها مستعينا بالطريق الذى مهده الصفدى وبالامثلة التى أوردها • ولكنه تميز عن الصفدى بالشدة فى الحساب والعنف باللهجة • وأكبر الظن انه كان كذلك بسبب ما كان معلوما من أن الطغرائى فارسى أعجمى(٣) •

وعلى أى حال فلقد انتهى المرحوم الراوى الى « أن الرجل أغار على المعانى الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم فاعتصر منها خلاصاتها ، ثم صبغها بالالوان البراقة الجذابة ، وأبرزها للناس على انها نتاج قريحته ، ووليدة يراعته ، فأفتن الناس ببريق تلك الالوان ، ونسوا ما وراءها من سبايا المعانى البارعة التى لو أطلقناها من عقال الوزن والقافية لرجع كل الى أصله واعتز بانتسابه لأهله ، ونحن لا نريد أن ننكر على الرجل انه من بدعة الصاغة ، ومهرة المصورين ولكنا لا نشك فى أنه أقدر الناس على الانتفاع بنتاج غيره موهما انه من نتاج فكره(٤) •

ومن يقرأ الصفدي وما ربطه بين أبيات الطغرائى وأبيات سابقة (ولاحقة) يحس أن فى هذا المذهب كثيرا من الجهد الضائع والتعسف ، ولكنه لون عقلى يحقق لصاحبه البراعة أمام الناس ثم ان بعض الروابط لا تخلو من طرافة وصحة حتى ان القارىء ليقتنع بصحة علم الطغرائى او قصده فى الاخذ أحيانا • ولم يبد أن الصفدى كان يقصد الى التشفى أو الى الحط من شأن الطغرائى ولا أن يمهد للحط من هذا الشأن • ذلك ان شيئا من الربط بين معنى بيت او أبيات لشاعر كبير مع بيت أو أبيات لشاعر سابق مألوف فى الشعر العربى وقد أطال الباحثون درس هذه الظاهرة وكانت

(٣) الراوى ، الصبح • وزاد ولده الاديب حارث ان المرحوم والده كان يحب بغداد حبا جما ، وربما كان لموقف الطغرائى منها أثره فى ذلك •
(٤) نفسه ٤ : ٦ •

لهم ـ والآمدى[1] فى مقدمتهم ـ آراء صائبة فى الانصاف وفى التمييز بين ما كان سلخا أو سرقا أو أخذاً وبين ما كان تجميلا وتأثراً غير مقصود ..

حقا ان بين أبيات اللامية ما يتصل بالبيت الفلانى والفلانى من شعراء سبقوا ، ولكن هذا الاتصال لو كان أخذاً وسرقاً لما كان للامية شأن كبير ، مهما أوتي صاحبها من مهارة وقدرة على السبك والرصف والصياغة . ان شعر التمكن لا يدوم طويلا ، ولا ينطوى على قوة وعنف مما تنطوى عليه الآثار الاصيلة . وانه ـ أى شعر التمكن انما يضطر اليه الشاعر عندما يتكلف المواقف ويقصد من شعره الى المسابقة الشكلية ، وعندما يقول وهو هادىء النفس غير منفعل وفى موقف لا يمت اليه بسبب قوى . ولم يكن الطغرائى كذلك ، لقد كان متمكنا ـ دون شك ، وبارعا دون ريب ـ ولكنه كان منفعلا ، وكان يتحدث بعمق وصدق عن أوصل الاشياء بكيانه ـ ولات حين سرقة وتفكير بالسرقة .

ولنبدأ بالبداية . قال الطغرائى :

أصالةُ الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الحلم زانتني لدى العطل

فعبر بذلك عن القمة النفسية التى كان عليها والتى دعته الى قول الشعر بعد امتلاء نفسه بالكارثة التى حلت به ولم يجد ما يقوى به وجوده غير الرصيد القديم وغير الاستعلاء عن صغائر أمور الدنيا ؟ الحالة حالته ، ولقد عبر عنها كما يجب وكما يشاء . أما الالفاظ فهى ألفاظ العربية وليس لأحد أن يقول ان « اصالة » هى لفظة فلان و « الخطل » لفظة فلان و « العطل » لفظة فلان . انها لوكانت كذلك لما جاءت على هذه القوة .

ويأتى الصفدى[2] فيشرح ويعرب ويفسر ثم يقول : قال الشريف الرضى :

ان يبل ثوبي فانى أكتسى حسبي   أو ترد خيلى فانى راكب مننى

لقد تقدم بي فضلي بلا قدم   اعظم بأمر على ذى السن قدمني[3]

ويذكر بعد ذلك أبياتا لشعراء آخرين لا قيمة لها وبينها ما هو لشعراء

---

(١) الآمدى : الموازنة بين الطائيين ..

(٢) الصفدى : ١ : ٥٠ .

(٣) ينظر الديوان ١ : ٥٤٣ .

متأخرين عن الطغرائي ولا يربطها الا بما يتوهم ، وما يمكن أن يكون من قرابة في المعنى العام . ذلك منهجه . ولـكن ماذا يعني ذكر بيتي الشريف الرضي ، يعني الشبه في الحالة التي عبر عنهـا الشاعران والتي دعتهما لأن يفخرا ، ويفخرا بفضلهما غير مباليين ببهرج الدنيا من ثياب وزينة . ولكن وحسنا فعل الصفدي اذ لم يقل ان فلانا أخذ أو سرق من فلان ، ولم يقل ان بيت فلان خير من بيت فلان . وان « الشريف لم يكتف باكتساء ثوب الحسب ، حتى ركب خيل الـكرم . والطغرائي لم يزد على أن وضع الحلية موضع الثوب واني لعلى ثقـة بأن الذوق السليم يستحلي كلمـة الشريف ويفضل ثوبه على حلية الطغرائي لأن الرجال خليقون بأن يتجملوا بالثياب ، أما الحلية فمن خصائص ربات الحجاب ...[1] » ان هذا ما لم يمـر من الطغرائي ببال ، وما لا يمر ، ولا ينسجم والحالة التي هو عليه ، وما كان موقفه موقف حلية « نساء» ، انما كان جلال رجال ، وكان حلية فضل ان أردنا الصراحة . ولم يكن بين كلمتي الفضل والحلية فاصل .

وقال الطغرائي :

مجـــدي أخـــيراً ومجـــدي أولاً شـــرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفـل

وهو تتمة طبيعية لسابقه وتجسيد للأزمة التي وقع فيها الشاعر ، ولم تحل « رأد » و « طفل » دون فهم البيت ، ولم تكن الـكلمتان من الغرابة والثقل بحيث يكدران الصياغة .

ويقول الصفدي : « وقد أخذ الطغرائي هذا المعنى من قول أبي العلاء المعري حيث قال :

وافقتهم في اختــــلاف من زمانكم
والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

فهذا هذا ، خلا ان ذاك في الشمس وهذا في القمر ، ولـكن قول المعري ألطف عبارة وأحسن اشارة لأن الطغرائي أغـرب في لفظتي رأد والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم في البلاغة ...[2] »

---

(١) الراوي ، ٦ : ٢ .
(٢) الصفدي ١ : ٥٢ .

ان القرابة بين الشطر الثاني للبيتين قائمة ، ولكن هل كان بيت المعري حاضرا في ذهن الطغرائي وهو ينظم ما يعاني ويكابد ؟ لقد سمح الصفدى لنفسه أن يجزم بالاخذ • وقد يكون له ما يبرر ، لـكن ما باله يقول ان بيت المعري ألطف اشارة ، ويقول ان الطغرائي أغرب •• ليس من حقنا أن نتخذ من الغرابة والسهولة سلاحاً ذا حدين • ولو سمحت لنفسي بمثل ما سمح به الصفدى لفضلت بيت الطغرائي ، ولكن لا داعي لذلك •

وقال الطغرائي :

فيم الاقامة في بغداد لا سكني بها ولا ناقتي فيهـــا ولا جملي

وهو منسجم تمام الانسام مع سابقيه ، بل انـه المعنى الطبيعي الذى جرّ اليه ، وسبقـا لتقديمه • فماذا قال الصفدى ؟ قال : « •• أنظر الى قلقه في بيت الطغرائي لأنه عطف الناقة والجمل على السكن ، ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لـكان أحسن وأوقع في النفس »[1] ، هكذا فهم الصفدى ، لانه من قوم يقيمون نقدهم على المعاني القاموسية واللفظـة ومعناها ، فرأى في البيت سكناً وناقة وجملا ، فرأى قلقا ، أما نحن فنرى ما رآه الطغرائي : سكناً ومالاً ، ذلك ان « لا ناقتي فيها ولاجملي » تعني المال، وتستطيع أن تقولهـا ــ كما هو الشأن في الامثـال وأبواب التجوز ــ في مواقف لا صلة للناقة والجمل فيها • كما هو في بيت الطغرائي وكما هو في الحال التي كان يحس بها[2] •

وقال الطغرائي :

ناءٍ عن الاهل صفر الـكف منفردٌ كالسيف عُرّيَ متناه عن الخِلل

وقال الصفدى : « وما أحسن ما كشف المعرى هذا المعنى بقوله :

وان كان في لبس الفتى شرف له فمـــا السيف الا غمده والحمائل

وقال البحتري يعزى بولد :

تعزّ فان السيف يمضي وان وهت حمائله عنـــه وخـــلاه قائمـــه

---

(١) الصفدى ١ : ٧١ •

(٢) ذكر الميداني ٢ : ١٤٤ (ط • بولاق ١٢٨٤ : « يضرب المثل عند التبرى من الظلم والاساءة » •

وقال النمر بن تولب :

فان تك أثوابي تمزقن عـــن فتى   فاني كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة :

فأصبحت مثل السيف اخلق غمده   تقادم عهد القين والنصل قاطع[1]

وليس لأحد أن يجرؤ فيقول ان الطغرائى سرق معناه من سابقيه ، بل اننا لنسائل عن سر ذكر هذه الابيات التى ورد فيها « السيف » ... ان ذلك ما يمكن أن يخيـل الى القـارىء ان الطغرائى يسرق ـ وصـدق الراوي اذ قال « ان هذا المعنى ملقى على مدرجة السابلة »[2] .

اننا لو أردنا أن نتبع مذهب الصفدى وتابعيه أطلنا وأتعبنا دون نتيجة . وما يمكن أن يقال فى أبيات لامية الطغرائى يمكن أن يقال فى كل قصيدة مناظرة . ومع هذا ، لنقف عند البيت :

وضج من لغب نضوي وعج لمـــا   ألقى ركابي ولج الركب فى عذلى

فقد قال الصفدى : « فى قوله وضج من لغب نضوى غنية عما يقول فيما بعده : وعج لما ألقى ركابى ، لأن المعنى واحد ، فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر ، فان ضجيج النوق هو عج الركاب ..[3] » .. وقد أخذ بيت الشريف الرضى برمته من قوله :

.. ووقفت حتى ضـج مـن لغب   نضوي ولج بعـــذلى الـركب[4]

أما أن يكون الطغرائى قد أخذ بيته من بيت الشريف الرضى فذلك ما لا يحتاج الى نص ، ولا الى ضجيج وانه ما لم يرد الشاعر اخفاءه بعد أن أخذه بنصه . ولنتذكر ان الطغرائى الآن فى « مقطع الغزل التقليدى » من اللامية . واذن فلسنا بصدد الاصالة والحالة النفسية ، انما هى صناعة وبراعة فى الصياغة . والحقيقة ان الصفدى بالغ عندما آخذ الطغرائى على : « وعج

---

(١) الصفدى ١ : ٨١ .
(٢) الراوى ٦ : ٣ .
(٣) الصفدى ١ : ١١٢ .
(٤) نفسه ١ : ١١٦ .

لما ... » كأنه يريد أن ينفى من طرائق اللغة العربية الازدواج وما يشبهه ، وكأنه يجهل الايقاع الموسيقى الذى ولد من توالى ضج وعج ولج ..

كما ان من يقول :

تقــدمتني اناس كـان شــوطهم　　وراء خطوى اذ امشى على مهـل

لا يضمر اخفاء المصدر الذى أخذ منه ، فما كان الشريف الرضي نكرة ، وقد قال :

فلِـم أنا كالغــريب وراء قــوم　　لو اختيروا لقــد كانوا ورائي[1]

ولـكن الحالة واحدة ، وجاء بيت الطغرائى منسجما كل الانسجام مع ما قبله وما بعده ، وقد يكون أمتن وأعنف من بيت الشريف الرضي ، الا أن الصفدى لم يذكره ، ولم يشر اليه .

وبعد

فمن الظلم أن نجرد اللامية من كل معنى أصيل ، وأن نتهم صاحبها بأنه استل معانيه من غيره الماما وسرقة وسلخا . فنحن لا نشـك أن الطغرائى حفظ كثيرا واعجب بروائع الشعر العربى وبالشريف الرضي ، وانه اختزن ما حفظ ، وتسرب نسغ منه الى أشعاره ؛ ولـكن اللامية جاءت أصيلة أعربت عن حالته النفسية التى عاناها هو من دون تلكؤ ومن دون ما يشير الى انه كان يعمد الى التقليد والمعارضة والاخذ ، فلقد كان من السيطرة بحيث أعرب طواعية وجرى هدّارا . واذا ما ورد على لسانه ـ وهو فى هذه الحالة ـ لفظ أو معنى أو تركيب لآخرين فذلك مما أملته الحالة المشابهة ومما انساب انسيابا ، ومما يدخل بعضه فى باب التضمين .

وما كان الطغرائى من الغباء بحيث يجهل ان الناس يعلمون ان المعرى قال :

واني جواد لم يحـل لجـامه　　وعضب يمـان اغفلته الصياقل

وأن امرأ القيس قال :

وقــد طوفت فى الآفــاق حتى　　رضـيت من الغنيمــة بالاياب

---

(١) ديوان الشريف الرضى ١ : ١٧ .

وما قيل في المعاني يمكن أن يقال في وجوه البلاغة العربية ،وانك لواجد في اللامية كثيرا منها : الطباق ، المقابلة ، الجناس ، التقسيم ، الاستعارة المكنية .. مما لا داعي الى النص عليه .

ولا نشك أن الشاعر كان يرغب في أن يحلي نظمه بهذه الوجوه ، وان عصره كان يرتاح اليها ويطلبها .

ولكنها جاءت في اللامية مقبولة وغير مستثقلة او قل انها جاءت سهلة على لسان معود ومن قريحة ثرة وفي حالات نفسية تمنح الصناعة طبعا ، والعظام لحما فتنسجم فيها العناصر المختلفة وتهبها قوة وحياة .

ولا تنس ان الشاعر صناع ماهر مضت عليه ـ قبل اللامية ـ أكثر من ثلاثين سنة وهو يحوك وينسج ويهيىء آلاته .

وكان طبيعيا أن يبدو أثر الصناعة على أبرز ما يمكن في مقطع الغزل التقليدي حيث تخف الحدة ويضعف النفس ويكون للؤلف متسع من الوقت يبذله في التنميق وثروة من التراث يستغلها في البناء .

ولغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا ، وأفخمه تركيبا . انها لغة امرىء أخذ اللغة عن أصولها وتبحر في مظانها ونصوصها ومرن نفسه عليها حتى طوعها لقلمه ولسانه واستوت لديه اللفظة السهلة والصعبة والقريبة والبعيدة وانه ليركبها وكأنه لا يفطن الى مواضع الغرابة في الاداة .

ان عددا لا باس به من المفردات يبدو ـ غريبا علينا ـ وعلى أسلافنا . والا ، لما سودت الصحف في شرح اللامية وبيان معانيها . هذا صحيح ، وأصح منه انك حين تقرأ القصيدة لا تواجه هذه الغرابة ، انما الذي تنساق فيه هو الجو ـ وحسب الشاعر الفحل ان يخلق جوا ؛ حتى اذا رحت تحلل القصيدة بيتا بيتا والبيت كلمة كلمة رأيت صعوبة المواد التي كونت هذا البناء الشاهق .

وهذا طبيعي ، لان القصيدة أصيلة وصادقة أعرب فيها الشاعر عما

عانى وقد أصيب فى صميم وجوده •

ويتميز المقطع الغزلى بأوفر حظ من المفردات الغريبة ، وهذا طبيعى أيضا ، لأنه تقليد وصناعة وبراعة •

(٣)

أول ما يفهم من قصيدة تسمى « **لامية العجم** » ان صاحبها عجمى ، أو انها تمجد العجم وتسجل مفاخرهم عبر التاريخ ومثلهم العليا التى يتميزون بها عن سائر الامم وانها تحمل طابعا من الشعوبية وتفضيل الفرس على العرب ، او انها تحفظ ـ فى الاقل ـ معالم أخلاقهم وسمات معاشهم • وألا تكون فردية يتحدث فيها شخص بعينه عن حادثة خاصة به اكتنفته خلال فترة معينة •

فماذا فى اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء • فليس الطغرائى شاعرا عجميا • هذا أمر أصبح مفروغا منه[١] ، فلقد نسبته مصادر مهمة لأبي الاسود الدؤلي[٢] وأبو الاسود عربي وبنو دئل من كنانة من عدنان[٣]• أما أن يلقب أحيانا بالاصبهانى وانه من مواليد هذه المدينة وفى أسرة تقطنها، فليس لذلك من دلالة كبيرة ، فلطالما سكنت هذه المدينة أسر عربية منذ دخلها العرب مبكرا في العصور الاسلامية ، وطالما حمل المشاهير نسبا الى مساقط رؤوسهم • وقد كان أبو الفرج ـ صاحب الاغانى ـ أصبهانيا قبل

---

(١) الطاهر ١ : ٧٩ ـ ٨٠ •

(٢) نقله على رضائى عن العماد ، وكده ابو الفدا ١ : ٢٤٧ ، ابن الوردى ٢ : ٣١ ، البارزى فى مختصره لوفيات الاعيان ، وينظر سبط ابن الجوزى وابن جماعة •

(٣) القلقشندى ص ٥٤ (وينظر الفيروز ابادى فى المحيط) • وقد يرد الطغرائى على : « الليثى » كما فى مخطوطة لندن ٧٥٣٠ ، وابن جماعة بسند عن السمعانى و ١٧٥أ ؛ وفى البداية والنهاية ١٢ : ١٩٠ • وليث بطن من بكر من كنانة كما فى القلقشندى •

الطغرائي ، والعماد ـ صاحب خريدة القصر ـ أصبهانيا بعده ، وكلاهما عربي دون شك • أضيف الى أن ليس في شعر الطغرائي ولا في الاحاديث عنه مايدل على فارسيته • ولم نجد النص على انه عجمي فارسي الأصل الا لدى مؤلفين متأخرين مثل هيوار ، ونيكلسن ، والزيات ، محمود مصطفى ، وحنا فاخوري ...[١]

وليس لهذا أية دلالة ، فهم متأخرون جدا ، ولم يتسع لهم الوقت للتجرد في التحقيق وانهم تأثروا بنسبة « الاصبهاني » و بـ « لامية العجم » •

ثم انك تقرأ اللامية فلا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم ، فلا هي للعرب ولا هي للعجم ولا هي لغيرهم ، انها لا تتحدث عن العجم ولا الى العجم بقليل أو كثير ، لا مدحا ولا ذما • ولا يمكن أن تكون مصدرا في دراستهم •

بل انها ـ اذا كان ولا بد ـ أصلح أن تكون مصدرا عن أخلاق العرب ومعاشهم[٢] ، ولا يقصد بذلك أن تكون صفحة من تاريخ بغداد في مطلع القرن السادس ، انما يقصد انها ، في المقطع الغزلي ، تبين صورا من أخلاق العربي والعربية في البادية بين الشجاعة والكرم والحب والكره والاستار والكلل ، سجلتها باعجاب وتقدير بعد مر قرون واعوام •

اذن ، كيف أصبحت لامية للعجم ؟ لا أدري ؟ فالمؤلف لم يسمها كذلك حين نظمها وحين رواها ، وحين رويت عنه • ثم كان الديوان الذي جمعه الشاعر نفسه ولم نجد على رأس القصيدة أكثر من « قال في مدينة السلام عام ٥٠٥ » •

وتحدث العماد الاصبهاني[٣] ـ وهو معاصر ـ ولخص حديثه على

---

(١) في كتبهم عن تاريخ الادب العربي • وفي اعجام الاعلام لمحمود مصطفى •
(٢) ينظر الراوي ٥ : ٤ •
(٣) الخريدة ، قسم بلاد العجم •

رضائي[1]، ولم يقرنه أو يقرنها بالعجم وانما اكتفى بأن قال « نبدأ بلاميته ».
ثم تحدثت عنها مصادر أخرى ...

ولعل أول تسمية لها بلامية العجم نراها في « ارشاد الاريب » لياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦ أى بعد تأليف اللامية بمئة وعشرين سنة . وقد قال : « ومن شعر مؤيدالدين الطغرائى قصيدته التى تداولتها الرواة وتناقلتها الالسن المعروفة بلامية العجم[2] » . ومن الممكن أن تكون الالسن التى تناقلتها حملتها هذه التسمية .

ثم يأتى ابن خلكان فيقول شيئا يشبه ما قاله ياقوت : « المعروفة بلامية العجم »[3] .

حتى اذا جاء الصفدي أثنى عليها الثناء العاطر وخصها بشرح مسهب سماه « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » بل أكد وعلل : « وأما هذه القصيدة اللامية فانما سميت لامية العجم تشبيها بلامية العرب لأنها تضاهيها فى حكمها وأمثالها . ولامية العرب هى التى قالها الشنفرى ، وأولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فانى الى قوم سواكم لأميل

.. وحسبك ان الناس قالوا فى هذه القصيدة انها لامية العجم فى نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها ، واضافة الشىء الى شىء مشهور او أعظم تدل على شرف المضاف ... »[4] .

وقد فتح الصفدى بأقواله هذه أبوابا لا داعى لفتحها ، وقد ظلت مفتوحة مدى قرون[5] . فلقد جرّ شرحه ـ كما سنرى ـ سلسلة من

---

(١) على رضائى ، عود الشباب .. وقريب من هذا ما رواه الحسامى فى مختصره لابن النجار فقال : « وهو صاحب القصيدة الغراء التى اولها : أصالة الرأى ... » و ٣٥ ب .
(٢) ياقوت ١٠ : ٥٩ ـ ٦٠ (الحسين ..) .
(٣) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ (الحسين ..) .
(٤) الصفدى ١ : ١٣ .
(٥) طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) .

الشروح تلخيصا وردا ، محتفظة ــ في الغالب ــ بنسبتها الى العجم ومقارنتها بلامية العرب . ونقل العاملى عن الرياض : « ومن مشهور شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم لأن ناظمها عجمى أصبهانى .. وذلك فى مقابلة لامية العرب .. »(١) وأبدل حنا فاخوري بـ « مقابلة » « تمييزا لها عن » ..(٢)؛ وجر ربط لامية الطغرائى بلامية العرب الاب لويس شيخو ٦ : ٢٠٤ ــ الى أن يضعها فى سلسلة الشعر القديم الذى يقصد به الجاهلى ، فقد جاء الشنفرى بعد عنترة وجاء الطغرائى بعد الشنفرى . بل ان المرحوم الراوى « فرض ان الذى سماها لامية العجم هو الطغرائي نفسه » و « ناقشه الحساب على هذه التسمية » وانطلق فى المناقشة من مقارنتها بلامية العرب فقال : « هل فكر الطغرائى عند معارضته لتلك القصيدة ان يرسم لنا فى قصيدته صوراً صادقة من أخلاق العجم ومطاوى نفسياتهم وكيفية معاشهم فى حواضرهم وأريافهم ؟..»(٣)

أجل ، لقد فتح الصفدى أبوابا ظلت مفتوحة ، وما كان لها أن تبقى كذلك . فلم يسم الطغرائى قصيدته بلامية العجم ، ولم يدر بخلده أن يعارض لامية العرب ، ولم يشهد المقابلة بين « اللاميتين » . والحقيقة ــ ولما أبان المرحوم الراوى (٤) ــ ليس هناك أى مجال للمقابلة بين اللاميتين ، وليس هناك أى داع . انه لمن السخف ان تعقد مقارنة بين قصيدتين لا رابط بينهما ولا يتشابهان في الوزن او ايقاع لام القافية(٥) .

---

(١) العاملى ٢٧ : ٧٩ .
(٢) الفاخورى ، ٧٢٠ .
(٣) الراوى ٥ : ٤ ــ ٥ . وحمل الاعتقاد بفارسية الطغرائى الكنعانى ص ٢٤ الى ان يقول ــ وهو يقابل بين اللاميتين : « امتازت لامية الشنفرى بالصراحة .. اما الطغرائى فهو يوصيك بالحذر والتكتم ... وهذا التباين ليس بغريب فعربى الصحراء غير اعجمى المدينة » .
(٤) الراوى ٥ : ٤ ــ ٥ .
(٥) شرح لامية العرب الزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) فى كتاب خاص سماه : « اعجب العجب فى شرح لامية العرب » طبع عام ١٣٠٠هـ (فى مجموعة منها المقصورة الدريدية) ، وطبع مع شرح آخر لابن زاكور =

لقد آن لباب المقابلة بين « اللاميتين » أن يسد [1] .

(٤)

لماذا تناقلت الالسن اللامية ؟

كان الطغرائى أول من أعجب بها ورواها ، وقد يكون مرد ذلك كونها تصور جانبا من نفسه وتؤرخ حدثا ضخما فى حياته ، ولأنها شامخة فخمة جاءت على صعيد الشعر العربى العالى ، وعلى عموده المستحب المستعذب فى كل العصور دون أن تنسى ذوق عصرها فى المعانى والبيان والبديع .

ورواها عنه المعاصرون

« وتداولتها الرواة » وشرّقت وغرّبت .

ويبدو ان ذيوعها لا يكمن فى دلالتها على شاعرية صاحبها قدر ما تضمنت من « أمثال وحكم » يمكن أن يستشهد بها الانسان فى سرّائه وضرّائه ، وآلامه وآماله ، وتفاؤله وتشاؤمه . فاذا برم ببلد قال « فيم الاقامة فى الزوراء .. » واذا آثر السلامة قال : « حب السلامة يثنى هم صاحبه .. » واذا حث على التنقل : « ان العلى .. » واذا ضاقت به الدنيا :

= المغربى (أحد أعلام المغرب فى القرن الثانى عشر) عام ١٣٢٨ (ط ٣) ، وطبع الشرحان يليهما شرح ابن احمد المالكى سنة ١٣٢٤ (القاهرة – كما يذكر سركيس ص ١٩٦٤) .

ومن المفيد ان نذكر ان للامية العرب شرحين مخطوطين (صورتهما فى المجمع العلمى العراقى) للسويدى (ابى البركات عبدالله بن الحسين بن مرعى) ويقع فى ٦٦ ورقة ؛ وللشاوى (سليمان بن عبدالله) ويقع فى ١٧١ ورقة ، تم سنة ١١٣٨ .

والمهم ان هؤلاء الشراح (الزمخشرى وابن زاكور والسويدى والشاوى) لم يشيروا الى الطغرائى أو لاميته وتمسك الشارحان الاخيران بما روى من ثناء عمر بن الخطاب على لامية العرب واستدلا بذلك على عظمتها . وفى المكتبة العباسية مخطوطة من شرح النقجوانى ، ينظر الخاقانى .

(١) بل ان الدكتور البصير ، ص ٧٤ ، يرى ان لامية العرب منحولة ، وانها تسيء الى سمعة العرب ، وانها شعوبية قد تكون لامية خلف الاحمر نحلها الشنفرى وسماها لامية العرب ، لانها تصف العرب باللصوصية وقتل النساء والاطفال وأكل التراب .

« أعلل النفس •• » واذا برم بساسة عصره : « ما كنت اوثر •• » واذا اشتد يأسه من الانسان : « اعدى عدوك •• » واذا دعا الى القناعة : « فيم اقتحامك •• » •• وهو فى كل حال يجد فى البيت « البلسـم الشـافى » والتجسيد المناسب لما هو فيه ، كما يستشهد المرء بالمثل الشائع ، وكما سارت أبيات المتنبى •

ان هذه الامثـال هى التى عملت عـلى بقـاء القصيدة وتنقلهـا بـين الاجيال[1] ، وعلى عناية الناس وروايتهـا وشرحهـا ومعارضتها ـ وحتى ترجمتهـــا •

ولقد أدركنا جيلا يحفظها ويعتز بها ويرسل أبياتها فى مناسبة وأخرى من مناسبات الحياة : فيم الاقامة •• أعلل النفس •• حب السلامة •• وانما رجل الدنيا ••

ولا شك في أن حفظ اللامية بهذا المعنى ، يدل على أن الناس قدروها بأمور هى خارج طبيعـة العمـل الادبى ، خارج الفن ومـا حفلت به هذه القصيدة من جلال فى التراكيب وفى العواطف ، وفيما عبر به صاحبها عن حالات نفسية عاناها ومتناقضات أثقلت كاهله •

ولم تكن اللامية وحيدة فى هذا الباب ، فان أكثر الشعر العربى الذى تناقلته الاجيال الاخيرة كان بمقيـاس خارجى يتصل بالحكم والامثـال او بالجناس والطباق •• ولقد « خلد » هذا المقياس كثيرا من الشعر الردىء وعفى على كثير من الشعر العالى •

حتى كانت النهضة الحديثة وأعيد النظر فى المقاييس ••

وصحيح ان في اللامية حكما وأمثالا ، ولكننا لا نعجب اليوم بها لمجرد وجود الحكم والامثال ، ولا نعد ذلك سرا فى خلودها • ان خلود اللامية يكمن فى عمق التجربة والعواطف التى عبرت عنها بقدرة وتمكن •

ان هذه العواطف والحالات النفسية التى هى عواطف رجل بعينـــه

---

(١) ذكر القمى ٢ : ٤٠٨ « انها قصيدة فائقة اعتنى بها الفضلاء ويجرى ذكرها فى اندية الادباء » •

عاش في القرن الخامس ـ السادس للهجرة ، انها من القوة بحيث يحس أنفسهم فيها ملايين الناس في مشارق الارض ومغاربها ، فاذا أصابهم الخير وجدوا أنفسهم فيها ، واذا أصابهم الشر وجدوها كذلك . انها تجربة خاصة ، ولكن صاحبها كان من القوة والعنف بحيث اكسب هذه التجربة الشمول والدوام ، وبحيث دل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته في نفسه .

(٥)

اللامية من القصائد القليلة التي لقيت عناية مدهشة لدى الشراح حتى زادت شروحها على العشرة[١] .

(١) شرح أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦[٢].

(٢) شرح صلاح‌الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ . وهو ضخم يقع في جزءين . طبع للمرة الاولى عام ١٢٩٠ ، وللثانية عام ١٣٠٥ وتبلغ صفحات هذه الطبعة ٥٤٤[٣] . وقد ذكره الصفدي في الوافي عندما ترجم للطغرائي وتحدث عن اللامية فقال : « وقد وضعت عليها شرحا في أربع مجلدات »[٤].

(٣) شرح الشيخ كمال‌الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى عام ٧٣٩ . وهو تلخيص لشرح الصفدي . منه مخطوطتان في كمبرج ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ . ذكر فيه الدميري « ان الصفدي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائد الا أظهرها غير انه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة

---

(١) اورد أكثر هذه الشروح حاج خليفة ، باب اللام ، ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧ (= ٥ : ٢٩٢ ـ ٢٩٥ ط.فلوجل) . واشار بروكلمان الى عدد من نسخها المخطوطة .

(٢) منه نسخة غير كاملة في الاسكوريال ، وينظر دربنورك ، ٢٠٤ .

(٣) طبع بعنوان « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » ، ورد اسمه لدى حاج خليفة ، طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) وفي بعض الشروح الاخرى على : « الغيث الذي انسجم ... » . ينظر عن الصفدي ، العسقلاني ٢ : ٨٧ ؛ السبكي ٦ : ٩٤ .

(٤) الوافي ١١ : ٥٩ .

ومن نكتة الى نكتة .. فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه » فلخصه .

(٤) شرح بدرالدين محمد بن أبى بكر (بن عمر) بن محمد بن سليمان المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ . واسم الشرح : « نزول الغيث الذى انسجم على شرح لامية العجم . منه مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ ، ومخطوطة فى ليدن ، رقم ١٠٠٦ تقع فى ١٢٥ ورقة .

جاء فى مقدمته : « .. أما بعد .. فان بعض سكان الاسكندرية ممن يزعم انه من طلبة العلم .. شاهدته يطنب فى شكر الكتاب الذى وضعه صلاح‌الدين خليل الصفدى شرحا على لامية العجم ويرى انه حلو فى الذوق ، خلو من العجم .. فكنت أود لو وقفت على هذا الكتاب لأقضي منه الوطر .. فلما ارتحلت الى الديار المصرية فى أواخر سنة ٧٤٩ وقفت عليه وقوف منتقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الانصاف منكب عن طريق الحيف فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب خطبا جليلا .. فأردت أولا نبذ هذا الكتاب وطرحه .. ثم اردت فى الوقت الحاضر تبكيت ذلك الكاذب .. فكتبت فى هذه الاوراق ما تيسر من الاعتراضات التى عرضت والانتقادات الصحيحة التى آلمت المعاند وأمرضت . وحيث كان ذلك التصنيف موسوما « بغيث الادب الذى انسجم فى شرح لامية العجم » رأيت ان اسمى هذه المناقشات « بنزول الغيث » لانها التى انزلته الى الحضيض وأوقعته من اعتراضاتها في الطويل العريض[1] ..

ويسير فى المناقشات وكلها فى النحو والعروض واللغة والبديع لا تمس اللامية ولا تتصل بها [2] .

(٥) قطر الغيث المسجم في شرح لامية العجم للشيخ عبدالرحمن

---

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن .

(٢) فى هامش ص ١٢١٢ من سركيس : « ... منه نسخة نفيسة فى الخزانة التيمورية وثلاث نسخ .. فى دار الكتب المصرية . وورد على الدمامينى علاءالدين ابن اقبرص .. المتوفى سنة ٨٦٢ فى كتاب سماه تحكيم العقول بأفول البدر بالنزول . » الخاقانى ، منه نسخة فى المكتبة العباسية .

الشافعي .. الطبيب .. مقتديا بالصفدى والدميرى[1] .

جاء في مقدمته : « .. أما بعد .. فانه ما خفى على سراة الادب .. من أن الشيخ الصفدى .. أتى فى شرح لامية العجم بفضلات غير ملائمة لشدة شغفه بالكثرة .. وقد رُسم لى أن اختصر هذا الشرح .. وكان الشيخ قد سمى شرحه « غيث الادب الذى انسجم » ولكن ما انتظم له انسجامه . وقد اسمت مختصرى هذا « ببروق الغيث » وهو البروق التى تومض من سواد السطور في حنادس الظلام ، ولم أورد من غيث الادب الا ما تروى به أذواق من تأدب لئلا يقال ان فى بروق هذا الغيث برقا خلبا . فان علامة العصر القاضى بدرالدين الدمامينى المالكى المخزومى فسح الله فى أجله تقدمنى فى تصنيف كتاب سماه نزول الغيث .. » [2]

منه مخطوطة فى ليدن ، رقم **١٠٣٦** . وقد طبع فى بولاق سنة **١٢٥٠** وانتفع بـه H. Van der Slooot

(٦) شرح علي بن قاسم الطبرى[3] واسمه « حل المبهم فى شرح لامية العجم » .

(٧) شرح أبى جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجى ثم المراكشي ، واسمه « ايضاح المبهم من لامية العجم » . وقد جاء فى مقدمته : « .. وبعد .. فان اللامية .. اشتمل عقدها من نفيس المعانى على درر مكنونة .. بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل ، فمن مقصر مخل ، ومن مطول ممل . فأشار من تتعين عليّ طاعته عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها .. سميته ايضاح المبهم من لامية العجم .. وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الاعظم.. السلطان أبى العباس أحمد بن مولانا الملك الاشرف أبى عبدالله محمد

---

(١) طبع على هامش » نفحات الازهار على نسمات الاسحار فى مدح النبى المختار لعبدالنبى النابلسى » ، فى بولاق ودمشق ١٢٩٩/١٨٨٧ .
(٢) مخطوطة ليدن .
(٣) يذكر حاج خليفة انه توفى فى حدود ٦٨٣ .

الشريف الحسني .. »[1]

منه مخطوطتان في ليدن ٦٥ ، ٧٧٧ . وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » وفي كشف الظنون .

(٨) شرح الشيخ جمال‌الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠[2] مسموما بالهند . وسماه « نشر العلم في شرح لامية العجم » أوله : « الحمد لله الكريم المنان .. » « ذكر فيه انه جرد أكثره من شرح الصفدي واختار محاسن شعره ، واقتصر منه على ما يتعلق بشرح القصيدة وذكر فيه ان الصفدي شرحها فأوعى وأوعب ، وأطنب وأسهب ، وأعجب ، وأغرب ، وأطلق أعنة الاقلام وجر أذيال فضول الكلام ، وأسهل وأوعر وأنجد وأغور ، واستطرد من فنون الى فنون ، واسترسل في شجون من الجد والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للعجز عن التحصيل ، هذا مع ما خرج فيه عن الحد ، وطغى الماء في المد من مستهجنات هزله التي لا تليق بقلمه وفضله بما لا يحل ذكره . بل تخل بالعدالة روايته وسماعه .. »[3]

مخطوطاته في عدة مكتبات . وقد طبع في القاهرة أكثر من مرة .

(٩) بروق الغيث لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ . منه نسخة في ليدن رقم ١٠٣٦ .

(١٠) شرح جلال بن خضر الحنفي ، ألّفه بقسطنطينية في محرم ٩٦٢ . أوله « حمداً لمن هدانا بأوضح تبيان .. سماه نبذ العجم عن لامية العجم . وهو شرح مفيد متوسط ، أكبر من شرح أبي جمعة بقليل »[4] .

منه نسخة في كمبرج ، رقم ١٠٥٧ ونسخة (ناقصة) في المتحف البريطاني رقم ٣١٦٤ . وجاء في مقدمته : « .. التمس مني بعض الفضلاء

---

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن ٧٧٧ .

(٢) وروى ٩٣٩ . قال سركيس ٥٣٢ ــ ٥٣٣ : ولد عام ٨٦٩ بحضرموت ، وسلك السلوك في التصوف ، توفي عام ٩٣٠ وطبع نشر العلم بمط . كاستلي سنة ١٢٣٨ وبالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩ ، ١٣٢٠ .

(٣) حاج خليفة .

(٤) حاج خليفة وقد وردت » أبي جمعة « على » ابن جماعة » في ط . استانبول ، وابن الجماعة في ط . فلوجل .

الفخام والادباء الكرام من أعيان الروم •• أن أشرحها شرحا ليس بالطويل الممل •• ولا بالقصير المخل •• فاعتذرت •• فلما لم تقبل هذه الاعذار •• التمست شرحاً من شروحها لأحذو حذوه •• فسألت عن ذلك جمعاً من الاعيان والاخلاء والاخوان •• فلم يجب أحد عنه •• وكان ربوع هذا العلم قد درست عليه الدارسات •• فاستخرت الله •• وشرعت •• » [١]

(١١) شرح حسين الكفوي • جمعه من الشروح ، كشرح الصفدي وشرح القاضي جلال‌الدين المدني • وذكر اعتراض الدماميني باسمه •

منه مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٢٣٫٥٩٤ وتشير الى أن الشارح كان بمكة •

(١٢) حاشية الشيخ عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباس المتوفى سنة ٩٦٣ على شرح الصفدي [٢] •

(١٣) الأرب من غيث الادب ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ •

(١٤) شرح المناوي •

تحفة الرائي للامية الطغرائي • طبع في القاهرة (بولاق) ١٣١١ •

لقد انتشرت اللامية وشروحها في العالم ، ولا تخلو اليوم مكتبة تعنى بالمخطوطات من شرح أو أكثر من شروحها •

لقد شرحت هذه الكتب اللامية ، وبلغ شرح الصفدي درجة من الضخامة تدعو الى العجب • فماذا فعلوا ؟ انهم يبدأون بتفسير المفردات تفسيرا قاموسيا ثم يعربون أعرابا مدرسيا ثم يلخصون مجمل معنى البيت وقد يستشهدون بأبيات من هذا الشاعر او ذاك لكل مناسبة •

وربما كان العكبري أول من سن هذا المنهج في شرح اللامية • ولقد بالغ الصفدي فيه • ولك أن تسأل ماذا في شرح الصفدي ؟ وكيف تسنى له ذلك ؟ ولو شئنا القسوة ـ أو المداعبة ـ لقلنا : ان في شرح الصفدي للامية

(١) مخطوطة لندن و ٤ أ •
(٢) في طبعة فلوجل لكشف الظنون ... العباسي •

كل شيء الا شرح اللامية • ذلك انه اتخذ القصيدة وسيلة لغاية أبعد ليست من اللامية في شيء ، لقد كان يخرج لمناسبة وغير مناسبة ليحدثك عن المصدر وحروف الجر والخسوف والكسوف والافلاك وما قاله فلان وفلان قبل الطغرائي ، وما قاله فلان وفلان بعد الطغرائي ؟ وقد ضاعت اللامية في هذا الخضم المضطرب •

وقد تنبه القدماء الى مساوىء شرح الصفدي هذا فعملوا الملخصات[1] والفوا شروحا نزهوها من الاستطراد والاطالة • ذلك انك مهما تقل في الحط من شرح الصفدي لا تستطيع ان تدعى انه مما يستغني عنه طالب العلم بمفردات اللامية واعرابها ومعاني أبياتها ، فلابد من تجريدها • ولقد استعنا به ـ كما رأيت في حواشي النص الذي اثبتناه للقصيدة ـ استعانة كبيرة •

على انا لا نعد ـ اليوم ـ شرح الصفدي والشروح الاخرى شروحا بالمعنى الصحيح • انه مقدمة للشرح ، واعانة على الشرح • ان الشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها ومدى اعرابها عن حالته النفسية وصلة المقطع منها بالمقطع والبيت بالبيت •

وانك لتبحث عن هذا فلا تكاد تجد له مكانا في ذلك الخضم من الشروح التي تتحدث وتطيل الحديث دون ان تربط وان تصل • ولو قيض للصفدي الالمام بهذا المنهج الذي نريده لأفادنا كثيرا ، ولحفظ لنا أمورا يصعب علينا ان ندعى العلم بها • عن بغداد عام ٥٠٥ ، عن العطل الذي أصاب الشاعر ، عن الاصدقاء الذين تنكروا ، عن أصبهان ومن بقى فيها من آل الشاعر وذويه ، ولوقف عند « دولة الاوغاد والسّفل » •

انا اذ نشتد مع الصفدي في الحساب نكون قد حاسبناه على ما لا قبل له به ، فهو رهين عصره •

ولقد تلقف اللامية بعده كثيرون ، شرحوها ، واختاروها[2] واستشهدوا

---

(١) يذكر الخاقاني ان في المكتبة العباسية ملخصا للصفدي لخص به « الغيث » في أربعة أيام ..

(٢) وممن اختارها السيوطي في الكنز المدفون ، ١١٢ ـ واحمد اليمني الشرواني احد ادباء القرن الثالث عشر للهجرة في كتابه « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » وطبع مرارا ، ينظر سركيس ١١٢٠ .

بأبياتها[١] وأدخلوها المدارس الحديثة[٢] ولكنها لم تلق حظاً من الدراسة والتحليل ووعد اسماعيل مظهر بدراستها[٣] في ضوء ما سماه « هدوء النفس الثائرة » فلقد قال ان فى شعر الطغرائى « الثورة يخيم عليها هدوء نفسى قلما تأنسه فى شاعر غيره • وعندى ان هذه الصفة لم تتجل فى شـــعر الطغرائى بقدر ما تجلت فى لاميته المعروفة ••• » •

لقد وعد اسماعيل مظهر ان يدرسها فى ضوء جديد ودل وهو يمهد على اعجاب بها وفهم لاسرارها ولـكننا ـ لسوء الحظ ـ لم نقف على جواب لــوعــده •

ولون آخر من العناية التى لقيتها اللامية والتى تدل على اهتمام الناس بها ، واعجاب الادباء **التشطير والتخميس والمعارضة** وما اشبه •

وروى الصفدى : « انشدني لنفسه من لفظه المولى نورالدين علي بن محمد بن فرحون المالـكى اليعمرى المدنى بدمشق المحروسة فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها ، وهذا قصد ظريف • ومما انشدنى قوله :

---

(١) تنظر ـ مثلا ـ جريدة الشرق ، العدد ٩ ، ٥٣ سنة ١٩٢٠ ؛ الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٤٦٩ سنة ١٩٢٤ ...

واتخذ طه حسين البيت : « أزيد بسطة كف ... » موضوع حوار بين التلميذ الفتى واستاذه الشيخ فى « جنة الشوك » (رقي ١٠٦) •

(٢) نصت عليها أو اختارتها واختارت منها أكثر كتب تاريخ الادب التى ألفت فى العصر الحديث ، اتمــاما لمسيرتها وزيادة فى حلقاتها على الزمن ولا غرو فاكثر من الف ، واوائل من الف مخضرمون عاشوا اعقاب العصور القديمة وبدأوا العصر الجديد ومن هؤلاء البارودى (المتوفى سنة ١٣٢٢ ، مخختارات ١ : ٨٧ ـ ٨٨ : الهاشمى (سنة ١٣١٩) ، المرصفى ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٨ (سنة ١٩٠٨) ، زيدان ٣ : ٢٣ (ســنة ١٩٣١ ...) ، الزيات ، ٢٨٢ (ط ، ٦ ، ١٩٣٥) الاثرى (وجماعة) ، الاساس ، للصفوف الرابعة الاعدادية ، ١٤٦ـ١٤٧ (سنة ١٩٥٢) ...

(٣) مظهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ ص ١٠٠٥ ـ ٦ •

أصالة الرأى صانتنى عن الخطـل　　وسرعة الحزم ذادتنى عن المـذل
وحلة العلـم اغنتنى ملابســـها　　وحلية الفضل زانتنى لدى العطـل
مجدى أخـيرا ومجدى اولا شرع　　وسؤددي ذاع فى حل ومرتحـل
وهمتـــي في الغنـــى والفقـــر واحــــدة
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفـل
فيــم الاقامــة بالزوراء لاسكنى　　دان ولا انا فى عيش بها خضـل
وليس لى ارب فيهـــا ولا خولى　　بها ولا ناقتي فيها ولا جملي »[١]

وقال « زعم بعضهم ان بعض الشعراء غيَّر قوافي هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غايـة الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها فى غاية التمكن »[٢] .

وأورد أبياتا فى معرض مدحها والثناء عليها يمكن ان تكون ضربا من المعارضة فى الوزن والقافية :

فما لها فى الورى مثــل يناظرها　　وكم لها سار بين الناس من مثل
اقمارها فى تمام النظم قـد طلعت　　تسير فى أوج معنـاها ولم تفـل
وزهرهـا لم تزل تندى غضارتـه　　لأن منبتـه في روضهـا الخضـل
يرتاح سامعها حتى يهــز لهـــا　　من التعجب عطف الشارب الثمل
فــلا تعــر غيرهـــا ســمعا ولا بصـرا
« فى طلعـة الشمس ما يغنيـك عن زحـل »[٣]

على ان الصفدي ــ وهو المعجب المستهام باللامية ــ عارضها وكان مما قـال [٤] :

---

(١) الصفدى ١ : ١٨ .
(٢) نفسه ١ : ١٣ .
(٣) نفسه ١ : ٣ .
(٤) الشروانى ، نفحة اليمن ، ٤١٥ ؛ الهاشمى ، جواهــر الادب (فرغ من جمعه سنة ١٣١٩) . وليلاحظ ان الصفدى لم يشر فى « الغيث » الى معارضته .

الجَدُّ في الجِد والحرمانُ في الكسل
فانصب تُصب عن قريب غاية الامل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به ... صبر الحسام بكف الدارع البطل
وجانب الحرص والاطماع تحظ بما ... ترجو من العزّ والتأييد في عجل
ولا تكونن على ما فات ذا حَزن ... ولا تظلّ بما اوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم فى كل الامور ولا ... تسرع ببادرة يوما الى رجل
وان بُليت بشخص لا خلاقَ له ... فكن كأنك لم تسمع ولم يقُل
ولا تمار سفيها فى محاورة ... ولا حليما لكى تقصى عن الزلل
ولا يغرّك من يبدي بشاشته ... اليك خَدعا فان السمَّ في العسل
وان اردت نجاحا كل آونة ... فاكتم أمورك عن حافٍ ومنتعل
ان الفتى من بماضي الحزم متصفٌ ... وما تعود نقض القول والعمل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنُها ... حتى يقدّ أديمَ السهل والجبل
ولا يضيِّع ساعات الزمان فلن ... يعود ما فات من أيامه الأُول
ولا يراقب الا من يراقبه ... ولا يصاحب الا كل ذي نُبَل
ولا يعُد عيوباً للورى أبداً ... بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسَناً ... بل التجارب تهديه على مهل
ولا يؤمِّل آمالا بصبح غد ... الا على وجل من وثبة الاجل
ولا يصد عن التقوى بصيرته ... لانها للمعالى اوضح السبل
فمن تكن حلة التقوى ملابسَه ... لم يخش في دهره يوما من العطل
من لم تفده صروف الدهر تجربةً ... فيما يحاول فليسكن مع الهمل
من سالمته الليالي فليثق عجلا ... منها بحرب عدوٍّ جاء بالحيل
من ضيَّع الحزم لم يظفر بحاجته ... ومن رمى بسهام العُجب لم يَنل
من جاد ساد وحيى العالمون له ... بديع حمدٍ بمدح الفعل متصل
من رام نيلَ العلى بالمال يجمعه ... من غير حِلّ بُلى من جهله وبَلى
من لم يصن نفسه ساءت خليقته ... بكل طبع رديء غير منتقل

من جالس الوغد والحمقى جنى ندما لنفسه ورمى بالحادث الجلل

فخذ مقال خبير قد حوى حِكما اذ صُغته بعد طول الخُبر في عملي

والحكم ، والدعوة الى الصبر والحلم والكتمان والحزم وما الى ذلك مما طرب له اذ رآه في لامية الطغرائي •[1]

وروى حاج خليفة : « اللامية فى نظيرة لامية الطغرائي ـ للشيخ غرس الدين خليل بن محمد الاقفهسى (المتوفى سنة ٨٢٠) ، على وزنها ، اولها :

دع التشاغل بالغِزلان والغزل

يكفيك ما ضاع من أيامك الأول[2]

« وخمسها عمادالدين أبو جعفر محمد بن على الربعي البغدادى •• وشهاب الدين أحمد بن عبدالله الاندلسي الواديآشي واجاد • وتوفى سنة ٧٣٩ »[3] •

وفى مخطوطة بالمتحف البريطاني : « هذا شفاء السقم •• فى تخميس لامية العجم »

العلم والعقل للانسان خير حلي فضلي كنار القرى ليلاً على جبل

وعند مكرى سواء غامض وجلي اصالة الرأى صانتني عن الخطل

وحلية الحلم زانتني لدى العطل[4]

وفي احدى مخطوطات المتحف البريطاني نقرأ :

« هذه لامية العرب مبارية لامية العجم :

زيادة القول تحكى النقص فى العمل ومنطق المرء يهديه عن الزلل

---

(١) ولنذكر ان لامية الصفدى كانت سائرة •

(٢) حاج خليفة ١٥٤٠ •

(٣) نفسه ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ •

ومما يذكر ان حاج خليفة يذكر ص ١٥٣٩ : « لامية الروم لمحمد بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحكم الحلبى ، اولها :

حتام انظم من دمعى ومن غزلى أدلة وحبيب القلب معتزلى •

ويتحدث عن لامية فى العروض ولامية فى القراءات ولامية فى الكلام •

(٤) المخطوطة رقم ٧٤٣٣ ، و ٥٣ ب •

ان اللسان صـــغير جرمه ولـــه   جرم عظيم كما قد جاء في المثل ..»
وتستمر فى الحكم والجود والحلم ...[1]

وعارضها السيد أحمد الهاشمي وأثبت معارضته في كتابه « جواهر الادب » ـ الذى فرغ من جمعه سنة١٣١٩ :

عليك بالصبر والاخلاص فى العمل   ولازم الخير في حِلٍّ ومرتحلِ

★ ★ ★

لا تطلب العز فى دارٍ ولدت بها   « فالعز عند رسيم الأينق الذلل »

★ ★ ★

وسادة العصر قـــد ألقوا مقالدهم   الى الطغـــاة شرار الناس والسفل

★ ★ ★

فقـد فقدت الألى كانت ببهجتهـم   نور النواظر فى الاحداق والمقـل

★ ★ ★

خذهـا محبّـرة غيـداء غانيـــة   أتت على عجل كالقابس العجـل
جاءت من « الهاشمى » لاتبتغى مهرا   من خاطب لبنات النظم فى عطل[2]

والقصيدة دليل آخر على ذوق العصـر وعلى مدى ما فهم المعجبون من لامية الطغرائى . وكثيرا ما ضمن الهاشمى اعجاز لامية الطغرائى .

ولا شك في أن هناك معارضات أخرى ؛ وخير معارضة ـ فيما نعلم ـ لامية البارودي[3] :

قلدتُ جيد المعالي حِلية الغـز ل   وقلت في الجدِ ما أغنى عن الهـَزَ لِ
يأبى ليَ الغيّ قلب لا يميلُ بـه   عن شِرعة المجد سحر الاعين النُجل
أهيمُ بالبيض في الأغمـاد باسمةً   عن غُـرّة النصر لا بالبيض في الكِلل

---

(١) من المخطوطة ٧٥٩٨ و ١٨٠ ـ
وينظر الشروانى ، نفحة اليمن (ينسبها لصاحبها) .
(٢) الهاشمى ، جواهر الادب ، باب الحكم .
(٣) ديوان البارودى ٢ : ٢٠٧ ـ . ويذكر الشارح انه قالها على قافية وروي لامية العجم للطغرائى .

لم تُلهني عن طِلاب المجد غانية ... في لذة الصَّحو ما يغني عن الثَّمَل

كم بين منتدِب يدعو لمكرُمةٍ ... وبين معتكفٍ يبكي على طلَل

لولا التفاوتُ بين الخَلْق ماظهرت ... مزيةُ الفرق بين الحَلي والعطَل

فانهض الى صَهوات المجد معتليا ... فالبازُ لم يأوِ الا عالي القُلَل

ودع من الأمر أدناه لا بعدهِ ... في لجُة البحر ما يغني عن الوشل

قد يظفر الفاتك الالوى بحاجته ... ويقعد العجزُ بالهيّابة الوكل(١)

وكن علىحَذَرٍ تسلمْ فرُبَّ فتىً ... ألقى به الأمنُ بين اليأس والوجَل

ولا يغُرَّنْك بشر من أخي ملقٍ ... فرونق الآل لا يشفى من الغلل

لو يعلم المرءُ مافي الناس من دَخنٍ ... لبات من ود ذي القربى على دخَل

فلا تثق بودادٍ قبل معرفةٍ ... فالكُحل أشبه في العينين بالكَحَل

واخشَ النميمة واعلم أن قائلها ... يُصليكَ من حرِّها ناراً بلا شُعَل

كم فِريةٍ صدعت أركان مملكة ... ومزَّقت شمْل ودٍّ غيرِ منفصل

فاقبل وَصاتي ولا تصرِفكَ لاغيةٌ ... عنّي فما كل رامٍ من « بنيثُعل »

اني امرؤٌ كفَّنى حلمى وأدّبني ... كرُّ الجديدين من ماضٍ ومقتبل

فما سريت قناع الحلم عن سفهٍ ... ولا مسحتُ جبين العز من خجل(٢)

حلبت أشطُرَ هذا الدهر تجربة ... وذُقت ما فيه من صاب ومن عسل

فما وجدت على الأيام باقيةً ... أشهى الى النَّفسِ من حُرية العمل

وانك لواجد في هذه اللامية الفخر بالجد والطماح الى المجد وتلمس روح الحكيم المجرب الناصح بالعمل والحذر مع مسحة من الشكوى وشعور بالمرارة ؛ لكن ما يكاد يبلغ الحديث عن زمانه وسيرة حاكميه حتى يعلن ألمه الشديد ، وحزنه العميق على ما آلت اليه حاله وحال البلاد فيمنح أبياته كثيرا من العنف والقوة ، ولا تحس بأنه يعارض أو يقلد ، فكأنه انصرف الى ما هو عليه فأعرب عنه بتأثر وشدة فعل الشاعر الاصيل وكل ما يجمعه بالطغرائي جامع الشكوى والشعور بالضيم ثم الثورة :

قامت به من رجال السوءِ طائفة ... أدهى علىالنفس من بؤس على ثكلِ

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة ، الصعب الخلق .

(٢) سريت : كشفت .

من كل وغد يكاد الدست يدفعه بُغضا ويلفظه الديوان عن ملل

★ ★ ★

قومٌ اذا أبصروني مقبلا وَجَموا غيظا وأكبادُهم تنقد من دَغَل[1]

★ ★ ★

بئس العشير وبئست مصرُ من بلدٍ أضحت مناخا لاهل الزور والخطل

أرض تأثّلَ فيها الظلم وانقذفت صواعق الغدر بين السهل والجبل

وأصبح الناس في عمياءَ مظلمةٍ لم يخطُ فيها امرؤٌ الا على زلل

★ ★ ★

فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا شِكالة الريث فالدنيا مع العجِل

★ ★ ★

هـذى نصيحة من لا يبتغى بدلا بكم وهل بعد قوم المرء من بدل

وفي عنفوان هذا الانسجام وما هو فيه نسي الطغرائي ولاميته فقال :

أسهرت جفني لـكم في نظم قافية ما ان لها في قديم الشعر من مثل ..[2]

وتأثر الغربيون بعناية العرب باللامية فعنوا بها **وترجموها** أكثر من مرة وفى اكثر من لغة وبلاد . فلقد طبعها عام **١٦٢٩** Golius مع ترجمة لاتينية وعنه ترجمها الى الفرنسية P. Vattier عام **١٦٦٠** . وقال كرنكو : لعلها ــ أي اللامية ــ أقدم نص من الشعر العربي كان في متناول دائرة واسعة من أوربا . وأعاد H. Van der Sloot طبعها عام **١٧٦٩** في فرانكر ، ونشرها مع ترجمة لاتينية E. Pocock عام **١٦٦١** في اكسفورد ، وأعاد

---

(١) دغل : حقد .

(٢) ينظر ــ فيما ينظر ــ للمعارضة ديوان الزهاوى ص ٣ ، ٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ واشد مقاطيع هذه اللامية ارتباطا بلامية الطغرائى ص ٤١ ــ ٤٢ :

يكفى لاظهار ما فى النفس من دخل يوم من الحزن أو يوم من الجـذل

وينظر الشبيبى ص ١٤١ .

طبعهـــا J. Hirth عام ١٧٧٠ في Institutiones Arabicae, Jena

و L. G. Pareau في اوترخت عام ١٨٢٤ ٠

وترجمها الى الفرنسية Raux ونشرها في باريس عام ١٩٠٣ ٠

والى الانكليزية J. D. Carlyle في كتابه « نصوص من الشعر العربي »

المطبوع عام ١٧٩٦ باكسفورد ٠ واعاد طبعها W.A. Glaunston في كتـاب

« الشعر العربي » المطبوع عام ١٨٨١ ٠ وترجمها الى الانكليزية عن نص

Pocock اللاتيني L. Chapellow وطبعها في كمبرج عام ١٧٥٨[1] ٠

ولقد اطلعت على عدد من الترجمات (الانكليزية والفرنسية) فلم اجد للمترجمين تعليقات تستحق الذكر ، واكبر الظن انهم اعجبوا لاعجاب العرب بها ، وانهم نظروا اليها بالعقلية نفسها ٠

---

(١) كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغرائي ، المجلـــد الرابع ص ٨٢٧ ٠ واسم كتاب كارلايل : Specimens of Arabic Poetry وكتاب كلوستون : Arabian Poetry ص ١٥٣ ، تنظر ٤٣٣ ٠ وينظـر بروكلمان ١ : ٢٨٦ ـ ٧ ٠

خاتمة

اعتزل الطغرائي الناس مدة بعد اللامية (٥٠٥هـ)، ولكن طماحه أكبر من أن يدعه ساكنا قانعا فعاد الى الطغراء بل هاجر الى الموصل حيث الملك مسعود اخو السلطان السلجوقي (محمود) فاصبح وزيره ثم انضم الى الفئة المحرضة على محاربة السلطان مدفوعا بطماحه لان يكون وزير السلطان، ووزير الوزراء ولكنه لقي حتفه عام ٥١٥ (على أصح الروايات) اذ امر السلطان بقتله بعد ان خافه، وخشيت حاشيته فضله فاتهموه بالالحاد والزندقة وما كان كذلك، فذبح ظلما ومات شهيدا[١] .

والمعجبون بفضله وبشعره غير قليلين، وللمرء ان يسمع أحاديث المؤلفين على مر العصور ابتداء من العماد الاصبهاني ليرى مكانته ومنزلته ؛ ولكن المعجبين باللامية اكثر واعنف، ولقد رأينا اطرافا من ذلك الاعجاب الذي أدى الى الرواية والحفظ والاستشهاد والشرح والمعارضة، وتوالت الشروح واتصل الاعجاب حتى عصرنا الحاضر .

لقد كانت اللامية يوما ما، واذا أردنا التحديد قلنا : أيام عصر عرف بالفترة المظلمة ،احدى سمات المثقف، واحدى القصائد التى احتلت المنزلة العليا وعدت « مهمات المتون » ونزلت منزلة « المعلقات » .

ولعلك تتذكر ان من تلك القصائد : بانت سعاد، وعينية البوصيري وهمزيته، ولامية العرب ... واذا نسيت هذه أو تناسيتها بسبب أو آخر، انك لا تنسى ولا تتعصب للامية تحكمت فى عصرها وسيطرت عليه سيطرة تامة، تلك هى « لامية ابن الوردي » – الامام سراج الدين (المتوفى سنة ٧٤٩) :

اعتزل ذكر الغواني والغزل   وقل الفصل وجانب من هزل..[٢]

---

(١) الطاهر ١ : ٨٧ – ٩٦ .

(٢) ومما يذكر انه جاء على الصفحة ٣٣٨ من المجموع الذى طبعته الجوائب وضم – فيما ضم – ديوان « الشيخ الامام العلامة..ابن الوردى..»: « ومما ينسب اليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد فى ديوانه : اعتزل ... اللامية .. »

واخص ما يتميز به الذوق الذى أخذ بهذه القصائد ، خضوعه لسلطان « الحكم والامثال » وما اليهما من نصائح وتوصيات ومواعظ فى الاخلاق والتقى ؛ اى انه كان يرى الشعر « تعليما » ، ولا يشترط له ان يكون شعرا .

لهذا ، لم يزهنا اعجابه بما سماه « لامية العجم » ، ولم يزهنا المخضرمون الذين ورثوا هذا الاعجاب ؛ كما لم يزهنا اعجاب المستشرقين الذين ترجموا - اذ ترجموا اللامية - قصائد على أكبر حظ من الرداءة الفنية واقل نصيب من الشاعرية . لقد كان اعجابهم - او اهتمامهم - ان شئت - قرينا لاهتمام المخضرمين وامتداداً لذوق الفترة المظلمة - وهذا ما لا يشرف لامية الطغرائى كثيرا .

اننا اليوم عندما نقرأ الطغرائي ونعجب بلاميته قد نكون اصدق نظرة وأدق حكما من اسلافنا ، فلم نعد نؤخذ بمكانة الرجل من الدولة والعلم ولا بما للامية من فخامة اللفظ ووجوه البديع و « الامثال والحكم » فقط ، انما يستهوينا - أول ما يستهوينا عمق التعبير واصالة الشاعرية والاطوار النفسية التى يتقلب بينها الشاعر وهو يعرب عن اشد أزمة وقع فيها فاصابته فى صميم طماحه ، ولقد كان من القوة بحيث اعرب عن الآخرين وهو يعرب عن نفسه . واذا اختلفنا واياه فى هذا المعنى أو ذاك فيكفيه انه استوعب عصره وعكسه مذابا فى كلمه بتمكن و « استاذية » .

واذن ، فقد احتفظت اللامية بتقدير عصرنا الحديث واطاقت مقاييسه ، ونجحت اذ سقطت معاصراتها - وعلى رأسها : « اعتزل ذكر الغواني والغزل » ؛ وبقيت وحدها من تلك « المتون » مما يستطيع ان يدخل المجموعة الجديدة التى يمكن ان نختارها اليوم لمهمات المتون فى الشعر العربى .

لقد اجتازت لامية الطغرائي دور التجربة ، ودلت على انها تحمل من عناصر الفن ما يحفظ لها البقاء طويلا على مر الاجيال واختلاف الاذواق .

المصادر والمراجع

آقا بزرك ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج ٩ ، ق ٢ ، ط ١ ، طهران ، ١٩٥٩ .

ابن حجة ـ بروق الغيث . مخ . ليدن ، رقم ١٠٣٦ .

ابن جماعة ـ التعليقة ، مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣٣٦١ من فهرس دسلان .

ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ، القاهرة ، مطبعة الوطن ، ١٨٩٩ .

ابن الدمياطي ـ ينظر الحسامي ...

ابن زاكور ـ كتاب تفريج الكرب عن قلوب أهل الادب في معرفة لامية العرب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٢٨ .

ابن كثير ـ البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، مط . السعادة ١٩٣٢ .

ابن الوردي ـ ديوان ابن الوردي ، الاستانة ، الجوائب ، ١٣٠٠ (ضمن مجموع اوله : لامية العرب ...) .

أبو الفدا ـ تاريخ ابي الفدا ، استانبول ١٢٨٦/١٨٧٠ .

البارزي ـ مختصر الوفيات . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٢٠٦٠ .

البارودي ـ ديوان البارودي ، مطبعة الجريدة (ضبطه وشرحه محمود الامام المنصوري ـ احد علماء الازهر) .

مختارات البارودي ، القاهرة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩ .

البصير ـ عصر القرآن . بغداد (مط . المعارف) ١٩٤٧ .

البنداري ـ زبدة النصرة ، ليدن ، ١٨٨٩ .

حاج خليفة ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . استانبول ١٣٦٠/١٩٤١ ، لندن (ط . فلوجل) ١٨٥٠ .

الحضرمي ـ نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٩ .

الحسامي ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، مصور في المجمع العلمي العراقي ، ٥٨ـم .

حسن (محمد عبدالغني) ـ معرض الادب والتاريخ . ط.٢، القاهرة ١٩٥٨ .

خضر (عبدالرحمن) ـ جريدة الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٦٦٩ ، بغداد ١٩٢٤ .

الخاقانى (على) - مخطوطات المكتبة العباسية فى البصرة ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الثامن ، بغداد ، ١٩٦١ .

الخوانسارى - روضات الجنات . فارس ١٣٠٤ .

الدماميني - نزول الغيث الذى انسجم على شرح لامية العجم . مخ . دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ . ليدن ، رقم ١٠٠٦ .

الدميرى - شرح لامية العجم . مخ . كمبرج رقم ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ .

الراوى (طه) - لامية العجم ، مجلة الصبح ، بغداد ، العدد ٥ - ٧ ، ١٩٣٦ .

رضائى (على) - عود الشباب (مختصر خريدة القصر للعماد) مخ . فينا رقم ٢٤٦ ، نور عثمانية ، مصورتان فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

الزمخشرى - أعجب العجب فى شرح لامية العرب ، الاستانة (الجوائب) ١٣٠٠ . (ضمن مجموع اوله لامية العرب ..)

الزهاوى - ديوان الزهاوى ، القاهرة ، ١٩٢٤ .

السبكى - طبقات الشافعية ، القاهرة المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ .

السمعانى - مذيل تاريخ السمعانى (مختصر) ، مخ . ليدن ، ٢٦

سركيس - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) القاهرة ١٣٤٦/ ١٩٢٨ .

السويدى (عبدالله) - رشف الضرب من شرح لامية العرب ، مصورة فى المجمع العلمى العراقى ، ١٦٥ - م .

السيوطى - الكنز المدفون ، القاهرة ١٢٨٨ .

الشاوى (سليمان) - شرح لامية العرب ، مصورة فى المجمع العلمى العراقى، ١٦٦ - م .

الشبيبى (محمد رضا) - ديوان الشبيبى ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

الشرق - جريدة اصدرها حسين افنان ، بغداد ، العدد ، ٩ ، ٥٣ ، سنة ١٩٢٠ (الابيات الخالدة) .

الشروانى - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن . كلكتا ١٨١١ .

الشريف الرضى - ديوان الشريف الرضى ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠/١٩٦١ .

شيخو (لويس) - مجانى الادب ، بيروت ١٩٣٠ .

الصفدى - كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٥
- الوافى بالوفيات ، ج ١١ ، مخ . المجمع العلمى العربى بدمشق، رقم ٨٧ .

الصنهاجي – ايضاح المبهم فى شرح لامية العجم · مخ · المتحف البريطانى ٧٧٧ ، دار الـكتب المصرية ١٠١٩ ·

طاشكبرى زادة – مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ١٣٢٨ ·
الطاهر (على) – الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى ج ١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٨ ·

– الشعر العربى ··· ج ٢ ، بغداد ، مطبعة العانى ، ١٩٦١ ·

– مقالة عن « حياة الطغرائى » فى مجلة الاستاذ ، المجلد السادس ، بغداد ١٩٥٨ ·

– مقالة عن « شعر الطغرائى » فى مجلة كلية الآداب ، المجلد الاول ، بغداد ١٩٦٠ ·

الطغرائى – ديوان ، القسطنطينية ، مط · الجوائب ١٣٠٠ ·

– ديوان مخ · المتحف البريطانى رقم ٧٥٥٨ ·
– ديوان مخ · استانبول ، راغب باشا ، رقم ١١٠٧ ·

طه حسين – جنة الشوك ، القاهرة ، ١٩٥٢ ·

العاملى (محسن) – أعيان الشيعة الجزء الـ ٢٧ ، دمشق (مطبعة الاتقان) ١٩٤٨ ·

العسقلانى – الدرر الـكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٩ – ·

العماد (الاصبهانى) – خريدة القصر (فى عود الشباب لعلى رضائى) ·

– نصرة الفترة وعصرة القطرة · مخ · باريس ٢١٤٦ ·

الفاخورى (حنا) – تاريخ الادب العربى ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ ·

القلقشندى – نهـاية الارب فى معرفة انساب العـرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٩ ·

القمى (عباس) – الـكنى والالقاب ، صيدا (مطبعة العرفان) ١٣٥٧ – ٨ ·

الـكفوى – شرح لامية العجم ، مخ · المتحف البريطانى ٥٩٤ ٢٣ ·

الـكنعانى (نعمان) – شعراء الواحدة ، بغداد ، ١٩٤٥ ·

المرصفى (محمد حسن) – أدب اللغة العربية ، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٩٠٨ ·

مظهر (اسماعيل) ـ مجلة الرسالة ، القاهرة ، السنة السادسة ، ١٩٣٨ ، العدد ٥٢٩ باب : تأملات فى الادب والحياة ، الطغرائى الشاعر ٠

الميناوى ـ تحفة الرائى للامية الطغرائى ٠ القاهرة (بولاق) ١٣١١ ٠

الوهابى (خلدون) ـ مراجع تراجم الادباء العرب ، ج ٣ ، النجف ١٩٥٨ ٠

الهاشمى (أحمد) ـ جواهر الادب ٠ القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨ ٠

ياقوت (الحموى) ـ معجم الادباء (ارشاد الاريب) ، القاهرة ، دار المأمون ٠

مراجع بلغات أجنبية

Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed. Leyde 1943; 2 Vol. in 8e

——— Supplementand. heyde 1937, 3 Vol.

Chapellow — The Traveler ... (Togroi). Cambridge, Mdcclviii

Derenbourg — Les Man uscrits Brabes de L'Escurial, Paris, 1884

Glouston (W.A.) — Arabian Poetry, Glasgow 1881.

Huart — Littérature Arabe, paris, 1902.

Krenkow — Encyclopdia of Islam, ar. Tograi

Raux (A) — La Lamiyyat al-Adjam d'et-Togü Paris, 1903.

آكيتو

أو

اعياد رأس السنة البابلية (١)

وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت

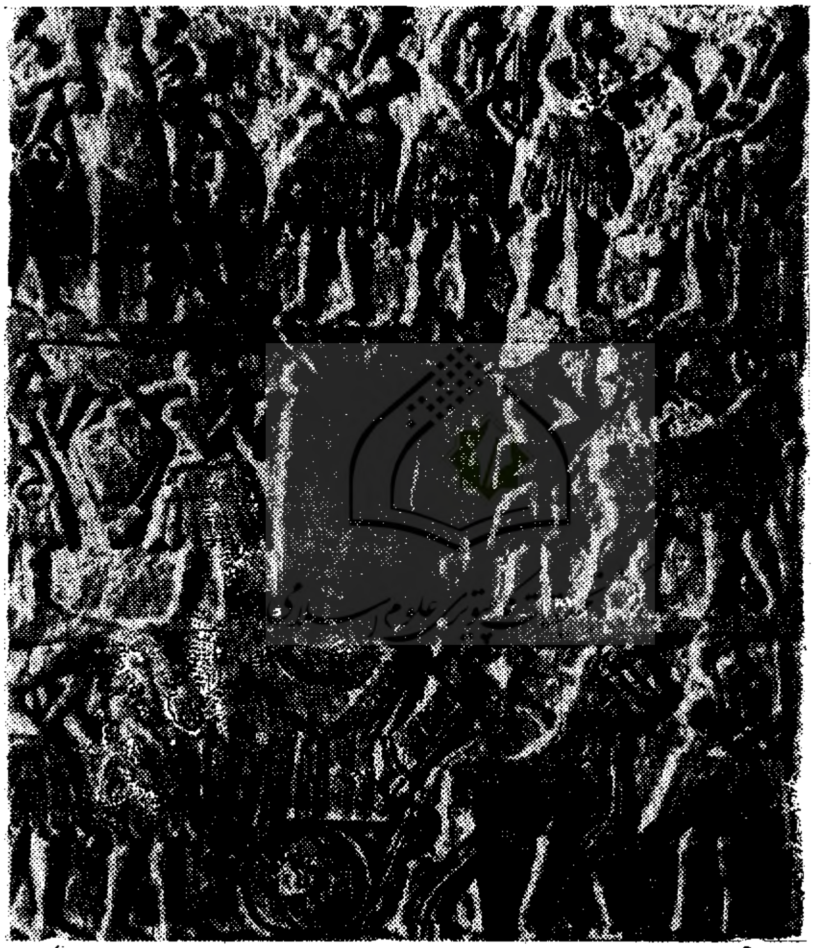
الدكتور محمود حسين الامين

كانت أعيـاد رأس السنة من أهم الاعياد فى بلاد وادى الرافدين واكثرها قدسية • والظاهر انها ترجع الى بداية عصر انتاج القوت ونشوء القرية في بلاد الرافدين حوالى سنة ٧٠٠٠ ق٠م٠ وكانت أعياد رأس السنة أعيادا عامة يحتفل بها جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم الاجتماعية وعلى رأسهم الملك • وكان احتفالهم بها مشاركة الارض فى أفراحها حين تتزين في بداية كل سنة ـ وهي الربيع ، وتلبس حلة قشيبة وتحتفل معها سائر المخلوقات • والاحتفال بأعياد رأس السنة ، معناه الاحتفال بخلق الارض ومولد النظام وحلول الاستقرار والخير والبركة والسعادة كما يتضح ذلك

(١) ليس للتسمية صفة زمنية أو قومية ونقصد بها بلاد بابل فقط أى سكان جنوب بلاد وادى الرافدين وهم السومريون والاكديون والبابليون٠ وكان وجود تمثال اله البلاد الرئيس شرطا أساسيا لاقامة احتفالات اعياد رأس السنة ، كذلك يشترط حضور الملك وهدوء الاحوال في البلاد ٠ وكثيرا ما كانت تعطل هذه الاحتفالات فلا تقام حين يغزو البلاد عدو وينهب تمثال الاله ٠ فقد حدث ان تعطلت هذه الاحتفالات مدة مائة سنة فى بابل ، فى أعقاب الغزو الذى شـنه عيهـا الملك الآشورى توكلتى نن اورتا الاول (١٢٤٣ ـ ١٢٠٧ ق٠م٠) واخذه تمثال الاله مردوك الى آشور وبقائه هناك أسيرا مدة قرن من الزمن ٠ كذلك لا تقام هذه الاحتفالات اذا حدثت فى البلاد ثورة أو حرب أهلية كالحرب الاهلية التى وقعت بين الاخوين آشور بانيبال وشماش شموكين واستمرت من سنة ٦٥٠ ـ ٦٤٦ ق٠م٠ ٠

من قصة الخليقة البابلية • وكانت الاحتفالات بهذه الاعياد تقام فى معابد المدن ويشترك الملك فى الاحتفالات التى تقام فى معبد الاله الرئيس أو اله المدينة الرئيس • وقد سجلت احتفالات الملك بهذه الاعياد على الواح الحجر والاختام الاسطوانية كما وصفت بالكتابة المسمارية على الطين •

وقد تأثرت أقوام أخرى بهذه الاعياد البابلية كالقبائل الهندية ـ الايرانية فاتخذته عيدا مقدسا واعتقدت به الزرادشتية فأسمته بعيد النوروز • وكانت



لوحة من الرخام من المعبد البيضوى فى خفاجى معروضة فى المتحف العراقى، تمثل الزواج المقدس والاحتفال بأعياد رأس السنة • من المحتمل انها تعود الى عصر جمدة نصر • الزاوية اليسرى فى أسفل المنحوتة كسرة مكملة وجدت فى أور •

احتفالات الملك الساساني بهذه الاعياد تشبه بعض ما كان يقوم به ملوك وادي الرافدين القدامى من طقوس ومراسيم دينية ، كذلك فانه دين مقدس عند اليزيدية وتقويمه ، التقويم البابلي نفسه •

والواقع ان أعياد رأس السنة البابلية نتيجة لتأملات انســـان وادى الرافدين القديم ونظرته الى واقع الحياة من حوله ثم انها حصيلة جولات الفكر وصراعه فى مجالات السببية والبحث عن الحلول لـكل ما كان يصطدم به من واقع مصدره الطبيعة التى عاش فيها •

ذلك الواقع الذى كان له اثر مباشر عليـــه وعلى حوادثه اليومية ، الواقع الذى صعب عليه اقتحامه وصعب عليه كذلك الانهزام امامه طوعا ان لم يجد له حلا منطقيا وتعليلا عمليا مقنعا •

لقد سار انسان الرافدين القديم فى تأملاته الفكرية ودراسته لواقع الحياة آلاف السنين كان فيها ممحصا لاحداث الحياة ومظاهر الطبيعية ومعللا لما كانت تضفي عليه من خير أو شر ثم بدأ يقتحم العقبة ويجتاز التجربة حتى أدرك بان الواقع الذى من حوله ، يفسر له كل غمـــوض محير بالنسبة لمداركه العقلية واحساساته وملاحظاته العملية • وأصبح حدوث الليل والنهار فى مفهومه ليس نتيجة لدوران الارض حول محورها من الغرب الى الشرق كما نفهمه نحن فهما مبينا على العلم الحديث للجغرافية والفلك والحساب ، بل نتيجة لسير الاله الشمس ماخراً عُباب المحيط الـكونى من الشرق الى الغرب حيث ينزل وقت المغيب الى العالم السفلى (عالم الاموات) عندما يبعث بأشعته الشاحبـة التى تشبه بلونهـا لون الانسان حال الوفاة ـ أي لـون الموت • ثم يخرج فى صباح اليوم الثانى من العالم السفلى ـ من بوابة بين دفتي جبلين ليبدأ رحلته مرة أخرى فى المحيط الـكونى •

وهكذا فان النهار في مفهوم قدماء سكان الرافدين : الحياة ، والليل : الوفاة أو السبات الموقت • ففي صبيحة كل يوم تعود الحياة الى المخلوقات ثم يأتيهم

الموت الموقت[1] عند المغيب حينما يأوي كل مخلوق الى فراشه ليسبت في الظلام المخيف وهكذا دواليك كالدولاب وصباح مساء أو يقظة ونوم أو موت موقت أو بعث موقت • كذلك لم يفسر قدماء سكان الوادي حدوث الفصول الاربعة بحسب تفسيرنا العلمي الحديث المعروف ، بل انما فسروا ذلك بحسب علاقة الحياة بالارض وعلاقة الانسان بها بضمنها الولادة أو البعث والممات • فكما ان الانسان ومعه كل المخلوقات يمر بأدوار حياة أربعة وهي الولادة أو النشأة الاولى وبضمنها الطفولة ثم الشباب والكهولة والشيخوخة • كذلك فان الارض تمر كل سنة في أدوار أربعة • فهي تبعث في يوم معين ثم تنتقل في مراحل عمرها السنوي وهي المراحل المكونة من أربعة أدوار أو فصول • انها تموت في فصل الشتاء وتحيا من جديد أو تبعث من جديد في بداية الربيع وتسير في دورة عمرها السنوي هكذا كالدولاب • بعث وفناء • ثم بعث وفناء وو ••• الخ • وكذلك الحال مع الانسان فنحن نحيا باولادنا



ختم اسطواني يمثل الاله شماش يخرج من بين دفتي جبلين

(١) « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » سورة الزمر الآية ٤٢ •

أي نبعث الى الحياة بنسلنا ونسل أخوتنا وأبناء عمومتنا كالشجرة التى تحيا وتبعث ببذورها • فحياتنا اذن فى مفهوم واقع انسان وادى الرافدين القديم الذي هو واقع طبيعته وأرضه التى يعيش عليها عملية دورية مستمرة كالدولاب حياة وممات ثم بعث وممات ••• وو •••

هكذا كانت نظرة الانسان الى الحياة من حوله فاعطى بهذا التعليل الفلسفى مفاهيم جديدة للمشكلات التى كانت تشغله بارهاق وتستنفد طاقته الفكرية وقد كانت أهم هذه المشكلات التى أحدثت فيه أزمة نفسية وقلقا فكريا بمرور العصور، مشكلة الخلود والحياةالازلية• على ان المعتقدات السومرية ومن بعدها وريثتها المعتقدات البابلية ،كانت عاملا مهماً في تغلب انسان الرافدين القديم على هذه الازمة فمنحته الامل البعيد ، امل الخلود فى الحياة الثانية وأمل البعث بعد الموت ودللت على ذلك بتجدد الحياة فى الارض فى بداية كل ربيع حتى لا ييأس من هذه الحياة الدنيا فيملها ويكرهها فلا يتفاعل معها لأن في ذلك فناءه وفي عدمه خلوده وقد كان هذا هو الباعث الحقيقي لقيام الحضارات وازدهارها منذ فجر التاريخ وكان أيضا القاعدة التى قامت عليها الحضارات الاسلامية فيما بعد • وقد أكد القرآن الكريم في عدد كثير من الآيات على ضرورة تفاعل الانسان مع الحياة الدنيا لغرض ازدهار الحضارة وتقدمها ونبه اليه الرسول الاعظم (ص) بقوله « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » • ولم تكتف المعتقدات السومرية بالدليل المادى ذاك لمحو هذا القلق الذي يساور مخيلة الانسان بسبب الفناء المخيف بل ثمنت فيه منجزاته الروحية والعقلية والمادية ومدى استغلاله لطاقاتها من أجل خدمة الانسانية لكي تُحلّ الاستقرار فى نفسه كضرورة أساسية في مواصلة التفاعل الحضاري واستمراره لتحقيق سعادته الدنيوية • ثم ربطت بين حياته الدنيوية فى العالم الثاني فافهمته بان الحياة فى هذه الدنيا قصيرة الامد وانها بالرغم من تمسك الانسان بها فانها حياة فانية لان صلة الانسان بها ، صلة مادية شأنه في ذلك شأن كل المخلوقات من حوله ، وان هناك حياة مخلدة فيها أجر وثواب وحساب وعقاب وان هذه الحياة

المخلدة هى الحياة الثانية التى تبدأ عندما ينتقل الانسان من هذا العالم الى العالم السفلي • وأوضحت له هذه المعتقدات السومرية بصراحة ، بان المصير عدم طالما خلقت الحيـاة من عدم وان الخلود في الدنيا للآلهة فقط ولمن تصطفيه من البشر الصالحين الذين يقومون بأعمال خارقة ترضى عنها مثل اوتناپشتم (نوح) وزوجتـه[1] لأنه أنقذ نسل البشر من الطوفان ـ من الفناء • ولـكننا لن نراهم بعد ان يرحلوا عنا ، فهم كالآلهة يروننا ويسمعوننا ويستجيبوا لدعواتنا ان كانوا راضين عنا • ولـكن ما هي الاعمال الخارقة التي تجعل الانسان مخلدا فى الحياة الدنيا ؟ ان التاريخ القديم لا يذكر لنا الا شخصية واحدة من هذا القبيل وهو اوتنابشتم • فالملك گلـگامش ، الملك الخامس من ملوك سلالة الوركاء الاولى ٢٦٥٠ ق•م• ؟ بالرغم من أنـه كان ملـكا عظيما اشتهر بالبطولة والعمران والاصلاحات الا انه لم يحصل على الخلود • فعندما كان في طريقه الى جده اوتنابشتم ليحصل بشفاعتـه على الخلود ، التقى بسيدوري Siduri ، ساقية الجعة وقالت له بانه يحاول عبثا نيل الخلود وعليه ان يقنع بالمصير الذي عينته الآلهة عندما خلقت البشر وهو الموت •

ودار الحـديث بينهمـــا حسبما ورد في الملحمة البـابليـة المشهورة (النسخة البابلية) التى تعرف بملحمة گلـگامش •

گلـگامش يخاطب سيدوري

ان الذى تجشم معي كل الصعاب
انكيدو الذي احبه بافراط
الذي تجشم معي كل الصعاب

---

(١) زوجة نوح مذمومة فى القرآن كامرأة لوط : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين • » سورة التحريم ، الآية ١٠ •

ذهب الآن الى نهاية كل بشر
لقد بكيت عليه ليل نهار
لا اريد ان أقوم بدفنه
لعل صاحبي ينهض لرثائي
(سأبكي) عليه سبعة أيام وسبع ليالٍ
حتى تسقط الدودة من انفه
فمذ رحل لا اعرف الحياة
وهمت على وجهي في البراري كالصياد
يا ساقية الجعة والآن لقد رأيت وجهك
لا تدعيني أرى الموت الذي أرهبه دوما

سيدوري تخاطب گلگامش

قالت له ساقية الجعة ، قالت لـگلگامش
گلگامش ، اينما تذهب
فلما خلقت الآلهة البشر
وضعت الموت للبشر
واحتفظت في يدها بالحياة
فاملأ بطنك يا گلگامش
وافرح ليل نهار
وأقم الافراح في كل يوم
وارقص والْهُ ليل نهار
واجعل ثيابك جديدة
وأغسل رأسك واستحم بالماء
وارع الصغير الذي يتعلق بيدك
وأسعد زوجك فى حضنك
اذ طالما كانت هذه مهمة البشر

ومنح الخلود النصفي للملك تموز ، الملك الرابع من سلالة الوركاء الاولى في نهاية العصر الثاني من فجر السلالات ٢٧٠٠ ق٠م٠ ؟ في جنوبي بلاد وادي الرافدين ٠ وقد منح الملك الخلود النصفي بفضل هيام الالهة انـــا Inanna (عشتار)[١] الهة مدينة الوركاء به وعشقها اياه ٠ وقصة نزولها الى العالم السفلي لانقاذ عشيقها تموز تعد من أروع نماذج الادب السومري[٢] وفيها تصوير دقيق لفكرة البعث بعد الموت ٠ ولـكنه بالرغم من شفاعة الالهة انا له وانقاذه من الفناء وموافقة مجمع الآلهة على هـــذه الشفاعة التي جاءت من جانب الالهة انا فانه لم يمنح الخلود التـــام حتى لا يصبح الها ولـكنهم قرنوا مصيره بمصير الارض أي انه يحيا معها كل سنة ويموت بموتها كل سنة ٠ فهو يبعث في أول الربيع ويموت في آخر الصيف (٢٨ آب ؟) فينزل الى العالم السفلي ويبقى فيه فصلي الخريف والشتاء ٠ وقد رمزت اليه المعتقدات السومرية بالخضرة والماشية ولا سيما بالغنم الذي يولد في الربيع وبالاشجار المورقة والمزهرة وبالسنابل ولذلك فانه اله الخضرة لان الخضرة من خصائص بداية الربيع ، اذ يظهر فيهـا العشب وتخضر الاشجار وتتفتح الاوراد وتكتسى فيها الارض حلة قشيبة محتفلة بتجددها وبعثها الى الحياة الاخرى ٠ كذلك عُدَّ تموز اله الخير والبركة لان الخيرات من خصائص الربيع وبالنظر الى تولد الماشية في هذا الفصل فقد اعتبر راعيها والهها ٠

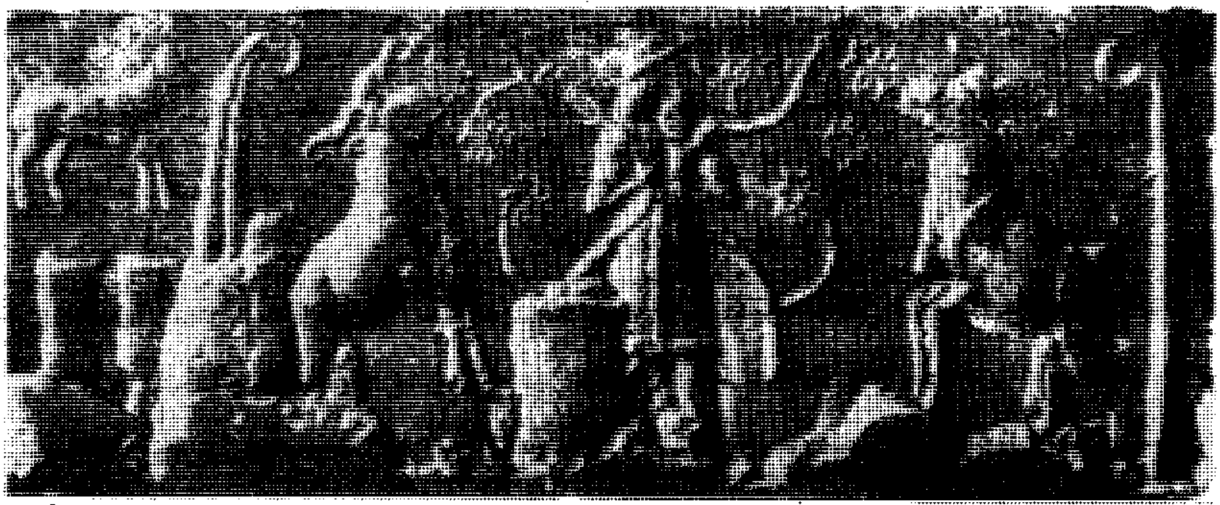
ونستدل من الاثار التي وجدت داخل القبور من الدور الحجـري الحديث ، سواء من القبور التي وجدت منفردة كما في تل حسونة والعقير او التي وجدت متجمعة كما في مقبرة أريدو ، ان الانسان اعتقد بالحياة الثانية وبالبعث بعد الموت منذ بداية نشوء القرية ومزاولته حياة انتاج القوت

---

(١) كوكب الصباح وهو في العربية الزهرة وفي اليونانية افروديت وفي الرومانية فينوس وفي الهندية والفارسية ناهيد ٠

(٢) راجع كتاب

Kramer, Sumerian Mythology, Inanna's Descent To The Nether World, p. 83-96.



تموز الراعي

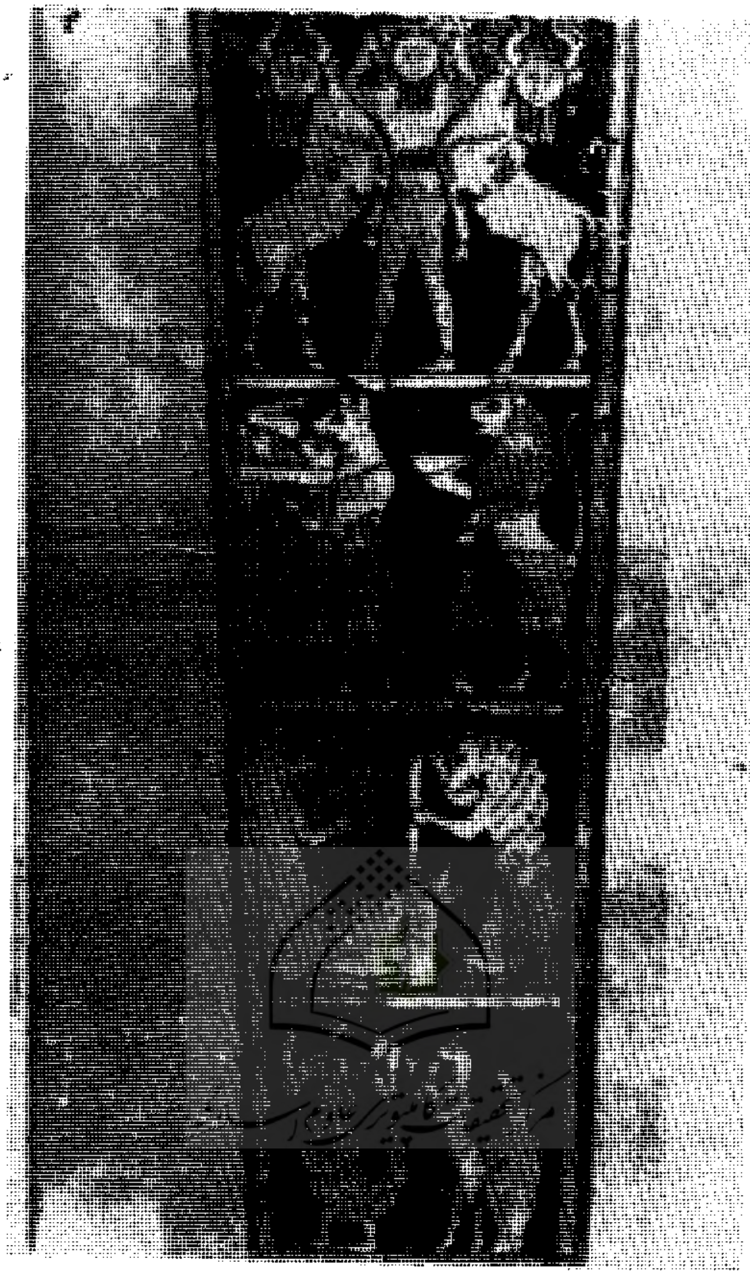
ختم اسطواني من المرمر طوله ٥ر٤ سم وعرضه ٥ر٤ سم من متحف برلين ، من عصر جمدة نصر (٢٧٠٠ ق٠م٠) يمثل الاله البشرى تموز يلبس فى رأسه العمامة ويمسك بيده غصنى الشجرة المقدسة ـ شجرة الحياة التى تحمل أزهارا مثمنة الشكل يطعم فيها الكبشين اللذين يتوسطهما وظهر خلفهما رمز الالهة اننا (عشتار) ٠

وذلك حتى يكون بمقربة من موتاه ليقدم لهم الطعام بشكل التقدمات والقرابين ويمدهم بالكساء بما يتصدق به على الفقراء ٠ وقد وجدنا فى العناية بالدفن وبالقبور ودفن الاواني والاطعمة والحلى والاسلحة مع الموتى ما يدل على اعتقاد سكان بلاد وادى الرافدين والشعوب المجاورة لهم بالبعث بعد الموت ٠ وفى مقابر اور للسلالة الملكية الاولى (٢٥٠٠ ق٠م٠) مثل واضح على تبلور هذه العقيدة عمليا عند السومريين ٠ فالملك أو الامير مش ـ كلام ـ دوك والاميرة أو الملكة شوباد دفنا مع جواريهم وحاشيتهم ومركباتهم والثيران التى تجرها وبكل ما كان يملكانه من حلى ومجوهرات واثاث وأواني المائدة والاسلحة من الذهب والفضة ونماذج القوارب ورموز تموز ولا سيما المعز الجبلى والشجرة الموردة وهذا يدل على عقيدة البعث بعد الموت ٠ وما مصاحبة ال ٧٦ شخصا بينهم عدد من النساء ، لهذين الملكين ليرافقوهما الى العالم الثانى الا دليل آخر على هذه العقيدة ٠ وسواء أكان

دفن هذا العدد الكثير من الناس قد حدث كرها أم طوعا ، فانه يظهر لنا شدة تمسك السومريين بعقيدة البعث وعودة الحياة وتجددها • ونجد ما يقابل عقيدة تموز في معتقدات سكان بلاد وادي النيل القدامى في عقيـدة الاله اوزيرس الذي كان يقتسم حكم الدلتا مع اخيه الشرير الاله سيتا ثم قتله سيتا فاصبح الحاكم المطلق لمنطقة الدلتا وبعد ذلك تقدم اوزيرس امام مجلس الالهة لمحاكمته وعندما اثبت لهم بانه قتل ظلما عينوه قاضي الاموات وأصبح ملك العـالم السـفلي ، يعيش على وجه الارض تارة وفي داخل الارض تارة أخرى واسندت اليه الخصائص التي اسندها قدماء سكان وادي الرافدين الى تموز • وتتضح عقيدة البعث بعد الموت والحياة الثانية بصورة أوضح في مدافن قدمـاء المصريين واهـرام ملوكهم وقبور كهنتهـم واغنيائهم وموميااتهم • فقد نقلوا الى هذه القبور كل متاع الدنيا أي كل ما كـان يحتاجه الانسان من ملبس ومأكل ومشرب واثاث واسلحة ووسائط نقل عندما كان في قيد الحياة • وزينوا جدران هذه القبور التي هي في الواقع بيوت تتكون من ردهة وسطية وغرف جانبية ، بعروض دينية وبحياة اللهو والطرب والصيد والحرب ، بحسب الحياة التي كان أصحابها يحيونها في الحياة الدنيا • حتى اذا ما بعثوا الى الحيـاة من جديد بعثوا بالحيـاة نفسها التي كانوا عليها في الحياة الدنيا •

وبالنظر الى ان الفرعون ، هو الاله البشري الذي يحكم البشر نيابة عن والده الاله رع (الاله الشمس) وبامر منه فانه لا يموت بل انه ينتقل من الحياة الدنيا عندما تنتهي مهمته فيها ، الى الحياة الثانية ويبقى في مدفنه الهرم أو القبر (المصطبة) ينتظر الحياة الثانية وحنط جسده ، وهو المومياء لانه اله لا يفنى •

وقد تأثرت الشعوب الواقعة بين الواديين ـ وادي الرافدين ووادي النيل بعقيدة البعث بعد الموت وبفكرة الخلود في الاله البشري تموز والتجدد المستمر للحياة وبرزت هذه المعتقدات في الاديان السماوية بوضوح وفي التقاليد والاساطير الدينية فأكدت الديانة اليهودية على الحياة الثانية في اسفار



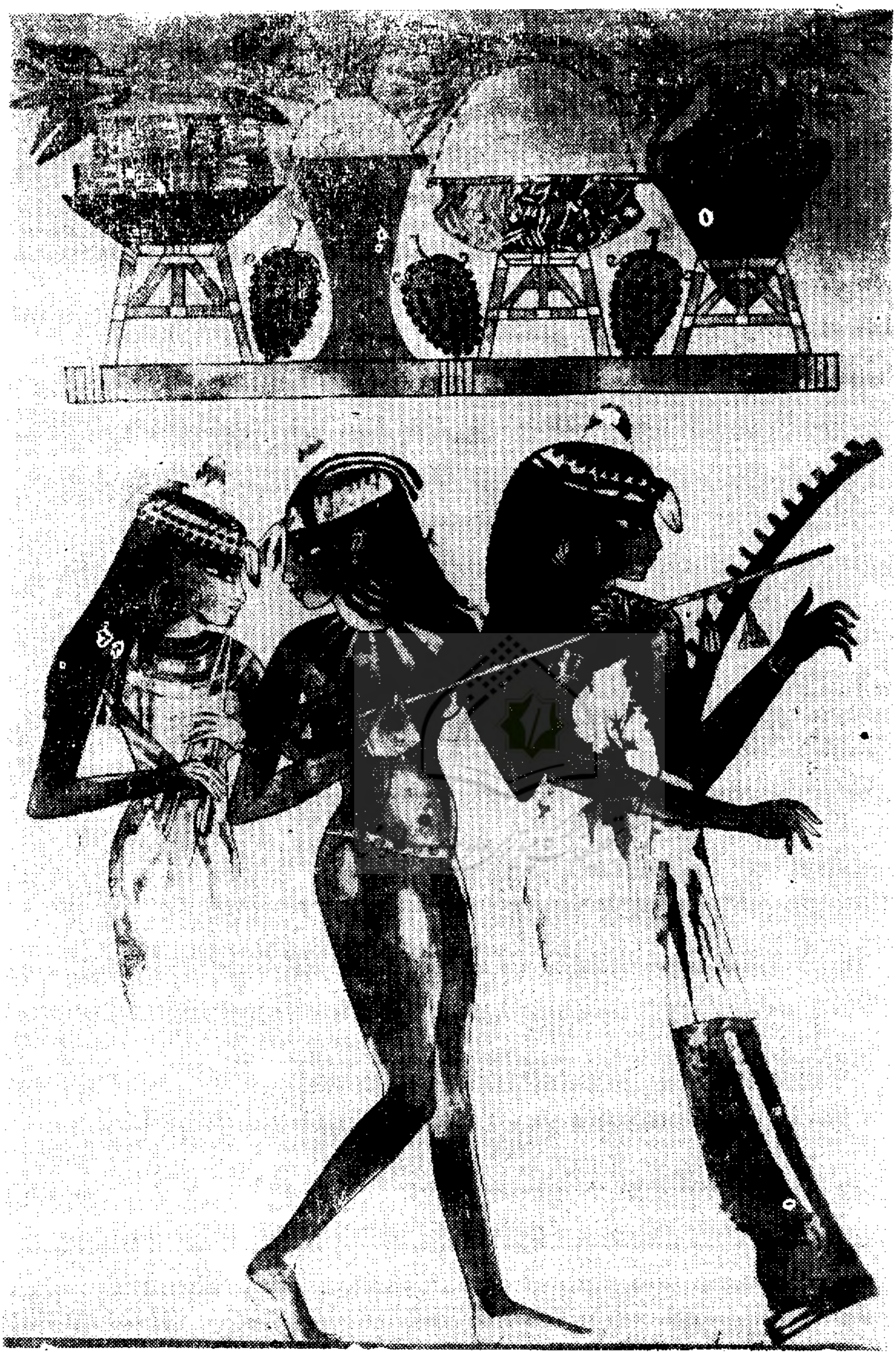
واجهة قيثارة من المقبرة الملكية فى اور تمثل أشكالا من الصدف المطعم فى الخشب • يشاهد فى الحقل الاعلى الاله البشرى تموز مع الثورين البشريين وتظهر فى الحقول الثلاثة مشاهد للحيوانات تقوم باعداد الطعام والشراب (الجعة) ،تتوسطها جوقة موسيقى من الحيوانات • ان هذا المشهد جانب من الاحتفالات بأعياد رأس السنة التى لها علاقة وثيقة بعقيدة البعث وخروج الاله البشرى تموز من العالم السفلى فى اليوم الاول من نيسان من كل سنة •

متأخرة وشاطرتها في التأكيد الديانة النصرانية واعتبر الاسلام الايمان باليوم الآخر ركنا من أركان الاسلام لانه يوم الحساب (الثواب والعقاب) ولانه الحياة الخالدة • ونظر الاسلام الى الحياة الدنيا انها حياة تجربة واختبار بالنسبة للانسان بما فيها من خير وشر وعدها مرآة تعكس اعماله يوم القيامة ولذلك فان الموت هو نهاية الحياة الدنيا • ولم يكترث بالجسد لانه مادة فانية وعنى بالروح لانها خالدة • واكد القرآن الكريم على تجدد الحياة والبعث بعد الموت في عدد كثير من الآيات وشبهه بصورة الارض وقت الربيع وهي الصورة التي تمسك بها سكان وادي الرافدين فقال :

« يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا • وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج • ذلك بان الله هو الحق وانه يحي الموتى وانه على كل شيء قدير • وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور • » سورة الحج الآية : ٥

وشجب الاسلام خلود الاشخاص ولاسيما حين نزلت الآية على الرسول (ص) ـ «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم الخالدون»، الانبياء الآية ٣٤• ولكنه اعتبر الصديقين والانبياء والشهداء خالدين ـ بالطبع خلودا معنويا ـ في قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » • « سورة البقرة ١٥٤ » •

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين » • سورة آل عمران ، الآيات ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ •



من قبر النبيــل نخت ساقى الملك ونديمــه (أمينوفيس الثالث ١٤١١ ـ

١٣٧٥ ق٠م٠) وهذه الصورة هي احدى الصور الملونة التى تزين جدران القبر المنحوت فى الجرف الصخرى المطل على مدينة طيبة فى مصر العليا ، تمثل ثلاث فتيات جميلات تتوسطهن راقصة عارية تحمل عـودا وتوازن النغم مع زميلتها عازفة الناى والمزدوج وأخذت الفتاة الثالثة تحرك اناملها على أوتار القيثارة ٠ ان هذه الصورة والصور الاخرى التى تزين جدران قبر هذا النبيل بجوانب من حياته اليومية تعد من ارفع ما بلغه فن الرسم الملون من الدقة فى تصوير الحياة الواقعية فى بلاد وادى النيل فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ٠ وان الناظر الى هذه الصور تتملكه الدهشة لما فيها من روعة التصوير والحركة بالاضافة الى ألوانها الزاهية فكان الفنان قد فرغ منها الساعة ٠

ولـكننا بالرغم من شجب الاسلام خلود الاشخاص فاننا نجد الخلود الذى اتصف به تموز اله الخضرة أو الخضار ينتقل فى العصور الاسلامية الى المعتقدات الاسلامية التى ليست من جوهـر الدين وذلك فى شخصية الخَضِـر الذى يعتبرونه نبياً الامر الذى حدا ببعض المفسرين أن يقولوا بانه المقصود فى الآية الـكريمة ٠

« فوجدا عبدا مـن عبادنا آتيناه رحمة مـن عندنا وعلمناه مـن لدنّا علما » ٠ سورة الكهف ٦٦ ٠

ويحتفل الناس به فى أوائل الربيع بعمل الحلوى وتطويف الشموع فى النهر وله مقامات كثيرة وعلى ما يبدو انها مقتصرة على العراق ومنطقة شمالى الجزيرة العربية فقط وهذا مما يشير الى استمرار الاعتقاد بالاله البشرى تموز ٠ كذلك نجد هذه العقيدة تبقى حية فى أنحاء من العراق فى شخصية المهدى المنتظر وفى شخصية يحي عند الصابئة غير ان عقيـدة الاله البشرى تموز وعقيدة الفرعون الاله البشرى ابن الاله رع (آمون) ، برزت بوضوح فى النصـرانية فى شخصية عيسى الحي ، الذى ارتفع الى السماء ليبقى حيا خالدا وقـد شجب الاسلام ادعاء قتله وصلبه ٠ واعتبرته

النصرانية الها بشريا كالفرعون وكملوك البطالسة واباطرة الرومان[1] لان معظم الذين آمنوا به ولا سيما حواريوه كانوا من الوثنيين ولم يكونوا من اليهود [2] . كانوا على دين بلاطس الحاكم الرومانى على فلسطين ، الذى كان يؤمن بان الامبراطور الرومانى اله بشرى جالس على العرش ، يموت عندما تنتهى مهمته في الحياة الدنيا ثم يصعد الى السماء ليكون فى مصاف الالهة . ولذلك فان اتباع عيسى تقبلوا موته ـ الدنيوى ـ كأمر لا يحتاج الى تعليل أو مناقشة وشكوك . على ان الصلة بين سكان فلسطين وسكان وادى النيل كانت قائمة منذ أقدم الازمان التاريخية ، في النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية وكانت هذه الصلة الوثيقة لا تخلو من مؤثرات دينية يسهل معها الايمان برجل يأتى بالمعجزات ، كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ... الخ كعيسى ، ان يكون فى اعتقادهم ابن الاله ، مثل ما يعتقد قدماء المصريين بالفرعون (ابن الاله رع) وبمثل ما يعتقد معاصروهم من الرومان والبطالسة . هذا مع العلم ان القرآن الكريم ذكر بأن اليهود اعتقدوا العُزير انه ابن الله ، فلا غرابة اذن ان يدعى أتباع عيسى بانه ابن الله ولكن هل كان مفهوم الله عندهم كما في مفهوم الدين الاسلامي ؟ ومن الجدير ذكره أن النصرانية كونت للمسيح صلة مع الشمس مثل ما كانت للفرعون مع الاله الشمس آمون او رع ، فرسمت خلف رأسه هالة من نور الشمس تارة وقرص الشمس تارة اخرى .

أيام الاعياد

كانت مدتها اثنى عشر يوما بعدد أشهر السنة وتبدأ فى اليوم الاول

---

(١) يلاحظ أن اليهود الناقمين وضعوا على رأس عيسى تاجا من الشوك ساخرين من دعوى ملكيته فيما زعموا .

(٢) لا ينبغى بالنظر الى ما عرف من سيرة اليهود فى تاريخهم الطويل ، أن يشك شاك فى أن للشطار اليهود اصبعا فى تأسيس النصرانية ملائمين بين ماعندهم وما عند اليونان والرومان متخذين من التوراة سندا .

من شهر نيسان وتنتهي في الثاني عشر منه [١] • ففي بداية هذه الاعياد من كل سـنة جديدة يأتي الاله نابو من معبـده ، البيت الحصين E - Zida في بورسيبا (برس نمرود) لزيارة والده الاله مردوك في بابل والاشتراك في هذه الاحتفالات التي تقام فيها •

وكان للاحتفالات مكان معين يعرف ببيت الاحتفالات (آكيتو Akitu ويكون خارج المدينة كما في الوركاء واشور وبابل (في نهاية شارع المحفل من الجهة الشمالية الغربية) • ولـكل يوم من أيام الاعياد هذه مراسيم معينة ، فالايام الاربعة الاولى تكون لتقديم الضحايا والقرابين وتعيين درجات الـكهنة ومراتبهم ليأخذوا مكانتهم في الاحتفالات وليقوموا بوظائفهم ، كل حسب طبقته ودرجته في الـكهانة ، مبتدئا بالاوريگلّو ، رئيس الـكهنة الذي يقوم في اليوم الاول باكساء تمثال الاله مردوك بكسوة قشيبة ، من المحتمل انها كانت كسوة بيضاء [٢] •

وفي اليـوم الثاني من نيسان يتكلم رئيس الـكهنة ويقوم وحـده بالطواف حول تمثال الاله المقدس ثم يجرى قداسا في الليل ينشد فيـه التراتيل في مدح الاله مردوك وبعد ذلك تفتح أبواب المعبد ويدخل السادن ومعه الـكاهن المختص بتراتيل قصائد العزاء ويلتحق بهما كاهن آخر ينشد التراتيل الدينية ويستمروا باقامة الصلاة امام الاله مردوك (تمثاله) حتى الصباح • وقبيل مغادرتهم مخدع الاله مردوك يؤدون بعض المراسيم الدينية لتاج الاله آنو ثم يصلون ثلاث مرات للاله بيل [٣] (مردوك) •

---

(١) راجع :ـ

Meissuer, Geschichte Babylonen Und Assyrien, II S. 92, ¾a, XXXIV, 290 ff.

Fischer U. Zimmern, Leipziger Semitische Studien, VI, S. 1, 87; 112; Thureau-Dangin, Rituels Accadiens, 82, 145.

(٢) راجع :ـ Thureau-Dangin, Rituels Accadiens, 82 ff.

ومن الجدير ملاحظته الـكسوة السنوية التي تحمل الآن من مصر لاكساء الـكعبة بها واللون الاخضر لهذه الـكسوة • والظاهر انها من بقايا الطقوس الدينية للعرب في جاهليتهم ثم دخلت الاسلام وتحتمل انها ذات تأثير بابلي •

(٣) ان كلمة بيل هي كلمة بعل نفسها وقد آثرنا ابقاءها بيل لان العين غير واضحة في هذه الـكلمة البابلية •

وفي اليوم الثالث ينفرد رئيس الكهنة باقامة الصلاة للاله مردوك ومن ثم يشترك معه بقية الكهنة • وقبل حلول موسم الاعياد بمدة ، يطلب الى نجار وصائغ ونحات وحائك بعمل تمثالين من الخشب مكسوين بالذهب والاحجار الكريمة واللباس ليكونا جاهزين في اليوم السادس من موسم الاعياد لاجراء مراسيم الندم وازالة الآثام بالتوبة امامهما • وفي اليوم الرابع تعاد مراسيم الصلاة نفسها التي اقيمت في اليوم السابق ويؤديها رئيس الكهنة فيصلي للاله مردوك وللآلهه سربانيتم ويشترك معه الكهنة من الطبقة الدنيا • وفي مساء اليوم الرابع يقرأ رئيس الكهنة قصة الخليقة التي يمجد فيها الاله مردوك رئيس الالهة واله بابل العظيم وترتل بشكل ترنيمة دينية • ويبدأ صباح اليوم الخامس بمثل ما بدء به صباح اليوم السابق ، ثم يقوم بتطهير معبد الاله بيل (مردوك) ومعبد الالهة بيلت (سربانيتم) زوجة • كذلك تجرى عملية تطهير معبد الاله نابو ويقوم كاهن مختص بالتعاويذ والرقى وفي هذه الاثناء يقف رئيس الكهنة خارج المعبد في الصحن • وفي خلال عملية تطهير معبد الاله نابو ، يقوم احد الكهنة الطباخين بذبح كبش فيفصل رأسه عن جسمه ويمسح كاهن التعاويذ جدران المعبد وبالاخص مخدع الاله (المحراب) بجسم الكبش ثم يقوم كلا الكاهنين : الطباخ والمعوذ ، برمي الكبش ورأسه في نهر الفرات ثم يخرجان الى العراء ويبقيان طيلة بقاء الاله نابو في بورسيبا وتغيبه عن الحضور لزيارة والده مردوك في بابل • وفي هذه الاثناء يقوم الصناع باكساء معبد الاله نابو بغطاء ذهبي (سماء ذهبي) ويقوم رئيس كهنة مردوك ورئيس كهنة نابو بتقديم قربان للاله نابو ثم يسافر نابو من بورسيبا في سفينة مذهبة : يحمل تمثاله عليها وتمخر به في نهر الفرات الى بابل •

وفي اليوم السادس يقاد الملك ليلمس أيدي الالهة وبالاخص يدي الاله مردوك الى داخل معبد ايزاكلا وتجرى على الملك هنا في معبد ايزاكلا مراسيم غريبة كدفع الجزاء أو القصاص حيث يتقدم اليه رئيس الكهنة عندما يكون الملك في مخدع الاله وينزع عنه شعار الملكية والصولجان والعصا

المعوجّة[1] والسلاح ويرفع من فوق رأسه التاج ويضربه على خده ويسحبه من اذنيه حتى يركع امام الاله ويؤدى صلاة الغفران • ثم يولول الملك ويتوسل بالاله انليل أو الاله مردوك ويكرر قوله : « لم اذنب يا رب البلاد ولم أتأخر عن عبادتك انني لم أدمّر بابل وأنني حافظتها ولم اخـــرب أسوارها »[2] •

وفي هذا اليوم ياتي جميع الآلهة من جميع البلاد الى بابل ، وتمثل في اليوم السابع دراما محزنة لمـوت الاله مردوك وصـعوده الى السماء • فالاله يجرح في هذا اليوم ويموت ويبحث الناس عنه في كل مكان مولولين وناحبين • وفي هذا اليوم تسود الفوضى ويحل الاضطراب في البلاد وتشد عربة بحصان شموس فيعدو في شوارع المدينة على غير هدى محدثا الفوضى والقلق والخراب ويسلّم الحكم لاحد الغوغاء فيلتف حوله عدد من المجانين والفوضويين ويحكم كيفما يشاء • فيقتل وينهب ويغتصب ما يشاء ، ويظل يعبث بأمور البلاد ومقدراتها طوال النهار حتى تغرب الشمس وعندها ينزل عن العرش وينتزع منه التاج والصولجان ويقدمان الى الملك الشرعي فيعود الى عرشه ويجلس عليه وسط تهاليل الشعب وافراحهم • وكانت الغاية من هذه العملية هي تذكير الناس بالحـكم المستقر المنظم ومقارنته بحكم الفوضى ، أي بحكم قوة الخير وسلطان الشر ثم بانتصار سلطان الخير بالنتيجة على سلطان الشر ، معيدين بذلك الى الاذهان ذكرى قصة خلق الـكون وانتصار

---

(١) وهي عصا معقوفة الرأس تشبه المحجن أو الجاكون أو الباكور وتعد احدى شعائر الملك والسلطة فقد حملها فراعنة بلاد وادي النيل في عصر العمرنة وما بعده وحملها عدد من ملوك الآشوريين كالملك اشور نامربلي الثاني • وحملها الرسول الاعظم (ص) وكان يطوف بها في الـكعبة وحملها الخلفاء الراشدون من بعده •

(٢) كان لمس الملك ليد الاله مردوك اعترافا به الاها رئيسا للبلاد والحفاظ على عبادته وجعل بابل مركزا لهذه العبادة • وكان الملوك الذين يحتلون بابل يحضرون احتفالات أعياد رأس السنة البابلية ويلمسون يدى الاله مردوك لـكسب البابليين الى جانبهم • وقد فعل الملوك الآشوريون ذلك ما عدا سنحاريب وآشور بانيبال اللذين لم يعترفا بوجود بابل • وكثيرا ما تستغل خلوة الملك في مخدع الاله مردوك فيغتال هناك باعتبار ان الاله بطش به •

الاله انليل (في العقيدة السومرية) أو الاله مردوك (في العقيدة البابلية) على الآلهة تيامت ، الهة الفوضى والشرور والآثام • ثم لتكون هذه العملية بمثابة انذار للملك من ان التاج والصولجان هما من منح الآلهة تمنحهما لمن تصطفيه من البشر ليحكم الناس نيابة عنهـــا بالعدل ويثبت رسالتها في الارض ويقود الرعية في طريق الخير والرشاد وألا يطغى ويستكبر ويعيث في الارض فسادا ويسفك الدماء ويهلك الحرث والنسل والا تنزعهما منه •

وكثيرا ما يحدث ان الرجل الذي يختاره الملك للحكم في هذا اليوم يعصى بالعرش ويرفض النزول عنه ويتمسك بالحكم • وهذا ما حدث بالفعل للملك ارّا ايمتي (١٨١٠ ـ ١٨٠٤) ق•م• ملك سلالة ايسن ، فقد تنازل في هذا اليوم عن العرش لبستانيه انليل باني وبدلا من أن ينزل عن العرش وقت غروب الشمس ويسلم التاج والصولجان لسيده الملك الشرعي ، تمسك به ورفض النزول عنه ثم صادف ان توفى الملك الشرعي بالحساء فظل هذا يحكم البلاد مدة ٢٣ سنة •

وفي اليوم الثامن يرجع مردوك الى الحياة وينتظم برجوعه كل شيء وتجتمع الآلهة في مخدع الآجال Parak Shimatê في معبد الاله مردوك وتعين آجال البشر للسنة الجديدة عن طريق هذين التمثالين اللذين صنعا حيث يجبيان بطريقة الاستسقام (الازلام) أي الاعواد الملونة • ثم يبدأ سير المحفل ويأخذ الملك يد الاله مردوك ويعيد اليه رئيس الكهنة شارة الملك والصولجان والعصا المعوجة والسلاح والتاج ويصبح الملك الشرعي للبلاد ويغادر جميع الالهة معبد ايزاگلا ويسيرون في موكب الاله مردوك في شارع المحفل أي ايبور شابو Ai-Ibur-Shabu (الذي لا يعبره عدو)• وشارع المحفل هذا عريض ومعبد وعلى جانبيه جدران مبنية بالطابوق المزجج الازرق عليها رسوم أسود ملونة باللون الاصفر وثيران وحيوانات مركبة لها رأس ثعبان وذيل عقرب وارجل نسـور واسود ، تعـرف في اللغـة البابلية باسم موشخشو • يمر شارع المحفل هذا بمحاذاة صحن الزقورة Temenous ويعبر قناة ليبل خيگلا Libil Hegella (على جسر ثم يمتد



صورة انليل باني يجلس على العرش

الشارع الى باب عشتار مخترقا المدينة الى معبد يعرف باسم بيت اكيتو (بيت رأس السنة الجديدة). وتمكث الالهة في بيت اكيتو ثلاثة أيام ثم تمثل هناك دراما رمزية للخليقة وفي مساء اليوم الحادى عشر تعود الالهة الى معبد ايزاكلا حيث تعقد فيه اجتماعها الأخير الذى تؤكد فيه مرة أخرى آجال البشر التى عينها الآله مردوك وسجلها على الواح القدر والآجال . أما الآله مردوك فيقضى ليلته في المعبد العالى (المخدع) فوق الزقورة ايتمننكى مع سيدة من أجمل بنات بلاد بابل ينتخبها كهنة معبد الاله مردوك (بيل) . وفي اليوم الثانى عشر تغادر الالهة بابل فيذهب كل اله الى معبد مدينته .

ان زواج مردوك بفتاة بابلية هو الزواج المقدس Hieros Gamos لتشجيع التكاثر بين البشر ولادامة الخصوبة . وما طلب الملك للغفران الا لكى يعلم بان سلطانه منحة من الالهة وانه مسؤول امامها دائما عن مستقبل البلاد وتقدمها وتعميم الخير والسعادة فيها وضمان العدل بين الناس والحرص على رضاهم . كذلك يكون الملك مسؤولا عن استتباب الامن والاستقرار وتطبيق القوانين بالحق بدون تمييز بين الافراد طبقا لطبقاتهم وأصنافهم من حيث العقوبة التى شرعتها القوانين . والزواج المقدس الذى نجده عند البابليين هو في الواقع من الفرائض والطقوس الدينية التى كانت تقام في بلاد وادى الرافدين منذ فجر التاريخ وذلك اقتداء بالزواج المقدس الذى تم بين الاله البشرى تموز احد ملوك سلالة الوركاء الاولى لما قبل الطوفان وبين الالهة انانا (عشتار) الهة مدينة الوركاء .

وصف الاحتفالات باعياد رأس البابلية

وفيما يلى وصف لايام الاحتفالات باعياد رأس السنة البابلية كما ذكرتها الرقم الطين ولكنها غير كاملة مع الاسف لان بعض الاسطر من

الـكتابة المسمارية مخربة[١] .

وفي اليوم الثاني من شهر نيسانو يستيقظ الاوريـگلّو ، الـكاهن ، قبل انقضـاء الليل بساعتين ويدخل محراب المعبـد للمثول امام الاله بيـل (مردوك) ، وعليه ان (يسدل) ستارا من الكتان امام بيل ثم يقرأ الصلاة التاليـة .

ايها السيد (يابيل) الذي ليس له مثيل عندما يغضب ،
ايها السيد (يابيل) ، ايها الملك الجليل ، يا رب البلاد ،
الذي يجعل الآلهة العظمى لطيفة
ايها السيد الذي يبسط القوة بعظمته ،
يا رب الملوك ، يا هادي الناس ، يا مقسم الارزاق .
ايها السيد ، ان بلاطك مدينة بابل ،
وتاجك مدينة بورسيبا ،
والسموات الواسعة هي كل فؤادك ،
ايها السيد ، انك تبصر بعينيك كل شيء
وبآياتك تدعم الآيات ،
وبعصمتك تثبت القوانين ،
و ب .... ت .... القوى ،
اذا نظرت (اليهم) تمنحهم الرحمة ،

---

(١) راجع :
Thurea-Dangin, Rituels Acadiens (Paris 1921), 127-154.
Ebeling, Aot, 295-303.
استخلصت هذه الترجمة من الترجمة الانكليزية في كتاب :ـ
Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 331.
وقد اعتمد المترجم الانكليزي Sachs على رقمين من الطين يرجع عهدهما الى العهد السلوقي ، أحدهما في باريس ويحتوي على ٤٦٠ سطرا وفيه عدد غير قليل من الـكتابة المخربة .

انك تريهم النور ، فينطقون
بقـــوتك •
يا رب البلاد ، يانور الآلهة ايگيگى
(الذى يبارك —
من لا ينطق باسمك ، من لا ينطق بقوتك ؟
من لا ينطق بجلالك ، من لا يجل سلطانك ؟
يا رب البلاد ، يا من يسكن معبد اى اودول ،
يا من يمسك بيد الواقع ،
اسبغ الرحمة على مدينتك بابل ،
التفت الى معبد ايزاكلا ، الى بيتك ،
أسس حرية سكان بابل ، عبيدك

وبعد ان ينتهى الاوريگلو ، سادن معبد ايزاگلا من قراءة هذه الصلاة يتوجه الى باب المعبد ويفتحه وينهض كهنة المعبد الذين يسمون بالاكدية ايرب بيتو ، أي خدم البيت (المعبد) ويقومون بتأدية الصلاة وتلاوة التراتيل الدينية أمام الاله بيل والآلهة بيليت ، أي الاله مردوك وزوجته • ثم يقوم الـكهنة النائحون ويعرفون بالبابليـة باسـم گالو ، وينشـدون التراتيل الحزينة • (ثمانية أسطر مخربة يصعب قراءتها) ثم هناك عطب فى نحو ١٣٠ سطرا ليست واضحة المعنى وتتضمن هذه الاسطر وصف الطقوس الدينية التى يجب القيام بها فى اليوم الثاني وقسما من اليوم الثالث • ويفهم من ترجمة الجمل المتقطعة بسبب العطب الذي لحق بهذين الرقمين ان المراسيم الدينية تتناول التراتيل والادعية والصلوات التى يقوم بهـا كل مـن الاوريگلو والـكهنة الخـدم ايرب بيتو والـكهنة النائحون (گالو والمنشـدين) ثم تستمر الـكتابة واضحة من السطر ١٩٠ •

وبعد ان تمضى ثلاث ساعات على شروق الشمس فى اليوم الثالث عليه (ويقصد بلاشك الاوريگلو رئيس كهنة معبد ايزاگلا) ان يدعو اليـــه حدادا ويعطيه عددا من الجواهر ، وذهبا من خزينة الاله مردوك ليصنع

تمثالين لاحتفالات اليوم السادس من نيسانو • كذلك عليه ان يدعو اليه نجارا ويعطيه قطعا من خشب الارز وخشب الاثل • ثم عليه ان يدعو اليه صائغاً يعطيه ذهبا • ويعطى امام الاله بيل ابتداء من اليوم الثالث حتى اليوم السادس قطعا من اللحم ، من الغنم المذبوح • فيعطى الذنب (الطرف) للحداد والصدر للصائغ والفخذ للنجار والاضلاع للحائك • ان قطع اللحم هذه من الاغنام المقربة يقوم بتوزيعها الاوريگَلو الاله بيل على أصحاب الحرف المذكورين •

ويجب ان يكون طول هذين التمثالين سبعة اشبار ، يصنع احدهما من خشب الارز والآخر من خشب الاثل • ويجب أن تنزل أربع درر (Dushu دوشو) في ذهب وزنه أربعة شقلات • ويحمل أحد التمثالين في يده اليسرى ثعبانا مصنوعا من السدر ويرفع يده اليمنى نحو الاله نابو • اما التمثال الثاني فيحمل في يده اليسرى عقربا ، ويرفع يده اليمنى نحو الاله نابو ويلبس التمثالان اردية حمرا ، يحزمان بسعفة ويوضعان حتى اليوم السادس في بيت الاله مادان • ويقـــدم لهما الاكل من صينية الاله مادان • وفي اليوم السادس ، عندما يصل الاله نابو معبد أي خرصاك تيلا، على الذباحين ان يقطعوا رؤوسها (القرابين) ومن ثم تشعل نار وتلقى فيها بحضور الاله نابو • وفي اليوم الرابع من شهر نيسانو ، ينهض الاوريگَلو قبل الفجر بثلاث ساعات وثلث ، ويغتسل بماء النهر ويلبس احراما مـن الـكتان گدالو[1] امام الاله بيـل والالهة بليت • وعليه ان يقرأ الصـلاة التالية رافعا يده نحو الاله بيل •

يا سيد آلهة ايگيگي القوى ، يا عظيم الشأن بين الآلهة العظمى

يا رب العالم ، يا ملك الآلهة ، ايها الاله مردوك

---

(١) گدالو ، كلمة بابلية تطلق على نوع من القماش المعمـول من الـكتان ومن المحتمل ان يكون معناها يشابه كلمة مكذول بمعنى مبروم • والاحرام على ما يظهر يجب ان يكون عند البابليين كالاحرام في مناسـك الحج ، يشترط فيه ان يكون من الـكتان غير المخيط •

الذى يضع الخطط •
انت المهم ، الرفيع ، العلى الشان ، العلى الاعلى ،
الذى يحمل الملكية ويمسك بالربوبية ،
ايها النور البراق ، ايها الاله مردوك الذى يسكن فى معبد اى اودول
••• الذى يكتسح ارض العدو •

وبعد ذلك يخرج الى الفناء ويتجه نحو الشمال ويدعو لمعبد ايزاگلا وثلاث مرات قائلا :ــ

« ايتها النجمة ، يا ايكو ، يا ايزاگلا ، يا صورة السماء والارض • »

ومن ثم يفتح الابواب ويدخل جميع الكهنة الخدم (ايرب بيتو) ويؤدون طقوسهم الدينية كالمعتاد •

ويحذو حذوهم الكهنة النائحون (گالو) وينشدون تراتيلهم الدينيـــة •

وعند الانتهاء من ذلك وبعد طعام العصر ، يقوم كاهن المعبد الاوريگلو بقراءة اى نوما ايلش (قصة الخليقة البابلية) رافعا يده نحو الاله بيل • وبينما هو يقرأ اى نوما ايلش امام الاله بيل ، تغطى واجهة تاج الاله انو وموضع استراحة الاله انليل بان يسدل عليها الستار •

وفى اليوم الخامس من شهر نيسانو ، ينهض الكاهن اوريگلو قبل الفجر باربع ساعات ويغتسل بالماء من دجلة والفرات ومن ثم يدخل المصلى ويقف أمام الاله بيل وعليه ••• القماش گدالو المصنوع من الكتان أمام الاله بيل والاله بيلت ويقرأ للاله بيل الصلاة التالية :

يا الهى ••• أليس هو الهى ؟
يا الهى ••• يا الهى ، أليس اسمه يا الهى ؟
يا الهى ••• يا الهى ملك البلاد
يا الهى ••• يا الهى
اليس هو الهى الذى يعطى ، الهى الذى ••• ؟

يا الهى ••• يا الهى ••• ،
يا الهى ••• يا الهى ••• ،
يا الهى •••• يا الهى ، الذى يعطى ،
يا الهى ••• يا الهى الذى يسكن فى المصلى ،
يا الهى ••• يا الهى ، الذى هو الهى •
اله السماء والارض الذى يقرر الآجال – يا الهى ، كن هادئا •
النجم موسر كشدا ، الذى يحمل الصولجان ، ويدور ،
يا الهى – يا الهى ، كن هادئا ،
نجم اريدو ، مالك الحكمة ، يا الهى
يا الهى ، كن هادئا •
اسارى ، الذى يمنح هبة الانبات ، يا الهى
يا الهى كن هادئا
الكوكب المشترى الذى يحمل الاشارة للجميع ، يا الهى –
يا الهى كن هادئا •
الكوكب عطارد الذى يمطرها ، يا الهى –
يا الهى كن هادئا •
الكوكب زحل ، كوكب العدالة والحق ، يا الهى –
يا الهى كن هادئا •
الكوكب المريخ ، ذو اللهيب المخيف ، يا الهى –
يا الهى كن هادئا •
النجم الشعرى ، الذى يكيل مياه البحر ،
يا الهى ، يا الهى كن هادئا
(ثلاثة اسطر مخربة)
الذى ••• السماء ويجمع الارض
الذى يكيل مياه البحر وينبت الحقول •

الذى يسكن فى معبد اى اودول ، رب بابل ، يا رفيع الشأن يا مردوك ،
الذى يقرر مصائر الالهة •
الذى يعيد الصولجان للملك الذى يعظمه ــ
أنا اوريگلـّو ، كاهن معبد اى كوعا
الذى يحبك ــ
لمدينتك بابل ، امنح الغفران •
لايزاگلا ، معبدك امنح الشفقة •
وبأمرك الرفيع الشأن ، يا سيد الآلهة العظمى ،
دع النور يكون امام شعب بابل •

وبعد ذلك ينسحب من امام الاله بيل ويقرأ الترتيلة التالية امـــام الالهة بيلت :

ايتها الالهة القديرة ، الرفيعة الشأن بين الالهة الاناث ،
ياسرپانيتم ، التى تتلألئين بين النجوم ،
التى تقطن فى معبد اى اودول •
••• للآلهات ، التى رداؤها الضياء البراق ،
التي ••• السماء وتجمع الارض ،
يا سرپانيتم ، التى مكانتها رفيعة ،
ساطعة ، يا بيلت ، علية القدر وشامخة ،
ليس كمثلها بين الآلهة الاناث ــ
التى توصل الشكوى ، التى تدافع ،
التى تفقر الغنى ، التى تغنى الفقير
التى تمحق العدو الذى لا يرهب الوهيتها ،
التى تعتق الاسير ، تمسك بيد الواقع ــ
ارحمي العبد الذى يسترحمك •
أقرّى مصير الملك الذى يجلك

امنحي الحياة لشعب بابل ، الخاضع لك ،
دافعي عنهم امام مردوك ، ملك الآلهة .
ليعظمك الناس ويكبروا ربوبيتك
ليتحدثوا عن بطولتك ويبجلوا اسمك
امنحي الرحمة للعبد الذي يسترحمك
خذي بيده عند الضيق الشديد وعند الفاقة
امنحيه الحياة عندما يكون مريضا وعند الوجع ،
حتى يمشي دائما في سعادة وهناء
لكي يتكلم عن بطولتك الى الناس

نماذج من الصلوات والتراتيل الى الاله مردوك .

أيها الرب ، في طريقك الى المعبد (عسى بيتك يقول لك « كن لطيفا »)
ايها الامير ، ايها الرب مردوك ، في طريقك الى المعبد عسى بيتك ...
أيها البطل العظيم أيها الرب أنبلولو(١) ، في طريقك الى المعبد عسى بيتك ..
كن لطيفا ايها الرب ، كن لطيفا ايها الرب عسى بيتك ...
كن لطيفا يا رب بابل ، عسى بيتك ...
كن لطيفا يا رب ايزاگلا ، عسى بيتك ...
كن لطيفا يا رب ايزيدا(٢) ، عسى بيتك ...
كن لطيفا يا رب ايمختيلا (٣) ، عسى بيتك ...
(في) ايزاگلا بيت ربو بيتك ، عسى بيتك ...
عسى مدينتك تقول لك ، كن لطيفا ، عسى بيتك ...
عسى آنو العظيم ، أب الالهة يقول لك ، الى متى وكن لطيفا .

---

(١) للاله مردوك خمسون اسما ومن أحد اسمائه انبلولو . وقد ورد هذا الاسم في الالواح السبعة لقصة الخليقة البابلية .

(٢) ايزيدا . معبد الاله نابو في مدينة بورسيبا . ولما كان مردوك والد الاله نابو فهو كذلك رب معبد ايزيدا .

(٣) ايمختيلا ، هيكل أو محراب في معبد ايزيدا في بورسيبا .

عسى الجبل العظيم ، الاب انليل (يقول لك) ، الى متى ؟ ...
عسى امراء المدينة والبيت والام العظيمة نن ليل (تقول لك) ، الى متى ؟ ..
عسى نن اورتا الابن الاكبر للاله انليل ، الذراع المفتخر للاله آنو (يقول لك) الى متى ؟
عسى سن ، مصباح السماوات والارض (يقول لك) ، الى متى ؟ ...
عسى البطل شماش ، ذو اللحية ، ابن ننكال (يقول لك) ، الى متى ؟ ...
عسى اِيا ملك الغور (يقول لك) ، الى متى ...
عسى دمكينا ، ملكة الغور (تقول لك) الى متى ؟ ...
عسى سربانيتم كنة الغور (تقول لك) الى متى ؟ ...
عسى ... نابو (يقول لك) الى متى ؟ ...
عسى ... الابن البكر للاله اوراش (يقول لك) الى متى ؟ ...
عسى ... تشميتم تقول لك ، الى متى ؟ وكن لطيفا .
عسى الاميرة العظيمة ، السيدة نانا (تقول لك) الى متى ؟
عسى الرب مادانا مدير آنوناكي (يقول) الى متى ؟ ...
عسى بابا ، السيدة الرحيمة (تقول لك) الى متى ؟ ...
عسى ادد ، الابن المحبب الى آنو (يقول لك) الى متى ؟ ...
عسى شالا الزوجة العظيمة (تقول لك) الى متى ؟ ...
أيها الرب ، القوى الذى يسكن فى ايكور [1] ، اجعل روحك الالهية تجلب لك الراحة .
عسى يا من صفته بطل الآلهة – عسى آلهة السماء والارض تجعل غضبك سرورا ، لا تهلك مدينتك نيبور ، ايها الرب كن مسرورا ، عسى ان يقول لك .

لا تهلك مدينتك سپار ، أيها الرب كن لطيفا ...

---

(١) المعبد التاريخى العريق للاله انليل فى مدينة نيبور .

لا تهلك بابل ، مدينة الهناء ، ايها الرب كن لطيفا
الطف ببيتك والطف بمدينتك ، أيها الرب كن لطيفا ...
الطف ببابل وبايزاگلا ، أيها الرب كن لطيفا
جدد متراس ايزاگلا وقفلها وآجر اِيزيدا وأعدها الى مكانها ...
ايها الرب عسى آلهة السماء والارض تقول لك كن لطيفا .

هذه هي نهاية الترنيمة التي تنشد للاله مردوك ولكن النص الآشوري يستمر بالدعاء متوسلا بالاله مردوك ليحفظ الملك آشور بانيبال :ـ

اجعل آشور بانيبال الراعي مولاك ان يعيش ، واستجب دعاءه ، ومكن اسس عرش ملكه ، ودعه يرعى الناس ويتولاهم الى يوم الدين .

ان الغرض من هذه الترنيمة الدينية هو التضرع الى الاله مردوك ليكون دائما في نفسية طيبة مرحة وكانت ترتلها الكهنة وجموع الناس عند عودتهم الى معبده ايزاگلا بعد الانتهاء من الاحتفالات بأعياد رأس السنة البابلية التي تعرف عند البابليين باسم آكيتو . وفي هذه الترنيمة يذكر الناس جميع المعابد التي يعبد فيها الاله مردوك وفيها يتوسل الناس أيضا بجميع الآلهة الرئيسة لكي يعملوا على ازالة الغضب من نفس الاله مردوك ويجعلوه مسرورا ويطلبون فيه ان يكون منشرحا . وقد وجدت من هذه الترنيمة في نسخ عديدة من الرقم الطين ولكن الرقيم الطين الكامل تقريبا عثر عليه في مدينة بابل . ووجدت كذلك نسخ اخرى لهذه الترنيمة ولكن في حالة كسرات من رقم الطين في مدينة نينوى ، ويرجع قسم منها الى زمن الملك آشور بانيبال ٦٦٨ ــ ٦٢٦ ق.م. والمعتقد ان هذه الترنيمة سومرية الاصل وقد استنسخها الكاتب البابلي بيل آخم اريبم من زمن الدولة البابلية الحديثة ولا يمكن تحديد زمن النص الاصلي السومري الذي كتب باللهجة السومرية المعروفة بلهجة امي صال وقد اهتم بنشرها عدد قليل من العلماء الغربيين المختصين بتاريخ حضارات وادي الرافدين في

مختلف اللغات الاوربية[1] والواقع ان هذه الترنيمة قطعة رائعة من الادب الديني القديم لبلاد وادي الرافدين وتقـدم لنـا طريقة التضرع الى الاله الاعلى والتوسط لدى اخوانه من الآلهة ليعملوا على ازالة سورة الغضب من الاله مردوك حتى يعيش الناس والبلاد بسلام ويمن وسعادة • والطريف في هذه الترنيمة الشعرية انها لا تختلف في اسلوبها وطريقة العرض فيها وكيفية استرضاء الاله مردوك والحصول على رضاه وألطافه عن الادعيـة والصلوات التي يتقدم بها أهل الـكتاب الى الله عز وجل •

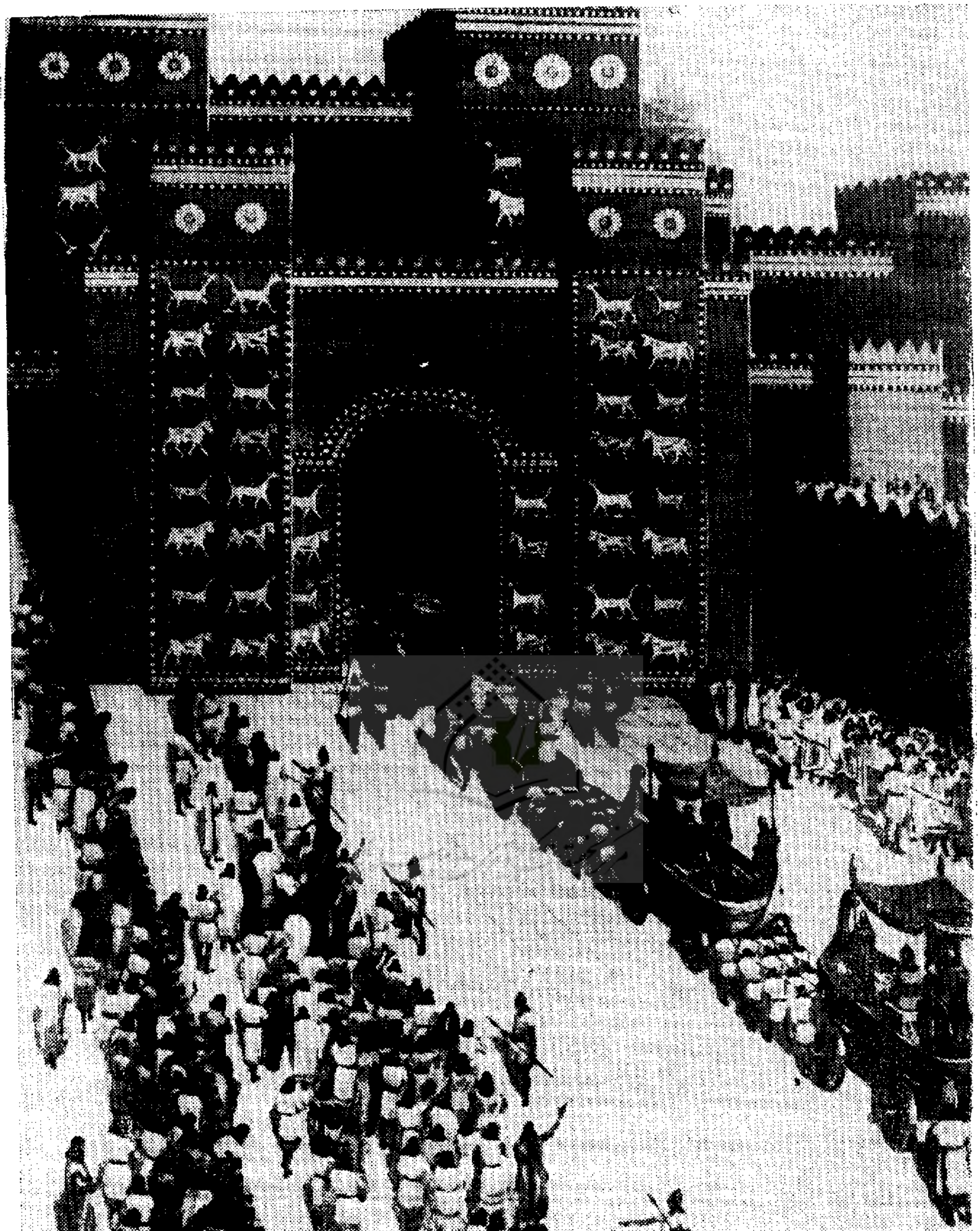
---

(١) راجع :ـ النص الانكليزي لهذه المقطوعة التي نقلتها الى العربية من المصدر :ـ

Pritchard,
Ancient Near Eastern Texts, P. 390

وكذلك :ـ

F. H. Weissbach, Babylonische Miscellen (Leipzig, 1903), Pls. XIII-XIV; Rawlinson, IV (2ded.), 18, No 2; ibid, Additions and corrections, p. 3.; Translations: P. Jensen, Texte zur assyrisch-babylonischen Religion (Keilinschriftliche Biblithek, VI, 2 (Berlin, 1915), 36-41; A. Ungnad, Die Religion der Bebylonier und Assyrer (Jena 1921), 169-172; E. Ebeling, ADT, 256-7.



مشهد الاحتفالات بأعياد رأس السنة يمثل موكب الملك والكهنة يسير في شارع المحفل مجتازا باب عشتار .

اتجاهات البلاغة العربية

أحمد مطلوب

(١)

البلاغة علم من علوم اللغة ، بها وبالنقد يقاس الادب ويبين حسنه من رديئه وجميله من قبيحه ، أو هي ـ كما قال الاستاذ أمين الخولي ـ روح الادب ، والادب مادتها تعلم صنعه وتبصر بنقده[١]. والبلاغة عندنا من علوم اللغة العربية والاسلامية ، وقد خدمت العربية خدمة عظيمة وعملت على ابراز ما في القرآن الكريم من وجوه الجمال وبينت سر الاعجاز ، وذلك بالبحث في اسلوبه وطريقة ادائه المعاني المختلفة ، ومقارنته باساليب العرب الشعرية والنثرية .

وليست البلاغة مقصورة على العرب ولا على أمة دون أمة ، وانما هي في معظم اللغات التي بلغت درجة كبيرة في التطور والارتقاء . وقد عبر العرب عن هذا منذ عصورهم الاولى فقالوا : « ان البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة ، ولا على ملك دون سوقة ، ولا على لسان دون لسان ، بل هي مقسومة على أكثر الالسنة ، فهم فيها مشتركون ، وهي موجودة في كلام اليونانية وكلام العجم وكلام الهند وغيرهم »[٢] . ويؤكد هذا ما ذكره الجاحظ من أقوال مختلفة في البلاغة ، فهي عند الفارسي : معرفة الفصل من الوصل ، وعند اليوناني : تصحيح الاقسام واختيار الكلام ، وعند الرومي : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم

---

(١) البلاغة وعلم النفس مقالة نشرت في مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١٤٥ وكتاب (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب) للاستاذ الخولي ص ١٨٠ وما بعدها . (ط الاولى ١٩٦١ بالقاهرة) .

(٢) رسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم لأبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري ، وهي مطبوعة في كتاب التحفة البهية والطرف الشهية ص ٢١٣ (مطبعة الجوائب في القسطنطينية ١٣٠٢هـ) .

الاطالة ، وعند الهندى : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة[٣]

وقد اهتمت الامم بتدوين قواعد البلاغة واصولها لتكون عونا للدارسين والناقدين ولعل اليونانيين كانوا أول من عنى بتدوين البلاغة والبحث فى مسائلها ، فارسطو بحث كثيرا من موضوعاتها كالمجاز والاستعارة والتشبيه والخبر والامر والدعاء وغيرها فى كتابيه (الشعر) و (الخطابة) • ولم يكن العرب أقل من غيرهم منزلة ورفعة بعد ظهور الاسلام ، فدونوا علومهم اللغوية وتراثهم الادبى ، وكانت البلاغة من اوائل العلوم التى اهتم العرب والمسلمون بها لحاجتهم اليها فى معرفة روعة القرآن وسحره ، وتمييز الكلام الحسن من الردىء والجميل من القبيح ، الى جانب رغبة الاجانب فى تعلم اللغة العربية وتفهم أساليبها وتذوقها بعد أن أصبحت اللغة الرسمية للاقطار المفتوحة يوم انتشر الاسلام وساد معظم بقاع العالم المعمور يومذاك • وقد أشار القدماء الى أهمية البلاغة وما ترمى اليه ، وهذا ابو هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) يوضح اهميتها واهدافها بقوله : « ان احق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ ــ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ــ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى •••• وقد علمنا ان الانسان اذا أغفل وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ••• فينبغى من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده ••• ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة ، منها ان صاحب العربية اذا أخل بطلبه وفرط فى التماسه ففاتته فضيلته وعلقت به رذيلة فوته عفى على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله ؛ لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردىء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله وظهر نقصه • وهو ايضا اذا اراد أن يضع قصيدة او ينشىء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر ، وخلط

(٣) ينظر كتاب البيان والتبيين ج ١ ص ٨٨ ط عبدالسلام هارون •

العرر بالغرر واستعمل الوحشي العكر فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل ... واذا اراد أيضا تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم ساء اختياره له وقبحت آثاره فيه فأخذ الردىء المرذول وترك الجيد المقبول فدل على قصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه »(٤) .

فغاية ما ترمي دراسة البلاغة اليه عند معظم البلاغيين هي معرفة اعجاز القرآن الكريم وبيان سر اعجازه ، وهذا غرض ديني بحت ، الهدف منه خدمة القرآن وتثبيت العقيدة الاسلامية في أذهان الناس ، الى جانب هدفين آخرين هما : هدف نقدي وهو معرفة الكلام الجيد من الرديء ، وغرض تعليمي وهو الاستعانة بالبلاغة في انشاء الادب شعره ونثره . وهذه الغايات الثلاث لا تكاد تخلو منها مقدمة من مقدمات كتب البلاغة العربية عامة والكتب التي تبحث في اعجاز القرآن خاصة .

والبلاغة مع النقد يكونان السبيل السوى الى فهم الاساليب المختلفة والاجادة في فني المنظوم والمنثور ، لان البلاغة لا تختلف عن النقد الا من حيث المعالجة وطريقة العرض ، أما موضوعهما فواحد وهو الادب أو الكلام الادبي(٥) .

وقد نشأت البلاغة والنقد عند العرب جنبا الى جنب ، وكانت نشأة البلاغة بسيطة ساذجة ، وتتمثل بذور البحث النقدي في الاحكام التي كان الشعراء وغيرهم يصدرونها . وليست قصة امرىء القيس وعلقمة الفحل ، وقصة النابغة الذبياني الذي كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ ، وقصة

---

(٤) كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ١ ـ ٣ ، ط الاولى بالقاهرة ١٣٧١ ـ ١٩٥٢م تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم .

(٥) لقد فرق الاستاذ ونشستر بين البلاغة والنقد والاستاذ أحمد الشايب في كتابيه (الاسلوب) ص٧ و(أصول النقد الادبي)ص١١٦، والدكتور شوقي ضيف في كتابه (النقد) ص ٩ ، والدكتور بدوي طبانة في كتابيه (أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية ط الاولى) ص ٧١ و (قدامة بن جعفر والنقد الادبي ط الاولى) ص ١١ ـ ١٢ .

الخنساء وحسان بن ثابت ، وأسواق العرب التى كان الناس يجتمعون فيها فيلقى الشعراء شعرهم والخطباء خطبهم وينقد بعضهم بعضا ، ـ ليست هذه ـ الا بداية حسنة للنقد والبلاغة ، وبذورا اثمرت أصولا وقواعد بعد قرن أو قرنين

وقد أثر القرآن الكريم تأثيرا عظيما فى تطور البلاغة[٦] فكان محفزا هاما للاتجاه نحو تدوين أصولها وقواعدها ، ولكن هذا الاثر لم يكن كبيرا واضحا فى صدر الاسلام لانشغال العرب فى تثبيت دعائم ملكهم ونشر الاسلام خارج جزيرة العرب ؛ لذلك بقى النقد فى العصر الاسلامى الاول ساذجا يعتمد على الذوق اكثر من اعتماده على التعليل شأنه فى ذلك شأن النقد فى العصر الجاهلى • ولم تكن احكامهم النقدية ومقاييسهم البلاغية تخرج عن قولهم : « أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب » ، أو : أشعر بيت فى الغزل قول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

أو : أهجى بيت قول الشاعر :

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وغير ذلك من الاحكام البسيطة الساذجة التى تعتمد على الذوق اكثر من اعتمادها على التعليل •

ولم يكن هذا النقد الذوقى كافيا لتكوين قواعد وأصول تفيد ناقد الادب او منشئه وذلك لعدم وجود منهج يسير عليه النقاد ، واختفاء التعليل المفصل • ولكن النقد والبلاغة خطوا خطوات كبيرة فى صدر الدولة العباسية ، وكان

---

(٦) تنظر مقالة أثر القرآن فى نشأة البلاغة لاحمد مطلوب المنشورة فى مجلة المعلم الجديد فى المجلد الحادى والعشرين الجزء الثالث مايس ـ حزيران ١٩٥٨ م ، وقد كتب الدكتور محمد زغلول سلام بحثا طريفا فى هذا الموضوع وهو (أثر القرآن فى تطور النقد العربى الى أواخر القرن الرابع الهجرى) •

هذا أمرا طبيعيا بعد أن استقر العرب فى البلاد التى رف عليها لواء الاسلام ، وبعد أن اتصلوا بغيرهم من الاقوام وثقافاتهم وترجمت العلوم المختلفة عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية وغيرها •

وبقى النقد يسير مع البلاغة جنبا الى جنب حتى القرن الرابع الهجرى حينما وضع أبو هلال العسكرى كتاب الصناعتين ، فكان هذا الكتاب نقطة تحول النقد الى بلاغة ، أو نقطة البدء بتقرير قواعد البلاغة وضبط مسائلها وأصولها ، وان كان للبلاغة وضبط مسائلها بذور منذ عهد مبكر ، فقد ظهرت أوائل مسائلها فى كتب النحو والتفسير الاولى •

وتتابع التأليف فى البلاغة حتى وصلت قمتها على يدى الشيخ عبدالقاهر الجرجانى مؤلف كتابى (أسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) ، وقد استطاع ان يجمع فى هذين الكتابين معظم مباحث البلاغة ولكنه لم يقسمها كما قسمها السكاكى (٦٢٦هـ) ومن جاء بعده من الملخصين والشراح ، وانما بحثها بطريقته الخاصة فكان التجنيس الى جانب الاستعارة والتشبيه ، والفصل والوصل الى جانب المجاز والكناية • وقد وقفت البلاغة بعد عبدالقاهر ولم تكن الكتب المؤلفة بعده الا اجترارا لما كتب •

ومع أن كتب البلاغة العربية يكاد يأخذ بعضها من بعض ، وتكاد مناهج بحثها تتفق الى حد ما ، نرى اتجاهين واضحين فى طريقة بحثها ، فمن البلاغيين من سيطرت على كتبهم النزعة الادبية ، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة الفلسفية والعقلية ، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيتان هما : المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ، أو كما يسميها السيوطى : « طريقة العرب والبلغاء ، وطريقة العجم وأهل الفلسفة »(٧) ، وكان لكل من هاتين المدرستين أو الطريقتين خصائصها ومميزاتها ورجالها الاعلام • فما هاتان المدرستان ؟

---

(٧) ينظر كتاب حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة للسيوطى ج ١ ص ١٩٠ •

(٢)

ظهرت مدرستان بلاغيتان هما : المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ، وكان ظهورهما مبكرا منذ أن بدأت بحوث البلاغة تأخذ طريقها في النمو والتطور فقد ظهرت في كتابات الجاحظ مسحة كلامية عند عرضه بعض مسائل البلاغة في كتابيه : (البيان والتبيين) و (الحيوان) ، وغيرهما ، ولكن هذه المسحة الكلامية لم تسيطر سيطرة تامة ولم يظهر أثرها واضحا ؛ لان عصر الجاحظ كان عصرا ازدهر فيه الادب ، وبلغ تذوق الناس له حدا كبيرا فغطت هذه النزعة على اتجاه الجاحظ المتكلم المعتزلي ، كما كان نفسه أديبا له ذوق واحساس فني . ولكن هذا الاثر بدا واضحا في العصور التي تلت الجاحظ حينما كسد الادب وماتت الحركة الادبية أو جنحت نحو التقليد واجترار الماضي ، فانصرف كثير من الادباء الى البديع وتزيين كلامهم بما لا يقبله الذوق السليم ، وحينذاك سيطرت النزعة العقلية والكلامية على دراسة البلاغة .

وأمر المدرستين الادبية والكلامية قديم ، فهو ليس وليد عصور متأخرة ، ولا وليد فترة معينة فأبو هلال العسكري نبه الى اتجاهين مختلفين في دراسة البلاغة وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل »[٨] ، وقد وضح في مقدمة كتابه الصناعتين أنه لن يسير على منهج المتكلمين لانه منهج ليس فيه نفع كبير في بحث الادب ومقاييسه البلاغية والنقدية ، وانه اختار منهجا آخر أقرب الى روح الادب ، هو منهج الشعراء والكتاب . ولو لم تكن جذور هاتين المدرستين البلاغيتين بعيدة الغور في الزمن لما حددها أبو هلال وبين ما بينهما من اختلاف يدرك من قوله : « وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب » .

فلهاتين المدرستين ــ كما يتضح ــ خصائص ومميزات ، ولكل منهما

---

(٨) كتاب الصناعتين ص ٩ .

منهج خاص في بحث البلاغة ، فما خصائص كل منهما ، وما أهم مؤلفاتهما ؟ ومن أشهر رجالهما ؟ ولنبدأ بالمدرسة الكلامية .

كان للفلسفة وعلم الكلام أثر كبير فى الفكر العربى الاسلامى فى العصر العباسى الذى بلغت فيه الحضارة أوج ازدهارها بفضل الحركة العلمية التى رعاها الخلفاء ، وبفضل الترجمة عن اللغات الاجنبية . ولم يسلم أى علم من العلوم الاسلامية العربية من الاثر الفلسفى والكلامى ، وقد كان للبلاغة نصيب عظيم من هذا الاثر فتوثقت الصلة منذ عهد مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة ، وأخذت هذه الصلة تزداد قرنا بعد قرن حتى بلغت أوجها فى القرن السادس وما بعده على يدى السكاكى وتلاميذه[٩] . وهذه الصلة الواضحة جعلت أحد الباحثين المحدثين ـ وهو الاستاذ أمين الخولى ـ يقول انا لو أمعنا النظر ومضينا فى التقصى لوجدنا تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من المنطق والكلام قويا بعيد المدى فى نشأة البلاغة وظهورها ، وفى تطورها وسير دراستها ، وفى ضبط أبحاثها وتحديد دائرة درسها ، وفى تعيين غرضها وغايتها[١٠] .

وأهم خصائص المدرسة الكلامية الاهتمام بالتحديد والتعريفات والتقسيم المنطقى والاهتمام بكون التعريف جامعا مانعا ، ثم استعمال أساليب الفلسفة والمنطق فى تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستعمال الالفاظ الفلسفية والمنطقية[١١]. وقد ساق البلاغيون كثيرا من المقولات عند القول فى الملكة حين وردت فى تعريف الفصاحة والبلاغة ، وما صدروا به البيان من أبحاث الدلالات الوضعية والعقلية[١٢] ، وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة

---

(٩) تنظر مقالة أثر الفلسفة فى البلاغة لاحمد مطلوب المنشورة فى مجلة المعلم الجديد فى المجلد الرابع والعشرين من الجزء الثانى ١٩٦١م .

(١٠) تنظر مقالة البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها لامين الخولى المنشورة فى صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو ١٩٣١ ص ٢٤ وكتاب مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير للخولى ص ١٤٩ .

(١١) ينظر فن القول للخولى ص ٨٦ ، وكتاب دروس فى البلاغة وتطورها للدكتور جميل سعيد ص ٧٦ وما بعدها .

(١٢) ينظر الايضاح للقزوينى ص ٩ ، و ص ٢١٢ ـ ٢١٣ (ط محمد محيى‌الدين عبدالحميد بالقاهرة) ، كما ينظر فى مفتاح العلوم للسكاكى ، بحث التشبيه وتقسيم علم البيان الى مباحثه وموضوعاته المختلفة .

الطبيعية والالهية والخلقية كالكلام فى الالوان والطعوم والروائح والحواس الانسانية ومقرها والوهم والخيال والمفكرة والحس المشترك والاسباب والمسببات وغيرها ، وأدخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول والموضوع والايجاب والسلب وغير ذلك من المصطلحات التى لا علاقة لها بالبلاغة بقدر علاقتها بالعلوم العقلية الاخرى •

لقد حددوا البلاغة بهذه المقاييس وضبطوا أبحاثها بهذه الاعتبارات العقلية التى ازهقت روح البلاغة واحالتها قواعد جامدة لا حياة فيها ، وبذلك نشأ الجدل العنيف والنقاش الحاد فى كتب البلاغة فأخرجها عن هدفها الفنى • ومن يقرأ كتب المتأخرين والشروح بصورة خاصة ، يجد هذه الظاهرة واضحة جلية ويجد أن أحكام المدرسة الكلامية أحكام بعيدة عن الروح الادبية المعتمدة على الذوق الادبى والاحساس الفنى الصادق •

ومن شواهد الاثر الفلسفى فى هذه المدرسة الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية وذلك لان رجالها اهتموا بالتحديد المنطقى والحصر والتقسيم فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا او مثالا قصيرا ، وأحيانا يذكرون أكثر من مثال أو شاهد • وليتهم وقفوا عند هذا الحد فكثيرا ما يذكرون أمثلة لا جمال فيها لان صحة الشاهد أو المثال عندهم أصل كل شيء ، أما جماله وما يبعث فى النفس من احساس أو شعور فنى فذلك ما لم يوجهوا عنايتهم اليه • ولنذكر مثالا واحدا يبين وجهة نظرنا وما نذهب اليه • ذكر السكاكى ــ وهو رأس المدرسة الكلامية ــ ان من جهات الحسن رد العجز الى الصدر ومثل له بقول الشاعر :

مشتهر فى علمه وحلمه ــ وزهده وعهده مشتهر
فى علمه مشتهر وحلمه ــ وزهده وعهده مشتهر
فى علمه وحلمه وزهده ــ مشتهر وعهده مشتهر
فى علمه وحلمه وزهده ــ وعهده مشتهر مشتهر [١٣]

ولا ندرى أى معنى فى هذه الابيات ، وأى ذوق يقبلها ، وأى نفس

---

(١٣) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٠٣ ط الاولى سنة ١٩٣٧ بالقاهرة •

ترتاح اليها ؟ أين هذه الابيات من قوله تعالى : « وجزاء سيئة ، سيئة مثلها » ، وقوله : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات واكبر تفضيلا » ، وقوله : « قال لهم موسى : ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » أو قول عمر بن أبي ربيعة :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وغير ذلك من جميل الكلام وبديع الشعر •

لقد أفسد السكاكي واضرابه هذا الفن البديع وأحالوه الى لعب بالالفاظ مع أن ابن المعتز عده من أبواب البديع الخمسة • ولعل اهتمام البلاغيين المتأخرين بالاختصار وتلخيص الكتب المتقدمة ، كان سببا في الاقلال من الشواهد والامثلة والاكتفاء بأقلها وأقصرها ، وبما ينسجم مع أذواقهم التي سيطرت عليها الصنعة الكلامية والبديعية ، وبذلك بقي تمثيلهم منحصرا في الجملة او الجملتين ولم يتجاوزها الى القطع الطويلة التي تكون وحدة فنية وتصور صورا كاملة لها معناها الواضح وتأثيرها العظيم •

وقد شاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الاسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترك والتتر ومن اليهم من الاقوام غير العربية ، وكانت خوارزم أكبر المناطق التي ظهر فيها أقطاب هذه المدرسة كجارالله الزمخشري (٥٣٨هـ) صاحب (الكشاف) ، وفخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) مؤلف (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) ، وأبي الفتح ناصر ابن المكارم المطرزي (٦١٠هـ) مؤلف كتاب (الايضاح) في شرح مقامات الحريري ، والسكاكي (٦٢٦هـ) صاحب مفتاح العلوم ، وسعدالدين التفتازاني (٧٩٢هـ) شارح تلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني • وقد استطاعت هذه المدرسة السيطرة على الدراسات البلاغية بعد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني وبلغت ذروتها في عصور الشروح والتلخيصات •

وأهم كتب المدرسة الكلامية : (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ، و (نقد النثر) المنسوب الى قدامة* ، و (دلائل الاعجاز)

---

* ان كتاب نقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر هو كتاب (البرهان في وجوه البيان) لأبي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وسنصدره محققا هذا العام •

لعبدالقاهر الجرجانى (٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، و (الايجاز فى دراية الاعجاز) لفخرالدين الرازى (٦٠٦هـ) ، و (مفتاح العلوم) للسكاكى (٦٢٦هـ) ، و (المصباح فى اختصار المفتاح) لبدرالدين بن مالك (٦٨٦هـ) ، و (تلخيص المفتاح) و (الايضاح) لجلال‌الدين الخطيب القزوينى (٧٣٩هـ) ، و (عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح) لبهاءالدين السبكى (٧٧٣هـ) ، و (المطول على التلخيص) و (المختصر) لسعدالدين التفتازانى (٧٩٢هـ) ، و (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح) لابن يعقوب المغربى (١١١٠هـ) ، وغيرها من الكتب التى سارت على منهج السكاكى وهى كتب كثيرة جدا تشمل جميع تلخيصات مفتاح العلوم وشروحه .

(٣)

ولعبت عوامل كثيرة فى نشأة البلاغة العربية وتطورها الى جانب الفلسفة والنطق وعلم الكلام ، وكان من أهم هذه العوامل القرآن الكريم الذى طبع أبحاث البلاغة بطابع أدبى ، ويتجلى هذا فى كثرة الشواهد التى اقتبسها البلاغيون من القرآن .

وكان للكتّاب أثر واضح فى البلاغة أيضا ، فقد صبغوا كثيرا من مباحثها بصبغة أدبية لما امتازوا به من أدب جم وذوق سليم . يقول الجاحظ عنهم : « طلبت علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا يتقن الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم أظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبدالملك الزيات »[١٤] . وقال عنهم أيضا : « أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ،

---

(١٤) العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١٠٦ ، ط محمد محيى‌الدين عبدالحميد الثانية ١٩٥٥م .

ولا ساقطا سوقيا »[15] •

ولعب الشعراء دورا هاما فى البلاغة ، وليس ابن المعتز الشاعر العباسى الا واحدا من اولئك الذين وضعوا اللبنات الاولى للبلاغة وأرسوا قواعدها • يقول ابن المعتز نفسه عنهم وهو يتحدث عن البديع : « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو »[16] •

وقد طبعت هذه المؤثرات ـ القرآن الكريم والكتاب والشعراء ـ البلاغة بطابع أدبى وكان نتيجة ذلك ان اتجهت البلاغة اتجاها آخر وسلكت طريقا بعيدا عن المدرسة الكلامية ، وهذا الاتجاه الذى سارت البلاغة فيه هو الذى أرسى قواعد المدرسة الادبية ووطد أركانها وثبت أصولها •

ومن خصائص هذه المدرسة عدم الاهتمام بالتحديد والتقسيم اهتماما كبيرا ، وان جنحت الى ذلك فعلى غير تعمق ونفاذ والتزام للتصحيح التام للاصول المنطقية فيه الا أن يكون شىء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلامية[17] • كما انها لم تهتم باقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة بل نبذتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ضياءالدين بن الاثير أحد أقطاب هذه المدرسة ممن حملوا حملة عنيفة على الفلسفة ورأى فى رجالها من أمثال ابن سينا والفارابى رجالا أضلهم ارسطو وافلاطون ، يقول : « اعلم ان المعانى الخطابية قد حصرت أصولها ، وأول من تكلم فى ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر كلي لا جزئى ، ومحال أن تحصر جزئيات المعانى وما يتفرع عليها من التعريفات التى لا نهاية لها • لا جرم ان ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه ، فان البدوى البادى راعي الابل ما كان يمر شىء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتى بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا »[18] •

---

(١٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧ •
(١٦) البديع لابن المعتز ص ٥٨ ط كراتشكوفسكى •
(١٧) ينظر فن القول للخولى ص ٩٣ •
(١٨) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ج ١ ص ٣١٠ ط محمد محيىالدين عبدالحميد بالقاهرة •

ومن خصائصها انهـا تستعمل المقاييس الفنية فى الحكم على الادب لذلك نجدها مرة تستطيع التعليل ومرة لا تستطيع ذلك وترجعه الى الذوق والاحساس الفنى ، ولذا فهى تعنى بالبحث عن الجمال وتقول : « هـذا جميل وهذا أجمل منه ، وهذا بالغ حد الاعجاز بجماله ، وهذا قبيح وهذا أقبح »[١٩] . كما ان أسلوب كتبها وتعابيرها سهلة مفهومة لا تحتاج الى عناء كبير فى فهمها كما يحتاج فى قراءة كتب المدرسة الـكلامية التى كثيرا ما يقف الباحث او القارىء على نص أو تعريف وقفة طويلة يحاول فيهـا فهم ما يرمى المؤلف اليه ، وسبب ذلك ان معظم رجال المدرسة الادبية عاشوا فى بيئات عربية كالعراق والشام ومصر ، وكانوا الى جانب ذلك شعراء أو كتّابا لهم ذوق أدبى واحساس فنى صادق ، فالجاحظ مع كونه معتزليا متكلما كان أديبا كبيرا ، وابن المعتز كان شاعرا أصيلا ، وأبو هـلال العسكرى وعبدالقاهر الجرجانى وضياءالدين بن الاثير وغيرهم كانوا كتابا ممتازين لهم أسلوبهم فى الـكتابة ، ولهم طابعهم الخاص . أما رجال المدرسة الـكلامية فقد عاشوا فى بيئة تركية أو فارسية فغلبت على كتبهم العجمة وعلى أساليبهم التعقيد واللف الذى يحتاج الى تأمل ووقوف طويلين ، أضف الى ذلك ان معظمهم لم يشتهـر بالشعر او الـكتابة وانما اشتهر بالمنطق وعلم الـكلام والاهتمام بالعلوم العقلية البعيدة عن الادب وروحه .

وأكثر رجال المدرسة الادبيـة اكثارا مسرفا من الشواهـد والامثلة الادبية نثرا وشعرا ، وكانوا غالبا ما يذكرون القاعدة بسطر او سطرين ويأتون بأمثلة تتجاوز الصفحات . ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة او بيت الشعر وانما تعدتها الى القطعة الشعرية والى الرسالة الادبية ، ويتضح هذا فى جميع كتب المدرسة ، فابن المعتز مثلا يذكر تعريف الاستعارة أو الجناس ويورد بعد ذلك أمثلة عديدة ويفرق بين حسنها ورديئها ، ونرى أبا هلال العسكرى يتبع هذه الطريقـة أو هذا المنهج فى ذكر الامثلة وان

---

(١٩) ينظر كتاب دروس فى البلاغة وتطورها للدكتور جميل سعيد ص ٩١ .

استفاد من المنهج الكلامي والعقلي في التقسيم والحصر والتبويب ، فهو يسوق في المقام الواحد عشرات الامثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث وكلام العرب شعرا ونثرا ، ويعتمد في النقد على الذوق غير مكتف بالصحة العقلية كرجال المدرسة الكلامية .

ومما يلفت نظر الباحث ان المدرسة الادبية كان لها مركز كبير في القرن السادس الهجري الذي سادت فيه العقلية المنطقية وجنحت فيه أذواق المؤلفين والكتاب نحو الجمود والتقليد . ومن أعلامها في هذا القرن وما بعده ضياءالدين بن الاثير الذي يعد قمة المدرسة الادبية لانه بحث البلاغة بحثا أدبيا وابتعد عن المنهج الكلامي وادخال الفلسفة وعلم الكلام فيها ، وكان كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) وكتابه (الجامع الكبير) من خيرة الكتب الذوقية لما اشتملت عليه من نصوص أدبية رفيعة ولما امتازت به من ذوق سليم يميّز الاساليب المختلفة . ومنهم ابن أبي الاصبع المصري الذي لم تؤثر فيه المدرسة الكلامية كثيرا فكان كتابه (بديع القرآن) وكتابه (تحرير التحبير) من ألطف الكتب التي تمثل مدرسة مصر البلاغية .

وقد سادت المدرسة الادبية في المناطق الوسطى من الدولة الاسلامية أي في المناطق العربية كالعراق والشام ومصر وشمال أفريقية . وأهم كتبها التي تضمنت حركتها وآراءها وأصولها : (كتاب البديع) لابن المعتز (٢٩٦هـ)، و (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، و (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) لابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) ، و (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، و (أسرار البلاغة) لعبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، و (البديع) لاسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) ، و (المثل السائر) و (الجامع الكبير) لابن الاثير (٦٣٧هـ) ، و (بديع القرآن) و (كتاب تحرير التحبير) لابن أبي الاصبع المصري (٦٥٤هـ) . وقد عد الاستاذ أمين الخولي من رجال هذه المدرسة بهاءالدين السبكي

(٧٧٣هـ)[٢٠] ، ولكننا لا نتفق معه فيما ذهب اليه كل الاتفاق لان كتاب (عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح) للسبكى ليس فيه من الروح الادبية كما فى كتب ابن الاثير وابن أبى الاصبع المصرى وغيرهما ، لا فى منهجه ولا فى مادته ، فقد حشر المؤلف فى الكتاب مسائل كثيرة لا صلة لها بالبلاغة وأكثر من علم الاصول اكثارا عظيما وذكر تقسيمات عديدة ينفر منها القارىء وتبعث فى نفسه السأم ، ومع ذلك فالمؤلف ينقد أهل المشرق وطريقتهم فى البلاغة ويقول عن أهل بلاده : « أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التى هى أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة فى المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلاوة وأشار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء ـ فضلا عن الاغمار ـ الاعمار ، ويرون فى مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار »[٢١] .

ولكنه بالرغم من احساسه بهذه الحقيقة لم يسر على المنهج الادبى الذى يبتعد عن حشر الفلسفة ومسائلها فى البلاغة ، واتجه اتجاه المدرسة الكلامية فى تقسيم البلاغة الى معان وبيان وبديع وفى ادخال علم الاصول وعلم المنطق والفلسفة فى مباحثها ، وفى اهتمامه بالتقسيم العقيم[٢٢] .

---

(٢٠) تنظر مادة (بلاغة) فى دائرة المعارف الاسلامية (ط عربية) مجلد ٤ ص ٦٩ وكتاب مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والادب لامين الخولى ص ٢٦١ .

(٢١) عروس الافراح ـ شروح التلخيص ج ١ ص ٥ .

(٢٢) نقول هذا ونحن نعلم ان كتاب السبكى خير كتاب يمثل مدرسة مصر البلاغية لانه جمع بين المدرستين الادبية والكلامية ، وسنشرح هذه المسألة بالتفصيل فى البحث الذى نعده للدكتوراه عن (الخطيب القزوينى : جهوده واثره فى البلاغة والنقد) .

هاتان هما المدرستان البلاغيتان ، وقد رأينا أن كل واحدة منهما امتازت بخصائص معينة ، وكان لها رجالها وكتبها الخاصة ، ولكن هل يمكن أن نضع حدا فاصلا بين الذين اتبعوا الطريقة الادبية والذين نهجوا سبيل المدرسة الكلامية ؟ ليس من الممكن هذا ـ بالطبع ـ فكثيرا ما يمزج البلاغى الواحد بين الطريقتين ويستفيد من المدرستين ، فالجاحظ ـ مثلا ـ وهو رأس فرقة اعتزالية سميت « الجاحظية » ، نراه يميل الى الناحية الادبية ويحكم الذوق فى كثير من الاحيان ، وأبو هلال العسكرى مع تأكيده انه لن يتبع طريقة المتكلمين نراه يتجه نحوهم فى تقسيماته وتبويبه ويجرى فى مضمارهم ويخدم أغراضهم وبذلك لم تخلص الطريقة الادبية فى أبى هلال ، أو لم يخلص أبو هلال للطريقة الادبية ولم يَنْجُ من أثر المتكلمين • وكان عبدالقاهر الجرجانى يميل مرة الى المدرسة الكلامية فى كتابه (دلائل الاعجاز) ، ويتجه الى المدرسة الادبية فى كتابه (أسرار البلاغة) ، فهو فى كتابه الاول يجادل جدلا منطقيا فيكرر أساليب المناقشين الجدليين مثل : « ان قلتم قلنا ••• » و « كيف لا يكون الامر كذلك •• » و « ما هو الا كذا وكذا •• » وغير ذلك • ولا عجب فى هذا فالرجل فى دلائل الاعجاز يناقش الذين لا يؤمنون باعجاز القرآن وما فيه من سحر وروعة وبلاغة ، وليس أمامه الا أن يتبع هذه الطريقة الجدلية فى اقناع الخصوم • وهو فى كتابه الثانى أديب بليغ يعمد الى التحليل الفنى وابراز ما فى الكلام من بلاغة وجمال ، ولم يكن فى هذا الكتاب ما يدعو الى الاستعانة بالاساليب الجدلية والمنطقية ؛ لانه ليس بصدد البرهنة على اعجاز القرآن والرد على الطاعنين فى بلاغته •

وممن استطاعوا أن يجمعوا بين المدرستين فى كتاب واحد يحيى بن حمزة العلوى (٧٤٩هـ) فى كتابه (الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز) ، فهو فى القسم الاول من الكتاب يسير على منهج أدبى واضح

فيه التحليل وفيه الاكثار من الامثلة ، وهو فى القسم الثانى يتبع طريقة المدرسة الكلامية فى تصنيف مسائل البلاغة وتقسيمها الى معان وبيان وبديع ، ولكنه مع ذلك يكثر من الامثلة والتحليل . وكتاب الطراز من خيرة كتب البلاغة فى القرن الثامن وأمتعها لولا اكثار مؤلفه من التقسيمات التى يضيع القارىء فيها أحيانا . ولكن هل بقيت البلاغة العربية على هذه الحال ؟

لقد أعجب الناس بكتاب (مفتاح العلوم) للسكاكى (٦٢٦هـ) فطفقوا يؤلفون الشروح والتلخيصات ويضعون الحواشي والتقريرات عليه ، وبذلك اتجهت الدراسات البلاغية وجهة ما كان لها أن تتجه اليها لولا أثر هذا الكتاب ولولا موت المواهب وضعف الملكات الادبية بعد أن نكب العالمان العربى والاسلامى نكبات كثيرة ، وبعد أن اجتاحت البلاد عواصف مدمرة هبت من الشرق مكتسحة كل حضارة وعمران .

لقد كانت البلاغة قبل أن يسيطر منهج السكاكى حرة طليقة يغلب عليها الطابع الادبى ويلف مباحثها روح يعتمد أول ما يعتمد على الذوق وحسن الادراك ، وكانت للباحثين اصالتهم فى التأليف ولهم منهجهم الخاص بهم فى البحث ، فلابن المعتز منهجه وأسلوبه ، ولقدامة بن جعفر طابعه الخاص ، ولأبي هلال العسكرى طريقته الواضحة ، ولعبدالقاهر الجرجانى أسلوبه ومنهجه ولضياءالدين بن الاثير وجهته الخاصة فى التأليف . ولم تبق مناهج البحث فى البلاغة مختلفة باختلاف المؤلفين فقد صبت كلها فى قالب جديد فى أواخر القرن السادس الهجرى وأوائل القرن السابع فكان (مفتاح العلوم) الذى اتجه فيه مؤلفه وجهة جديدة فيها تحديد وتقسيم وفيها ضبط منطقى جاف لمسائل البلاغة ومباحثها . وسيطر الكتاب على مجالس العلم والتدريس حتى كادت البلاغة تحتضر بعده لولا بعض القبسات التى أرسلها حمزة بن يحيى العلوى (٧٤٩هـ) فى كتابه الطراز ، وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) فى كتابه الفوائد . ولكن هذين الكتابين لم يستطيعا أن يقفا بوجه تيار السكاكى ولم يقدرا أن يسيطرا على مناهج درس البلاغة يومذاك ، فقد ظهر قبلهما بقليل كتاب (المصباح) لبدرالدين بن مالك

(٦٨٦هـ) وهو أول تلخيص لمفتاح العلوم وصل الينا* ، وظهر فى زمانهما كتابا التلخيص والايضاح لمحمد بن عبدالرحمن جلال‌الدين الخطيب القزوينى (٧٣٩هـ) فانصرف الناس الى الكتب الثلاثة وكادوا ينسون ماكان للعرب من تراث بلاغى ضخم •

وانشغل الناس بمفتاح العلوم وشروحه وتلخيصاته وحواشيه وتقريراته وانكب الاساتذة يدرسونها مع ما فيها من جفاف الفلسفة وما فيها من بعد عن الادب وروحه الفنية• وقدكان لكتابى الخطيب القزوينى صولة فى ميدان البلاغة فى المناطق الشرقية من العالم الاسلامى كالعراق وايران والهند ، وكان المصباح لبدرالدين بن مالك قبلة طلاب البلاغة فى بلاد المغرب • وكثرت الشروح والتلخيصات على هذه الكتب كثرة لم ينلها كتاب من قبل ، وكانت نتيجة انصراف الناس الى هذه الكتب واهمال كتب البلاغة الاخرى ، ان ماتت المواهب وذهبت الملكات الادبية التى تحس بالكلام الجميل ، واصبح العاكف عليها لا يستطيع أن يعبر تعبيرا صحيحا أو ينشىء جملة فصيحة ، حتى يروى ان أحد الاساتذة عكف على مفتاح العلوم وتلخيصاته وشروحه أربعين سنة درسا وتدريسا فلما طلب منه أحد الولاة أن يقول كلمة فى حفلة او اجتماع لم يستطع ذلك الاستاذ أن يفصح عما فى نفسه وان يعبر تعبيرا صحيحا •

وليت المتأخرين استفادوا من مفتاح العلوم كثيرا ، فقد كان فى قلم مؤلفه اثارة من الاسلوب الادبى الذى درج عليه من سبقه من المؤلفين فى البلاغة ، ولكنهم كادوا يهملونه اهمالا عظيما بانصرافهم الى تلخيصاته وشروحه التى لم تهتم بالذوق والاسلوب الجيد كما اهتمت بالجدل والنقاش وبذكر ما لا يمت الى الفنون الادبية بأدنى صلة • وبقيت البلاغة على هذه الحال وبقى الاساتذة لايخرجون عما رسمه لهم السلف كالسكاكى والخطيب القزوينى والتفتازانى والسبكى وغيرهم حتى أطل فجر النهضة الحديثة على أمة العرب فأحس الناس انه لابد أن تتغير طرائق التدريس ولابد أن تتجدد

---

* لقد لخص السكاكى نفسه القسم الثالث من مفتاح العلوم بكتابه (التبيان) ولكن لم نعثر عليه •

مناهج البحث والتأليف ، فأخذ الدارسون يحيون تراثهم ويخرجون بحوثا فيها طرافة وفيها تجديد مستعينين بحضارتهم التالدة ومقتبسين من الغرب حضارته الطارفة وما فيه النفع وانارة السبيل . ولكن البلاغة مع ذلك لم تحظ بدراسات كثيرة بالرغم من انصراف كثير من الباحثين الى تراثنا الادبى ، فما يزالون لا يقدمون على هذا الفن اقدامهم على دراسة الادب وفنونه المختلفة ، ولعل سبب ذلك ما وصلت اليه البلاغة من حال يدعو الى العزوف عن البحث فيها والانصراف الى غيرها . وكان الازهر الشريف أول من حمل لواء التجديد فى البلاغة وذلك بأن قيض الله لها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ــ رحمه الله ــ الذى أخذ يحيى كتب السلف النافعة وعلومهم ويقوّم ما اعوج من مناهج التأليف وطرائق التدريس . فقد انصرف الشيخ محمد عبده الى تدريس كتابى دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجانى ، وبذلك فتّح أذهان الطلبة وقوّى مداركهم ومواهبهم لانهم وجدوا فى تدريس الامام غير ما ألفوه . وبذلك كان الجامع الازهر أول معهد من معاهد التعليم الاسلامى والعربى قرىء فيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة ــ بعد الغفوة الطويلة ــ درسا لطلاب البلاغة ، ولأجله طبع الكتابان وانتشرا . ويبدو مما ذكره الاستاذ محمد رشيد ــ منشىء مجلة المنار بمصر ــ فى مقدمة الطبعة الثانية (مصر ١٣٣١هـ) من كتاب دلائل الاعجاز ان العلماء أحجموا عن تدريس الكتابين بعد الاستاذ الامام مع انهما كانا مقررين للتدريس فى الجامع الازهر رسميا .

ومع ما بذل الامام محمد عبده من جهود عظيمة فى بعث البلاغة واحيائها ، لم يؤلف كتابا ينحو فيه منحى أدبياً بعيدا عن منحى الفلاسفة وأصحاب المنطق ، ولعل الاستاذ علي عبدالرازق كان من أوائل الذين انصرفوا الى البحث فى البلاغة وتاريخ فنونها ، فقد كتب كتابه (أمالى علي عبدالرازق فى علم البيان وتأريخه) ، ولكن هذا الكتاب لم يشمل البلاغة كلها وانما اقتصر على أحد فنونها وهو علم البيان ، ولم يكن الكتاب عميقا بعيد الاثر لان مؤلفه ــ كما يبدو ــ كان يمليه على طلابه املاء ، ولم

يكن له الوقت الكافي لتنقيحه واكماله وشرح ما أوجزه فيه لانشغاله بأمور أخرى[٢٣] .

وقد تخرج في الازهر الشريف في مطلع العصر الحديث جيل فيه عزم على البحث وفي روحه اندفاع الى التجديد ، وانشئت دار العلوم فكان بعض هؤلاء الطلاب أساتذة فيها حملوا دعوة الامام محمد عبده والاستاذ علي عبدالرازق وغيرهما ، وبذلك كانوا رواد البحث في البلاغة .

ومن الكتب المؤلفة في فجر النهضة كتاب (حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع) للاستاذ الشيخ محمد البسيوني (١٩١٣م) ، وكتاب (زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع) للاستاذ الشيخ أحمد الحملاوي (١٣٥١هـ)، وكتاب (دروس البلاغة) لحفني ناصف وزملائه . وهذه الكتب - وان اختلف ترتيبها وتنوع تبويبها - فهي تنحو منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشرّاحه ، وهي ليست كتبا في بحث البلاغة بحثا جديدا او وضع الخطوط الرئيسة لبحثها وانما هي - كما قلنا - كتب كان الهدف منها تفسير مباحث البلاغة وموضوعاتها وتقديمها مرتبة مهذبة للطلاب .

وكان الاستاذ أحمد مصطفى المراغي من خيرة أساتذة دار العلوم في بحث البلاغة فقد ألف كتاب (علوم البلاغة) جمع فيه بين طريقتي الجرجاني والسكاكي ، كما ألف كتبا أخرى منها كتاب (تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) وهو بحث موجز في تاريخ البلاغة وترجمة أهم رجالها ، ولكن فيه مع ذلك آراء قيمة في نقد منهج السكاكي وطريقته . وله كتاب (بحوث وآراء في علوم البلاغة) وهو في الواقع ليس الا المباحث التي ذكرها فيما بعد مبوبة مرتبة في كتابه المتقدم ، وان اختلفت طريقة العرض والتأليف .

وللشيخ عبدالهادي العدل كتاب (دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة

---

(٢٣) يقول في ص ٨٢ من كتابه الامالي (ط القاهرة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م) وهو يتحدث عن التشبيه : « ولكن البحث طويل عريض يحتاج الى برهة من الزمن كافية فيه ، ولم يبق لي من الوقت ما يسع ذلك ، فقد قرب موعد رحلتي - ان شاء الله تعالى - الى بلاد الانجليز ، والله أسأل ان يبارك لي في السفر والاقامة ويكتب لي الغنم والسلامة . واذا قدر لنا ان نعود الى الاشتغال بهذا الفن رجونا ان نتم ما بدأنا والا كان أمره الى غيرنا والى الله عاقبة الامور » .

عبدالقاهر في التشبيه والتقديم والتأخير) ، وهذا الكتاب ـ كما يتضح ليس الا توضيحا لمنهج عبدالقاهر الجرجاني في التشبيه والتقديم والتأخير .

ونبغ كثيرون من متخرجي الازهر ودار العلوم ، فكانت لهم كتب فيها تجديد وفيها نزعة أدبية . ولما انشئت الجامعة المصرية قام اساتذتها يجددون في أبحاثهم مستهدين بتراثهم القديم ومناهج الغربيين ، وكان للبلاغة نصيب ليس بالقليل من هذا التجديد وتطبيق المناهج الحديثة والاستفادة مما وصل اليه الاوربيون في العصر الحديث . ولعل الدكتور طه حسين كان من أوائل الذين نادوا ببعث البلاغة العربية وبحثها بحثا يقوم على تفهم مرامي القدماء وعلى الموازنة ، وعلى مقارنتها ببلاغة اليونان وذلك ببحثه القيم (البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر) الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين باللغة الفرنسية في ليدن ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٣١ ونشر مترجما بقلم الاستاذ عبدالحميد العبادي في مقدمة كتاب (نقد النثر) سنة ١٩٣٣ـ١٣٥١هـ . وقد قرر الدكتور طه حسين ان البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ تبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة هي : العنصر العربي والعنصر الفارسي والعنصر اليوناني ، وقد بلغ ذروته على يدي الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ولم يتقدم بل أخذ على العكس من ذلك في التأخر والانحطاط . والشيء الجديد في هذا البحث ان الدكتور طه حسين أول من نبه الى الاثر الهيليني في البلاغة والى أثر ارسطو الواضح فيها ، وبذلك قرر ان البيان العربي كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا ، ولم يكن أرسطو المعلم الاول للمسلمين والعرب في الفلسفة وحدها ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان[٢٤] .

---

(٢٤) لقد نشر الاستاذ أمين الخولي مقالته (البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها) في صحيفة الجامعة المصرية في العدد الخامس (مايو ١٩٣١م) وعلى هذا يكون أسبق من الدكتور طه حسين في التنبيه الى أثر أرسطو في البلاغة العربية وأثر الفلسفة في مناهجها وطرائق بحثها ، ولكن استاذنا الدكتور شوقي ضيف أخبرنا بان الدكتور طه حسين كان أسبق في التنبيه الى هذا النوع من الدراسات بما كان يلقيه على طلابه في الجامعة من محاضرات وتوجيهات منهجية ، ولاجل ذلك قدمنا ذكر الدكتور طه حسين مع اعترافنا ان الاستاذ الخولي كان أكثر تأثيرا من غيره في هذا الموضوع .

وقد كان لهذا الرأى أثر كبير ، فأخذ الباحثون يتلمسون ما أوجزه الدكتور طه حسين ويقارنون بين بلاغة العرب واليونان ، فألف الدكتور ابراهيم سلامة بحثا قيما هو (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) ، أثبت فيه ما ذكره الدكتور طه ، وتتبع البلاغة العربية منذ الجاحظ متلمسا أثر أرسطو وموضحا فهم العرب لـكتابى الخطابة والشعر ، وقد خرج بنتائج طيبة حتى كان كتابه ـ بحق ـ أهم بحث فى هذا الميدان لولا وقوفه عند عبدالقاهر واهماله السكاكى وغيره ممن كان تأثير الفلسفة وعلم الـكلام فيهم أوضح وأكثر ظهورا •

واشتغل الاستاذ أمين الخولى فى البـلاغة وكان لـه أكبر الأثر فى توجيه طلابـه نحو البحث الحر بما ألقى من محاضرات وقدم من بحوث كبحث **(البلاغة وعلم النفس)** و **(مصر فى تاريخ البلاغة)** و (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها) ، ومقالته عن البلاغة في دائرة المعارف الاسلامية ، وكتابه (فن القول) من أهم الـكتب التى رسمت مناهج بحث الفن الادبى والبلاغة • والاستاذ الخولى ـ بحق ـ رائد تجديد مناهج البحث فى البلاغة فى هذا العصر ، ومن ألمـع المؤلفين الذين أثروا تأثـيرا واضحا فى هـذه الدراسات ، ويمكن القول ان كل من كتب بعده فى البلاغة اهتدوا بهديه واقتفوا أثره •

وكتب الاستـاذ أحمد الشـايب فى البلاغـة والنقد واخرج كتاب (الاسلوب) الذى يعد دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب العربية ،كما كتب (أصول النقد الادبى) الذ ى كان محاولة موفقة للجمع بين التراثين العربى والغربى فى النقد وتفهم مسائله •

وكان نتيجة الجهود التى قدمها شيوخ الازهر وأساتذة دار العـلوم والجامعة ان ظهرت دراسات جامعية فى البلاغة لها أصالتها ولها أسلوبهـا الجديد ككتاب (البلاغة العربيـة فى دور نشأتهـا) للدكتور سيد نوفل ، وكتابى (أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية) و (قدامة بن جعفر والنقد الادبى) للدكتور بدوى طبانة ، ، وكتابى (أثر القرآن فى تطور النقـــد

العربى الى أواخر القرن الرابع الهجرى) و (ضياءالدين بن الاثير وجهوده فى النقد) للدكتور محمد زغلول سلام و (ابن أبى الاصبع المصرى) للدكتور حفنى محمد شرف • وحققت كتب بلاغية مهمة نال بها أصحابها درجات جامعية منها (الموازنة بين الطائيين) و (بديع القرآن) و (تحرير التحبير) الى جانب ما حقق خارج الجامعة من كتب مهمة كان لها أكبر الاثر فى تفهم تيارات البلاغة العربية ومعرفة اتجاهاته ورجالها الاعلام •

وظهر اتجاه نفسى فى دراسة الادب ونقده فى السنوات الاخيرة ، ومن الابحاث المهمة فى هذه الناحية مقالة (البلاغة وعلم النفس) لأمين الخولى اضافة الى ما ذكره ـ فيما بعد ـ فى كتابه فن القول ، وكتاب (علم النفس الادبى) للاستاذ حامد عبدالقادر ، وكتاب (من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده) للاستاذ محمد خلف‌الله • ونرجو ألا يطغى هذا التيار على البلاغة كما طغى المنطق والفلسفة وعلم الكلام عليها من قبل فأفسدها وأخرجها عن سبيلها •

أما فى أقطار العالم العربى الاخرى فلم تحظ البلاغة باهتمام بالغ كما حظيت به فنون الادب الاخرى ، ففى العراق ـ مثلا ـ لم يؤلف الا كتاب (دروس فى البلاغة وتطورها) للدكتور جميل سعيد ، وهو كتاب فى تاريخ البلاغة وتطورها وفى الفصاحة ، وأطرف ما فيه القسم الثانى الخاص بالفصاحة فقد طبقها على الشعر الحديث كشعر الرصافى والزهاوى والحبوبى ، وكتاب (البلاغة عند السكاكى)(٢٥) لكاتب هذا المقال وغيرها من المقالات • ولم يصلنا من المغرب الا كتاب (دلائل الاعجاز) بطبيعته المغربية ، وفيه مقدمة طويلة عن تاريخ البلاغة كتبها محقق الكتاب الاستاذ محمد بن تاويت ، وهى مقدمة استعان فيها كاتبها بما نشر أمين الخولى كما يعترف الكاتب نفسه وكما يتضح من قراءتها • وهناك مقالات قليلة نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق وغيرها من المجلات ولكنها على كل حال

---

(٢٥) رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير (جيد جدا) فى أول شباط ١٩٦١م •

لا تكون اتجاها معينا ولا توضح جانبا مهما من جوانب البلاغة العربية وتاريخها •

هذه أهم الدراسات البلاغية التى ظهرت فى العصر الحديث ، ولكن ما أهم اتجاهاتها وماذا قصد أصحابها عندما وضعوها ؟ وما موقفنا من البلاغة الان انتركها كما كتبها السكاكى وشراح كتابه مفتاح العلوم ومختصروه ، أم نسعى جاهدين لبعث الروح فى البلاغة من جديد ؟

(٥)

لقد ارتفعت بعض الاصوات فى هذا العصر تطلب تجديد البلاغة وترسم الخطوط العامة لدرسها واعادة الروح اليها ، ومن هذه الاصوات المخلصة الصادقة أصوات الاساتذة أمين الخولى وأحمد الشايب وعبدالله العلايلى • وقبل أن نبدى رأينا فى المنهج الذى ينبغى أن نسير عليه فى دراسة البلاغة، ينبغى أن نذكر آراء الثلاثة لان لهم فضل السبق ورجاحة العقل والتفكير •

يرى الاستاذ أمين الخولى ان التقسيم القديم للبلاغة الى المعانى والبيان والبديع لا أساس له ولا غناء فيه لانه ينبغى أن يشمل البحث البلاغى : الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث فى الجملة والجملتين فقط ، وان ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة فى البلاغة من مقومات منطقية واستطرادات فلسفية مختلفة ينبغى أن تبعد وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لابد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه • وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره فى التعبير الادبى ، وبالوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفنى ، وبالخيال والذاكرة والاحساس والذوق • ثم نبدأ بعدها بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح بشرط ان لا نفرط بتراثنا وبلاغتنا ؛ لان التجديد ليس معناه هدم القديم

وانما هو البناء مستعنين به وبما وصلت اليه الحضارة فى هذه الايام[٢٦] .
وقد تجمعت جهود الخولى فى كتابه (فن القول) الذى كان توجيها منهجيا شاملا لبحث البلاغة وخلق مدرسة بلاغية جديدة . ويرى ان مباحث فن القول ينبغى أن تقسم الى ثلاثة أبواب هى : المبادىء والمقدمات والابحاث ، ندرس فى المبادىء تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات ، وندرس فى المقدمات مقتبسات من القضايا النفسية التى تعيننا كثيرا فى فهم الادب وتذوقه والاحساس بما فيه من روعة وجمال . أما الابحاث فتضم البحث فى الكلمة الواحدة من حيث هى عنصر لغوى وما فيها من جمال وجرس موسيقى له أثر فى التعبير ، وتضم البحث فى الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير وحذف وذكر وايجاز واطناب ، وتضم البحث فى الفقرة وما فيها من فصل ووصل وما تؤدى من صور ، وتضم البحث فى صور التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والايحاء والتورية ، وتضم القطعة الادبية وفيها تتكلم عن عناصر العمل الادبى وما بين اللفظ والمعنى من علاقة ، وأخيرا ندرس الاساليب الفنية فى الادب وأنواعها كالاسلوب الرمزى والفكاهى والتهكمى وغيرها . وبهذا المنهج الواسع الذى يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة وكثيرا من الفنون الحديثة نستطيع ان ندرس البلاغة دراسة جديدة تقوم على تفهم الفن الادبى ومقاييسه البلاغية والنقدية .

اما الاستاذ أحمد الشايب فيرى ان موضوع البلاغة ينبغى ان ينحصر فى بابين أو كتابين هما : الاسلوب ، والفنون الادبية . فندرس فى الاسلوب الكلمة والصورة والجملة والعبارة والاسلوب وأنواعه ، وندرس فى الفنون الادبية مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها وقواعد

---

(٢٦) ينظر كتاب فن القول ص ٢١٥ — ٢٢٣ ، ومقالة البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ص ١٧ ، ومقالة البلاغة وعلم النفس ص ١٤٨ ، ومادة (بلاغة) فى دائرة المعارف الاسلامية (ط عربية) ج ٤ ص ٧٢ وكتاب مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والادب للخولى نفسه ص ١٤٣ ، ١٦٤ وما بعدها .

هذه الفنون كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتأريخ وغيرها من الفنون الادبية الاخرى(٢٧) .

ويرى الاستاذ العلايلى ان منهج البيان الجديد هو أن تلغى جميع مباحثه ومصطلحاته سوى التشبيه والكناية أو الحقيقة والمجاز ونقسم كلا منهما الى كناية وتجريد . أما علم المعانى فلما كان للغة بمثابة المنطق فيرى ان لا يدرس فى كتب القواعد كعلم بل يدرس على نهجه فى كتب الادب كما نجده عند عبدالقاهر فى دلائل الاعجاز وعند الزمخشرى فى التفسير مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل فى الذوق وأقرب مناطا بالنفس . ويدرس البديع كما يدرس علم المعانى(٢٨) .

هذه آراء ثلاثة عرضناها لنستطيع على ضوئها وضع الخطوط العامة لبحث البلاغة . ونرى ان منهج الخولى أقرب الى واقع البلاغة وواقع اللغة العربية لما امتاز به من جمع شتات مباحث البلاغة وتوزيعها توزيعا جديدا . ويلاحظ انه استفاد كثيرا من بلاغة السكاكي في رسم منهجه ووضع مباحثه وبالاخص فيما يتعلق ببحث الجملة . ولم يخرج رأى الشايب عن رأى الخولى فى قسمه الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الثانى فلا نرى موجبا لادخاله في البلاغة وانما يكون موضعه دراسات خاصة تتعلق بالفنون الادبية المختلفة . أما رأي العلايلي فنرى فيه قضاء على كثير من صور التعبير الادبية وابتعادا عن البلاغة العربية قد يحرمنا ما فى تراثنا من فائدة فى بناء البلاغة التى نريدها .

ونستطيع بعد ذلك ان نضع الخطوط الرئيسة للبحث البلاغى الجديد(٢٩) ويكون بالغاء التقسيم الثلاثي واعتبار البلاغة كلها فنا واحدا ، وبان تتجاوز البحث في الجملة والجملتين فتضم البحث فى الكلمة وما فيها

---

(٢٧) ينظر كتاب الاسلوب لاحمد الشايب ص ٢٩ وما بعدها (ط الثالثة ١٩٥٢م) .

(٢٨) ينظر كتاب مقدمة لدرس لغة العرب لعبدالله العلايلى ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(٢٩) تنظر مقالة رأى فى البلاغة العربية لاحمد مطلوب المنشورة فى العدد الاول من مجلة جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين (١٩٦٢) .

من جمال وجرس موسيقى له أثره فى التعبير ، والبحث فى الجملة ومـا يحدث بين أجزائها من فصل ووصل ، وحذف وذكر ، وتقديم وتأخير ، وغير ذلك من المباحث الاخرى التى ذكرهـا السكاكى فى عـلم المعانى ، والبحث فى صور التعبير المختلفة كالتشبيه والاستعارة والـكناية والتورية وغيرها من مباحث البيان والبديع التى لها قيمتها فى التعبير وأداء المعانى ، والبحث فى الفقرة والقطعة الادبية والاساليب المختلفة ، مستفيدين ممـا ذكره القدماء كعبدالقاهر الجرجـانى وضياءالدين بن الاثير والسكاكي وغيرهم • أما مصطلحات البلاغة فينبغى تقليلها والاكتفاء بأهمها وأدلها على الاساليب العربية ، فالمجاز ـ مثلا ، لا حاجة الى تقسيمه الى أنواع كثيرة وانما نكتفي بتقسيمه الى لغوي وعقلي كما فعل الجرجانى أو نعتبره لغويا كله كما فعل السكاكى • ونكتفى فى الاستعارة بمصطلحات قليلة ولتكن الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ورد جميع الانواع الاخرى الى هذين الاصلين • ونهتم فى بحث البلاغة بالناحية الادبية وتخير الامثـلة والقطع الرائعة من القرآن الـكريم وكلام العرب البليغ ، كما نهتم بتحليل الامثلة تحليلا أدبيا يعتمد على الادراك والاحساس الفنى •

ولن تكون البلاغة مفيدة على هذا الوجه ما لم نبعد ما أدخله القدماء فيها من الفلسفة والاصول والمنطق وعلم الـكلام ، مستعينين ببعض الدراسات النفسية وما لها من أثر فى الفن الادبى ولـكن لا الى الحد الذى تتجاوز فيه البحث البلاغى فتطغى عليه كما طغى المنطق وعلم الـكلام على بلاغـة القدماء فأخرجها عن غايتها التى من أجلها بحثت ، وبذلك نبعث فى البلاغة العربية الروح من جديد لتكون صالحة لنقد الادب وانشائه وتكون ملائمة للفن الادبى المتطور •

هذه أهم اتجاهات البلاغة العربية قديما وحديثا ولعلنا استطعنا ان نكشف عن خطوطها العامة ونتلمس معالمها الواضحة •

أحمد مطلوب

مراجع البحث*

١ ـ البلاغة وعلم النفس للاستاذ أمين الخولى · مقالة نشرت فى مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ديسمبر ١٩٣٦ ·

٢ ـ مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والادب للاستاذ أمين الخولى · الطبعة الاولى ١٩٦١ بالقاهرة ·

٣ ـ رسالة التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم لابى أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكرى · مطبوعة فى كتاب التحفة البهية والطرف الشهية · مطبعة الجوائب ١٣٠٢هـ ·

٤ ـ البيان والتبيين للجاحظ · طبعة الاستاذ عبدالسلام هارون ·

٥ ـ كتاب الصناعتين لابى هلال العسكرى · الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ·

٦ ـ الاسلوب للاستاذ أحمد الشايب · الطبعة الثالثة ١٩٥٢م ·

٧ ـ أصول النقد الادبى للاستاذ أحمد الشايب ·

٨ ـ النقد للدكتور شوقى ضيف ·

٩ ـ أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية للدكتور بدوى طبانة الطبعة الاولى ·

١٠ـ قدامة بن جعفر والنقد الادبى للدكتور بدوى طبانة · الطبعة الاولى ·

١١ـ أثر القرآن فى نشأة البلاغة لاحمد مطلوب · مقالة نشرت فى مجلة المعلم الجديد ببغداد فى المجلد الحادى والعشرين ، الجزء الثالث حزيران ١٩٥٨ ·

١٢ـ أثر القرآن فى تطور النقد العربى الى أواخر القرن الرابع الهجرى للدكتور محمد زغلول سلام ·

١٣ـ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى ·

١٤ـ أثر الفلسفة فى البلاغة لاحمد مطلوب · مقالة نشرت فى مجلة المعلم الجديد ببغداد فى المجلد الرابع والعشرين ، الجزء الثانى ١٩٦١م ·

١٥ـ البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها للاستاذ أمين الخولى · مقالة نشرت فى صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو ١٩٣١ ·

١٦ـ فن القول للاستاذ أمين الخولى · الطبعة الاولى بالقاهرة ·

١٧ـ الايضاح للخطيب القزوينى · طبعة محمد محيى‌الدين عبدالحميد بالقاهرة ·

١٨ـ مفتاح العلوم للسكاكى الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٩٣٧م ·

١٩ـ دروس فى البلاغة وتطورها للدكتور جميل سعيد · طبعة بغداد ·

* رتبت مراجع البحث حسب ورودها فى المقالة ·

٢٠ــ العمدة لابن رشيق طبعة محمد محيى‌الدين عبدالحميد الثانية ١٩٥٥ بالقاهرة ٠
٢١ــ البديع لابن المعتز ٠ طبعة كراتشكوفسكى ١٩٣٥ ٠
٢٢ــ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياءالدين بن الاثير ٠ طبعة محمد محيى‌الدين عبدالحميد بالقاهرة ٠
٢٣ــ دائرة المعارف الاسلامية (مادة بلاغة) ٠ الطبعة العربية ٠
٢٤ــ عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح للسبكى مطبوع فى كتاب (شروح التلخيص) طبعة القاهرة ٠
٢٥ــ أمالى على عبدالرازق فى البيان وتأريخه لعلى عبدالرازق ٠ طبعة القاهرة ١٣٣٠هـ ــ ١٩١٢م ٠
٢٦ــ نقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر ٠ تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد العبادى ٠
٢٧ــ مقدمة لدرس لغة العرب لعبدالله العلايلى ٠
٢٨ــ البلاغة عند السكاكي لاحمد مطلوب (مخطوط) وهى الرسالة التى نال بها المؤلف درجة الماجستير بمرتبة (جيد جدا) من جامعة القاهرة ٠
٢٩ــ رأى فى البلاغة العربية ٠ لاحمد مطلوب ٠ مقالة نشرت فى مجلة جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ٠ العدد الاول ١٩٦٢م ٠

أثر القرآن في شعر جديد

الدكتور باقر عبدالغني

نزل القرآن الكريم واللسان العربي قد صقلته فصاحة الاعراب ، بصوغ تجارب الحياة وأحداثها في مثل وحكمه ويفسرها في سجعة وينثرها في خطبة وينظمها في قصيدة ، وكان قد قطع دهرا من عمره الفني يخترع المعنى وينتقي اللفظ ويرسم الصورة ويثقف الاسلوب ، فلم يكن للقرآن ليرُي القوم اعجازه ومعجزته ، الا أن يأتيهم باسلوب لم تألفه صياغة القول عندهم من قبل ، اسلوب يدهش الفكر والذوق واللسان ، فجاء فريدا في نظم آياته ، بديعا في اداء أغراضه ، رائعا في عرض صوره ومخترعات بلاغته . له بلاغة القول الرفيع وبلاغة أخرى لم يُعرف سر رقتها وبيانها واحكامها . وله وقع الشعر في النفوس ووقع جديد يحس به السامع ولا يحدده وله موسيقى السجع ولكنه ليس من السجع المعروف وله من رقه النثر الفني وطلاوته كل ما وفره الفن للنثر من سماحة اللفظ ورقة العبارة وانسجام الرصف وراحة الفواصل واكتمال المعنى وتلاحق الافكار . وظل ، الى ذلك ، كما وصف نفسه « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[١] .

ولسنا هنا في سبيل الكلام عن الخصائص الفنية لاسلوب القرآن فقد عقدت لذلك دراسات عديدة منذ أن فقه العرب هذا السفر الجليل . وما زالت هذه الدراسات تتوالى وتحوم حوله دون أن تقع على سر اعجازه وبلاغته . وظل بعد طول الدرس والتحليل واختلاف الاجيال « قرآناً » لا هو شعر ولا هو نثر . انما الذي يعنينا هو موقف الادباء منه ودوره في بعث الفكر العربي وما فتحه له من دروب للمعرفة .

---

(١) سورة الاسراء ـ الآية ٨٨ .

لاشك ان الشعراء كانوا من أوائل الذين اهتمـوا بتدبّر القـرآن ودراسته ذلك لما لهم من كفاءات فنية ومعرفة طبيعية فى فنون القول وأساليب التعبير بالاضافة الى انهم كانوا يمثلون الطبقة المثقفة التى تعنى بمثل هذه الامور والتى يهمها ان تتدارس ما يجدّ على ميدان عملها .

وليس أدل على هذا الاهتمام من كثرة الشعراء الذين اسلموا على يد الرسول الاكرم بعد أن استمعوا الى قرآنه مادةً واسلوباً .

ومن هؤلاء حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه(٢) والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم(٣) وزيد الخيل بن مهلهل(٤) ولبيد ابن ربيعة(٥) وبجيْر بن زهير بن أبي سُلمى(٦) والنابغة الجعدي(٧) والنمر ابن تولب(٨) وفروة بن مسيْك(٩) والعباس بن مرداس(١٠) والمزرّد بن ضرار(١١) وغيرهم كثيرون ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

ويبدو ان بعض الشعراء قد انكب على دراسة القرآن مأخوذا بمادته واسلوبه حتى شغل به عن مزاولة نظم الشعر فقد روى ان عمر بن الخطاب سأل لبيد بن ربيعة عما أحدثه من الشعر فى الاسلام فقال لبيد : قد أبدلني الله بالشـعر سورة البقرة وآل عمـران ، فزاد عمر فى عطـائه فبلغ به ألفين(١٢) .

ويظهر ان هذا الانصراف الى دراسة القرآن لم يكن بدافع الرغبة الشخصية وحدها . بل ان المسؤولين كما تشير اليه الرواية ، قد عملوا على

---

(٢) الاغانى ٤/١٣٧ ــ ١٣٨ .
(٣) السيرة ٤/٢٠٦ .
(٤) نفس المصدر ٤/٢٢٤ ، الشعر والشعراء ٢٤٤ .
(٥) الشعر والشعراء ٢٣٢ .
(٦) نفس المصدر ٩١ .
(٧) نفس المصدر ٢٤٧ .
(٨) نفس المصدر ٢٦٨ ، ابن سلام ١٣٦ .
(٩) السيرة ٤/٢٢٨ .
(١٠) الشعر والشعراء ٢٥٩ .
(١١) نفس المصدر ٢٧٤ .
(١٢) ابن سلام ١١٣ .

تشجيع الناس على دراسة القرآن ومن صور هذا التشجيع ما أوصى به علي بن أبي طالب والد الفرزدق حين أتاه بابنـــه الشاعر الناشىء آنذاك وأخبره ان ابنه يقول الشعر فطلب اليه الخليفة أن يقرئه القرآن(١٣) .

ومهمـــا يكن من أمر فقد انتشر القرآن بانتشار الاسلام وعمـــل المسؤولون ، التزاما بفروض الرسالة ، على اطلاع الناس عليـــه فكثر المفسرون والقراء ، وكثر حفاظه ورواة قصصه . وأصبح بالاضافة الى كونه دستورا ينظم شؤون الحياة الاسلامية ، مصدرا ضخما من مصـــادر الثقافة والحركة الفكرية عند العرب .

وكان الادب في شعره ونثره أشد جوانب هذه الحياة تأثرا بالقرآن(١٤) ذلك لان الشعر والخطابة كانا وسيلة العصر للتعبير عن شؤون حياته العامة ولما كان القرآن قد جاء ليقيم هذه الحياة على نمط جديد ، كان الادب بحكم دوره المذكور عنصرا من عناصر هذه التجربة .. فلم يكن له بطبيعة الامر ، أن يظل في معزل عنها . ولم يكن لاثارها أن تظهر عليه الا حين يستوي لها الامر وتقطع المرحلة الطبيعية من مراحل وجودها وهي مرحلة التثبت والاستقرار . واذا رأينا ان أثره ظل مقتصرا على خطب الخلفاء الراشدين وشعر بعض الشعراء الذين دافعوا عن الرسول الاعظم ذلك لان العرب في هذه الفترة كانوا ما زالوا في دور دراسة القرآن والاطلاع عليه غير ان آثاره ستظهر جلية واضحة في أدب النصف الثاني من القرن الاول حين بدأ دور التأثر والتمثل والاستيعاب لادب القرآن ومادته . وهذا ما سنحاول عرضه في ميدان واحد من ميادين الانتاج الادبي وهو الشعر وفي شعر شاعر من هذه الفترة وهو جرير .

ولد جرير في السنوات الاخيرة من حكم عثمان وما أن شبّ حتى وجد نفسه في دولة اسلامية وفي أمة تقرأ القرآن وتفسره وتقيم حياتها على ما رسمه من قواعد وما تستنبطه منه من تشريعات وأحكام . وكان لهذا

---

(١٣) خزانة الادب ٢/٢٠٦ .
(١٤) البصير ــ عصر القرآن ٣ ، ٦٣ .

تقدم به العمر وجد نفسه فى حركة فكرية اسلامية دائمة تمثلها هـذه الطوائف والشيع التى اشتجر بينها الخلاف فاشتد بينها الجدل والـكلام وكل يحاول أن يصدر فى حججه ورأيه عن القرآن وكان من فضل ذلك ان اشتدت الثقافة القرآنية وبدأت الحياة العامة تصطبغ بصبغة الاسلام .

أما عن الجانب الديني من حياته الخاصة فمن المؤسف ان ليس فيما وصلنا من أخباره ما يشير الى حفظه للقرآن أو اطلاعه عليـه أو اختلافه الى حلقات مفسّرية وقرّائه . ولـكن بعض المؤرخين يذكرون انه كان عفيفـا متديّنا وفى بعض الروايات ما يشير الى انه كان يؤدى الصلاة .. ولسنا هنا فى سبيل التأييد أو التفنيد لما خلع عليه من صفات العفة والتقوى والصلاح . وان كنا نعتقد بأنه انما كان يتظاهر بهذا ، اذ ان الذى قاله فى هجائه من فاحش القول وبذيء السب وفاضح التشهير ما لا ينسجم أهونه مع خلق الاسلام وآدابه وقيمه وتعاليمه .

وسواء كان شاعرنا متدينا أو متظاهرا بالتدين والصلاح فان ديوانه يدل على ثقافة اسلامية ومعرفة بالقرآن الـكريم واطلاع على أحكامه وقصصه واسلوبه ، وتأثر بهذا الاسلوب وتقليد واضح لصياغته وأخذ واسع من ألفاظه وتعابيره . بالاضافة الى استعماله لـكثير ممـا شاع من المصطلحات والالفاظ التى جدت مع الحياة الاسلامية .

ومن ألوان هذا التأثر بالقرآن ان الشاعر يعمد أحيانا الى ان يفرغ معنى آية أو أكثر فى بيت واحد ، مستعينا على ذلك ببعض الالفاظ التى تستعملها الآية نفسها بعد أن يغير فى صيغها ما تتطلبه الضرورات الفنية فى الصياغة الشعرية ومن أمثلة ذلك قوله :

أعطـاكَ ربي من جزيل عطـــائه　　　حتى رضيت فطال رغم الحاسد(١٥)

والبيت مقتبس من الآية « ولسوفَ يعطيكَ ربُّك فترضى »(١٦)

وقوله :

---

(١٥) الديوان ١٦٢ .

(١٦) سورة الضحى ، الآية ٥ .

كونوا كيوسف لمـــا جـاء اخـوته   واستعرفوا قال ما في اليوم تثريب[17]

والبيت تلخيص لمعنى الآيات التي تصف التقاء يوسف باخوته « قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا انه مَن يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ... قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لـكم وهو أرحم الراحمين »[18] .

وقوله :

مَنْ يـُهده الله يهتد لا مضلَّ له   ومن أضلَّ فما يهديه من هادِ[19]

وهو اقتباس لمعنى الآية « من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون »[20] .

وقوله :

يُعطى كتـــابَ حسابه بشـماله   وكتابنــا بأكفّنــا الايمـــان[21]

وهو تلخيص لمعنى الآية « فأما مَنْ أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يســيرا ... وأما من أوتي كتــابه وراء ظهـــره فسوف يدعى ثبورا »[22] .

وقوله :

يجزيك ربُّك حسن قرضـك انه   حَسَن المعونة واسع المتقرَّض[23]

أخذه عن الآية « ان تقرضوا الله قرْضا حسنا يضاعفه لـكم ويغفر لـكم والله شكور حليم »[24] .

وقوله :

---

(١٧) الديوان ٥٣ .
(١٨) سورة يوسف ، الآيات ٩٠ ـ ٩٢ .
(١٩) الديوان ١٥٣ .
(٢٠) سورة الاعراف ، الآية ١٧٨ .
(٢١) الديوان ٥٧٦ .
(٢٢) سورة الانشقاق ، الآيات ٧ ـ ١١ .
(٢٣) الديوان ٣٣١ .
(٢٤) سورة التغابن ، الآية ١٧ .

أتـــم الله نعمتـــه عليـــكـــم   وزاد الله مُلْـكَكُـم تماما[٢٥]

اشارة الى الآية « اليـــوم اكملت لـكم دينكم وأتممت عليكـــم نعمتي »[٢٦] .

وقوله :

مَنْ كان يمرض قلبُه من ريبةٍ   خافوا عقابك وانتهى أهل النهى[٢٧]

وقوله :

ليس البريُّ كمن يمرّض قلبـــه   فأنا المشـايع قلبه لم يمرض[٢٨]

آخذه عن الآية « والذين في قلوبهم مرض »[٢٩] .

وقوله :

قومٌ لهـــم خصَّ ابراهيم دعوته   اذ يرفعالبيت سُوراً فوقتأسيس[٣٠]

آخذه عن الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت »[٣١] .

والى جانب هذا نجد لونا آخر من اقتباس جرير عن القرآن وهو ان الشاعر يعمد الى آيات متعددة تتضمن افكارا من ميدان واحد فيصوغها في عدة أبيات ومن امثلة ذلك قوله في مدح هشام بن عبدالملك حين أمر بشق أنهر من الفرات :

شققت من الفـــرات مباركات   جواري قد بلغن كما تريد[٣٢]

وسُخِّرت الجبال وكنَّ خرْســاً   يقطِّع في مناكبهـــا الحديدُ

بلغت مـــن الهنـــيِّ فقلت شكراً   هنـــاك وسُهِّل الجبـــل الصلود

بهـــا الزيتـــون في غلل ومالت   عنـــاقيـــد الـكروم فهنَّ ســـود

فتمَّت في الهنيِّ جنـــان دنيـــا   فقـــال الحاسدون هي الخلود

---

(٢٥) الديوان ٥٠٤ .

(٢٦) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٢٧) الديوان ٥ .

(٢٨) الديوان ٣٣١ .

(٢٩) سورة الانفال ، الآية ٤٩ .

(٣٠) الديوان ٣٢٤ .

(٣١) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

(٣٢) الديوان ١٥٠ .

يعضون الانامل ان رأوهـــا بساتيناً يؤازرهـــا الحصـيد
ومن أزواج فاكهـــة ونخلٍ يـكون بحمله طلـع نضيـد

وواضح انه انما تأثر بالآيات التالية على اختلاف مواقعها :

« انا صببنا الماء صبـّاً • ثم شققنا الارض شقـّاً • فأنبتنا فيها حبـّاً • وعنبا وقضْباً • وزيتوناً ونخلاً • وحدائق غلباً • وفاكهةً وأبـّاً »(٣٣) •

« فيها من كل فاكهة زوجان ★ ••• فيهما عينان نضّاختان ★ ••• فيهما فاكهة ونخل ورُمّان »(٣٤) •

ومثل هذا النحو ما توضحه الابيات التالية وهي من قصيدة مدح فيها معاوية بن هشام بن عبدالملك حين قضى على ثورة عبّـاد الخارجي في اليمن :

قـــد كان قال أمير المؤمنين لهـــم ما يعلم الله من صدق واجهاد(٣٥)
من يهده الله يهتد لا مُضـّل لـــه ومن أضلّ فما يهديه من هـــادِ
لقـــد تبيـّن اذ غبّت أمورهم قوم الجحافيّ أمراً غبُّه بادي
لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح اذ بعثت نحساً على عاد
فيهم ملائكة الرحمن ما لهـــم سوى التوكّل والتسبيح من زاد
أنصـار حق على بُلْقٍ مسوّمةٍ أمداد ربـّك كانوا خير أمداد

وقد ضمن شاعرنا هذه الابيات معنى الآيات الآتية :

« من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاؤلئك هم الخاسرون »(٣٦) •

« كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونُذُر ★ انا ارسلنا عليهم ريحـــاً صرصراً في يوم نحس مستمر »(٣٧) •

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدّكم ربكم بثلثة الآف من الملائكة مُنْزلين » •

---

(٣٣) سورة عبسى ، الآيات ٢٤ ـ ٣٠ •
(٣٤) سورة الرحمن ، الآيات ٥١ ، ٦٤ ، ٦٦ •
(٣٥) الديوان ١٥٣ •
(٣٦) سورة الاعراف ، الآية ١٧٨ •
(٣٧) سورة القمر ، الآيات ١٨ ، ١٩ •

- بلى' ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسوّمين »[٣٨] .

ونلاحظ ان هذا التأثر بالقرآن انما يشيع بصورة غالبة في شعر المديح عند جرير ولعل مرد ذلك هو انه مدح خلفاء عصره وكان لهؤلاء صفة دينية باعتبارهم خلفاء الرسول الاكرم في رعاية رسالته وكونهم قوامين على تطبيق احكام القرآن .. غير أن توليهم الخلافة كان قد تم بطريقة لم يشرع لها القرآن ولم تعرفها شورى العصر الراشدي ولهذا كثر خصومهم ممن يرون الرجوع الى القرآن واحكام الدين في تقرير أمر الخلافة ومن يصلح لها .. فكان لابد لجرير الشاعر المتكسب في مديحه ، من أن يستعين بالقرآن حين يمدح الامويين وحين يرد على حجج خصومهم .. فهو يتوعد المخالفين لهم بمصائر عاد وثمود :

وان أهل الضلالة خالفوكم أصابهم كما لقيت ثمود[٣٩]

واذا انتصروا على أعدائهم ، ذلك لان الله تعالى أمدهم بجنود لم يروها[٤٠] .

لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح اذ بعثت نحساً على عاد
فيهم ملائكة الرحمن مالهم سوى التوكل والتسبيح من زاد

اما كونهم قد صاروا خلفاء وتحملوا مسؤولية هذه الامة فانما كان ذلك ـ في نظر الشاعر ـ بأمر من الله وتقديره ولا اعتراض على ما قدّر الله وما حكم ، قال في عمر بن عبدالعزيز :

ان الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة في الامام العادل[٤١]

وقال في الوليد بن عبدالملك :

الله طوّقك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل[٤٢]

---

(٣٨) سورة آل عمران الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣٩) الديوان ١٤٩ .
(٤٠) الديوان ١٥٣ .
(٤١) الديوان ٤١٥ .
(٤٢) الديوان ٤٧٤ .

وقال في الوليد بن عبدالملك :

ذو العرش قدّر أن تكون خليفة مُلّكت فاعلُ على المنابر واسلم[٤٣]

على هذا النهج يمضي شاعرنا في مديحه للامويين ودفاعه عنهم فاذا تولى احدهم الخلافة كان ذلك بحكم من الله تعالى ومشيئته واذا شق نهرا فكأنما خلق جنة فيها من كل فاكهة زوجان ، واذا سيّر جيشا كانت مع الجيش ملائكة الرحمن واذا خرجت فئة عليه فستصير الى ما صارت اليه عاد وثمود . وفي هذا كله نجد شاعرنا يستمد خواطره وصوره من القرآن الكريم .

ولم يتوقف تأثر جرير بالقرآن عند باب المديح في شعره بل انه تسرب الى الهجاء ، وهو ينهج هنا على ما نهج عليه في المديح من تلخيص واقتباس للآيات التي توافق الفكرة التي يريد صياغتها شعرا ..

ومن أمثلة ذلك قوله للاخطل[٤٤] :

أدّ الجزى ودع الفخار بتغلب واخسأ بمنزلة الذليل الصاغر

وهو بهذا يردد معنى الآية « ... حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون »[٤٥] .

ويقول للفرزدق :

تخفُ موازين الخنائي مجاشعٌ ويثقل ميزاني عليهم فيرجح[٤٦]

وهو اشارة الى الآية « فأما من ثقلت موازينه ★ فهو في عيشة راضية ★ وأمّا من خفّت موازينه فأمُّه هاوية[٤٧] .

ويقول في هجاء التيم :

وما اغتسلت تيميّة من جنابةٍ ولا غسلت تيمٌ بماء ولا سدر[٤٨]

---

(٤٣) الديوان ٤٩٢ .
(٤٤) الديوان ٣٠٩ .
(٤٥) سورة التوبة ، الآية ٢٩ .
(٤٦) الديوان ١١١ .
(٤٧) سورة القارعة ، الآيات ٦ ـ ٩ .
(٤٨) الديوان ٢١٤ .

يشير الى الآية « ... ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا »[٤٩] .

وقوله :

قـــد أخرج الله قسراً من معاقلهم   أهل الحصون وأصحاب المطامير[٥٠]
كم من عـدوٍّ فجـذَّ الله دابرهم   كـــادوا بمكـــرهم فارتدوا في بور

وهو تلخيص لمعنى الآية « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنَّها لـكم وتودُّون ان غير ذات الشوكة تكون لـكم ويريد الله ان يُحـــق الحق بكلماته ويقطع دابر الـكافرين »[٥١] .

وقوله :

كالسامريّ غـداة ضَــلَّ بقومــه   والعجل يُعكف حوله ويخور[٥٢]

مأخوذ عن الآيات « قال فانا قـــد فتَّنا قومك من بعـــدك وأضلهم السامريّ ... فكذلك ألقى السامريّ * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم ... »[٥٣] .

ومن اشاراته الى احكام القرآن قوله في هجاء الاخطل يعيره بدفع الجزية :

الضاربون على النصـــارى جزيةً   وهدىً لمن تبع الـكتاب ونورا[٥٤]

وقوله يشير الى قطع يد السارق :

ولو يعلــم السلطان ما تفعلــونه   لبانت يمــينٌ منكــم ويمين[٥٥]

وقوله :

فقـــد حلَّت يمينـــك ان امــام   اقـام الحـــد واتَّبع الـكتابا[٥٦]

---

(٤٩) سورة النساء ، الآية ٤٣ .
(٥٠) الديوان ٢٥٧ .
(٥١) سورة الانفال ، الآية ٧ .
(٥٢) الديوان ٣٠٢ .
(٥٣) سورة طه الآيات ٨٥ ـ ٨٨ .
(٥٤) الديوان ٢٩١ .
(٥٥) الديوان ٥٩٠ .
(٥٦) الديوان ٦٣ .

ويقول لوالى البصرة عندما أمر بهدم داره عقاباً له :

فمـــا في كتاب الله تهـــديم دارنا بتهديم ماخور خبيث مداخله[٥٧]

ويقول :

والله انزل فى الـكتاب فريضـــةً لابن السبيل وللفقير العـــائل[٥٨]

ومن الطريف ان نجد شيئاً من هذه الآثار القرآنية حتى فى نسيبه ومن أمثلة ذلك قوله :

ولم يـك لو رجعتِ لنـا سـلاماً مقـال فى السلام ولا حدود[٥٩]

وقوله :

قـــالت نحـــاذر ذا شذاة باســـلٍ غيران يزعم فى السلام حدودا[٦٠]

وقوله :

فهلاّ اتقيتِ الله اذ رعت مُحْرِماً سرى ثم ألقى رحله فهو هاجع[٦١]

وقوله :

ما بال جهلك بعـــد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لاحين[٦٢]

وقوله :

فانـــك يا أُمامَ وربِّ موســـى أحب اليَّ من صلَّى وصاما[٦٣]

وتغلب على الشـاعر أحيانا بذاءة اللسان فيسىء الى شـعائر الاسلام ويجافي الذوق والحشمة بذكره لها فى مواطن يريد فيها الطعن والتجريح في خصومه فهو مثلا يريد التشهير بجدة خصمه الفرزدق فيتهمها بالتردد على قين لها ويشبه هذه الزيارات بالحج والاعتمار فيقول :

فديتـــك يا فرزدق دين (ليلى) تزور القين حجّاً واعتمـــارا[٦٤]

---

(٥٧) الديوان ٤٨٥ .
(٥٨) الديوان ٤١٥ .
(٥٩) الديوان ١٤٧ .
(٦٠) الديوان ١٧٠ .
(٦١) الديوان ٣٦٨ .
(٦٢) الديوان ٥٨٦ .
(٦٣) الديوان ٥٣٩ .
(٦٤) الديوان ٢٨١ .

ويقول فى عمة الفرزدق سكينة بنت الحتات :

قامت سكينة للفحول ولم تقم   بنت الحتات لسورة الانفال(٦٥)
ودّت سكينة أن مسجد قومها   كانت سواريه ... بغال

ويقول فى نساء بني نميْر :

اذا قامت لغير صلاة وترٍ   بُعَيْد النوم أنبحت الكلابا(٦٦)

ويقول فى أُخت الفرزدق :

وقد دَميت مواقع ركبتيها   من التبراك ليس من الصلاة(٦٧)

والى جانب هذه النماذج التى ذكرناها نجد ان شاعرنا قد استعمل فى شعره مجموعة كبيرة من ألفاظ ومصطلحات العصر الاسلامى سواء منها ما ابتدعته هذه الحياة أو ما وجدته مستعملا فى اللغة فحمّلته معنى من معانيها فأصبح ذا صبغة اسلامية . ولما كانت الحياة الاسلامية قد تميزت بميدانين جديدين هما ميدان الحكم والياسة وميدان الدين فان أكثر ما نجده من الفاظ اسلامية فى شعر جرير يتصل بهذين الميدانين .. ولما كان ديوانه مليئاً بهذه المفردات سنكتفى لذلك بذكر أمثلة من كلتا المجموعتين دون ذكر الصفحات .

فمن أمثلة المفردات والمصطلحات التى تتصل بالدولة والسياسة :
الخلافة ، الخليفة ، خليفة الله ، أمير المؤمنين ، الامام ، ولى العهد ، الولاة ، السلطان ، البيعة ، ناكث البيعة ، المنافق ، المُحلّ ، المبتدع فى الدين ، البدَع ، أهل الضلاله ، المرجف ، الخالع ، الأمّة ، البريّه ، الرعيّة ، المؤمنون ، المنبر ، الديوان ، البريد ، جنود الله ، الجند ، الجهاد ، الشهيد ، ثغور المسلمين ، اقامة الحدّ ، اتباع الكتاب ... الخ .

ومن أمثلة المفردات والمصطلحات التى تتصل بالحياة الدينية الجديدة :
الله ، ذو العرش ، الرحمن ، القهّار ، الغفّار ، النبوّة ، النبيّ ، رسول

---

(٦٥) الديوان ٤٧٠ ــ ٤٧١ .
(٦٦) الديوان ٧٣ .
(٧٦) الديوان ٨٦ .

الله ، القرآن ، الكتاب المنزل ، المفصّل ، السُّوَر ، دين المسلمين ، الاسلام ، دين الهدى ، دين الحق ، سبل الهدى ، مسجد الله الحرام ، البيت العتيق ، قبلة الله ، كبّر للصلاة ، الاذان ، صلاة الوتر ، خرّ ساجدا ، التسبيح ، التوكّل ، التُقى ، الهدى الحلال ، الحرام ، حدود الله ، أقام الحدّ ، اتبع الكتاب ، والفرائض ، الجهاد ، الشهداء ، الابرار ، الملائكة ، الحواريّون ، اتباع ابليس ، فتنة الشيطان ، صلى الملائكة ، صلى الاله .. ، بارك الله .. ، مستبصر فى الدين ، المهديّ ، يوم القيامة ، المعاد ، الصراط ، جنة الفردوس ... الخ .

لقد أحدث القرآن هزّة فى الفكر العربي واساليب تعبيره وبات لأهل الرأي والثقافة مصدراً أساسيّاً فى عملهم الادبى . ولم يكن لجرير ، الشاعر الذى حفلت بذكره قصور الخلفاء وأسواق الأدب وحلقات العلماء ، ان يغفله ويصدغنه . ولعل مما زاد فى اهتمامه بهذا السفر الجليل هو انه ممن وضع طاقته الفنية للاسهام فى أحداث عصره ، تلك الاحداث التى كان القرآن مدارها فى ميادين الخلافة والسياسة والدين . يضاف الى ذلك ان ظروف عصره السياسية والقبليّة كانت قد دفعته الى الوقوع فى خصومة عنيفة مع شاعرين مثله شهرة ومكانة فنية ، هما الفرزدق والاخطل ، وكان الاول ، فيما يروى عنه ، ماجناً فاسقاً وكان الثاني نصرانيا ، فوجد جرير فى هاتين الصفتين مجالا للطعن فى خصميه من جهة وفرصة للظهور بمظهر المسلم التقي من جهة أخرى ، فاذا هجا الفرزدق رماه بفسقه وفجوره متقمصا هو ثياب التقى والورع . واذا برز للاخطل النصراني رماه بدينه وتكلم بلسان المسلم الذى لم يرض بغير الاسلام دينا .

ولهذه العوامل مجتمعه ، اكثر شاعرنا من ذكر القرآن والرجوع اليه وتزوّد منه بمادة لا تكاد قصيدة فى ديوانه تخلو من اشارة الى لون من ألوانها ، ومهما كانت الدوافع التى حملته على هذا ، فقد تميّز بين شعراء عصره الهجائين بروح اسلامية تبدو كأنها صادقة مخلصة .

انهم وان ذكروا القرآن وصدروا فى بعض شعرهم عن تعاليمه

وأساليبه غير انهم لم يكثروا من ذكـــره ولم يطيلوا الوقوف عنده كمـــا فعل جرير .

ويبدو ان هذه الملازمة للقرآن ، سواء فى الصياغة أو المادة ، لم تفد جريرا فى تثمين شاعريته ، اذ اننا لم نقف ، فيما عقد النقاد بينه وبين معاصريه من موازنات ، على ناقد يغلبّه لذهابه هذا المذهب .

لقد كان عصره عصر مديح وهجاء وغناء . أخذت منه بيئة الحجاز نسيبه تغنيه فى مجالس لهوها وترفها .

ورضيت عنه الشام اذ رأى فى سراتها (خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح) .

وصفق له مربد العراق اذ وجد فيه (جرو هِراش) فى الهجاء .

اما هذه الاشارات الدينية فلم يغترّ بها أهل الدين والتقى ولم تكفه عندهم زكاة لنفسه « كان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل . فقال له رجل : ما يُغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ! فتبسم وقال : يا ابن أخى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم[٦٨] » .

المراجع :

١ ـ الاغانى ـ أبو الفرج ط . دار الـكتب .
٢ ـ خزانة الادب ـ البغدادى ط . السلفيه .
٣ ـ ديوان جرير ـ ط . الصاوى .
٤ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ط . مصطفى الحلبى .
٥ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ط . أحمد محمد شاكر .
٦ ـ طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام ط . محمود محمد شاكر .
٧ ـ عصر القرآن ـ البصير ط . المعارف .

---

(٦٨) الاغانى ٨/٤٤ .

التزام التصفية المحلية

وأثره في أقتصاديات الدول المنتجة للبترول

الدكتور حميد القيسى

يمر العراق اليوم بمرحلة جديدة فى استغلال موارده البترولية ، مرحلة تتميز بوضع سياسة أقتصادية بترولية بعد ان كانت هذه معدومة خلال الاربعين سنة الاخيرة • واذا كان وضع سياسة حكيمة لاستغلال موارد البلاد البترولية هدفا أساسيا ، فلا بد من الاستفادة مما موجود من شيء جديد فيما عقد من امتيازات جديدة فى الاقطار المنتجة للبترول •

لقد عقدت كل من فنزويلا وايران والمملكة العربية السعودية امتيازات بترولية جديدة مع شركات عالمية غربية وتتصف هذه بعض المميزات التى تجعلها فى موقع مرموق بين الامتيازات الدولية الكبرى مما يؤهلها للتحليل الدقيق والدراسة الفاحصة • يحاول المؤلف بهذا البحث شرح وتحليل جانب واحد مما جاءت به هذه الامتيازات من جديد الا وهو التزام التصفية المحلية وما لهذا الالتزام من أهمية كبرى فى اقتصاديات هذه الاقطار المنتجة للبترول •

أن كل من هذه الامتيازات الجديدة الزمت صاحب الامتياز وجوب تصفية محلية لجزء من البترول المنتج على ان تكن هذه التصفية بنطاق تجارى واسع ، اذ لم يعد سد الحاجة المحلية الى مشتقات البترول هدفا اساسيا فى مثل هذا الالتزام بل تعداه الى ضرورة تنويع صناعة البترول الوطنيـــة •

أن قانون الهايدروكاربون الفنزويلى لسنة ١٩٤٣ يعتبر الرائد الاول لمثل هذا الالتزام ، فقد نص على وجوب تصفية محلية داخل فنزويلا قدرها ١٠٪ من البترول المنتج كحد ادنى ومن ثم رفعت هذه النسبة فى

سنة ١٩٥٦ الى ١٥٪ وقد عقدت الحكومة الفنزويلية منـــذ ذلك التاريخ امتيازات جديدة مع شركات عالمية خضعت الى نسب أعلى كما هـو الحال بالنسبة لشركة سن أويل Sun Oil Co. التى تعهدت بتصفية محلية قدرها ٣٠٪ مما سوف ينتج فى رقعة امتيازها البالغة ٢٠٨٧ ايكر .(١)

كما ان الحكومة الايرانية عقدت فى سنة ١٩٥٧ امتياز مع الشركة الايطالية Agip - Mineraria وفى سنة ١٩٥٨ امتيازين مـع كل من الشركة الكندية Sapphire Petroleum Co. والشركة الاميركية Pan American Petroleum Corp. نصت التزاماتها بصورة ضمنية على قيام الشركات المذكورة بتصـفية محلية متى شاءت الحـكومة الايرانية ذلك .(٢)

أما فى المملكة العربية السعودية ، فعلى الرغم من ان امتياز أرامكو لم ينص على تصفية محلية تجارية ، اذ الزمت الشركة بسد الحاجة المحلية الى مشتقات البترول فقط ، فقد انشأت هذه الشركة فى سنة ١٩٤٥ مصفى رأس تنورا بقابلية انتاجية قدرها ١٢ مليون طن سنويا ، كما تقوم الشركة بتصفية بعض ما تنتج من بترول خام فى مصفى السطرة فى البحرين الذى ينتج سنويا ما يقرب عن ١١ مليون طن مـــن مشتقات البترول . كما ان الحكومة السعودية قد عقدت فى سنة ١٩٥٨ امتيازا مع الشركة اليابانيـــة العربية Iapanese Arabian Oil Co. الزم صاحب الامتياز بانشاء مصفى

---

(١) Government of Veneznela, Lay of Hydrocarbons And its Regulations, Caracas, 1943. and Liewen, Edwin, Petroleun in Venezuela-Ahistory, (Berkeley; University of Cobfornla Press, 1955), pp. 15-23.

(٢) نص هذه الامتيازات متوفر فى المصادر الآتية :
امتياز الشركة الايطالية نشر فى
Petroleum Times, (Supp. to Vol. Lxi, No. 1572) November 8, 1957.
الامتياز الاميركى نشر فى :
Goxernment of Iran, Oil Agrement with Pan American (Tehran, N. P. 1958).
كما ان الامتياز الـكندى نشر فى
Govesnment of Iran, Official Gazette, September 4, 1958.

داخل السعودية عندما يصل انتاج البترول الخام ٣٠٠٠٠ر٣٠ برميل يوميا وعلى ان يصفى ٣٠٪ من البترول المنتج اذا وصل انتاج البترول الخام حد ٧٥٠٠٠ر٧٥ برميل يوميا(٣) .

أما الشركات العاملة فى العراق (شركة نفط العراق وشركة نفط الموصل وشركة نفط البصرة) فلم تلزم بتصفية محلية تجارية على نطاق عالمى ما عدا ما نصت عليه المادة ١٥ من امتياز شركة نفط العراق لسنة ١٩٢٥ الذى نصت على وجوب سد الحاجة المحلية الى مشتقات البترول والتى على أثرها تكونت شركة الرافدين لتقوم بمهمة تسويق حاجات العراق من المشتقات من النفط المنتج والمصفى فى مصفى الوند . ولكن على أثر توقف شركة نفط خانقين عن العمل فى سنة ١٩٥٦ قامت الحكومة العراقية بنفسها بتصفية وتسويق مشتقات البترول لسد الحاجة الداخلية . والغريب فى الموضوع ان امتيازات البترول فى العراق اعطيت فى وقت كانت الجارة ايران تشهد فيه قيام مصفى عالمى فى اراضيها والذى اصبح فيما بعد يتميز بقابلية انتاجية تقدر بـ ٢٥ مليون طن سنويا ولم يتقدم المفاوض العراقى فى ذلك الوقت بطلب الى الشركات صاحبة الامتياز بالقيام بعمل مشابه للجارة ايران .

وعلى أثر هذا التباين فى التزامات التصفية المحلية فى البلدان المنتجة للبترول تحت الدرس او كنتيجة لتقاعس بعض اصحاب الامتيازات نرى

---

(٣) الزمت شركة ارامكو فى سنة ١٩٣٣ بأنشاء مصفى لتجهيز الحكومة السعودية بمشتقات البترول بكميات لا تتعدى ٢٠٠٠٠٠ر٢٠٠ غالون من البنزين و ١٠٠٠٠٠ر١٠٠ غالون من النفط الابيض (كيروسين) ومن ثم زيدت هذه الكميات فى سنة ١٩٣٩ الى ٣٠٠٠٠٠ر٢ر٣٠٠ غالون من البنزين . وعدلت هذه الكميات مرة ثانية فى سنة ١٩٥٠ فأصبحت ٦٠٠٠٠٠ر٢ر٦٠٠ غالون من البنزين و ٢٠٠٠٠٠ر٢٠٠ غالون من النفط الابيض و ٥٠٠ر٧ طن من القير الاسود . انظر المادة ١٦ من عقد الشركة لسنة ١٩٣٣ والمادة ٦ من ملحق العقد لسنة ١٩٥٠ . أن كل من امتياز ارامكو وملحقاته والامتياز اليابانى متوفر فى المصدر العربى الآتى : جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، وثائق ونصوص ، اتفاقيات وعقود البترول فى البلاد العربية ، الجزء الاول ، جمع واعداد الدكتور محمد لبيب شقير وصاحب ذهب ، ١٩٥٩ .

ان قابلية العراق فى التصفية واطئة بالمقارنة مع هذه البلدان كما هو مبين فى الجدول الآتى :ـ

جدول رقم ١

قابلية التصفية فى بعض الدول المنتجة للبترول*

العراق	٢ مليون طن سنويا
ايران	٢٨ مليون طن سنويا
المملكة العربية السعودية	١٢ مليون طن سنويا
فنزويلا	٣٥ مليون طن سنويا

وعلى أثر هذا التباين فى القابلية الانتاجية لانتاج مشتقات البترول فأن العراق لم يحتمل مكانة متكافئة بين بلدان الشرق الاوسط المنتجة

وعلى أثر هذا التباين فى القابلية الانتاجية لانتاج مشتقات البترول فان العراق لم يحتل مكانة متكافئة بين بلدان الشرق الاوسط المنتجة للبترول كما هو مبين فى الجدول أدناه •

جدول رقم ٢

مشتقات البترول المنتجة فى بعض بلدان الشرق الاوسط

(١٠٠٠ طن)*

القطر	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
عدن	١٫١٥١	٤٫٠٥٠	٤٫٤٧٣	٤٫١٢٨	٣٫٦٥٢
البحرين	٩٫٥٩٠	٩٫١٣٤	٩٫١٧٤	٨٫٧١٣	٩٫٠٦٥
ايران	٢٫٨١٠	٧٫٢٧٤	١١٫٣٠٣	١٥٫٠٢٠	١٥٫٦٣٥
العراق	٣٠٤	١٫١٠١	١٫٤٤٠	١٫٥٥٣	١٫٦٦٠
السعودية	١٠٫٤٨٦	٩٫٧٣٥	٩٫٤٨٤	٩٫٢٠٩	٧٫٨٥٤

* المصادر :

The Petsalum Times April 10, 1959, Venezuela Chamler of The Petrolium Industry, "Roport in The Venezvelan Petroleum Industry," Caracas, 1960.

* المصادر :

United Nations, Economic Develapment In the Middle East 1958 -1959, PP. 73-74.

ان لفقدان التزام التصفية المحلية آثار اقتصادية سيئة كثيرة • ولقد فقد العراق المنافع العديدة نتيجة لعدم وجود مثل هذا الالتزام فى امتيازات النفط العراقية وعدم قيام الشركات العاملة بتصفية محلية على نطاق تجارى عالمى كما عملته الشركات الام فى بعض الدول المنتجة للبترول (ايران والمملكة العربية السعودية) • وأهم هذه المنافع لتى كان بالامكان الحصول عليها لو التزمت الشركات العاملة بتصفية محليـة والتى توجب ادراج مثـل هذا الالتزام فى أى تشريع بترولى يشرع فى المستقبل او امتياز يعطى هى مايلى :

١ ـ زيادة فى الاستخدام المباشر للايدى العاملة :

التصفية المحليـة تعنى زيادة فى استخدام الايدى العاملة العراقيـة المستخدمة فى صناعة البترول ، كما ان صناعة التصفية تحتاج الى نسبة من العمل لـكل طن من مشتقات البترول أعلى مما تحتاج اليه صناعة استخراج البترول • من المؤسف انه نظر لحداثة صناعة التصفية فى العراق وضيق نطاق انتاجها لا تتمكن من الاعتماد على أية نسبة تحتسب لمقدار ما استخدمته هذه الصناعة من عمال لـكل طن انتجته من مشتقات ، لذا فاننا سوف نختار النسب المتوفرة عن صنـاعة التصفية فى كل من ايران وعدن والمـكسيك للدلالة والمقارنة مع نسبة المستخدمين فى صناعة استخراج النفط فى العراق• ونستعمل عبارة « نسبة » هنا للدلالة على معدل انتاجية كل عامل فى الصناعة وهدف المقارنة هو البرهنة على أن صناعة التصفية تحتاج الى نسبة أعلى من العمل لـكل طن منتج من مشتقات البترول مما تحتاج اليه صناعة استخراج البترول الخام • جدول رقم ٣ يبين نسبة ما استخدم من ايدى عاملة فى صناعة استخراج النفط فى العراق •

ان ما متوفر من معلومات عن صناعة التصفية فى كل من المـكسيك وايران وعدن تشير الى أن حاجتها الى أيدى عاملة كانت أكثر من حاجة صناعة استخراج النفط فى العراق • ففى المـكسيك مثلا كانت الحاجة نسبة عامل واحد لكل ٥١٢ر٥ طن من مشتقات النفط خلال السنين ١٩٣٩ـ١٩٥٥

وفي ايران كانت النسبة عامل واحد لكل ٤٣٢٫١ طن من المشتقات خلال ١٩٥٠ـ١٩٥٨ والنسبة في عدن كانت عامل واحد لكل ٦٤٠ طن من المشتقات التي انتجت في غضون ١٩٥٤ـ١٩٥٨ • بينما ان النسبة التي استخدمتها صناعة استخراج النفط في العراق كانت عامل واحد لكل ٢١٩٧ طن من البترول الخام • ومن هذا يتبين بأن معدل ما استخدمته صناعة التصفية في البلدان تحت الدرس كان ثلاثة أضعاف المعدل في العراق[٤] •

جدول رقم ٣

عدد الاطنان المستخرجة من قبل كل عامل استخدم في صناعة استخراج البترول في العراق خلال ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩*

السنة	البترول المنتج	عدد العمال	عدد الاطنان المستخرجة لكل عامل
١٩٥٢	١٨٫٥٤٩٫٠٠٠	١٣٫٣١٤	١٣٩٣٫٥
١٩٥٣	٢٧٫٧٤٠٫٠٠٠	١٣٫١٨٥	٢١٠٣٫٥
١٩٥٤	٣٠٫١٤١٫٠٠٠	١٢٫٧٧٠	٢٤٣٨٫٥
١٩٥٥	٣٢٫١٨٨٫٠٠٠	١٥٫٣٢٥	٢١٠٢٫٥
١٩٥٨	٣٤٫٩٢١٫٠٠٠	١٥٫٩٨١	٢١٨٥٫٢
١٩٥٩	٤٠٫٨٩٧٫٠٠٠	١٣٫٧١٣	٢٩٦٠٫٥

المعدل ١٩٥٢ـ١٩٥٩ = ٢١٩٧

(٤) انظر :

Powel, Richard J, The Mexican Petrolum Industry, (Berkeley; Unversity of California Press, 1956) P. 84.

United Kingdom, Colonial Office. Aden 1955-1956 (London, Her Majesty Stationary Office, 1958) P. 9.

U.N., ILO, Year Book of Lebor Statistics 1959, P. 35.

* وزارة التخطيط ، المجموعة الاحصائية سنة ١٩٥٩ . اهملت السنتان ١٩٥٦ و١٩٥٧ لوقوع الاعتداء على الشقيقة مصر وما تبع ذلك من توقف تصدير البترول العراقي .

٢ ـ التصفية المحلية توفر الفرص للتعليم والتدريب :

ان المكانة الاولى فى معظم نظريات التنمية الاقتصادية تعطى للتقدم الفنى والذى يعنى تقدم الاساليب الفنيـة التى تـزيد من انتـاجية المصادر الاقتصادية وخاصة العمل • ومما لا شك فيه ان التنميةالاقتصادية صعبة ان لم تكن مستحيلة بدون تحسين فى مهـارة الايدى العـاملة • لذا فان التصفية المحلية ستساهم فى تنمية الثروة الفنية الوطنية مباشرة وذلك بتدريب عمال البلد على أحدث الطرق الفنيـة • كما أن الحصـول على مهـارات جديدة سيساهم فى بناء صرح فنى لانشاء صناعة بترولية كيمياوية اذا ما قررت السلطة انشاء مثل هذه الصناعة • يجب أن نتذكر بأن التقدم الفنى ما هو الا تجمع حضارى وبامكان التصفية المحلية أن تصبح الاساس لمثل هذا التجمع •ولنا تجربة الجمهورية العربية المتحدة خير مثال ، حيث تستخدم المنتجات الثانوية لصناعة التصفية فى صناعة كيمياوية تنتج الاسمدة الكيمياوية والغاز السائل والعقاقير والاصباغ ، ولولا تقدم صناعة التصفية لما تقدمت الصناعة التى تعتمد على المنتجات الثانوية لمشتقات البترول •

٣ ـ المصفى مواطن اقتصادى صالح ، يشترى محليا وله تأثير المضاعف :

يستخدم المصفى أيدى عاملة كما انه يستهلك بضائع وخدمات ، لذا فان ما يدفعه من أجور ورواتب وما يشتريه من هذه البضائع والخدمات تكوّن حافزا مهماً لانعاش الاقتصاد المحلى • كما أن لمشتريات المصفى وعماله أثر مضاعف على قطاعات الاقتصاد الوطنى • ان تجربة المملـكة العربيـة لسعودية تبرهن على أن مدينة بكاملها تأسست ونمت فى رأس تنورة لوجود المصفى هنـاك كما أن عبادان نمت وتوسعت لوجود مصفى الكونسـرتيوم فى تلك المنطقة •

ان طلب المصفى على البضائع المنتجة محليا اذا مـا جمع مـع الطلب المحلى سيؤدى الى انخفاض فى معدل انتاج تلك البضائع وهذه نتيجة واضحة من نتائج اتساع نطاق انتاج الصناعة • كما ان الصناعة التى تنتج ما دون

القابلية الانتاجية تتمكن من الوصول الى مرحلة الحد الامثل من قابليتها كنتيجة للزيادة التى حصلت فى الطلب على انتاجها من جراء وجود المصافى . ان طلب المصافى مضافا الى الطلب المحلى سيجعل من السهل قيام صناعات محلية واسعة النطاق فى انتاجها والتى لا تتمكن ان تظهر بدون هذا الطلب الاضافى . ويجب أن نتذكر بأن انخفاض معدل تكاليف البضائع المنتجة محليا كنتيجة للقرب من مرحلة الحد الامثل لاختلاط عناصر الانتاج فى صناعة ما سيساهم فى انخفاض سعر البضائع المنتجة وهذا الانخفاض سيساهم بدوره فى رفع القوة الشرائية لدخل المواطن العراقى وبالتالى الى ارتفاع مستوى معيشته(٥) .

٤ ـ التصفية المحلية تعنى زيادة عوائد الدولة من البترول :

ان مقدار زيادة عوائد الحكومة من التصفية المحلية يعتمد على نوع الاتفاق الذى يتم بين الحكومة واصحاب الامتيازات فيما يتعلق بكمية الضرائب والريع . وكما يبدو ان أرباح الشركات العالمية من التصفية هى أقل مما تجنيه من استخراج البترول ، ولكن هذا لا يعنى ان الحكومة سوف لا تجنى ضرائب أو ريع من التصفية ، ومن ثم ان وجود التصفية المحلية سيزيد عوائد الدولة من الموانىء ووسائل النقل بالسكك الحديدية والضرائب على دخول العمال والموظفين وعوائد الكمارك(٦) .

التصفية المحلية فى العراق وقابلية الربح لاصحاب الامتيازات

ان المنافع الوطنية من التصفية المحلية هى جانب من الموضوع ، أما الجانب الآخر فهو مدى استفادة (أرباح) أصحاب الامتيازات البترولية

(٥) انظر :

Nevin, Edward. Textbook of Econanic Aralysis, (London, Macmillan & Co. Ltd. 1960) PP. 107-111.

(٦) انظر :

Evans, William S., Petroleun in The Eastern Hemisphere (New York, Petroleum Dept., First National City Bank of New York, 1959) PP. 11-12.

من مثل هذه الصناعة او الالتزام او بمعنى اوضح هل ان التصفية المحلية داخل العـراق بصورة تجارية وعلى نطاق عالمى ستكون مربحة لاصحاب امتيازات البترول ؟ لقـد خصصنا الجـزء الآتى من البحث لمعـالجة هـذا الموضوع •

ان مجموعة من العوامل الفنية والسياسية والاقتصادية قد أدت خلال العشرين سنة الاخيرة الى تحول فى مواقع مصافى البترول ، فبعد أن كانت المصافى تقام على مقربة من مصدر البترول فالاتجاه اليوم هو بناء مصافى على المقربة من السوق ان العـوامل الرئيسية التى أدت الى مثل هـذا التحول هى ما يلى :ـ

١ ـ الاقتصاد فى أرصفة التحويل الخارجى :ـ

ان انشاء مصفى محلى يعنى اقتصاد فى نفقات مشتقات البترول بالنسبة للدول المستهلـكة للبترول • اذ من المعروف ان المبالغ التى تصرف عـلى استيراد مشتقات البترول تفوق تلك التى تصرف على استيراد بترول خام نظرا لارتفاع أسعار منتجات البترول بالنسبة للبترول الخام ، لذا فاستيراد المادة الاخيرة فيه الاقتصاد فى العملات الاجنبية التى يملـكها البلد • ولنـا فى أوربا الغربية خير مثال ، فبعد الحرب العالمية الثانية قاست كثير من دول هذه المنطقة عجزا فى أرصدتها من العملات الاجنبية لذا فى سبيل تقليل مثل هذا العجز لجأت الى استيراد البترول الخام لتصفيته محليا بدلا من دفع مبالغ أكثر لاستيراد مشتقات البترول • ولهذا السبب بالذات نمت صناعة التصفية فى هذه المنطقة •

٢ ـ الخوف من التأميم :ـ

كما ان من العوامل الرئيسية التى ساهمت فى تحول مواقع المصافى الى القرب من السوق هى التخوف من التأميم • فلقد صرح كثير من مدراء الشـركات للبرفسـور ميلامد بأن « دوافع سياسية (الخوف مـن تأميم

الاستثمارات الكبيرة في مصافي النفط) أدت الى تحول في مواقع المصافي نحو السوق ، اذ بصورة عامة ان الدول المنتجة للبترول تتميز بعدم الاستقرار السياسي مقارنة مع الدول الصناعية المستهلكة لهذه المادة ... لذا ان هذا الدافع قد ساعد على قيام صناعة تصفية البترول في أوربا وعرقلت نموها في دول الشرق الاوسط »[٧] .

٣ ـ الاقتصاد في نفقات الشحن :ـ

ان تكاليف نقل البترول الخام أقل من تكاليف نقل مشتقاته ، وهذه الحقيقة ميزت صناعة البترول منذ ولادتها ، اذ ان تكاليف شحن حمولة « وسخة » أقل من تكاليف شحن حمولة « نظيفة » . وهذا يرجع الى تكاليف تنظيف ناقلات البترول لجعلها صالحة لنقل المشتقات المختلفة للبترول. ومن ثم ان نقل حمولة كبيرة أرخص من نقل حمولة صغيرة خاصة بعد بناء ناقلات بترول كبيرة ذات قابلية للشحن تتراوح بين ٣٠٠٠٠ طن و ١٠٠٠٠٠ طن . فمن المعروف مثلا ان تكاليف الشحن في ناقلات كبيرة من حمولة ٩٠٠٠٠ طن تساوي نصف التكاليف في ناقلات صغيرة من النوع المعروف بالصنف T2 وفنيا ان نقل مشتقات البترول يكون عادة بكميات صغيرة وهذا لا يبرر أو يكون حمولة كافية لاستخدام ناقلة كبيرة . كما اننا يجب أن نؤكد ان استخدام ناقلة كبيرة ذات حمولة ٦٠٠٠٠ طن مثلا لمصفى بقابلية انتاجية أقل من ٣٠٠٠٠ برميل يوميا يبرر فقط عندما تتوفر لذلك المصفى قابلية خزن للبترول الخام تتجاوز الحاجة الشهرية لمثل هذا المصفى ، لذا ان استخدام ناقلات بترول كبيرة يجعل من المحتم اقتصاديا بناء مصافي كبيرة[٨] .

(٧) وهذا بصورة خاصة بعد حركة التأميم في ايران ، انظر :
Alexander Melamid, "Geographical Distribution of Petrolenm Capaities: A Study of The European Refining Program." ......Econonic Geography, Vol. 31, No. 2 (April, 1955), P. 177.

(٨) انظر :
Maris Livingston, Economics of Refining Lecation in The United Statess (New York, World Petroleum Congress 1959).

٤ ـ الاقتصاد فى تكاليف الادامة والصيانة :

من المعروف ان الدول المستهلكة للبترول فى العالم دول صناعية ، لذا فمن السهولة الحصول على ما يحتاج اليه المصفى من عمال ماهرين وأدوات احتياطية فى مثل هذه الاقطار ، ومن ثم ان تكاليف هذه الحاجيات أقل فى هذه البلدان مما لو استوردت الى المصفى فى الدول المنتجة للبترول •

٥ ـ عامل المناخ :

ومن العوامل الرئيسية التى ساهمت فى تحول مواقع المصافى نحو السوق فى الولايات المتحدة الاميركية هو العامل المناخى وخاصة بالنسبة للمناطق الشمالية الشرقية من الساحل الاطلنطيكى • يقول البرفسور ميلامد بهذا الصدد « ان حركة الوقود الثقيلة فى انابيب البترول حركة بطيئة ، وهذا مما يجعل عدم جدوى نقلها بمثل هذه الوسيلة ، ومن ثم على الرغم من أن مثل هذه الوقود يمكن دفعها بواسطة الضغط ولكن سرعة حركتها تبقى بطيئة مما يسبب اختلاط الانواع المختلفة من هذه الوقود اذا ما ضغطت بالتتالى ، ولهذا السبب الفنى بالذات ان استهلاك الوقود الثقيلة المتزايد أدى الى تحول فى مواقع المصافى نحو السوق »[٩] •

ولكن نمط الطلب على مشتقات البترول المختلفة مختلف من منطقة الى منطقة أخرى ، لذا مثل هذا الاختلاف يحدد نطاق الانتاج أى يساهم فى جعل المصافى القريبة من الاسواق ضيقة النطاق او تميل نحو الصغر لتلائم ذلك النمط الخاص من الطلب • وهذه الحقيقة مثبتة فى كل من أوربا والولايات المتحدة الاميركية • فكثير من الاقطار الاوربية لاحظت أن نمط طلبها على مشتقات البترول يحدد حجم مصافيها المحلية ، اذ ان

---

(٩) انظر :

Melamid, op. cit., P. 178.

البترول الخام يحتوى بصورة مختلطة نسب مختلفة من مشتقات البترول ، ويرجع هذا الاختلاف عادة الى اختلاف موطن البترول الخام • فبترول الشرق الاوسط مثلا ، والذى يكوّن معظم ما متوفر من عرض للاقطار الاوربية يتمكن أن يعطى بين ٢٠٪ و ٣٠٪ بنزين ، وبين ١٨٪ و ١٢٪ مشتقات متوسطة ، وبين ٤٠٪ و ٤٥٪ من رواسب الوقود او وقود ثقيلة • فاذا كان نمط الطلب على مشتقات البترول فى منطقة ما لا يلائم مثل هذه النسب ، واذا ارادت هذه المنطقة اشباع حاجتها الى مشتق معين خاص (كثير الطلب عليه فى تلك المنطقة) فالضرورة الفنية فى انتاج هذا المشتق يعنى انتاج كميات كبيرة من المشتقات الاخرى ، وان اعادة تصدير هذه المشتقات الاخرى غير مربح اذ هذه يجب أن تتحمل مصاريف شحن البترول الخام من المصدر الى المصفى ومن ثم تكالي فشحنها الى السوق الجديدة • ان مثل هذه المشكلة واجهت كل من الدول الاوربية ، ولتوضيح مشكلة ملائمة نسب ما موجود من مشتقات بترول فى البترول الخام مع نمط الطلب عليها ، نذكر على سبيل المثال انه بالمقارنة مع نسب المشتقات فى بترول الشرق الاوسط ان نمط الطلب فى النرويج يتكون من ٨٠٪ على المشتقات المتوسطة ،كما أن نمط الطلب فى البلدان المنخفضة يتكون من٥٠٪على المشتقات متوسطة • وكنتيجة لذلك ان معظم دول غرب اوربا لا زالت مستوردة لمشتقات البترول ، كما أن منظمة التعاون الاقتصادى الأوربى Organzation For European Economic Coaperation قد بذلت الجهود الكبيرة لفتح المجالات العديدة لتصريف الفائض من مشتقات البترول (التى لا تلائم نمط الطلب) فى الدول الاعضاء[١٠] •

يبدو أيضا بأن المصافى القريبة من السوق فى الولايات المتحدة الاميركية تجهز تلك الاسواق بالحد الادنى من طلبهاعلى مشتقات البترول وتقوم مؤسسات التسويق توفير الكميات الاخرى من مصافى قريبة من

(١٠) انظر :
Organization For European Economic Cooperation, At Work For Europe, (Paris, Chateau de la Muette, 1957), pp. 78-82.

المصدر • كما أن نمط الطلب فى الاسواق المختلفة فى الولايات المتحدة يحدد أيضا نطاق انتاج المصافى القريبة من السوق • ان جدول رقم ٤ يوضح ان المصافى القريبة من السوق تتميز بضيق النطاق فى انتاجها بينما تلك القريبة من المصدر فهى واسعة النطاق • من الواضح فى هذا الجدول أن ٦٠٪ من قابلية التصفية فى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٥ كانت على

جدول رقم ٤

توزيع قابلية الولايات المتحدة فى التصفية حسب نوعيه الموقع كنسبة مئوية من مجموع القابلية*

السنة	مصافى قريبة من المصدر	مصافى قريبة من السوق
١٩٢٠	٧٦ر٧٪	٢٣ر٣٪
١٩٣٠	٧٣ر٣٪	٢٦ر٧٪
١٩٤٠	٧٠ر٩٪	٢٩ر١٪
١٩٥٠	٦٥ر١٪	٣٤ر٩٪
١٩٥٥	٥٩ر٩٪	٤٠ر١٪

المقربة من المصدر • ان التزايد فى نسب القابلية القريبة من السوق تعلل بوجود ارتباط مباشرة بين هذا التزايد والتقدم الفنى الذى أدى الى نقصان فى كمية الفضلات والخسارة فى المواد الاولية عند عملية التصفية وميل المشتقات نحو ملائمة انماط الأسواق الاميركية (استعمال البترول الخام الذى يلائم ذلك السوق) •

كما أن جدول رقم ٥ يوضح أنه فى الوقت الذى توجد فى أوربا ١٦ مصفى صغير لا يوجد أكثر من ٤ مصافى كبيرة ، ومن ثم ان منطقة البحر الكاريبى (وهى منطقة مصدر للبترول) تملك ٥ مصافى كبيرة مقابل ٣ مصافى صغيرة وان النسبة فى الشرق الاوسط هى ٥ مصافى كبيرة الى مصفى واحد صغير يستخدم لسد الحاجة المحلية •

---

* المصدر :
Alexander Melomid, "Center of Gravity of Domestic Refineries," The Oil Forum, Val. IX, No. 6 (Iune 1955) P. 215.

جدول رقم ٥
المصافى الصغيرة والكبيرة خارج شمال امريكا
والدول الاشتراكية فى سنة ١٩٥٨*

المنطقـة	قابلية من ٥٠٠٠ر٥ برميل يوميا الى ١٠٠٠٠ر١٠ برميل يوميا	أكثر من ١٠٠٠٠ر١٠ برميل يوميا
أوربـــا	١٦	٤
الشرق الاوسط	١	٥
الشرق الاقصى	٥	ـ
منطقة الـكاريبى	٣	٥
جنوب أميركا	٥	ـ

وبالمقارنة مع الدوافع التى أدت الى التحول نحو السوق توجد منافع عديدة للمصافى القريبة من مصدر البترول ومن هذه :

١ ـ الاقتصاد بنفقات الشحن : اذ أن نقل البترول الخام الى مصفى بعيد يتضمن نقل ما سيذهب للوقود وما سوف يخرج على شكل فضلات لعملية التصفية .

٢ ـ انخفاض تكاليف العمل والخدمات الاخرى : اذ من المعروف ان الدول المنتجة للبترول دول تتوفر فيها الايدى العاملة ومستوى الاجور والمكافئات الاخرى للعمال أقل مما فى الدول الصناعية المستهلكة للبترول .

٣ ـ اذا كان المصفى على مقربة من سوق معين أصبح أكثر اعتمادا على نمط الطلب فى ذلك السوق ، أما اذا كان على مقربة من مصدر البترول فيصبح حينئذ أكثر استقلالا وهذه ميزة مهمة جدا . اذ أن المصفى القريب من المصدر يتمكن من تجهيز أسواق عديدة بعيدة . ان المصفى القريب من السوق يتمكن من تجهيز تلك الاسواق بواسطة السفرات المتكررة Gross hauls والسفارات المتعاكسة backhaul وهذا يعنى تكاليف شحن باهضة أعلى من تكاليف سفرة مستقيمة مستمرة بين مصدر البترول

* المصدر :

P. H. Frankel and W. L. Newton, Current Economic Trends in Location and Size of Refineries in Europe, (New york, World Petroleum Congress, 1959) P. 5.

والاسواق المختلفة • ان المصفى القريب من المصدر يتمتع بموقع مركزى بين الاسواق المختلفة ، لذا يتمكن من تحاشى السفرات المتكررة والمتعاكسة ، ولهذا السبب بالذات فمن الاستحالة اقتصاديا بناء مصفى واسع النطاق على مقربة من السوق بينما من المنصوح والمتوقع بناء مثل هذا المصفى على المقربة من المصدر •

ويبدو ان اقتصاديات الانتاج الواسع النطاق مهمـة جدا فى عمليات التصفية بحيث انها تغطى التكاليف الباهضة لنقل مشتقات البترول • فمن المعروف أن كل من رأس المال والتكاليف المتغيرة تنخفض كلما توسـع الانتاج • ويمكن التعبير عن اقتصاديات الانتاج الواسع النطاق فى عمليات التصفية بالمعادلة التالية :

لو ر = ٠ر٦ لو ق - ث

حيث يشير الحرف ر الى رأس المال المستخدم لانتاج كل برميل منتج من المشتقات ، ق القابلية الانتاجية ، ث كمية ثابتة • وعنـد تمثيل هذه المعادلة على شكل خط بيانى لوغارثمى نتمكن من الحصول على النسب التالية لتكاليف رأس المال : ان تكاليف رأس المال لـكل برميل منتج تساوى :

١٠٠	فى	مصفى	قابلية	انتاجه	١٠٠ر٠٠٠	برميل	يوميا
١٠٩	»	»	»	»	٨٠ر٠٠٠	»	»
١٢٣	»	»	»	»	٦٠ر٠٠٠	»	»
١٤٤	»	»	»	»	٤٠ر٠٠٠	»	»
١٩٠	»	»	»	»	٢٠ر٠٠٠	»	»

وتظهر تجارب مصافى البترول بأن الحجم الذى يتراوح بين ٥٠ر٠٠٠ برميل يوميا و ١٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا يعطى أحسن اقتصاديات النطاق فى كل من التكاليف الثابتة والمتغيرة[١١] •

---

(١١) انظر :
John G Mc Lean and R. Wn. Haigh, The Growth of Integrated Oil Companies, (Norwood, Mass., The Plimton Press, 1954), pp. 327-336 and p. 561.

كما ان اقتصاديات النطاق الواسع فى عمليات التصفية ، كعنصر تعويضى Differential Compesatory Factor يفسر لنا سبب وجوب مصافى كبيرة على مقربة من مصدر البترول • ومن ثم اذا كانت المصافى الخمسة الكبيرة الموجودة فى منطقة الشرق الاوسط والتى كل منها يتميز بقابلية انتاجية تفوق ١٠٠٫٠٠٠ برميل يوميا تنتج الآن بربح ، لذا لا نرى سببا اقتصاديا لماذا تصفية محلية تجارية على نطاق عالمى مماثلة لا تقوم داخل العراق وتكن كمثيلاتها مربحة أيضا[١٢] •

ان الدراسات التى قامت بها مؤسسات هيئة الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية تؤكد بأن ارباح وتكاليف التصفية فى صالح المصافى القريبة من المصدر • ان جدول رقم ٦ يوضح هذه الحقيقة •

جدول رقم ٦

معدل أرباح البرميل المنتج فى مصافى الشرق واوربا الغربية*

(بالدولارات الاميركية)

التـــاريخ	الشرق الاوسط	غرب أوربا	جنوب أوربا
١٩٤٨			
١٥ كانون الثانى			
١٥ نيسان	٠٫٩٣	٠٫٣٢	٠٫٧١
١٥ تموز	١٫٠٨	٠٫٤٦	٠٫٨٦
١٥ تشرين أول	١٫١٢	٠٫٥٠	٠٫٩٠
١٩٤٩			
١٥ كانون الثانى	٠٫٨٢	٠٫١٨	٠٫٥٨
١٥ نيسان	٠٫٧١	٠٫١٢	٠٫٤٩
١٥ تموز	٠٫٥٦	٠٫٠٢	٠٫٣٨
١٥ تشرين أول	٠٫٩٢	٠٫٤٣	٠٫٧٢

(١٢) انظر جدول رقم ٥ •

* المصدر :

United Nations, The Price of Oil in Western Europe, (Geneva, by author, 1955), p. 31 and Table 18 in Annex.

تتمة جدول رقم ٦

التاريخ	الشرق الاوسط	غرب أوربا	جنوب أوربا
١٩٥٠			
١٥ كانون الثاني	٠ر٩٨	٠ر٣٥	٠ر٦٢
١٥ نيسان	٠ر٨٨	٠ر٣٧	٠ر٦٢
١٥ تموز	١ر٠٨	٠ر٥٨	٠ر٨٣
١٥ تشرين أول	١ر١٤	٠ر٤٨	٠ر٨٦
١٩٥١			
١٥ كانون الثاني	١ر١٦	٠ر٥٢	٠ر٩١
١٥ نيسان	١ر١٨	٠ر٤٤	٠ر٩٩
١٥ تموز	١ر١٨	٠ر٤٤	٠ر٩٩
١٥ تشرين أول	١ر١٨	٠ر٣٧	١ر٠٤
١٩٥٢			
١٥ كانون الثاني	١ر١٦	٠ر٥٢	١ر١٤
١٥ نيسان	١ر١٦	٠ر٤٨	١ر١٧
١٥ تموز	١ر١٢	٠ر٤٤	١ر١٢
١٥ تشرين أول	١ر٠٥	٠ر٤٥	٠ر٩٨
١٩٥٣			
١٥ كانون الثاني	١ر٠٥	٠ر٤٥	١ر٠٣
١٥ نيسان	١ر٠٩	٠ر٨٣	١ر٠٢
١٥ تموز	١ر١٢	٠ر٩٠	١ر١٥
١٥ تشرين أول	١ر٠٥	٠ر٨٧	١ر٠٥
١٩٥٤			
١٥ كانون الثاني	١ر٠٠	٠ر٨٠	٠ر٩٨
١٥ نيسان	٠ر٩٨	٠ر٧٤	٠ر٩٩
١٥ تموز	٠ر٩٨	٠ر٧١	٠ر٨٧
١٥ تشرين أول	٠ر٩٧	٠ر٨٤	١ر٠٠

ما موجود من حقائق في الجدول تشير الى أن الارباح المجنية من مصافي الشرق الاوسط كانت أعلى من تلك المجنية من مصافي أوربا • كما أن هذه الدراسات قد ذكرت بأن التصفية الاوربية كانت بحاجة الى ٦٤ سنت تكاليف تصفية لكل برميل منتج ، فلذا لابد للاسعار من تغطية هذه التكاليف لكي تجني التصفية الاوربية أرباحا ولكن كثير من هذه لم تصل الى هذا الهدف(١٣) • ويفسر وجود هذه المصافي في اوربا على اعتبارها ملكا لشركات عالمية متكاملة تملك مصادر للبترول في الشرق الاوسط(١٤)• ولما كان البترول الخام لا يباع على شكل مواد أولية لذا فان عملية التصفية ضرورية لبيع البترول الخام ، كما أن الارباح الجسيمة الناجمة عن استخراج البترول يعوض عن خسارة هذه التصفية • ويفسر وجود المستقلين من المصفين في أوربا Independents (المصافي المستقلة عن الشركات الكبرى العالمية) على أنها تشتغل لحساب الشركات الكبرى لقاء عمولة يتفق عليها وتحسب بالنسبة لتكاليف الانتاج وليس بالنسبة للاسعار السائدة لمشتقات البترول •

(١٣)
U.N. The Price of Oil in Western Europe, op. cit. pp. 31-32.
Ibid. p. 31.

(١٤) كانت ثلاثة أرباع المصافي العاملة في اوربا في سنة ١٩٥٥ مملوكة من قبل شركات عالمية كبرى ، انظر Ibid, P. 31

البداوة والحضارة فى القرآن الكريم

الدكتور صالح الشماع

ان سير التقدم البشرى يستدعى أن يتطور الانسان من المجتمع القبلى البدوى الى مجتمع مستقر يضم أفراده اليه على أساس قومى او اتحادى او عقائدى ، كما هو معروف فى المجتمعات المتحضرة التى عرفها الانسان الى اليوم • وان مهد الاسلام[1] ظهر فى مجتمع قبلي بدوى دون شك ، لكن هنا نجد عظمة الاسلام وعظمة الدعوة السماوية ، فعلى الرغم من الارضية البدوية جاء الاسلام يدعو الى حياة الاستقرار المتحضرة ويهاجم الاعراب البادين فى البوادى والواحات على أنهم أشد كفراً ونفاقاً من أهل المدن[2] وانهم لا يعلمون الاسلام الا اسما اذ لا يدخل الايمان الى قلوبهم الا بعد جهد ، « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم .. » (الحجرات ، ١٤) •

سكن العرب قبل الاسلام شبه الجزيرة وتخوم العراق وسورية فى دولتى اللخميين فى الحيرة والغساسنة فى الشام • وكان هناك فى اليمن ذات الحضارة العريقة دولة شبه مستقلة يحكمها « الابناء » وهم اخلاف جيش

---

(١) « مهد الاسلام » هذا هو عنوان كتاب أخرجه المستشرق لامنس H. Lammens, Le Berceau de l'islam. Rome, 1914 وتحدث فيه عن الثقافة العربية والشعر العربى قبل الاسلام وتعرض فيه الى موضوعات التلصص وأهل الصعلكة وامور اخرى قامت دون شك على تحقيقات لغوية تدل على ذكاء مؤلفها ، الا ان الغاية البعيدة من كتاب المؤلف هى الطعن فى الاسلام واظهار انه نتاج عقل بدوى وروح قبلية • واننا جريا على الحديث المأثور « اطلب العلم ولو فى الصين » لا يسعنا الا التنبيه الى ان امثال لا منس هم سبة فى جبينى الاستشراق والعلم الغربيين ، والقول ان الاسلام نتاج البداوة ولا يصلح الا لاهل البدو هى فكرة مفرضة ، وغرضنا من مقالنا هذا اظهار فسادها •

(٢) التوبة (٩٧) انظر تفاسير الآية فى كتب التفسير •

فارسى استعمر اليمن وتزاوج مع أهليه وظل على علاقات واهية بدولة الاكاسرة • وكان العرب فى دويلاتهم هذه او فى واحاتهم الكبيرة وملتقى طرق قوافلهم كمكة ويثرب والطائف او فى ما سوى ذلك يعيشون فى مجتمعات تقوم على أساس تنظيم قبلى والروح العشائرية هى السائدة من الحيرة الى صنعاء ومن البحرين الى الشام • وحتى حين وجدت الاحلاف(٣) فان الاستقلال النسبى لكل قبيلة لم يزل ؛ كل ما فى الامر ان سكان الواحات الكبيرة وجدوا ان حياة الاستقرار شبه المتحضرة التى يعيشونها لابد لها من القضاء على جانب من التنظيم القبلى البدوى للمجتمع • ولئن اختلف ساكن الحيرة أو اليمن أو يثرب عن أهل الوبر البادين والعرب الرحالة فان الاختلاف لم يقض على القبلية نهائيا عند أهل مكة أو غيرهم ، وظل أهل مكة ويثرب عبارة عن مجموعة قبائل اذا نظرنا اليها بمنظار الامم المتحضرة المستقرة • فالانتساب الى هذه القبيلة أو تلك ظل هو هو فى المدن وفى البوادى ، والنعرة أو العصبية القبلية لم تتغير ، والدين الوثنى وعلاقاته بالعفاريت والارواح وما يعرف بالنزعة الحيوية(٤) هذه كلها اشترك فيها العرب على تفاوت فيما بينهم هنا أو هناك •

ونظام الثأر فى الجاهلية هو الآخر شارة لمجتمع بدوى قبلى ، فالثأر لا يشترط الاقتصاص من القاتل نفسه ، وانما قد يؤخذ غير القاتل بجريرة لا دخل له فيها سوى اشتراكه مع القاتل أو المجرم بالنسب أو المصاهرة أو

---

(٣) صحيح ان القبيلة تقوم على أساس الدم وعلى أساس جد مشترك ، لكن اتسعت القبيلة العربية وضاقت • فقد عرف العرب التحالف بين القبائل كما حدث فى شباب الرسول (ص) قبل البعثة « شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله فى الاسلام لأجبت ، وكان هذا حلفا من خمس قبائل ، وحين ظهر الاسلام كانت مكة محكومة من وجوه عدد من القبائل المتحالفة فيما بينها البعض للسقاية والآخر للرفادة وثالث للواء وهكذا • انظر مثلا لسان العرب ، مادتى حلف ، فضل •

(٤) Animism هذه نزعة معروفة عند مختلف الشعوب البدائية وفيها يضفون مظاهر الحياة على الكائنات المادية كالصخور والبحيرات والينابيع والابار ، ومثل هذه العقائد الدينية نجدها عند اهل مكة ويثرب قبل الاسلام كما نلاحظها عند غيرهم من بدو الصحراء •

الجوار أو الولاء أو التبنى ، وكل هذه موازين تشيع عند أهل القبائل والبدو ، ولطالما فنيت قبيلة أو اخرى واندثر حى أو آخر نتيجة هذه الثارات •

والشعر الجاهلى وهو خير وافضل ما تبقى لنا من تراث عقلى قبل الاسلام يدل ، اذا نظرنا فى موضوعاته من فخر وهجاء ومديح ، على روح قبلية لا تعرف الا التنابز بالالقاب والمكابرة ولو كذبا والاطراء ولو على حساب الحقيقة • يقول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

وان الضغن بعد الضغن يبدو ... عليك ، ويخرج الداء الدفينا
ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا

ويقول تأبط شرا فى المفضليات :

حمال الوية ، شهاد اندية ... قوال محكمة ، جوّاب افاق

وقال الحادرة فى المفضليات أيضا :

انا نعفّ فلا نريب حليفنا ... ونكف شحّ نفوسنا فى المطمع
ونقى بآمن مالنا احسابنا ... ونجرّ فى الهيجا السلاح وندّعى
ونخوض غمرة كل يوم كريهة ... تردى النفوس وغنمها للاشجع
ونقيم فى دار الحفاظ بيوتنا ... زمنا ، ويظعن غيرنا للأمرع(٥)

وفى اشتهار عرب الجاهلية بعلم الانساب(٦) اشارة أخرى الى ما عندهم من اعتزاز بالنظام القبلى •

كما لم يكن عند ظهور الاسلام للعرب دولة بمعنى الكلمة • فقد مر ان اليمن كان فيها الابناء وكان لليمن علاقة ما بفارس • وكانت الحيرة دويلة تابعة مصطنعة اقامها الفرس على تخومهم لتحميهم من غارات عرب الصحراء من ناحية ولتكون جندى حراسة فى وجه امبراطورية الروم ،

---

(٥) لا نقصد هنا الا الاجتزاء بمثل أو آخر على الادلة التى نعتمدها ، والا ففى المعلقات والمفضليات ودواوين شعراء الجاهلية وفى الامثال للميدانى وفى القرآن وكتب التفسير الشىء الكثير ، وكل هذا لا محل له فى مقالة •

(٦) عرف عن ابى بكر خليفة رسول الله انه كان رجلا نسابة قبل اسلامه اى انه كان عالما بالانساب يعرف كثيرا من تفرعات القبائل وشجرات النسب • ولا يزال كثير من الاشخاص فى شتى الشعوب المتحضرة اليوم يحتفظ بشجرة ما لنسبه ، لكن شجرات النسب الشخصية هذه هى صورة مخففة لعلم الانساب القبلى •

وكان الحال هو نفسه بالنسبة الى دولة الغساسنة • وفي مكة كان هناك تحالف بين القبائل وكان الملأ من قريش أى ساداتها يحكمون وتحركهم مصالحهم المالية الى التعاون ، لكن دون ما قانون مكتوب أو ان يكون هناك رئيس بمعنى الكلمة بل كان هناك وجهاءهم اشبه بشيوخ القبائل يتعاونون تعاونا وقتيا • وفى يثرب كانت قبائل اليهود ـ النضير وقينقاع وقريضة ويهود خيبر وغيرهم ـ منشقة على نفسها ، كما كانت قبيلتا الاوس والخزرج مهدودتى القوى اثر الحروب الطاحنة بينهما ولم يكن لهؤلاء جميعا دولة تحكمهم •

ونظام الزواج وتفضيل ابنة العم أو ابنة الخال والاستنكاف من التزوج بنساء قبائل أخرى واعتبارهن شبه أجنبيات هو الآخر يدل على السنة البدوية والطبيعة القبلية •

هذه أمثلة قليلة وأحكام سريعة على وضع عرب الجاهلية • فهل كان الاسلام استمرارا لكل هذا أو كان ثورة وانقلابا ؟ هل الاسلام ـ كما يريد له اعداؤه ويكيد له الكائدون ـ هو دين البداوة أو انه رسالة تدعو الى الحياة المستقرة والى تنظيم المجتمع على أساس مقبول عند أهل الحضارة والعمران ؟

جاء الاسلام رحمة للعالمين ، وقد جاء ثورة على نظام القبيلة ، وعلى التركيب الاجتماعى المستند الى القبيلة وتشكيلاتها • وحسبنا فى بقية هذا المقال الاشارة الى ما اوجده الاسلام منذ عصر الرسول مما يعتقد كل مسلم صادق العقيدة انه يصلح لكل الناس وفى جميع الاعصر رغم التطور الطبيعى • واننا نقول « ما اوجده الاسلام » ونقصد من ذلك الى ان الاسلام يقف وجها لوجه امام الوثنية الجاهلية وهو على طرفى نقيض معها ، وبالتالى فنظريات كنظريات لامنس المدعية ان الاسلام هو ابن الجاهلية ووليد الظروف البدوية الصحراوية باطلة عندنا وان دلت على شيء فهى تدل على وجه من وجوه الاستشراق • وفيما يلى نعد تركيبات اجتماعية أربعة اوجدها الاسلام ليزيل تركيبة القبيلة ـ وقد رأينا أعلاه ان القبيلة هى نظام الحياة الاساسى فى المجتمع الجاهلى فى بدوه وحضره • هذه التركيبات الاسلامية هى :

أولا : الفرد • اعطى الاسلام قيمة للفرد لم تكن فى الجاهلية أبدا • يذكر لنا المتشرق الاسكوتلاندى المعاصر و•م•وات[٧] فى كتابيه عن حياة الرسول فى مكة والمدينة ان مكة قبل الاسلام ـ وقد يعمم الحكم على المدن الاخرى الشبيهة بمكة ـ أخذت تفسح المجال لظهور النزعة الفردية ، وان هذه النزعة لا تكون لها حياة الا على انقاض النظام القبلى • ويستدل وات على ظهور امثال حلف الفضول وضعف الروح الدينية عند أهل مكة وانهم لم يحتفظوا بالاوثان الا جلبا للمال من أهل البادية • وهذا كلام يستند دون شك الى وقائع كثيرة ، لكنه لا يكفى مطلقا للقول بان الجاهلية هى التى أخذت باعطاء قيمة للفرد وليس الاسلام • اننا نعتقد ان من أهم علامات الثورة الاسلامية على الجاهلية الوثنية هو اقرار القرآن لقيمة الفرد وجعله هو المسئول عما اقترفت يداه :

كل نفس بما كسبت رهينه

يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم

لكم دينكم ولى دين

ان كل نفس لما عليها حافظ

يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه •••

ويوحى الله الى ابراهيم بقوله : « انى جاعلك للناس اماما » •

فيستفسر ابراهيم من ربه هل ان هذه الامامه تشمل ذريته أيضا فيكون الجواب : « لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة ، ١٢٤) •

ونقرأ فى البقرة مرة اخرى (١٤٠ ، ١٤١) عن المسئولية الفردية :

أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله •••

---

(٧) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca. Medina, Oxford, 1956

ان ابحاث هذا المستشرق عن الاسلام كبيرة الدلالة وهى خطوة الى الامام اذا قيست بأبحاث جيل سابق هو جيل لا منس ، لكن وات نفسه ينتهى دائما الى ان الاسلام هو صورة ثانوية للمسيحية وان المسيحية هى الصورة المثلى ، مع العلم ان خير أبحاثه هى عن الاسلام وأبحاثه عن المسيحية لا يكاد يسمع بها انسان لتفاهتها أو جانبيتها •

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون •

والآن لننظر في تركيبة اجتماعية ثانية عرفها الاسلام وما عرفتها الجاهلية بالصورة نفسها :

ثانيا : العائلة • ان ما جاء به الاسلام من أنظمة وتشريعات للوراثة والزواج والطلاق والتربية وشئون اخرى تتصل بعلاقات الاباء والابناء والازواج تدلنا على اهتمام الشريعة السمٰوية باقرار وحدة العائلة لا بمعناها القبلي الجاهلي بل بمعنى مقبول عند أهل الحضارات البارزة ويقبله الانسان المثقف • العائلة في الاسلام هي أساسا الزوجان وأولادهما ، ثم الابوان والاخوة ، ويلي هؤلاء طبقة ثانوية من ذوي الارحام ممن تتطلب العلاقات الطبيعية اعتبارهم والتعاون معهم • ونظام العائلة الاسلامي لا علاقة له بالمرة بنظام العائلة أو العشيرة الجاهلي • فانظمة الولاء والتبني والجوار لم تعد ذات قيمة في التشريعات الاسلامية • ولئن تكونت طبقات الموالي من غير العرب في المجتمعات الاسلامية فان نشوءهم كان في ظروف خاصة ولاسباب ادارية أو أسباب وقتية ، لننظر في هذه الآيات الكريمة :

« ••• واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ••• » (احزاب ٦) •

« ما كان محمد ابا احد من رجالكم » (احزاب ، ٤٠) •

وفي الآية الرابعة من سورة الاحزاب نفسها نقرأ :

« وما جعل ادعياءكم ابناءكم »

ثم نقرأ :

« ادعوهم لآبائهم ••• فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ••• »

وان من يراجع الالفاظ التي هي من مثل « ولاء » ومن اصلها يعلم ان الولاء الاسلامي هو لفظ يشبه في معناه لفظ « الاخاء » والحب في الدين ، وليس المولى المسلم مفهوما في سياق جاهلي قبلي ابدا •

كما جعل الاسلام طاعة الابوين وحنان البنوة والزوجية يأتيان بعد طاعة الله وعلامة على طاعة الانسان لله :

ووصينا الانسان بوالديه ... (لقمان ، ١٤) .

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين ... (الفرقان ، ٧٤) الخ .

ان الاسلام الذى هدم نظام القبيلة التى تقوم على أساس الدم مباشرة أو بصورة غير مباشرة ــ كما فى الولاء والتبنى ــ اقام مقام ذلك نظام العائلة بمعناها المحدد واعطى بذلك متنفسا للعواطف البشرية الطبيعية . وتحديد الاسلام للزواج وحمايته للايتام وواجبات الدولة والفرد فى شئون العائلة المختلفة لهى جميعا الدليل الواضح على ان الاسلام قد اوجد تركيبة العائلة بعد ان لم تكن . فقد كان للجاهلى عدد غير محدد من الزوجات كما كان هناك نظام تعدد الازواج فى آن واحد ، وكثير من صور النظام العائلى فى الجاهلية لا يختلف عن الزنا ، وقد جاء الاسلام محرما الزنا وما يقرب منه مما يتصل بعدم الحشمة[٨] .

ثالثا : الدولة . « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » (النساء ، ٥٩) .

وهذه تركيبة اجتماعية سبق ان ذكرنا ان الجاهلية قبل الاسلام مباشرة لم تعرفها معرفة لائقة . ففى اليمن والحيرة والشام كان الامر بيد اجنبية تقريبا وفيما عدا ذلك كان النظام القبلى البحت ووجوه القبائل والملأ منهم هو الذى يحكم بصورة شخصية وليس حسب شريعة أو دستور . ومنذ دخل الرسول الى المدينة أخذ من خاصته واهل بيته ومن يعتمد عليهم من اتباعه معاونين له وهكذا جمع فى عمله بين رسالة النبى ووظيفة رئيس الدولة وسن بذلك دستورا للمسلمين ، وقد اتبعوه ، وان كانت لهم اختلافاتهم فى الحكم اقتضتها طبيعة النفوس وطبيعة الظروف ، لكن الذى يعنينا هو ان الاسلام اقر واجبات للدولة والحكومة لا نجد لها مثيلا فى مكة قبل الاسلام ولا فى يثرب أو غيرهما من أجزاء شبه الجزيرة العربية . والدولة الاسلامية تقوم على العدل والخير والاحسان وليس على أساس

---

(٨) انظر الفصول الثالث والرابع والحادى عشر والثانى عشر من رسالة المؤلف Ethical System Underlying The Quran, 8uebingen, 1959

الحسب والنسب والمال •

رابعا : الامة • وهذه هي التركيبة الاسلامية الرابعة وهي اوسع نطاقا من جميع التركيبات السابقة وهي تضم فيما بينها في رباط شامل • رباط يقوم على أساس العقيدة والشريعة السموية وليس على أساس من العرقية الضيقة أو الحمية الجاهلية القبلية •

« انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ••• »

لقد عرف عرب الجاهلية هذا التقابل « عربي ـ اعجمي » لكن هذا التقابل كان مفهوما في نطاق اللغة ولم يكن معروفا منه انه يشير الى « امة عربية » • بل حتى اشارات القرآن الى انه بلسان عربي مبين هي اشارات الى الناحية اللغوية فقط • ان الاسلام جاء ليوحد بين العائلة البشرية على أساس الرباط الروحي •

وانه ندر بين المجتمعات من يعرف التآخي بين الشعوب ما عرفته الشعوب الاسلامية في مختلف القارات • ولئن عرف اليهود تآخيا فيما بينهم فان العقيدة اليهودية لا تختلف عن الحمية الجاهلية ، واساسهما هو العرقية القبلية بأضيق معناها ، اما الاسلام فهو رسالة الله الاخيرة الى الانسان ، وقد جاء محمد (ص) رحمة للعالمين •

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » •

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم » •

ان الاسلام لا ينكر المعاني الحسنة في القومية ، انما هو ينكر التعصب الاعمى ولا يقبل بالنعرات التي تقوم على أساس الكبرياء الفارغة والزهو الفارغ • حاشا ان يكون للاسلام وشيجة بالتعصب فهو دين التسامح والاخاء والاشتراك في عبادة خالق واحد[٩] •

---

(٩) طرحنا في مقالنا هذا موضوعات متعددة للمناقشة نرجو ان نسمع تعليق العلماء الافاضل عليها ولنا عود اليها ان شاء الله •

رأى فى اشتقاق كلمة صوفى

الدكتور كامل الشيبي

أ ـ من الامور التى كاد يستريح اليها الباحثون اشتقاق كلمة صوفى ونسبتها الى الصوف ، أما محاكاة للرهبان السائحين فى بلاد الاسلام[١] ، أو شعوراً بالتواضع الشديد واظهارا له[٢] مع التوجه الكلي الى الله • ولكن الملاحظ أن كل ما قيل فى اثبات نسبة الصوفى الى الصوف قد أورده أصحاب كتب التصوف ثم ردوه ؛ فالسراج (ت ٩٨٨/٧٨) ناقش ما قيل من انه اسم أحدثه البغداديون ثم أحاله[٣] ورد عليه بأنه قد سبق البغداديين ثم وصل به الى أيام الحسن البصرى (ت ٧٢٨/١١٠-٩) ولكنه لم ينكر انه متصل بظاهر اللبسة[٤] وانما قارن بين الصوفيين ، من حيث نسبتهم الى اللباس ، والحواريين الذين نسبوا الى لباسهم الابيض[٥] • وكذلك وافق الكلاباذى (ت ٩٩٠/٣٨٠) على أن النسبة الى التصوف تعبر عن ظاهر أحوال المتصوفة ولكنه لم يوافق على أن الصوفية لبسوا الصوف وحده ، وانما أضاف اليه الشعر • ولما عرض لاحتمالات الاشتقاق ، وجد نفسه محاصرا بكلمة « صوف » فوافق عليها موافقة غير قاطعة[٦] • واذا عرض القشيرى (ت ١٠٧٤/٤٦٥) للمسألة ووجد نفسه مواجها بكلمة « صوف » أيضا أعرض عنها قائلا : « فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف »[٧] وكذلك فعل الهجويرى المعاصر للقشيرى[٨] •

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٣٦ ، حلية الاولياء ٧/٣٤ •

(٢) فى التصوف الاسلامى : لنيكلسون ، غير ان المؤلف لم ينكر الغموض الذى أحاط بأصل الكلمة راجع الكتاب نفسه ص ٦٨ •

(٣) اللمع ص ٢١ •

(٤ ، ٥) المصدر نفسه ص ٢٠ ، ويرد فى صحيح البخارى ان الحواريين سموا كذلك لبياض ثيابهم (كتاب فضائل اصحاب النبى ٦٢ : ١٣) •

(٦) التعرف ص ٥ •

(٧) الرسالة القشيرية ص ٦٤ •

(٨) كشف المحجوب ص ٣٤ ـ ٣٥ •

أما غير الصوفية من أصحاب الكتب فقد عالجوا الامر على هذا النحو نفسه ؛ فقد أورد البيرونى (ت ٤٤٠/١٠٩٨-٩) احتمال اشتقاقه من « صوف التيوس » غير انه رده واختار غيره[٩] . وعرض السمعانى (ت ٥٤٣/١١٤٨) للالفاظ التى تحتمل الاتصال بالصوفية واورد كلمة « صوف » ولكنه لم يقف عليها وانما استمر يسرد الاحتمالات الاخرى[١٠] كما فعل الزمخشرى (ت ٥٣٨/١١٤٤) من قبل[١١] . أما ابن الجوزى (ت ٥٩٧/١٢٠١) ، ولم يكن صوفيا أيضا ، فقد قرر فى نسبة الكلمة الى الصوف انه « يحتمل »[١٢] ولكنه صحح شيئا آخر[١٣] . وجاء ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥-٦) ليقول : « والاظهر - ان قيل بالاشتقاق - انه من الصوف ... »[١٤] فلم ينبىء قوله بالقطع .

ب - واذا استعرضنا الاصول التى نسب اليها التصوف فى رأى المتصوفة أنفسهم ، وجدناها متعددة وتكاد تشمل كل كلمة يدخل فى تكوينها حروف الصاد والواو ثم الفاء : ذكروا الصفاء والصفوة والصف والصفة والصوفانة وصوفة القفا والصوفة المرمية والصوف الذى على ظهور الضأن ، وزاد البيرونى كلمة « سوفيا » اليونانية[١٥] . ثم أوردوا « صوفة » بوصفها لقبا لجماعة من الزهاد اليمانين قبل الاسلام أعرض عن ذكرها سائر المتصوفة السابقين ولم يذكرها منهم الا أبو نعيم (ت ٤٣٠/١٠٣٩) فى معرض سرده للاحتمالات حسب[١٦] .

والحق أن هذا أمر يستوقف النظر ، « صوفة » هى الكلمة الوحيدة التى تحتمل الوقوف الى جانب الصوف فى الاشتقاق ، وقد ذكرها الطبرى (ت ٣١٠/٩٢٢-٣) فى تاريخه - كما سيأتى - عن ابن الكلبى (ت ٢٠٤

---

(٩) تحقيق ما للهند من مقولة ص ١٥ .
(١٠) الانساب ورقة ٣٥٧ب .
(١١) انظر اساس البلاغة ٢/٢٢ .
(١٢ ، ١٣) تلبيس ابليس ص ١٦٢ .
(١٤) المقدمة ص ٤٦٧ .
(١٥) تحقيق ما للهند من مقولة ص ١٥ .
(١٦) حلية الاولياء ١/١٧ .

٨١٩/٢٠) وكان أقدم حجة فى تاريخ العرب قبل الاسلام • واذا كان أصحاب كتب التصوف لا يوافقون على أن الصوفى من الصوف فلماذا لم يوردوا الكلمة ؟ ولماذا أوردها أبو نعيم وحده ؟

وقبل أن ندخل هذا الموضوع لابد أن نشير الى ان من الصوفية من لقب الكتّانى[١٧] (أبو بكر ت ٣٢٢/٩٤٣) المسوحى[١٨] • – من مسوح الرهبان – والخلقى (عبدالملك ت ٣٥٩/٩٦٩–٧٠)[١٩] نسبة الى لباسهم دون وصل لهم بالصوف وان كانوا من الصوفية فعلا • بل ان الكلاباذى ليذكر أن صوفية الشام القدماء سموا بالجوعية كالقاسم بن عثمان الجوعى[٢٠] (ت ٢٠٠/٨١٥–٦) ، ويبدو من أقوال ابى سليمان الدارانى (ت ٢١٥/٨٣٠) انه كان ينتمى الى هذه الجماعة[٢١] •

كل هذه الامور لا تنفى نسبة الصوفى الى الصوف ولكنها فى الوقت ذاته تثير شيئا من الريبة ولاتوحى بالثقة • واى شيء اكثر اثارة لذلك من تشكيك الصوفية انفسهم فى نسبة الصوفى الى الصوف ؟ صحيح ان أبا هاشم الكوفى (ت ١٥٠/٧٦٧) لقب بالصوفى بناء على زهده ولبسه الصوف ، غير ان ابن سعد (ت ٢٣٠/٨٤٤) ذكر رجلا من ثقات الرواة اسمه الحجاج بن عثمان الصواف[٢٢] • ويدخل هذا المدخل أيضا انه كان من رواة الطبرى رجل اسمه ابن الصوفى الطالبى[٢٣] ، وكذا ذكر السمعانى كثيرا من المحدثين

---

(١٧) طبقات الصوفية ص ٣٧٣ ، وهو ابو بكر محمد بن على بن جعفر اصله من بغداد صحب الجنيد (ت ٢٩٨/٩١٠) وابا سعيد الخراز (ت ٢٧٩/٨٩٣) وابا الحسين النورى (ت ٢٩٥/٩٠٧) واقام بمكة مجاورا الى ان مات •

(١٨) هو ابو على الحسن بن المسوحى •• حكى عن بشر بن الحارث (ت ٢٢٧/٨٤١) وروى عنه الجنيد وهو استاذ أكثر البغداديين راجع تاريخ بغداد ٣٦٦/٧ •

(١٩) راجع تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ٣١٧/١ •

(٢٠) التعرف ص ٦ •

(٢١) اللمع ص ١٩٥ حلية الاولياء ٦٨/٩ •

(٢٢) طبقات ابن سعد ج ٧ : ٣١/٢ •

(٢٣) تاريخ الطبرى ١٥١٦/٣ ، حوادث سنة ٨٦٤/٢٥٠ •

الذين اشتهروا بلقب الصوفى[٢٤] ، وكل هؤلاء لم يكونوا من أهل الحال . يضاف الى ذلك ان ابن خلكان (ت ٦٨١/١٢٨٣) ذكر رجلا من الخوارج الاباضية كان يلبس الصوف ويظهر التزهد[٢٥] وذكر النجاشى (ت ٤٢٧ أو ١٠٣٦/٤٤٠ ، ١٠٤٩) من الشيعة ثلاثة لقبهم بالصوفى هم الحسين بن عنبسة واحمد بن يحيى بن حكيم الازدى واحمد بن كثير ، ولم يكن لاحد منهم اتصال معروف بالتصوف[٢٦]. وعلاوة على هذا كله فقد كان من المعتزلة، وهم على طرفى نقيض مع الصوفية ، عيسى بن الهيثم الملقب بالصوفى[٢٧] (ت ٨٥٩/٢٤٥) ولم يعرف عنه التجرد للتصوف .

جـ ـ فما حقيقة الامر اذن ؟ لماذا لم يعرض الصوفية لعبارة صوفة الجاهلية ؟ لماذا يبلغون بالتصوف الى أهل الصفة باعتبارهم منقطعين الى الله فى صفة مسجد رسول الله ، ويتركون الجاهليين المنقطعين الى الله ممن يقرب لقبهم من وصفهم ؟ المسألة واضحة ، انهم ـ وهم أهل التقية المؤثرون للعافية[٢٨] والمعرضون لاعتبارهم من أصحاب البدع ـ لم يشاؤوا أن يصلوا مشربهم بأصل جاهلى . واذا كانوا تحاموا ذكر الشيعة والاتصال بهم ـ مع أخذهم منهم كثيرا من قواعدهم[٢٩] ـ لخوفهم من السلطان ، فأحر بهم أن يتجنبوا الخوض فى الجاهليات . واذا كان التشيع يعرضهم لسخط الحكومة وحدها فان الجاهلية تجعل منهم هدفا لغضب الحكومة والامة معا . ولهذا وجدنا ابا نعيم ـ الذى جعل الشيعة من أهل التصوف وروى عن الائمة أخبارا توثق هذا الوصل[٣٠] ـ انفرد بذكر « صوفة » من بين

---

(٢٤) الانساب ورقة ٣٥٧أ مادة صوفى .

(٢٥) وفيات الاعيان ١٠٨/١ ، هو أبو يزيد مخلد بن كيداد قتل سنة ٩٤٤/٣٣٤ .

(٢٦) رجال النجاشى ص ٤٩ ، ٥٩ ، ١٠٦ .

(٢٧) طبقات المعتزلة لابن المرتضى ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٧٨ .

(٢٩ ، ٢٩) للكاتب رسالة فى هذا الموضوع نال بها درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ .

(٣٠) راجع حلية الاولياء ٨٦/١ ـ ٧ . لعل السبب فى هذه العاطفة الشيعية من ابى نعيم هو الولاء القديم من اجداده لعبدالله بن معاوية بن

أصحاب كتب التصوف[٣١] ، فأظهر صوفة الجاهلية لما أظهر صلة التشيع بالتصوف ، فكان بذلك يضرب مثلا معبرا عن الصراحة التى لم يألفهـــا الصوفية • ومن الطريف ان الباحثين الغربيين أهملوا هذا الامر لاهمال الصوفية له ولم يتطرق اليه من الشرقيين الا زكى مبارك[٣٢] وكرد على[٣٣] وباحث يهودى هو الدكتور اسرائيل ولفنسون[٣٤] سردا للاحتمالات ، كما فعل السابقون من مؤرخينا ، مع استثناء الشيخ مصطفى عبدالرزاق الذى استعرض الاحتمالات السابقة واختـار ما اختاره المستشرقون من اشتقاق الصوفى من الصوف[٣٥] •

د ـ وبعد ، **فمن صوفة ، وما هى ؟**

ذكـر المؤرخون ان بنى صوفـة كانوا جماعة من العرب يتزهدون يتقللون من الدنيـا[٣٦] ، وكانوا قومـا يعتقد النـاس ولا يتهم : فلم يكن

عبدالله بن جعفر بن أبى طالب (انظر البداية والنهاية ١٢/٤٥) الذى قاد غـلاة الشـيعة بين سنة ١٢٦ ـ ١٣٠/٧٤٣ ـ ٤٨ فى الـكوفة والمدائن واصطخر (انظر مقاتل الطالبين لابى الفرج الاصـفهانى ص ١٦٥ وفرق الشيعة ٢٧ ـ ٣٥ والملل والنحـل ١/٢٤٥ •• الخ) يضاف الى هـذا ان الشيعة قد ذكروا لابى نعيم كتابين يجعلانه من مؤيدى التشيع ومحبذيه (انظر معالم العلماء لابن شهر اشوب (ت ٥٨٨/١١٩٢) حيث ذكر ان لابى نعيم كتابى « تنقية المطهرين وتربية الطيبين » و « ما نزل فى امير المؤمنين (علي) عليه السلام [من آيات] » (ص ٢٩) • ومما يجب ان يذكر هنا ان محمد باقر الخوانسارى (ت ١٢٢٦/١٨١١) قد اشار الى كون محمد تقى المجلسى (والد محمد باقر المجلسى الفقيه الشيعى المعروف (ت ١١١١/١٦١٩) من نسل ابى نعيم المذكور (راجع روضات الجنات ص ١٢٩) •

(٣١) حلية الاولياء ١/١٧ •

(٣٢) التصوف الاسلامى ١/٤٩ ـ ٦٥ •

(٣٣) الاسلام والحضارة العربية ١/٢٩ •

(٣٤) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨٣ •

(٣٥) مجلة المعرفة (عدد يونيو ١٩٣١) ص ١٥٢ •

(٣٦) اساس البلاغة ٢/٢٢ السـمعانى : ورقة ٣٥٧ ب ، تلبيس ابليس ص ١٦١ ، الفيروز ابادى (القاموس المحيط ٣/١٦٤) • ويجب ان نذكر هنا ان الزمخشرى ـ وكان معتزليا متشددا متظاهرا بالاعتزال ـ التفت الى التشابه بين نسك آل صوفة وحال المتصوفة فاشار الى احتمال أخذ الصوفية لقبهم من اولئك الجاهليين فقال : « لعل الصوفية نسبوا اليهم

الحجاج يرمون الجمار الا بحضور رجل منهم ليتقبل الله منهم[٣٧] ، وكانت « صوفة » غريبة عن مكة والحجاز ، وكان اسمهم برواية ابى عبيدة (ت٢١٣/٨٢٨) (مع اضافة صوفان وصفوان الى صوفة)[٣٨] علما على من « ولى من أمر البيت شيئا [وكان] من غير أهله[٣٩] • وكان اول بنى صوفة رجلا من اليمن اسمه الغوث بن مر بن طابخة ، حدثنا عنه ابن الكلبى انه سمى كذلك « لانه ما كان يعيش لامه ولد فنذرت : لئن عاش لتعلقن براسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة • ففعلت ، فقيل له « صوفة » ولولده من بعده »[٤٠] • وهكذا جاءت صوفة من الصوف الذى علق برأس الغوث بوصفه ضحية لله • ولما عرض الأزرقى (ت بعد سنة ٢٤٤/٢٥٨ _ ٩[٤١]

نشبيهاتهم فى النسك والتعبد » فكان له ـ بعد ابى نعيم ـ فضل السبق الى هذه الملاحظة ، وعن الزمخشرى أخذ معاصروه ، ومنهم السمعانى وابن الجوزى ومن جاء بعدهم •

(٣٧) الطبرى ١/١٠٩٥ ـ ٦ ، وعن كيفية الافاضة انظر تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على •

(٣٨) كذا أساس البلاغة ٢/٢٢ وتلبيس ابلبيس ص ١٦١ •

(٣٩) تلبيس ابليس ص ١٦١ •

(٤٠) تلبيس ابليس ص ١٦١ • ومما يسترعى النظر التقارب بين عبارة « ربيط البيت » و « الرباط » الذى صار علما على مجتمع الصوفية • وبصرف النظر عن استعمال الكلمة الاخيرة للدلالة على المعسكرات ، فان الامر يحتاج الى دراسة خاصة • وفيما عدا ذلك فان فرعا من مذحج اليمانية كان ينتمى الى العائذ بالله بن سعد العشيرة وذلك يذكر بالغوث بن مر ووصفه بربيط البيت (راجع رجال النجاشى ص ١٦٦) • يضاف الى ذلك كله ان الزمخشرى ، الذى التفت الى دلالة صوفة ومشابهتها لمشرب الصوفية ، كان يلقب « جار الله » لانه « كان قد سافر الى مكة وجاور بها زمانا » (راجع ابن خلكان ٢/١٢٠) فلعل جوهر التفاته الى هذه النقطة جاء من ممارسته لهذا الامر بنفسه • ومن الاهمية بمكان ان نشير الى ان اهل مكة فى الجاهلية كانوا يسمون « أهل الله » وتلك اشارة الى المبدأ نفسه ، وقد ذكر الازرقى ان النبى (ص) لما استعمل عتاب بن أسيد على مكة قال : استعملتك على اهل الله فاستوص بهم خيرا ، يقولها ثلاثا (تاريخ مكة ص ٣٨٠) •

(٤١) فيما يتعلق بتاريخ وفاة الازرقى انظر تاريخ مكة (ص ٢٨٣) ، حيث ذكر سنة ٢٤٤ مقترنة باحداث عاصرها •

لهذا التقليد الجاهلى ، على خلاف فى « صوفة » الاول ، لم يملك نفسه من وصفه بعبارة : « الصوفى[٤٢] . ومن هـــذا هرب المتصـــوفة » واعرضوا عن ربط مشربهم ، وهو الانقطاع الى الله تعالى ، بهذا الجاهلى الذى يصلح أن يكون سلفا لهم باللفظ وبالمعنى معاً .

وهكذا نبدأ البحث : لقد كانت ام الغوث تريد أن تقول : ان ابنى هذا حمل من هَدْي الكعبة ؛ فهو بحكم المتقرب بدمه الى الله ، ان ابقاه كان مَنّاً منه ، وان اماته فهو له . فلننظر فى هذا الموضوع الجديد ولنحاول البحث عما لعله يسنده من اخبار وآراء ونصوص بادئين بالجامع المشترك بين الالفاظ التى رشحت اصلا للتصوف .

هـ ـ ذكر ابن سعد ان ابا موسى الاشعرى ـ ممثل على صـفين ـ كان يحدث ابنه عن ذكرياته أيام الاسلام الاول فيقـــول له : « يا بنى لو رأيتنا ونحن مع نبينا (ص) اذا اصابتنا السماء وجد منا ريح الضان مـن لباسنا الصوف »[٤٣]. وهكذا بدأ الضأن يبدو . ثم يضم الى ذلك ما رواه الكلاباذى عن أهل الصفة من أن الرجل منهم ـ اذا عرق ـ كان « يخرج منه مثـل ريح الضان اذا أصابه المطر »[٤٤] وبهذا يتصل أهـل الصفة ـ وكانوا يلبسون الصوف ـ بصوفة المتصلة بالضان . وتشترك الصفة ـ فى الاشتقاق ـ وصوفة فى ان افراد كلتا الطائفتين كانوا منقطعين الى الله وانه كان عليهم ما يضيفهم الى الهدى المسوق الى الكعبة وان ارواحهم كانت فى تصرف الله . واذا كانت صوفة واهل الصفة ضان الله فان علينا ان نلحق كلمة صوفانة ، التى ترعاها الماشية بهذا السلسلة ضرورة . وتتصل بهذه

---

(٤٢) تاريخ مكة للازرقى ص ١٢٨ سطر ١٩ ، وصـــوفة فى رأى الازرقى كان اخزم بن العاص الذى قيل : انه تصدق بابنه الغوث على مقولة ان زوجه ـ وكانت من جرهم : اصهار اسماعيل ـ ع ـ « كانت عاقرا » فنذرت : ان ولدت غلاما ان تصدق به على الـكعبة عبدا لها يخدمها ... فولى الاجازة بالناس لمكانه من الـكعبة ... وولده من بعده » (ص ١٢٨ ـ ٩) . ولا شك ان القصة لا تستقيم الا على أساس ان الغوث كان صوفة لا ابوه .

(٤٣) ابن سعد ٤ : ١/٨٠ ، مسند ابن حنبل ٤/٤١٩ .

(٤٤) التعرف ص ٣٣ ، وقد اورد ابن حنبل خبرا مثل هذا عن أصحاب رسول الله عموما ، انظر المسند ١/٢٦٨ ـ ٩ .

السلسلة ايضا عبارة « الصف » التى تعبر عن مقـــام اهل الصفة باعتبارهم الصف الاول من المسلمين المنقطعـين الى الله • ثم تلحق بهذه المجموعة ايضا عبارة « الصفوة » التى هى صفة لهم ، و « صوفة القفا » التى اهملوا حلاقتهم لانشغالهم بالاتجاه الى الله « الصوفة المرمرية » التى يشبهون بها فى اهمالهم مظهرهم ومجاهدتهم • اما « الصفاء » فلفظ مخترع بأخرة كما هو معروف(٤٥) • بقيت « سوفيا » وهى الحكمة اليونانية ، وقد عرض لها نولدكه اعتماداً على البيرونى (٤٦) ونفى احتمال الاشتقاق منها (٤٧) • على انه يحتمل انها دخلت هذا المشـرب بعد اتصال التصوف بالثقافة الفلسفية (التى انتشرت فى القرنين الثالث والرابع خاصة) وبخاصـة اننا وجدنا اخوان الصفا ينعتون انفسهم بالصوفية مع اعترافهم الكامل بالفلسفة اليونانية ويقرنون به السير (بمعنى السلوك الخاص بهـم)(٤٨) • ويعزز ذلك ايضـــا ان عبـدالرحمن بن عمر الصوفى المنجم (ت ٣٧٦/٩٨٦) لقب كذلك بناء على اتصاله بالفلسفة اليونانية واخذه معرفته عن اليونانيين وعن غيرهم(٤٩) ، ولم يكن من اهل الحال • ولا بد ان نذكر جابر بن حيان ــ ولم يكن معروفـا بالزهـد ولا بالتصوف ــ قـد أطلق عليـه هـذا اللقب ايضا(٥٠) مع انه عاش فى القرن الثانى الهجـرى (الثامن الميـلادى) • ولهذا فان تهافت وجوده ، ان صح يستند الى تحليل لقبـه ، يأتى مـــن

---

(٤٥) يلاحظ ان اخوان الصفا استتروا تحت هذا الاسم فى منتصف القرن الرابع ووصفوا انفسهم ــ فى بداية رسائلهم ــ بالصوفية ، واستعملوا كلمة « الاصفياء » ــ وهى قريبة من الصـفوة مبنى ومعنى ــ للدلالة على الانبياء (الرسائل ٢/٣١٧) •

(٤٦) فى التصوف الاسلامى ص ٦٦ ــ ٦٧ •

(٤٧) راجع الصوفية فى الاسلام لنيكلسون وترجمة نورالدين شريبة ص ٣ ــ ٤ •

(٤٨) رسال اخوان الصفا ٢/٣١٧ •

(٤٩) له كتاب صور الـكواكب ، وقد ذكر ابن الاثير انه كان منجم عضدالدولة البويهى (ت ٣٧٢/٩٨٢) وان عبدالرحمن الصوفى ولد بالرى سنة ٢٩١/٩٠٣ ــ ٤ (التاريخ ٩/١٧) •

(٥٠) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٨ •

استحالة اطلاقه عليه فى ذلك العصر الذى عاش فيه •

و ـ اما وقد استعرضنا الالفاظ التى رشحت اصلا للتصوف ، فان علينا أن نفرغ لأخراها ـ صوفة ـ لنمتحن ما فيها من امكانيات • ذكر المسعودى (ت ٩٥٦/٣٤٦) ان قاضيا استخفه الطرب لغناء جاريته فلم يدر ما يصنع ، فاخذ نعله فعلقها فى اذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف اذنه ـ والنعل معلقة فيها ـ ويقول : « أهدونى الى البيت الحرام ، فانى بَدَنة » حتى أدمى أذنيه [٥١] • فهذا رجل اسلامى يوضح كيف أدت به العاطفة الجياشة وصفاء الروح وشدة التأثر الى ان ينذر نفسه لله • ويتصل هذا الوجه ، الذى يبلغ بالواجد الى التشبه بالبدن ، الوأد الجاهلى الذى قرن احيانا بهذا التشبيه ، وذلك بالباس الفتاة جبة من صوف او شعر ، بوصفها شاة ، ورعيها مع الغنم ست سنوات ثم بتطبيبها وتزيينها قبل دفنها فى الرمال [٥٢] • ويؤدى هذا بنا مضطرين الى قصة اسماعيل وعلاقته بالضحية والى الذبيح الاخر عبدالله ابى محمد (ص) الذى نذر ابوه عبدالمطلب ان يتقرب الى الله بتضحية عاشر ابنائه ، ان رزقه الله بهذا العدد من البنين[٥٣] ، ثم استبدل التقرب بالبدن بذبحه[٥٤] • ويبدو ان هذه الظاهرة كانت عرفا اجتماعيا فى جزيرة العرب ، ومن هنا وجدنا امرأة مسلمة نذرت ان تنحر ابنها عند الكعبة ، فلما جاءت به لتفعل ، لم ينقذ الطفل من الموت الا فتوى افتى بها مروان بن الحكم (ت٦٨٥/٥٦) من انه « لا نذر فى معصية الله »[٥٥] •

---

(٥٠) مروج الذهب ١٣٤/٢ ، وقد ذكر ابن حنبل ان رسول الله اشعر بدنته من الجانب الايمن ثم سلت الدم عنها وقلدها بنعلين (راجع المسند ٢١٦/١ وكذلك البخارى كتاب الحج ٢٥ : ١١٢) •

(٥٢) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب للآلوسى ٤٣/٣ •

(٥٣ ، ٥٤) الطبرى ١٠٧٣/١ ، وانظر الملل والنحل (٢٨١/٣) حيث روى الشهرستانى الحديث : انا ابن الذبيحين ، وانظر تعليق المحقق : احمد فهمى ابراهيم فى هامش ص ٢٨ ـ ٢ وعيون اخبار الرضا لابن بابوية القمى ، ص ١١٧ ـ ٨ •

(٥٥) الطبرى ١٠٧٣/١ ، وراجع فى المبدأ نفسه جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمد الخوارزمى (ت ١٢٦٧/٦٦٥) ، طبع حيدر اباد ١٩٣٢ ، ١٨/١ •

ومــن ابدع الامثلة على رســوخ هــذا التقليــد فى المجتمع العـربى منـذ القديم ما أورده ابن سـعد عن بـدايـة وقعـة بـدر من ان النبى لما اخبر اصحابه بان الله امدهم بالملائكة[٥٦] ، ربطا على قلوبهم ، زادهم بانها نزلت « والصــوف فى نواصى خيلهم » وأمرهم بقوله : « ان الملائـكة قد سومت فسوموا » فـكان ان « أعلموا بالصــوف فى مغافرهم وقلانسهم »[٥٧] • والتفسير الوحيد لهـذا الاعلام بالصوف ـ فى رأينا ـ هو المبايعة على الموت ، وكيف تكون المبايعة على الموت اعلاماً بالصوف دون ان تتصل بالضحية الى رمز بها الى الفداء ؟! • ويتصل بهذا ايضا ان على ابن ابى طالب كان ، فى هذا اليوم ، معلما بصوفة بيضاء[٥٨] لافخرا بالفروسية وانما مبايعة لله على الموت بوصفه بدنه على الاساس الذى مر •

ومن المهم جدا ان نلاحظ شعائر الحج عند العرب ، فبالاضافة الى ما ينقله نيكلسون من ان حجاج الجاهلية كانوا يطوفون البيت« وهم مقودون كالجمال بحلقات فى انوفهم »[٥٩] وما يذكره الارزوقى انهم كانوا يفعلون ذلك عراة كالحيوان[٦٠] ، فانها فى صورتها الاسلامية اعادة لقصة اسماعيل بالذات : يطوف الحجاج البيت فى لباس هو اشبه بالكفن[٦١] ثم يتركون

(٥٦) وردت الاشارة الى هذا الامداد فى القرآن : الانفال ٨ : ٩ •

(٥٧) ابن سعد ٢ : ١/٩ ، وراجع ، بالنسبة الى معنى التسويم ما جاء فى تاريخ العروس (٨/ ٣٥٠) ان السومة العلامة تجعل على الشاة وفى الحرب أيضا ، وان معنى التسويم خاص باطلاق الماشية ترعى حيث تشاء •

(٥٨) ابن سعد ٢ : ١/ ١٤ (راجع فيه مبايعة علي الصريحة للرسول على الموت يوم احد) •

(٥٩) فى التصوف الاسلامى ص ٤٥ (نقلا عن جولدتسيهر فى مجلة فينا الشرقية مجلد ١٣ ص ٣٦ تعليق ٣) •

(٦٠) تنبه الى هذا المعنى محمد بن ابى جمهور الاحسائى المتكلم الشيعى (ت بعد سنة ٩٠٢/١٤٩٦ ـ ٧) فاشار الى ثوب الاحرام مقترنا بقوله : « واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليذكر معه الـكفن ودرجته فيه ، ولعله اقرب اليه ••• « المجلى ، طهران ١٣٢٩ ص ٢٨١ •

(٦١) انظر الى ما يرد فى البخارى من قول الرسول (ص) : « انى قد لبدت راسى وقلدت هديى فلا احل حتى انحر » كتاب الحج ٢٥ ، باب من لبد راسة عنـد الاحرام وحلق : ١٢٦ • ومن الطـريف ان ابا القاسم الفندرسكى الفقيه المتصوف المتفلسف (ت بين سنة ١٠٤٦ و١٠٥٢/١٦٣٦

شعرهم يطول وأظافرهم تنبت ، ولا يحل لهم أن يقصروا أو يلقوا ثياب الاحرام قبل ان يضحوا بحيوان[٦٢] على الصورة التى رسخت فى المجتمع العربى – ثم فى المجتمع الاسلامى – من تضحية ابراهيم بولده بناء على رؤيا الهية ثم افتدائه « بذبح عظيم »[٦٣]،ويجب ان نشير هنا الى ان قصة

و ١٦٤٢) لم يكن من رأيه حج البيت ، وعلل ذلك بأنه يمنعه وجوب التضحية ، وان عليه ان يذبح الضحية بيده – ولم يكن ذلك من مذهبه (انظر رياض العارفين لرضاقلى هدايت ص ٢٧٦ ، وكذا دبستان المذاهب ص ٦٧ ، وراجع فى المبدأ نفسه البخارى ، كتاب الحج باب « من نحربيده » ٢٥ : ١١٧ ٠

(٦٢) وقد ذكر الازرقى ان جوهر ذلك كان يكمن فى الثياب ، وهو مبدأ يحتمل المناقشة ليرد الى التشبه بالضحية (ص ١١٨ – ٩) ٠ ومما يذكر ان الدكتور جواد علي تطرق الى هذا الموضوع فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولكنه لم يناقشه (انظر ٥/٢٢٤ – ٦) ٠

(٦٣) قص القرآن قصة ابراهيم بعد خلافه مع قومه فقال : « فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين » « رب ، هب لى من الصالحين » ، فبشرناه بغلام حليم ٠ فلما بلغ معه السعى ، قال : يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ٠ فقال : يا ابت ، افعل ما تؤمر ، ستجدنى ، ان شاء الله من الصابرين ٠ فلما اسلما ، وتله للجبين ، وناديناه ان : يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ٠ ان هذا هو البلاء العظيم ٠ وفديناه بذبح عظيم ٠٠٠ (الصافات ٣٧ : ٩٧ – ١٠٧) ٠ ومنها يتبين ان مولد اسماعيل كان بناء على استجابة الله لدعاء ابراهيم (وفى سورة ابراهيم ١٤ : ٢٨ « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ») وانه جعله معاونه فى بناء البيت حين بنياه على اسسه الاولى (البقرة ٢ : ١٢٤) ، فكأن اسماعيل كان ربيط البيت وكأن ابراهيم رزقه للقيام بهذا العمل بالذات ٠ ومن هنا نعود من جديد الى قصة ربيط البيت (راجع الطبرى ١/١١٣٤) ٠ ومما يبعث على السرور حقا ان الشريف الرضى قد رأى هذا الرأى من قبل دون نظر الى القضية من الزاوية التى نظرنا اليها منها ، فقال فى كتابه « حقائق التأويل فى متشابه التنزيل » (ص ١٧٦) تعليقا على الآية : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (البقرة ٢ : ٩٦) « ٠٠٠ فدل ذلك على انهما (ابراهيم واسماعيل) جعلا بناء البيت جهة من جهات القربة الى الله سبحانه فى اتباع امره والعمل لوجهه ٠ فكأن فحوى هذا الكلام يحتمل ان يكونا « امرا بامر فاتبعاه ونصا [= استحثا] الى مدى فبلغناه ٠ وهذا القول مما خطر لى ، ولم اجده لمن تقدمنى » ٠

الذبيح ، القرآن ، لا تنص على انه اسماعيل غير ان ذلك لا ينفى ان اهم ما أدّاه ابراهيم – فى رأى العرب – هو بناء الكعبة وكان مرتبطا به وباسماعيل بوصفه ابا للعرب[٦٤] • ومن ذلك يبدو ان قصة الذبيح كانت من التراث العربى ولم يحاول القرآن ان يعدّلها صراحة وانما تحاماها[٦٥] باغفال

---

(٦٤) تقول سورة البقرة ٢ : ١٢٣ – ١٢٧ ، : واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن • قال : انى جاعلك للناس اماما • قال : ومن ذريتى ؟ ، قال : لا ينال عهدى الظالمين • واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى • وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان : طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ••• واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا ، تقبل منا ، انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك وارنا مناسكنا ، وتب علينا انك انت التواب الرحيم • » •

(٦٥) الحق ان مركز ابراهيم من العروبة والاسرائيلية يسترعى الاهتمام ، فهو فى التوراة اسرائيلى لاشك فى اسرائيليته تطاول عمره حتى بلغ المائة دون ان يرزق بولد من امرأته سارة حتى رزقه وسماه اسحق (سفر التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الآيات ١ – ٥) غير انه كان رزق من قبل اسحق باسماعيل من جارية مصرية هى هاجر (الموضع نفسه آية : ٩) • وفى يوم فطام اسحق جاء اسماعيل يمزح ويسخر من ضرة امه الشيخة فكان من نتيجة ذلك ان ثارت غيرة سارة واصرت على طرد هاجر وولدها مهما كلف الامر • ورضخ ابراهيم لطلبها بوحى من الله ووعد منه بانه تعالى سيعوض اسماعيل بان يجعله (سلف) امة عظيمة (آية ١٣ ، ١٨) • وبعد صعوبات وصل اسماعيل وامه قاطعين التيه الى فاران (پاران فى النص الانكليزى) قرب العقبة • وهناك استقرا ، وزوجته امه بامرأة من أرض مصر (آية ١٩ ، وانظر معجم البلدان لياقوت ٦/٣٢٣ حيث يذكر ان فاران المذكورة جبال مكة بناء على اطلاقها على جبال الحجاز عموما) •

اما رواية القرآن فانها تجعل من ابراهيم ثائرا مصلحا حطم فى شبابه الاصنام فى مكان ما خارج فلسطين ثم ذهب الى فلسطين (الانبياء ٢١ : ٧) حيث رزق على الكبر اسماعيل واسحق (ابراهيم ١٤ : ٢٨) فهو بكونه ابا لسلسلة اسحق ثم يعقوب ثم يوسف ، اسرائيلى لاشك فى اسرائيليته • ومهما يكن من امر فقد كان ان اسكن ابراهيم من اهله بمكة حيث بنى هو وابنه اسماعيل البيت الحرام (ابراهيم ١٤ : ٢٦ ، البقرة ٢ : ١٢٣ – ٢٧) • وقد جعلت روايات القرآن اسماعيل رسولا (البقرة ٢ : ١٣٥ آل عمران ٣ : ٨٢ ، النساء ٤ : ١٦١) على عكس التوراة التى لم تعترف له بهذه الصفة ولم تتطرق اليها (راجع مادة اسماعيل : فى دائرة معارف ڤالنتاين اليهودية ص ٣٠٢) • اما المؤرخون العرب فقد روى الطبرى عن

الاشارة فى النص القرآنى الى اسم الذبيح • يضاف الى ذلك ان القرآن قد ذكر اسحق بوصفه مبشرا به ابراهيم[٦٦] بعد نهاية القصة مباشرة مما يرجح انه قصد بالذبيح اسحق ، وان كانت الآية : « واذكر فى الكتاب اسما : ان كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا »[٦٧] توحى بالقصة •

ابن الكلبى ان ابراهيم وابنه اسماعيل بنيا البيت بعد غرق قوم نوح ، وكان حول مكة قوم من العرب ـ هم جرهم ـ صاهرهم اسماعيل ، وقيل فى ذلك شعر :

وصاهرنا من أكرم الناس والدا فأبناؤه نحن ونحن الاصاهر •

وبعد وفاة اسماعيل ولى ابنه نبت (نابت : سيرة ابن هشام ، طبع جوتنجن ١٨٥٩ ، ص ١ ، وابن سعد ١ : ١/٢٩) وامه الجرهمية شؤون البيت • ثم « لم يكثر ولد اسماعيل فغلبت جرهم على ولاية البيت •• » (الطبرى ١/١١٣٠) • ومن ذلك يبدو ان ابوة اسماعيل للعرب جاءت من كونه ابا نسله من زوجه العربية • ويمكن ان يستنتج من هذا كله ان جرهم استقبلت اسماعيل وامه هاجر حين وصلا مطرودين من فلسطين ، فقدم اسماعيل نفسه على انه ابن نبى بنى اسرائيل فكان ذلك مدعاة الى اكبارهم واعجابهم • فنشأ بينهم وتعلم منهم العربية وتزوج فيهم (البخارى كتاب الانبياء : ٦٠ باب : ٨) وجاء ابراهيم لزيارة زوجه وابنه (البخارى الموضع نفسه ودائرة المعارف الاسلامية : مادة اسماعيل) فشارك فى بناء البيت وباركه واقام هناك وقتا عاد بعده الى اهله وخلف اسماعيل لسدانة البيت • وهكذا احتل اسماعيل المركز الذى يليق به بوصفه ابن نبى وتحقق وعد الله له بان يجعله امة (المصادر اليهودية تعتبر نسله قبائل الاسماعيليين الاثنتى عشرة من زوجه المصرية ، انظر دائرة معارف فالنتاين ص ٣٠٢) وصار اسماعيل أبا للعرب بكونه سلفا لنسله من عرب جرهم على النحو الذى اعتبر به العلويون وارثين للنبى عن طريق فاطمة • هذا ما تقول به الاصول فى بساطة ، والمسألة أعقد من ان يكفى للقطع فيها هذا المجال • وبقطع النظر عن الاصل التاريخى للقصة كلها رسخ فى أذهان العرب انهم ابناء اسماعيل (راجع نسب النبى ـ ص ـ الذى يصل الى اسماعيل ـ على اختلاف صوره ـ فى السيرة ١ ـ ٨ وفى ابن سعد ١ : ١/٢٧ ـ ٣٠) • وصارت هذه الاسطورة من التراث العربى حتى لقد انتقلت الى غير العرب ، فسماهم الروم الشرقيون ـ برواية المسعودى ـ سارا قينوس (= قيون سارة أى عبيدها) « طعنا منهم على هاجر وابنها اسماعيل » (التنبيه والاشراف ص ١٤٣) ، وعقب المسعودى على ذلك بقوله : « والروم الى هذا الوقت تسمى العرب سار قينوس » •

(٦٦) الصافات : ٣٧ : ١١٠ ـ ١١١ •

(٦٧) مريم ١٩ : ٥٣ •

ومما يلاحظ فى كتب الحديث والتاريخ ان منها ما يشير صـــراحة الى ان الذبيح كان اسحق بالذات(٦٨) تمشيا مع نص التوراة الواضح(٦٩) • ومهما يكن من امر ، فقد رسخ فى المجتمع العربى بعد الاسلام ــ والظاهر انه كان كذلك قبل الاسلام ايضا ــ ان شرف التضحية كان من نصيب اسماعيل، فكان ذلك مدعاة لرضاهم وفخرهم • وكان من حساسية العرب فى تطبيق ــ او تمثيل ــ هذه القصـــة انهم فى الاســلام كانوا يتحرجون من الذبح قبل الحلق او رمى الجمار(٧٠) ، اتماما لكل تفاصيل القصة قبل ختامها بالتضحية التقليدية • ولعله ليس من التكثر فى ضرب الامثلة ان العقيقة الاسلامية ــ وهى ماشية يضحى بها لدى بلوغ الغلام يومه السابع ــ ترتبط بهذا التقليد العربى الاسماعيلى ؛ فان من مراسيمها انه « اذا ذبح العقيقة تؤخذ صوفة ، فتستقبل اوداج الذبيحة ثم توضع على يافوخ الصبى حتى اذا سال الدم غسل رأسه ثم حلق بعد(٧١) •

ز ــ واذ بلغ بنا البحث هذا المبلغ ، نجد انفسنا فى مفترق طـــرق شتى تلتقى عنـــد هذا المعنى • أولها ان التوراة ــ التى تلتقى مع القـــرآن فى وحدة القصص الدينى ومنه قصة الذبيح بوصـــفه اسحق ــ حين تعرض للناس تشبههم بالضـــان • ويرد فى العهد القـــديم لهذه المناسبة : « فرزهم لذبح وخصصهم ليـــوم القتل »(٧٢) ، وورد فى موضـــع آخر : « انزلهم كخراف للذبح وككباش مع اعتدة »(٧٣) ، وورد مثل ذلك فى مواضـــع أخرى • وكل هذه التشبيهات تشير الى عنصر الموت الذى يتردد فى نفوس

---

(٦٨) راجع مسند ابن حنبل ١/٣٠٦ ــ ٧ ، وانظر ابن الاثير ١/٣٨ حيث ذكر ان عمر وعليا والعباس بن عبدالمطلب وابنه عبدالله كانوا يذهبون الى ان الذبيح كان اسحق لا اسماعيل • وانظر كذلك عيون اخبار الرضا ص ١١٨ •

(٦٠) سفر التكوين : اصحاح : ٢٢ الآيات ٩ ــ ١٤ •

(٧٠) مسند ابن حنبل ١/٢١٦ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣١١ •

(٧١) مسند ابن حنبل ٥/١٨ •

(٧٢ ، ٧٣) سفر ارميا ، اصحاح ١٢ آية ٣ واصحاح ٥١ آية ٤٠ •

الانسان وهو العنصر الذى ينبع من كونه بمنزلة الضحية التى تنحر لله ؟ ففى الناس الموت الذى يحوم على رؤوسهم • وهـذه بداية السلسلة التى تتصل بهذا المعنى الذى دلت عليه « صوفة » • ولولا خوف الاطالة لعرضنا لتفصيلات قصة شمشون الذى كان منذورا لله منذ ان حملته امه ، باعتباره منقذاً لبنى اسرائيل من تحكم الفلسطينيين ، وتركز ذلك النذر فى خصلات (ضفائر) شعره السبع ـ على الأساس الذى مر • ولما اطاع دليلة فوقفها على موضع سر الله منه سلبه الله قوته • ولم يعد اليه حوله الا بعد ان استغفر وتاب وعاد اليه مظهر نذره لله (شعره) فكان ان حطم المعبد على نفسه وعلى اعدائه(٧٤) • يضاف الى هذا ان الدكتور اسرائيل ولفنسون حاول ان يربط بين صوفة المكلف برمى الجمار للناس وبين معناها فى العبرية عن

---

(٧٤) سفر القضاة : الاصحاحان ١٣ و١٦ والكاتب مدين لهذه الملاحظة للزميل الدكتور خليل حاوى • ويجب ان نذكر هنا ما اشتهر به النبى (ص) من طول شعره (راجع مثلا ابن سعد ١ : ١٣٣/٢ ـ ٥) ونضيف اليه ان العلويين ، حتى القرن السادس ، كانوا يتميزون من غيرهم بالتحذيف وهو ارسال الشعر الذى بين العذار والنزعتين (راجع الغنية لعبدالقادر الجيلى ١٦/١) على هيئة صفيرتين مسبلتين على العنق (راجع معجم الادباء لياقوت ١٥١/٣ ، وخلاصة الاثر لمحمد المحبى ١٥٣/١) ، وظل هذا شعارهم حتى اختفى من تلقاء نفسه واستعيض عنه سنة ٧٧٣/ ١٣٧١ بعصائب خضر تلف على العمائم (راجع مثلا اخبار الاول للاسحاقى ، مصر ١٣١٠ ، ص ٤٠) • ولعل ذلك كله كان يتصل بالنذر القديم لله • ومن يدرى فربما لم يكن من الاشتطاط فى الخيال الزعم بان الضفيرتين ربما اشارتا الى قرنى كبش اسماعيل ، القرنين اللذين ذكر الازرقى انهما كانا فى الكعبة الى أيام عبدالله بن الزبير (انظر اخبار مكة ص ١٥٦ ـ ٧) • وبالاضافة الى ذلك فقد ذكر الازرقى ان كان « بمنى فى مكة مسجد الكبش الذى وجد ابراهيم الكبش عنده ثم اقتاده حتى ذبحه فى المنحر (ص ٤٠١) • وبقطع النظر عن هذه الدلائل فقد استعملت كلمة « قرن » فى العربية لتدل على الضفيرة (انظر كتاب أسماء المغتالين من الاشراف فى الجاهلية والاسلام لابى جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت ٨٥٩/٢٤٥) : رسالة ضمن مجموعة نوادر المخطوطات التى يصدرها الاستاذ عبدالسلام هرون ، المجموعة السادسة ، المجلد الثانى ص ٢٦١ ، القاهرة ٩٥٤) وكذلك انظر القاموس المحيط (٢٥٨/٤) حيث نص الفيروزابادى على ان لفظ القرنين يعنى الضفيرتين •

الحارس[٧٥] ، وهي محاولة ـ وان كانت متمحلة ـ فان فيهـا تنبيها الى صلة ومحاولة للبحث عن اصل تطمئن اليه النفس •

ح ـ واذا عدنا الى ارتداء الصوف الذى أخذه الصوفية ـ فى عرف الباحثين ـ عن الرهبان فانا نجده متصلا بالمبدأ نفسه عندهم ايضا • وذلك انهم كانوا يلبسونه فى القرون المسيحية الاولى فى مصر لان فيه عنصرا من الفناء وصلة بالضان الهالك • وكان لباس الكتان الذى يرتدى عند التعميد يسمى « رداء الخلود »[٧٦] لانه من مادة نباتية ليس فيها فنـاء الحيوان • ويقال ان فيثاغوراس واتباعه كانوا ـ قبـل ذلك بقرون ـ يلبسون اردية بيضاء من الصوف [٧٧] أيضا • يضاف الى ذلك ان اليونانيين عمومـا كانوا يلبسون الخشن غير النظيف من الثياب بوصفها رمزا للموت لارتباطه بالحيوان حتى جاء اصحاب الافلاطونية الحديثة (نضجت فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين) فلم يأخذوا بهذا التفسير[٧٨] • ولابد ان نشير الى ان فيثاغوراس (ت٤٩٧ق•م) الذى كان يلبس الصوف على هـذا الاساس ، تعلم فى مصر[٧٩] ، فلا بد انه اخذ هذا التقليد منها • ومهما يكن من امر فقـد كان الصوف لباسا لعامة المصريين من قديم ، وقد روى ان حاكم مصر بين سنتى ١٢٠ و ١٢٤ الميلادية منع صغار الكهنة من الظهور بين الناس بملابس الصوف [٨٠] • والذى يعنينا من هذا كله ان كلمة « صوفى » ـ لأوائـل ظهورها ـ جاءت من مصـر ايضـا لما اطلقت على عبدالله الصـوفى الثائر الاندلسى بمصر سنة ١٩٨ـ٨١٤[٨١] • واذا كان المصـريون منـذ ايام

---

(٧٥) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨٣ •

(76) Studies in Ancient and Medi-eval Thought, ed. by Walter I. Burghardt, New york 1949, i, 484-5.

(77) Fenelon: Abrege des vies des Ancient Philosophes P. 2

(78) Studies...... i, 485.

(79) Iambicus: Life of Pythagoras p. 9.

(80) Les Papyrus Fouad I No. 10, P. 21.

(٨١) تاريخ اليعقوبى ٣/١٧٤ •

فيثاغوراس لبسوا الصوف على أساس من الصلة بالحيوان الهالك فلم تتغير الدلالة فيما بعد ؟

ط ـ ولم يقتصر امر الصوف ولبسه على ـ الاساس المار الذكر ـ على اليهود والعرب والمصريين واليونانيين وحدهم ، وانما تعداهم الى مجوس الفرس الذين ذكر انهم يلفون على اوساطهم ـ حتى اليوم ـ زنارا يسمونه بالكستي و هو « شريطة بيضاء من صوف الغنم تغزلها نساء الكهان »(٨٢) ويستعمل البكتاشية حبلا كان يفضل ان يكون مغزولا من صوف الضحية التى تذبح باسم المريد الجديد للسبب نفسه(٨٣). وكذلك ذكر ابن بطوطة فى زيارته لعمان سنة ٧٣٠ـ١٣٢٩ ان اكثر فقراء العجم كانوا يتقلدون كمر (حزام) الصحبة « وكان علامة مميزة لطريقة الشيخ ابى الحسن الاقصارانى »(٨٤) (وكان اصله من بلاد الروم) . ويقترن بهذا ان المجوس يرون ان ابراهيم (ع) انما كان زرادشت نفسه(٨٥) . ومن هنا يجىء احتمال ارتباط فكرة الصوف بمعنى الضحية والذبح العظيم ايضا ؛ وذلك يتجه الى الفكرة التى أثارها صوفة ربيط الكعبة فى أيام الجاهلية الاولى . واذا التفتنا الى أن اكثرية الصوفية المسلمين كانوا من الفرس وان وصل

(٨٢) ملوك العرب لامين الريحانى ص ٢٤٥ . راجع ما يقوله عباس العزاوى فى مقدمته لكتاب « تفضيل الاتراك على سائر الاجناد » لابن حسول ، اسطنبول ١٩٤٠ ، ص٣٤ ، من أن العرب والعجم يلتقون فى ابراهيم « لان العجم كما يقال من ولد اسحق ورسول الله (ص) من ولد اسماعيل » ذكر ذلك تعليقا على اضافة الصابى الديلم الى العرب . يضاف الى هذا ان ابن الاثير ينقل ان افريدون ـ وهو يقابل نوحا عند الفرس ـ كان أول من سمى بالصوفى (الكامل ١/٢٩) . اما اللفظ الفارسى القديم الذى يقابل هذا الاصطلاح العربى فقد جاء فى دبستان المذاهب بلفظ « ديژه درون » بمعنى منقى القلب و « روشندل » بمعنى مشرق القلب و « ويگانه بين » بمعنى الناظر الى الواحد (راجع ص ٤٧٣) . ما عن الزناد نفسه فراجع اشارة ابى يزيد البسطامى فى ترجمته فى الرسالة القشيرية .

(83) Birge: The Bektashi Order of Dervishes P. 181.

(٨٤) رحلة ابن بطوطة ١/١٦٥ .

(٨٥) ملوك العرب ص ٢٤٥ .

التصوف باللباس الظاهرى وحده قد توجه اليهم فان سبق أجـــدادهم الى لبسه على هذا الاساس المقترح ربما ساعد على توثيق هذه الفكرة •

ومن جهة أخرى كان من براهمة الهنود ــ برواية ابن الجوزى عن النوبختى (توفى حوالى سنة ٣٠٠ـ٩٤٢) ــ من يعتقد نبوة آدم وابراهيم فقط[٨٦] • ويروى ان من ارتد منهم كان يحلق شعر رأسه ووجهه كله كله ثم يذهب فيسجد للبقر[٨٧] • فربما كان هذا الحلق يعنى اخراجه من الارتباط بالحيوانية التى تتصل بها عبادته ونفيه عن الله عقوبة مؤقتة على ارتداده، ثم يعود اليه اعتباره بنبات شعره من جديد • ومما يستحق التنويه به هنا ان هذا التقليد قد دخل التصوف الاسلامى وصار من طابع القلندرية[٨٨] • ويحسن فى هذا المجال ان نذكر أيضا ان الهنود يعتبرون بوذا التجسد العاشر لخليل الله[٨٩] ، وذلك أمر يعود بنا الى البداية من جديد • ومن يدرى فربما كان للخصلة من الشعر التى يبقيها الهندوكى فى رأسه صلة بدلالة الصوفة القديمة التى وضعها الغوث بن مر والبدريون وعلي بن ابى طالب ومن قبلهم ضفائر شمشون السبع عنوانا على انهم جميعا بدن الرحمن • واذ التفتنا الى دلائل جانبية وجدنا نيكلسون يذكر ان اسم الصوفى عند الفرس والترك كان يستعمل فى شعرهما أحيانا للدلالة على المرائى او الكافر المنكر للوحى[٩٠] ، فلعلهم كانوا يريدون بذلك انه يتظاهر للناس فى اهاب حمل بينما هو فى الواقع على النقيض من ذلك • ويوثق هذا ان القلندرية ــ وهم طائفة من صوفية الفرس والترك ــ كانوا يتميزون بأنهم « يلبسون جلود الضان »[٩١] ، وتلك عودة الى الاضاحى من جديد •

بقى أمر ربما بدا غريبا ، هو اشتهار الترك باطلاق شواربهم حتى بعد

(٨٦ ، ٨٧) تلبيس ابليس ص ٦٥ •
(٨٨) راجع البداية والنهاية ١٤/٢٧٤ •
(٨٩) ملوك العرب : هامش ص ٢٤٦ •
(٩٠) فى التصوف الاسلامى ص ٦٨ •
(٩١) الانوار النعمانية لنعمة الله الحسينى ص ٢٢٦ •

أن دخلوا الاسلام[٩٢] فهل يعنى هذا ما عنته صوفة الغوث وخصلة البوذى وشعر شمشون وكستى المجوس لتضاف حلقة جديدة الى السلسلة التى بدأت بقصة ابراهيم وولده الذبيح ؟ ثم ان البكتاشية كانوا يستعملون فراء الضان فى مجالسيهم[٩٣] ويسمون المريد فى تكريسه خروفا او حملا[٩٤] وهم ترك كما هو معروف .

ى ـ ولابد أن نشير الى اخوان الصفا عودا على بدء ، فهم ـ وقد نعتوا أنفسهم بالصوفية ـ قد مزجوا جوهر هذه الدلالات كلها ـ بقدرتهم الفذة على هضم الافكار وتمثلها ـ فذكروا « انما القربان قربانان : شرعى وفلسفى .. فأما القربان الشرعى فهو المأمور به فى الحج . وأما الفلسفى فهو مثل ذلك ، الا أن النهاية فيه التقرب بالاجساد الى الله سبحانه .. كما فعل سقراط»[٩٥] . وأضافوا الى ذلك بيان قربانهم الذى يجمع هذه الخصال كلها بأصليها شرعيها وفلسفيها ، « وهو التقرب بما تقرب به ابراهيم من الكبش الممنون به عليه فداء لولده .. »[٩٦] .

وبعد هذا كله يقدم عبدالقادر الجيلى (ت ١١٦٦/٥٦١) دليلا جديدا على هذه النظرة ، فانه ، لما قر فى نفسه سلوك طريق العلم والعمل ، قال لامه ـ وكان شابا يتيما : « هبينى لله ، فانى أريد المسير الى بغداد لاشتغل

---

(٩٢) ذكر ذلك أحمد بن فضلان رسول المقتدر العباسى الى ملك الصقالبة سنة ٩٢١/٣٠٩ (ص ١٠٠ ـ ١٠١ وانظر كذلك ص ١٠٦ ـ ١٠٨) . واما الصوفية الترك فقد قصد دمشق منهم مائة برياسة صوفى اسمه براق سنة ١٣٠٦/٧٠٦ فلم يمكنوا من دخولها فعادوا من حيث اتوا . راجع البداية والنهاية ٤١/١٤ .

(93, 94) Birge: The Bektashi Order of Dervishes P. 176, 181, 189.

وللاستاذين توفيق وهبى امال تطرق فيها الى هذه النقطة أيضا .

(٩٥ ، ٩٦) رسالة اخوان الصفا ٢٠٨/٤ . ومما يجب ان يذكر هنا ان ابا العلاء المعرى قد تنبه الى هذه النكتة فقال :

وانا ـ ولا كفران لله ربنا ـ لكالبدن : لا تدرى متى حتفها البدن

انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ، الطبعة الثانية ، ص ٤٥٩ .

بالعلم وأزور الصالحين »[٩٧] ، فقالت له أمه ـ بعد سؤال وجواب :ـ « يا ولدى اذهب فقد خرجت عنك لله ، وهذا وجه لا أراه الى يوم القيامة[٩٨] . ولما كبر واشتهر جعل يقول : « يا ربى كيف أهدى لك روحى، وقد صح بالبرهان انها لك ؟![٩٩] ويختم عبدالرزاق الكاشانى (ت ٧٣٥/ ١٣٣٥) هذه السلسلة بنصه الصريح على التطابق بين المقصود من معنى لفظ « صوفى » و « بدنة » فى بيئات التصوف ؛ فقال فى اصطلاحاته : « البدنة كناية عن النفس الآخذة فى السير القاطعة لمنازل السائرين ومراحل السالكين »[١٠٠] . ولعل من كمال الدلالة على هذه المعانى الاشارة الى أن الصوفية وصفوا بعبارة « أهل الله »[١٠١] كما كان الامر مع أهل مكة ، كان ذلك دون ملاحظة لهذه السلسلة من المعانى وهذه تتمة للاتصال بين الاصل والفرع وسلك للمقدمات ونتائجها فى خيط واحد .

يا ـ من هذه المصادر كلها تتجمع الدلائل على أصل آخر للتصوف يجر معه لباس الصوف بوصفه مجرد قماش يدل على الفقر والتواضع الى فكرة أعمق وارتباط قوى . ومن السذاجة أن يكون اللباس من حيث هو قماش خشن أصلا لفكرة عميقة هذا العمق . ان المفروض أن يحمل الاصل فى جوهره بذرة تطوره فى المستقبل ولو على وجه ضيق ، ولكن الصوف لم يثبت للزمن أكثر من قرن حتى تطور الى خرقة ومرقعة وخيشة[١٠٢]

(٩٧ ، ٩٨) غبطة الناظر فى مناقب الشيخ عبدالقادر (منسوب على ابن الجوزى) ص ٤ .

(٩٩) المصدر نفسه ص ١٨ .

(١٠٠) اصطلاحات الصوفية ص ١٤ .

(١٠١) انظر محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربى ص ٢٤ ، ٢٦ الخ ، وراجع المجلى للاحسائى ص ٢٦١ سطر ١٢ ، وطرائق الحقائق ١/ ٥٤ عن كشكول العاملى ، الجزء الخامس .

(١٠٢) الكواكب السائرة فى اعيان المئة العاشرة ١/ ٩٢ (ترجمة محمد الشربينى ت ٩٢٧/ ١٥٢٢) .

وصارت مادته ـ بعد الصوف من جلد[١٠٣] ، وشعر[١٠٤] ، وليف[١٠٥] ، وخيش (= جوت)[١٠٦] ، وبقى اسم التصوف عالقا بالحركة كلها . ولو كان الامر مؤصلا من اللباس ما ثبت الاسم بزوال المسمى ، ولتطور مع مستحدثات الصوفية بمرور الزمن . ولو كان الصوف أساسا عميقا هـذا العمق فى التصوف مـا ساغ أصلا ان يكون الجنيد ، وهو من أهـم بنـاة التصوف ، خزازا[١٠٧] يتعاطى عملا يناقض الاساس الذى يدعو اليه ، وما كان للحسين بن منصور الحلاج ، وهو شهيد الصوفية (قتل سنة ٣٠٩/ ٩٢٠) ورمز لهم ، ان يرضى لنفسه أن يكون حلاجا (للقطن) او حتى ذا كرامة تتعلق بهذا النسيج[١٠٨] .

يب ـ من هذا كله ، ونفوذا مع « صوفة » ، نستطيع أن نزعم أن الاصل الذى نلتزمه ـ وهو الدلالة على الضحية والفداء ـ قد حوى فى داخله منذ البداية ـ أيام الجاهلية وقبل ظهور حركة الزهد الاسلامى ـ بذرة الفناء التى ظهرت فيما بعد فى التصوف ، وكذلك بذرة الوجـــد والمجاهدة والبتولة وكل ما يمكن أن يتطور عن فكرة عميقة أصيلة . وكل هذا يسقط اذا اعتمدنا قماش الصوف أصلا للتصوف . وبغير هذا التفسير الذى نفترضه يصعب تبرير القول الذى ينسب الى حاتم الاصم (ت ٢٣٧/ ٨٤١) انه « من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت : فالموت الابيض الجوع ، والموت الاسود احتمال اذى الناس والموت الاحمر مخالفة لنفس ، والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض »[١٠٩]

---

(١٠٣) المصدر نفسه ٢/١٩٠ (ترجمة عبيد الدنجاوى ت ٩٣٥/ ١٥٣٠) .
(١٠٤) التعرف ص ٥ .
(١٠٥) الكواكب السائرة ١/٩٢ .
(١٠٦) المصدر نفسه ١/٧٨ (ترجمة محمد المغربى ت ٩١١/١٥٠٥) .
(١٠٧) تاريخ بغداد ٧/٢٤١ .
(١٠٨) المصدر نفسه ٨/١١٤ .
(١٠٩) طبقات الصوفية ص ٩٣ .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نجد تعليلا منطقيا لقول سهل بن عبدالله التسترى (ت ٢٨٣/٨٩٦) : « الصوفى دمه هدر وملكه مباح »(١١٠) ، ولقول رويم البغدادى (ت ٣٠٣/٩١٥) فى تحديده للتصوف : « أقل ما فى هذا الامر بذل الروح(١١١) ، وهكذا لا تعود حركة الحلاج شذوذا نحاول ربطه بأمور دخيلة على التصوف وان كان فيها شيء من الحقيقة . وأخذ التصوف من صوفة الضان يصلح أن يقوم تفسيرا للسبب الذى حمل القاضى سراج الدين ـ لما اشتكى اليه الناس طريقة جلال الدين الرومى (ت ٦٧٢/١٢٧٣) ـ على أن يتمثل بقوله : كل شاة برجلها ستناط(١١٢) تشبيها للناس بالضان لسهولة مأخذه وقرب تناوله . وهذا الفهم للتصوف يصلح أن يوجه نصيحة ابراهيم الدسوقى (ت ٦٧٦/١٢٧٧) للمريدين بقوله : « سألتكم بالله يا أولادى أن تكونوا خائفين من الله تعالى ، فانكم غنم السكين وكباش الفداء وخرفان العلف ، يا من تنور شواهم قد أوهج ، ويا من السكين لهم تحد وتجذب .. »(١١٣) ، ويصلح كذلك أن يعلل قوله ، حين عرض لتغلغله فى سلاسل الاولياء ، : « أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه »(١١٤) .

ومن أطرف الامثلة وأبسطها على هذه الدلالة ، ما جاء على لسان صوفى متأخر مجهول فى موشح ذكر فيه الصوفية وعرض للابسهم فقال :

كن بالصفا موصوف والبس صنوف

لو أن الصلاح بالصوف طار الخروف(١١٥)

---

(١١٠) كشف المحجوب ص ٤١٠ .
(١١١) الرسالة القشيرية ص ١٦٦ .
(١١٢) مناقب العارفين لاحمد الافلاكى (ت ٧٦٠/١٣٥٩) ، ص ١٦٦ .
(١١٣ ، ١١٤) طبقات الشعرانى ١/١٤٤ .
(١١٥) مجموعة نصوص صوفية منسوخة سنة ١١٢٨/١٧١٦ فى مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن رقم (Or. 3684) .

وهكذا لا نعدم أمثلة واضحة لم يقصدها الصوفية لذاتها وانما قالوها دون وعي ، على ان هذا الفهم لأصل التصوف يقوم على أساس ربما كان مطابقا لجوهر التصوف وواقعه العميق بعد حجب المتصوفة أنفسهم له لغاية قصدوها وزاده الباحثون بعدا وصعوبة . وهذا يعني أن تقليد الزهاد للرهبان في لبس الصوف انما كان أحياء لسنة قديمة دعت اليها من جديد الضرورات الاجتماعية وبذلك يكون استعماله نتيجة وليس مقدمة . ثم ان الاعتماد على هذا الاصل الذي ندعو اليه يذلل كثيرا من الصعاب ويصل بداية التصوف الاسلامي المبتورة بتيار التاريخ ويجعله كائنا حيا حمل في بذرته ارثه من السلف البعيد من جهة ، ويسلكه في الحركات الصوفية في الاديان والشعوب الاخرى التي لم تختلف عنه الا في التسمية من جهة أخرى . وبذلك تتسق الحركات المتفقة في الاصول وتختلف في الطابع الخاص الذي يتميز به كل منها بفعل الظروف والبيئة .

ولنا أن نقرر بعد أن التصوف كان حركة انسانية تنبعث من الحساسية الشديدة والعاطفة الرقيقة وعوامل أخرى نفسية واجتماعية حركت في طائفة من الناس ـ وما زالت تفعل في كثير من بقاع الارض ـ الميل الى الزهد والعزلة فتطورا مع الزمن وبفعل عوامل التطور الى أشكال معقدة جديدة تتصل بالاصل البعيد من حيث المبدأ والجوهر . وما دامت الشعوب والملل المجاورة فرسا وهنودا ، بوذيين ويهودا ونصارى[116] قد صدرت عن الزهد وطورته الى مفهوم التصوف عندنا ، أفلا يكون من الظلم أن ينسب العجز الى العرب ـ دون سائر الملل ـ عن أن يكون تصوفهم صادرا عن بيئتهم ؟!. والجوادب على السؤال بالايجاب يعني احتمال صحة ما بيناه وأطلنا فيه عرضا وشرحا وتحليلا وتمثيلا .

وختاما ، لعل في كل هذه التجميعات ما يؤسس نظرا جديدا الى التصوف او يؤرخ ـ على الاقل ـ انطلاقة الى هدف محدد جديد يتناوله الباحثون على بصيرة .

---

(١١٦) راجع دبستان المذاهب ص ٤٧٣ .

ثبت المراجع الواردة في هوامش البحث

١ ـ المراجع العربية :

ـ اخبار الاول للاسحاقي (محمد بن عبدالمعطى بن ابى الفتح) المتوفى ١٠٦٠/١٦٥٠ مصر ١٢٩٩/١٨٨٢ .

ـ اساس البلاغة للزمخشرى (محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى) المتوفى سنة ٥٣٨/١١٤٤ ، مصر .

ـ الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦ .

ـ الانساب للسمعانى (ابى سعيد عبدالكريم بن ابى بكر التميمى) المتوفى سنة ٥٤٢/١١٤٨ ، ليدن ١٩١٢ .

ـ اصطلاحات الصوفية للكاشانى (عبدالرزاق بن جمال‌الدين السمرقندى) المتوفى سنة ٧٣٥/١٣٣٥ ، تحقيق الدكتور الويز سپنسر ، كلكتة ١٨٤٥ .

ـ الانوار النعمانية فى بيان النشأة الانسانية لنعمة الله الحسينى (مؤلف سنة ١٠٩٨/١٦٨٦ ـ ٧) ايران ١٢٨٠/١٨٦٣ .

ـ بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الآلوسى المتوفى سنة ١٣٤٢/١٩٢٤ ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٣/١٩٢٤ .

ـ البداية والنهاية لابن كثير (عمادالدين ابى الفداء اسماعيل القرشى الدمشقى) المتوفى سنة ٧٧٤/١٣٧٣ ، مصر ١٣٥٨/١٩٣٧ .

ـ تاج العروس لمحمد مرتضى الواسطى الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥/١٧٩٠ ـ ٦١ مصر ١٣٠٧/١٨٨٩ ـ ١٠ .

ـ تاريخ الامم والملوك للطبرى (ابى جعفر محمد بن جرير) المتوفى سنة ٣١٠/٩٢٢ ـ ٣ ليدن ١٨٧٩/١٩٠١ .

ـ تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على الجزء الخامس بغداد ١٩٥٥ .

ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لابن الفرضى (الحافظ ابى الوليد عبدالله بن محمد الازدى) المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٢ ـ ١٣ مصر ١٩٥٤ .

ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (الحافظ ابى بكر أحمد بن على) المتوفى سنة ٤٦٣/١٠٧١ دمشق ١٩٤٥ .

ـ تاريخ مكة للازرقى (محمد بن عبدالله بن أحمد) المتوفى بعد سنة ٢٤٤/٨٥٨ ـ ٩ تحقيق وستنفلد ليبزج ١٨٥٨ .

ـ تاريخ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب .. بن واضح الاخبارى) المتوفى سنة ٢٨٤/٨٩٧ النجف ١٣٥٨/١٩٣٧ .

ـ تاريخ اليهود فى بلاد العرب للدكتور اسرائيل ولفنسون القاهرة ١٣٤٥ /١٩٢٧ ·
ـ تحقيق ما للهند من مقولة للبيرونى (ابى الريحان محمد بن أحمد) المتوفى سنة ١٠٩٨/٤٤٠ ـ ٩ لندن ١٨٨٧ ·
ـ التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق للدكتور زكى مبارك مصر ١٣٥٧ /١٩٣٨ ·
ـ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى (أبى بكر محمد بن اسحق البخارى) المتوفى سنة ٩٩٠/٣٨٠ مصر ١٩٣٣/١٣٥٢ ·
ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى (جمال‌الدين ابى الفرج عبدالرحمن البغدادى) المتوفى سنة ١٢٠٧/٥٩٧ مصر ١٩٢٢/١٣٤٠ ·
ـ التنبيه والاشراف للمسعودى (ابى الحسن على بن الحسين الشافعى) المتوفى سنة ٩٥٦/٣٤٦ مصر ١٩٢٧/١٣٤٦ ·
ـ جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمد الخوارزمى المتوفى سنة ١٢٦٥/٦٦٥ حيدر اباد ١٩١٤/١٣٣٢ ·
ـ حقائق التأويل فى متشابه التنزيل لشريف الرضى (ابى الحسن محمد بن الحسين بن موسى) المتوفى سنة ١٠١٥/٤٠٦ النجف ١٣٥٥/ ١٩٣٦ ·
ـ حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى (أحمد بن عبدالله بن أحمد) المتوفى سنة ١٠٣٩/٤٣٠ مصر ١٩٣٢/١٩٣٥١ ·
ـ خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر لمحب‌الدين المحبى المتوفى سنة ١٧١٠/١١١١ مصر ١٨٦٧/٢٢٨٤ ـ ٨ ·
ـ (كتاب) الرجال للنجاشى (ابى العباس أحمد بن على بن العباس) المتوفى بين سنتى ٤٢٧ و١٠٣٦/٤٤٠ و١٠٤٩ كلكته ١٩٢٢/١٣٣٠ ·
ـ رحلة ابن بطوطة (ابى عبدالله اللواتى الطنجى) المتوفى بعد سنة ٧٧٠/ ١٣٤٩ مصر ١٨٧٧/١٢٨٧ ·
ـ رسائل اخوان الصفا (مؤلفة حوالى سنة ٩٦٣/٣٥٢) تحقيق خيرالدين الزركلى مصر ١٩٢٨/١٣٤٧ ·
ـ رسالة ابن فضلان (أحمد بن العباس) رسول المقتدر الى ملك الصقالبة سنة ٩٢١/٣٠٩ تحقيق سامى الدهان دمشق ١٩٥٩ ·
ـ رسالة للاستاذ توفيق وهبى فى انظمة البكتاشية ومراسيمهم كتبت بناء على رجاء من الكاتب ·
ـ روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى المتوفى سنة ١٨١١/١٢٢٦ طهران ١٨٨٩/١٣٠٧ ـ ٩٠ ·
ـ صحيح البخارى (ابى عبدالله محمد بن اسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦/ ٨٧٠ ليدن ١٨٦٤ ·

- الصوفية فى الاسلام لرينولد نيكلسون وترجمة نورالدين شريبة مصر ١٩٥١ .
- طبقات ابن سعد (محمد الزهرى) المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٤ ليدن ١٣٢٢/١٣٥٩/١٩١٧ ـ ٤٠ .
- طبقات الصوفية ـ للسلمى (ابى عبدالرحمن) المتوفى سنة ٤١٢/١٠٢١ مصر ١٩٥٣ .
- طبقات المعتزلة لابن المرتضى الزيدى (أحمد بن يحيى ٧٦٤ ـ ٨٤٠/١٣٦٣ ـ ١٤٣٧ ، بيروت ١٩٦١ .
- الطبقات الكبرى للشعرانى (ابى المواهب عبدالوهاب) المتوفى سنة ٩٧٣/١٥٧٩ مصر ١٩٢٥ .
- العقيدة والشريعة فى الاسلام لاگناس گولد تسيهر وترجمة محمد يوسف موسى وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسن عبدالقادر مصر ١٩٤٦ .
- العهد القديم (النص العربى) طبع المطبعة الامريكانية بيروت ١٨٩٩ .
- عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمى (محمد بن على بن الحسين بن موسى) المتوفى سنة ٣٨١/٩٩١ ، ايران ١٣٧٨ (الارجح ١٣١٨) .
- غبطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبدالقادر (ينسب الى ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢/١٤٤٨) كلكته ١٩٠٩ .
- الغنية للشيخ عبدالقادر الجيلى المتوفى سنة ٥٦١/١١٦٦ مصر ١٩٥٦ .
- كتاب الفهرست لابن النديم (ابى الفرج محمد بن اسحق) المتوفى سنة ٣٨٥/٩٩٥ مصر ١٣٤٨/١٩٣٠ .
- فى التصوف الاسلامى لرينولد نيكلسون وترجمة الدكتور ابى العلاء عفيفى مصر ١٩٤٧ .
- القاموس المحيط للفيروزابادى (مجدالدين ابى الطاهر محمد بن يعقوب الصديقى) المتوفى سنة ٨١٧/١٤١٤ ، مصر ١٩٣٨ .
- الكامل لابن الاثير (على بن محمد الجزرى) المتوفى سنة ٦٣٠/١٣٢ ـ ٣ مصر ١٣٠٣/١٨٨٦ .
- الكواكب السائرة فى اعيان المائة العاشرة لنجم‌الدين الغزى المتوفى سنة ١٠٦٢/١٦٥١ الجزء الاول والثانى فقط بيروت ١٩٤٥/٩ .
- اللمع للسراج (ابى نصر عبدالله بن على الطوسى) المتوفى سنة ٣٧٨/٩٨٨ ليدن ١٩١٤ .
- المجلى لمحمد بن ابى جمهور الاحسائى المتوفى سنة ٩٠٢/١٤٩٦ ـ ٧ طهران ١٣٢٩/١٩٣١ .
- محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربى (محمد بن على الطائى) المتوفى سنة ٦٣٨/١٢٤١ ، مصر ١٣٢٣/١٩٠٦ .
- مروج الذهب للمسعودى مصر ١٢٨٣/١٨٦٦ ـ ٧ .
- مسند ابن حنبل (الامام أحمد) المتوفى سنة ٢٤١/٨٥٥ مصر ١٣١٣/١٨٩٥ ـ ٦ .

- معالم العلماء لابن شهر اشوب (رشيدالدين ابى جعفر محمد بن على السروى) المتوفى سنة ٥٨٨/١١٩٢ طهران ١٣٥٣/١٩٣٢ .
- معجم الادباء لياقوت الحموى (شهاب‌الدين ابى عبدالله بن عبدالله الرومى البغدادى) المتوفى سنة ٦٢٦/١٢٢٨ مصر ١٣٥٧/١٩٣٦ (مجلة) المعرفة (تحرير عبدالرزاق الاسلامبولى) : مقال للشيخ مصطفى عبدالرازق فى اشتقاق كلمة : صوفى ، عدد يونيو ١٩٣١ ، السنة الاولى ص١٤٩-١٥٢ .
- المقدمة لابن خلدون ((ابى يزيد عبدالرحمن بن محمد) المتوفى سنة ٨٠٨/١٤٠٥ - ٦ بيروت بلا تاريخ .
- الملل والنحل للشهرستانى تحقيق أحمد فهمى ابراهيم مصر ١٩٤٨ - ٩ .
- ملوك العرب لامين الريحانى بيروت ١٩٢٤ .
- وفيات الاعيان لابن خلكان (ابى العباس أحمد بن ابراهيم) المتوفى سنة ٦٨١/١٢٨٣ مصر ١٢٧٥/١٨٥٨ - ٩ .

٢ - الكتب الفارسية :

- دبستان المذاهب ينسب الى ميرزا محسن الكشميرى المتوفى سنة ١٠٨١ أو ١٠٨٢/١٦٧١ أو ١٦٧٢ طبع الهند ١٢٢٤/١٨٠٩ .
- رياض العارفين لرضا قلى هدايت (أمير الشعراء) المتوفى حوالى سنة ١٢٨٠/١٨٦٣ طهران ١٣١٦/١٩٧٣ .
- كشف المحجوب للهجويرى (ابى الحسن على بن عثمان الجلابى الغزنوى) المتوفى بعد سنة ٤٦٥/١٠٧٦ لننغراد ١٩٢٦ .
- مجالس المؤمنين للقاضى نورالله الشوشترى المقتول حوالى سنة ٩٩٣/١٥٨٥ طهران ١٢٦٨/١٨٥٢ .
- مناقب العارفين لاحمد الافلاكى المتوفى سنة ٧٦٠/١٣٥٩ ، انقرة ١٩٥٩ .

٣ - الكتب الافرنجية :

Birge, J. K.,: The Bektashi Order of Dervishes, London, 1937.
Encylopaedia of Islam, Vol. iii
Fenelon: Abrége des vies des Ancient Philosophes, Paris 1824.
ولهذا الكتاب ترجمة عربية بقلم عبدالله‌حسين مطبوعة فى مطبعة الجوائب ، اسطنبول ١٣٠٢/١٨٨٤ - ٥ .

Iambicus: The Life of Pythagoras, Translated from Greek by Thomas Taylor, London 1920.

Les Papyrus Fouad I, ed. by A. Bataitles, O. Gueraud and P. Tauguet, Le Caire, 1939.

Studies in Ancient and Medi-eval Thought (Tradito), ed, by J. Quastin & S, Kuttner Vol. i, New york 1943.

Valentine's Jewish Encyclopaedia, ed. by a. M. Hyamson & Dr. A. M. Silverman, London 1938.

تأريخ السيادة العمانية

في المحيط الهندي

الدكتور محمود علي الداود

شاهدت الفترة التاريخية التى أعقبت الحروب الصليبية تغيرا كبيرا فى تطور الستراتيجية العربية وتطور فن الحرب عند العرب ، فبعد ان كانت الجيوش البرية هى القطعات المسلحة الفعّالة التى اعتمد عليها العرب فى فتوحهم الواسعة أخذ الاسطول العربى يسيطر على البحر المتوسط فى عهد الفاطميين • وبالرغم من حلول العثمانيين محل الفاطميين فى السيادة البحرية على حوض البحر المتوسط ولكن شهرة العرب البحرية انتقلت الى المحيط الهندى حيث سبقوا الاوربيين فى السيادة على الشواطىء الشرقية لافريقيا وساحل مالابار فى الهند • والتحدث عن الاسطول العربى فى المحيط الهندى مقرون بالتحدث عن آل بو سعيد ودولتهم التى سيطرت على بلاد العرب الشرقية من ناحية وشرق افريقيا من ناحية أخرى ، فكانت لهم فى الواقع عاصمتان الاول فى مسقط والثانية فى زنجبار ، ولم تقلل المسافة الطويلة بين العاصمتين التى تزيد على ٢٠٠٠ ميل من وحدة الدولة التى ربط الاسطول العربى بين جزيئها الافريقي والآسيوى • وقد شاهدت الفترة التاريخية الواقعة بين بداية القرن السادس عشر ومنتصف القرن التاسع عشر تفوق السيادة البحرية العربية فى المحيط الهندى وافضليتها على القوى البحرية الاخرى المعروفة يومذاك •

لقد ازدهرت الاهمية السياسية لشرق الجزيرة العربية وشرق افريقيا وبانت أهميتها الجغرافية بصورة خاصة بعد الرحلة التاريخية التى قام بها الرحالة والمكتشف البرتغالى Vasco da Gama عام ١٤٩٨ الذى كانت اكتشافاته بداية لظهور النفوذ البرتغالى فى المحيط الهندى وبدأ العلاقات

البرتغالية مع الخليج العربى والهند وجزر الهند الشرقية • وبعد عشرة سنوات من بدأ رحلة فاسكو داكاما السابقة توطد النفوذ البرتغالى فى زنجبار والجزر المحيطة بها مثل مافيا Mafia وبمبا Pemba • وقد احتل البرتغاليون كل من مسقط وصحار عام ١٥٠٨ وهما من أهم موانىء أقليم عمان •

ولسنا هنا فى معرض التحدث عن خصائص الاستعمار البرتغالى وكل ما نستطيع قوله انه اتصف بصفة الاحتلال مثل بقية الاستعمار الاوربى فى هذه الفترة • وفى الواقع لم يتدخل البرتغاليون كثيرا فى ادارة البلاد التى احتلوها وكانوا على استعداد لاستلام الضرائب التى لا تتطلب أى عناء • فلا عجب ان الاحتلال البرتغالى لمناطق الخليج العربى لم يدم طويلا كما انه لم يخلف وراءه تأثيرات خاصة • زد على ذلك انه منافسات هولندية وانكليزية حادة ظهرت بعد وقت قصير فى مياه المحيط الهندى وامتداده الخليج العربى • وكانت Edward Banouenture أول سفينة انكيزية قامت بزيارة زنجبار عام ١٥٩١ وكانت نتائج زيارتها قد ظهرت بعد تسع سنوات حين تشكلت شركة الهند الشرقية الانكليزية • أما القبائل العربية التى انهارت مقاومتها فى البداية على اثر الضربات التى كالها الاسطول البرتغالى فانها أخذت تلم شعثها تطالب بالثأر • وقد سددت الضربة الاولى والقوية ضد الاحتلال البرتغالى لمياه الخليج العربى عام ١٦٢٢ عندما اجبر البرتغاليون على مغادرة هرمز القاعدة الرئيسية فى الخليج وبعد خمس سنوات ترك البرتغاليون قواعدهم على ساحل عمان نتيجة للثورات العربية ضد حكمهم ، فى نفس الوقت الذى كان الحكم البرتغالى فى زنجبار يلاقى ثورة افريقية شملت جميع الساحل الشرقى •

والمقاومة التى لقيها الاسطول البرتغالى فى مياه عمان على يد الامير العربى ناصر بن مرشد والانتصارات العسكرية التى حققها الاخير اسرعت فى جلاء البرتغاليين عن المياه والاراضى العربية • وبناصر بن مرشد تبدأ أسرة اليعاربة الشهيرة فى تاريخ عمان التى اشتهر منها سلطان بن سيف خليفة

ناصر بن مرشد الذى حقق طرد البرتغاليين من عمان عام ١٦٥١ • وقد اتصل سكان زنجبار الذين ربطتهم عوامل دينية وقومية قوية مع العمانيين ، مع سلطان بن سيف لاجل تحريرهم من الاستعباد البرتغالى • وبالرغم من الانتصارات التى حققها سلطان بن سيف فى مياه زنجبار الا ان الجلاء البرتغالى لم يتم الا على يد ابنه سيف الذىوضع الحجر الاساس لبحرية عمان الشهيرة التى سيطرت جميع الساحل الافريقى الشرق من مومباسا الى كلوا "Kilwa" • وكانت موزمبيق هى الوحيدة التى قاومت الاساطيل العربية وبقيت بأيدى البرتغاليين حتى القرن العشرين • وقد حاول البرتغاليون استعادة مراكزهم البحرية وقاموا بهجوم موحد على زنجبار ومسقط فى آن واحد عام ١٧٢٩ ولكنهم اصيبوا بهزيمة منكرة فى العاصمتين العمانيتين وبذلك انهارت آمال البرتغال فى استعادة سيادتهم على الخليج العربى والمحيط الهندى • وهكذا أصبح سيف بن سلطان سيد البحار فى عصره واضحى الاسطول العمانى يجوب البحر بين هرمز وزنجبار دون منافس • ومن سوء حظ عمان ان خلفاء سيف بن سلطان تنازعوا الحكم بعد وفاته • وكان النظام السياسى لعمان يستند الى الامامة التى تضفى على صاحبها الزعامة الدينية حسب قواعد الانتخاب والعلم ، ولكن هذه المبادىء كانت دائما بحاجة الى القوة العسكرية التى كانت ضرورية لاظهار هيبة الامام أمام القبائل • وقد عاشت عمان فى الفترة ١٧٢٨ ــ ١٧١١ دون ادارة مركزية قوية • وفى هذه الفترة كثر ادعياء الامامة وكانت مدنا مسقط وصحار ورستاق تسقط فى أيدى زعماء اليعاربة الذين سببت منازعاتهم المحلية تدهور مناطق النفوذ العمانية فى شرق افريقيا • وقد اصيبت سلالة اليعاربة بضربة قوية عام ١٧٢٨ عندما انتخب سيف الثانى ، حفيد الامام السابق سيف بن سلطان ، اماما على عمان وممتلكاتها فى افريقيا • ولاجل ضمان منصبه دعا سيف الثانى الفرس لمناصرته فجندهم كمتطوعين ليصبحوا بعد قليل أصحاب الحل والعقد •

وكان فى خدمة اليعاربة والى صحار المسمى أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن خليف بن سعيد السعيدى الازدى العمانى العبادى الذى

انحدر من قرية أدم مـن أعمال سميد فى الجبل الاخضـر الذى كتب له ليكون مؤسس سلالة جديدة تمتاز بقوتها العسكرية • وقد تسلم أحمد بن سعيد زمام الحكم على اثرة وفاة آخر حكام اليعاربة وهما سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان •

وكما بدأ اليعاربة حكمهم بطرد البرتغاليين من عمان فقد افتتح آل بو سعيد حكمهم بطرد الفرس منها وقد سارت العائلة الاخيرة على نفس السياسة الافريقية التى انتهجتها اسرة اليعاربة • وقد قضى آل بو سعيد ثلاثين عاما وهم يحاولون استرجاع الممتلـكات العربية التى كانت بيد سيف ابن سلطان ، وفي بداية حكم آل بو سعيد كانت زنجبار هى الوحيدة من ممتلـكات العرب فى شرق افريقيا التى ظلت مواليد للحكم العمانى ، وحتى هذه الجزيرة لم تسلم من غارات قبائل المازورى الذين أسسوا لهم قاعدة فى ممباسا • وقد عيّن أحمد على الفور واليا جديدا له على زنجبار وقد تمكن بعد فترة قليلة من بسط نفوذ عمـــان على المناطق الساحلية القريبة من زنجبـــــار •

وقـد اتخذ أحمد خطوة جديـدة لتوطيـد حـكمه بعـد زواجه من ابنـة سيف اليعـاربة وبذلك حصـل على مساندة العـائلة الحـاكمة السابقـة • وقـد أسس أحمـد اسطولا ضخمـا مؤلفـا من ١٢ سـفينة حربية حمولة كل منها ٥٠ مدفعا • وقد استعمل بعض هذه القوة فى الحملة البحرية الشهيرة التى قام بها فى شط العرب لاجل رفع الحصار الفارسى عن البصرة التى كانت تابعة لحلفائه العثمانيين • وقد هاجمت قواته التى كانت تزيد على ١٠٠٠٠ جنـدى المواقـع الفارسية فى نفس الوقت الذى كانت مدافع سفنه الضخمة تضرب سور المدينة • وقد اشاد السلطان العثمانى مصطفى الثالث بالمعونة الفعالة التى قدمها العمانيون واصدر فرمانا سلطانيا يقضى بدفع معونة ماليـة سنوية الى امام عمان استمرت حتى أيام سعيد بن سلطان • وقد أرسل أحمد بعثة رسمية الى Mangalore حيث عقد مع تيبو صاحب ، بالنيابة عن والده امبراطور المغول ، معاهدة دفاعية هجومية •

وكان الرحالة الهولندى الشهير Neiebuhr قد قابل الامام أحمد فى مسقط خلال هذه الفترة وأشار الرحالة الهولندى المذكور بخصائل الامام وتسامحه الدينى وضيافته للاجانب • ومن مشـــاهير التاريخ الذين زاروا الامام أحمد فى زنجبار كان بطل معارك النيل والطرف الاغر ، الاميرال نيلسون ، وذلك فى صيف عام ١٧٧٥ •

وقد امتاز الامام أحمد بشجاعة وصرامة عرف بها اسلافه فى عمان ولـكنه ارتكب خطأ بحق مركز عمان الذى أخذ بالضعف نتيجة لسياسة التجزأة واللامركزية التى اتبعها • وكان أحمد الذى كان قد انتخب اماما على عمان وتوابعها وقائدا شجاعا لجيوشها واساطيلها يميل فى أواخر حكمه الى تعيين أولاده حكاما على المراكز المهمة فى امبراطورية عمان العربية مسبغا عليهم القاب « السادة » و « الامراء » • وقد شاهد أحمد بنفسه وفى أيام حياته الباقية الآثار السيئة لهذه السياسة حيث اضطر عدة مرات للتدخل لاحلال السلم بين انجاله احياناً والدفاع عن نفسه ضد تكتل عسكرى خلقه أولاده ضد ابيهم أحيانا اخرى •

وقد توفى الامام أحمد عام ١٧٨٣ فى روستاق ، المدينة التى استقر فيها فى أواخر حياته ، وقد دفن فى مسجدها الـكبير وبعد وفاته اختلف القوم حول من يخلفه كامام • وكان أهالى وزعماء عمان يرغبون فى انتخاب أكبر انجال أحمد وارشدهم ، هلال ، ولـكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا ذلك بعد ان فقد الاخير بصره وقد ذهب الى الهند للمعالجة وتوفى هناك • وكان المرشح الناجح سعيد بن أحمد وكان شخصا محدود القابلية • ولاشك ان القارىء يتعجب لماذا وقع الاختيار على سعيد هذا ما دام الامر بالانتخاب • والواقع ان « وحدة العائلة » كانت من أهم مظاهر نظام الحكم فى عمان على عكس البلاد العربية الاخرى التى كانت تحكم بواسطة القبيلة كما ان عرب عمان يفضلون ان تكون الحكومة المركزية ضعيفة حتى تكون لهم حرية غير محددة • ومن هذا كان نجاح الامام المنتخب يتوقف على قوة نقاط ضعفه لا على فضائله • ولقد ظن سعيد بن أحمد ان تجزأة السلطتين الدينية

والزمنية وتولية أولاده لمراكز الامبراطورية قد يعنى انتهاء الحكم المطلق الذى يتمتع به الامام عادة ، وهـــذا صحيح بالنسبة لفترة وجيزة الا ان الحروب الاهلية التى استعرت بين أولاده الذين كان اشهرهم حمد ثم سلطان • وقد تعرضت زنجبار وممتلـكات عمان على ساحل افريقيا للفوضى السياسية التى سادت شرق الجزيرة العربية بعد وفاة سعيد بن أحمد وقد ظلت العلاقات التجارية بين ساحل عمان وزنجبار قوية الا ان سيطرة عمان الفعلية على ساحل افريقيا الشرقى أخذت فى الانحلال ولم تبق هناك الا تبعية اسمية •

وكان لسلطان شخصية شجاعة مهابة وفى عهده بدأت العلاقات العمانية مع فرنسا ، وكان أول مسؤول فى جزيرة العرب دخل فى علاقات سياسية مع انكلترا • وقد تعهد فى معاهدة عقدها مع شركة الهند الشرقية الانكليزية عام **١٧٩٨** بطرد كافة الفرنسيين وسفنهم من عمان فى حالة وقوع صراع مسلح بين فرنسا وانكلترا • وفى بداية عام **١٧٩٩** ارسل نابليون بونابرت رسالة الى سلطان يخبره بوصول الجيش الفرنسى لمصر ويعده بمساعدة الاسطول التجارى العمانى فى منطقة السويس وطلب اليه توصيل رسالة فرنسية الى تيبو صاحب بأقرب فرصة •

ولكن رسالة نابليون وطيها لم يصلا هدفهما لانها وقعت بيد الوكيل السياسى البريطانى فى مخا الذى احالها الى الحكومة الهندية •

وتعتبر سنة **١٨٠٠** مهمة بالنسبة لعمان لانها شاهدت تعيين أول مقيم لشركة الهند الشرقية فى مسقط بموافقة السلطان • وفى نفس تلك السنة قام الوهابيون بهجـــوم من قلب الجزيرة العربية على الجبـــل الاخضر والساحل • وقام سلطان خلال عام **١٨٠٣** بزيارة الاماكن المقدسة لاداء فريضة الحج ، وقد لاقى حتفه فى العام التالى بعد رجوعه من حملة قادها على البصرة وذلك أثناء اشتباكه مع قراصنة لنگة الذين شهدوا لشجاعته النادرة فى الحرب وقد دفن بالقرب بندر عباس •

وقد ترك سلطان ولدين هما سالم البالغ من العمر خمسة عشر عاما وسعيد البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما • وقد امتاز سعيد من صغره بشخصية

قوية وارادة صلبة وأفق واسع جعله بين الفريدين والافذاذ فى تاريخ شرق الجزيرة العربية • وكان سعيد محظوظا لانه لقى من رعاية عمته معاذة بنت أحمد التى كانت من أشهر سيدات عصرها وكذلك من ابن عمه محمد بن ناصر المحارب الشجاع الذى ظل بجانبه رغم تقلب الازمان قرابة ثلاثين عاما ، الشىء الكثير • ورغم هذه الرعاية فلم يكن طريق السلطنة معبد بالازهار لشاب لايزيد عمره عن الثالثة عشرة يعيش بين عدد كبير من المنافسين وعلى رأسهم عمه قيس بن أحمد • ثم كانت الاحوال الداخلية فى عمان مضطربة وذلك من جراء الضغط العسكرى المستمر من الشمال حيث كان القواسم مسيطرين على ساحل عمان والساحل المقابل له فى فارس • وفى الداخل كان الوهابيون أكثر خطرا على عمان من القواسم الذين كانوا يرتضون بقبول الجزية دون أى شرط مذهبى كما كانت الحالة بالنسبة للوهابيين الذين كان السيف شعارهم الوحيد • وقد قضى سعيد عشرين عاما وهو فى صراع عسكرى ودبلوماسى مع معارضيه ومنافسيه وكان يفتقر الى القوة الدينية اذ ان لقب « الامام » الذى كان يحمله لم يخدمه كثيرا لانه لم يستطع اثبات كون عائلة آل بو سعيد ذات صفة شرعية بالنسبة لمبدأ الامامة • ولم يكتب لسعيد النجاح العسكرى ضد منافسيه الوهابيين الاقوياء الذين كانت الحرب حياتهم العادية والذين كانت فلسفتهم اللا مادية قد غيرت كثيرا من مفاهيم السلم والحرب فى تلك المنطقة من جزيرة العرب • وقد احتل الوهابيون مسقط مرارا واجبروا سعيد فى كل مرة على مضاعفة الضرائب • ولم تهدأ الاحوال فى عمان حتى فى فترة الحرب التى اشتعلت بين جيوش محمدعلى وزعماء الحركة الوهابية وان كانت قد خفت حدة الهجمات على مسقط وضواحيها •

ونتيجة لهذه الاحداث المضطربة التى كانت مسقط ، عاصمة سعيد بن سلطان ، تعيش تحت كلكلها وجه السلطان اهتمامه الى شرق افريقيا التى فتحها وعمّرها حكام مسقط من آل بو سعيد • وقد وسّع سعيد بن سلطان

اسطوله في المحيط الهندى كما وسّع رقعة الأملاك العمانية فى افريقيا الشرقية حتى غدت امبراطورية من أهم الامبراطورية الشرقية • وقد بلغ سعيد بن سلطان أوج قوته فى المحيط الهندى بعد ان سقطت المعاقل الافريقية مازورى وممباسا عام ١٨٣٧ بيد الجيوش والاساطيل العمانية •

ومن ابرز مظاهر حكم سعيد بن سلطان فى شرق افريقيا كان تأسيسه مدينة زنجبار وتشجيعه تجارة التوابل التى أصبحت ممتلكاته فى شرق افريقيا من أهم البلاد المصدرة لها فى العالم • وقد حاول علماء النبات الفرنسيون ادخال زراعة قصب السكر فى زنجبار الا ان الارباح الكثيرة التى يجنيها السلطان من زراعة التوابل منعته من الاخذ بوجهة النظر الفرنسية • وقد انتقل معظم افراد عائلة آل سعيد الى زنجبار حيث اقتطعوا لها مقاطعات واسعة من الاراضى وبنوا قصورا واسعة كان أشهرها القصر الذى بناه سعيد على شاطىء المحيط والذى سماه « قصر المتونى » •

وقد عقد سعيد عدة معاهدات تجارة وصداقة مع الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والبرتغال واسبانيا الا انه كان حليفا قريبا لحكومة الهند البريطانية وللحكومة البريطانية فى لندن وكان فى أكثر الاحيان تابعا لسياستها وخاصة فى علاقاته مع فرنسا وقد ازداد ضغط السياسة البريطانية عليه بعد تعيين بريطانيا أول مقيم سياسى لها فى زنجبار ، وكان العقيد هامرتون Hamerton ، عام ١٨٤١ • وقد عين سعيد ، العقيد هنل ، ممثلا دائما له لدى الحكومة البريطانية فى لندن وقد مهد الاخير التوقيع على معاهدتين للصداقة والتجارة بين السلطان وبريطانيا عام ١٨٣٩ وعام ١٨٤٥ وقد تضمنتا تعهد بريطانيا بتقديم تعويضات مادية اليه مقابل موافقته على ايقاف تجارة العبيد ومساهمته فى القضاء عليها وقد كان السلطان يجني أرباحا كبيرة من هذه التجارة التى أصبحت غير شرعية بعد التوقيع على معاهدة فينا عام ١٨١٥ • واذا كان تحالف السلطان مع بريطانيا قد ساعده على الاحتفاظ بقوات بحرية

كبيرة فى المحيط الهندى وأمنه من شر أى تحالف بحرى يقوم ضده فى الخليج العربى فقد استمرت الحكومة البريطانية على تحذيره من أية أعمال عسكرية ضد عرب عمان والحركة الوهابية ويرجع السبب فى ذلك الى ضعف امكانيات بريطانيا البرية من ناحية ومحاولات السلطان الجدية للتوسع فى المستعمرات الافريقية مفضلا دفع الجزية الى مناوئيه فى الخليج العربى • وقد سيطر سعيد على جميع الساحل الافريقى الشرقى من ميناء لا مو فى الشمال الى ميناء گيلوه فى الجنوب وأرسل وسطائه وتجاره الى أقاصى البحيرات الكبرى قبل ان يطأ هذه المناطق التجار والمغامرين الاوربيين • وقد قام السلطان عام ١٨٢٤ باداء فريضة الحج وارسل محمدعلى باشا وفدا خاصا الى مكة لاستقباله كما أرسل السلطان العثمانى ممثلا خاصا عنه لمرافقته أثناء ادائه فريضة الحج وقد رافقت السفن المصرية موكبه البحرى بعد رجوعه حتى مضيق باب المندب •

وفى عام ١٨٣٧ انتخبت الجمعية الآسيوية الملكية فى لندن السلطان سعيد عضو شرف فيها وذلك لمساهمته فى تقدم العلوم البحرية وخاصة فى موضوعى بناء السفن والملاحة • وقد اجمع كل الرواد الاوربيين من انكليز والمان وايطاليين ونمساويين الذين قابلوا السلطان سعيد بانه كان بحارا نادرا وجنديا شجاعا ودبلوماسيا ماهرا •

وقد توفى السلطان سعيد عام ١٨٥٦ وهو على مقربة من جزيرة سيشل وكان فى طريقه الى زنجبار عائدا من زيارة قام بها الى مسقط وقد فقدت البحرية العربية بموته قائدا فذا اعاد الاسطول العربى الى هيبته أيام العصور الاموية والعباسية • وتوجد اليوم صورة زيتية للسلطان سعيد رسمها له الرحالة الانكليزية لنج عام ١٨٣٢ واشتراها القائد البحرى الامريكى ادمند الذى سبق أن زار مسقط عام ١٨٣٣ وعقد مع سلطان أول معاهدة صداقة وتجارة بالنيابة عن حكومة الولايات المتحدة ، وذلك فى متحف Peabody Museum فى مدينة سالم من أعمال مقاطعة ماسا شوست • وبعد وفاة السلطان سعيد

تنازع ولداه ثويني وعبدالمجيد الحكم من بعده وقد اتفق الطرفان بوساطة اللورد كانك نائب الملك في الهند عام ۱۸٦٢ ان تقسم الامبراطورية فيتولى ثويني حكم مسقط ويتولى عبدالمجيد سلطنة زنجبار شريطة ان يدفع مساعدة مالية سنوية الى اخيه في مسقط قدرها ٤٠٫٠٠٠ كراون . وقد تمكن ثويني ان يقوى مركزه رغم الغارات التي كان الوهابيون يقومون بها ورغم عدم الاستقرار الذي كان سائدا في منطقة عمان الداخلية . وبعد وفاته عام ١٨٦٦ تنازع الحكم ابنه سالم مع عزان بن قيس زعيم العمانيين الذي استولى على مسقط عام ١٨٦٩ وأعلن إماماً على مسقط وعمان . ولم تبد الحكومة البريطانية أية رغبة في عقد تحالف مع احد أولاد سعيد المدعو تركي بن سعيد الا بعد ان وعد بالسير في ركاب حكومة الهند البريطانية كما فعل اباه من قبل وبعد ان ايقنت حكومة دلهي من ذلك اعطت اوامرها الى الاسطول الانكليزي بمساعدة تركي استعادة السلطنة في مسقط وتم اجلاء العمانيين الى الداخل . وقد منحت الحكومة الانكليزية وسام G.C.S.I. الى السلطان الجديد الذي توج عام ١٨٧٢ وقد دعته لحضور الاحتفال الكبير الذي حضرت الملكة فيكتوريا في الهند بمناسبة يوم الامبراطورية عام ١٨٧٥ أيام السياسي الاستعماري البريطاني ديزرائيلي . وقد توفي السلطان تركي عام ١٨٨٨ وخلفه ابنه فيصل الذي نال الاعتراف الانكليزي على الفور . وقد امتازت علاقات حكومة الهند مع السلطان فيصل بن تركي بالبرود بعد قيامه عام ١٨٩٠ بعقد اتفاقية سرية مع القنصل الفرنسي المسيو أوتافي اعطى بموجبها فرنسا حق الحصول على مستودع للفحم في موقع الى الجنوب من مسقط الا انه تنصل من هذا الاتفاق بعد حملة الاميرال دوكلاس الشهيرة على مسقط وقد امتدح اللورد كرزن نائب الملك البريطاني في الهند والذي زار مسقط ومشيخات الخليج العربي الاخرى عام ١٩٠٣ حسن استقبال فيصل بن تركي له وولاؤه الشديد للسياسة البريطانية .

أما الاحوال في زنجبار فقد استمرت هادئة رغم المحاولات التي ابداها

السلطان ثويني لقلب نظام الحكم في زنجبار بمساعدة أخيه الاصغر برقش ، تلك المحاولات التى فشلت نتيجة لمساندة الانكليز لحكم عبدالمجد • وقد اعطيت ولاية العهد لبرقش الذى تولى الحكم عام ١٨٧٠ • وقد ناقشت الدول الكبرى فى مؤتمر عقد عام ١٨٨٦ ممتلكات آل سعيد فى افريقيا واعترفت بأن سلطنة زنجبار تضم جزر زنجبار وپمبا ولامو وما فيها والسهل الساحلى من تونجي الى كيبانى على ان تكون العاصمة فى ممباسا على بعد عشرة أميال الى الداخل • وقد توفى برقش عام ١٨٨٨ وتولى السلطنة من بعده أخاه خليفة بن سعيد وقد حكم سنتين وتولى الحكم من بعده أخاه على بن سعيد الذى تم فى عهده اعتراف الدول الكبرى الاوربية (المانيا وايطاليا وفرنسا) بالحماية البريطانية على زنجبار • وقد امتازت الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر بتعدد السلاطين وقصر مدة حكمهم وقد حكم بين عام ١٨٩٠ ـ ١٩٠٠ أربعة سلاطين هم حامد بن ثوينى وخالد بن برقش وحمود بن محمد وعلى بن حمود •

وبعد وفاة السلطان سعيد استمرت الاساطيل التجارية تمخر عباب المحيط الهندى من مسقط وموانىء الخليج العربى متوجهة الى زنجبار وپمبا على شاطىء افريقيا الشرقى ، ولكن المنافسات السياسية بين مسقط وزنجبار اضعفت التجارة بينهما واضطر الكثير من التجار الحضارمة الذين كانوا يلعبون دور الوسيط بين عمان وزنجبار الى هجرة الساحل الجنوبى لجزيرة العرب متوجهين الى جزر الهند الشرقية للانضمام الى اقربائهم الذين كانوا قد هاجروا اليها قبل مدة من الزمن • أما اسطول سيد سعيد الذى كان يمثل المرتبة الثانية فى اساطيل المحيط الهندى فقد اضمحل وتقاسم قطعه أولاد سعيد وبيعت سفن مهمة منه الى الانكليز والمصريين • وقد استمرت بريطانيا صاحبة السيادة فى مسقط وزنجبار معا ثم وسعت استعمارها بعد احتلالها عدن عام ١٨٣٧ الى توسيع نفوذها فى حضرموت • وقد ظهرت منافسات دولية لانكلترا مثل المنافسة الفرنسية فى مسقط والمنافسة الالمانية فى زنجبار • أما السيادة العمانية فقد اختفت من المحيط الهندى

واضمحلت المدن التجارية العربية على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب واستكان سكان تلك المناطق العربية للاستعمار البريطانى حتى حل القرن العشرون وأخذت عمان وحضرموت وعدن تتهيأ للخروج من جهة كينيا وتانجانيقا الصومال من جهة أخرى فان السيادة البريطانية على المحيط الهندى أخذت تفقد أهميتها وسيغدو المحيط الهندى بحيرة حرة للشعوب الحرة • واليوم تلعب الافكار القومية العربية التحررية دورها فى جنوب الجزيرة العربية لتحرير جميع البلدان العربية الواقعة على الخليج العربى والمحيط الهندى •

ان انتصار عرب الجزائر على الاستعمار الفرنسى سيعجل ولا شك فى تصفية الاستعمار فى جميع أجزاء الوطن العربى بفضل قوة الحركة القومية وتضامن الشعب العربى •

مصادر البحث

1— BADGER "History of the Imams and Sayyids of Oman", By Salih /bn Razik (from A. D. 661-1856) Translated from the Original Arabic and edited with notes, appendix and introduction, Continuing the history down to 1871, by George Percy Badger, London. 1871.

2— BENT, THEODORE, "Arabia, Sudan and Socotra", London 1900.

3— Bombay Seclection from the Records of the Bombay Government, No. XXIV. New Series. Bombay 1856.

4— BURTON, F. RICHARD "Zanvibar City, Island and Coast". London 1872.

5— CURZON, GEORGE N. "Persia and the Persian Question". London 1892.

6— FRANKLIN, WILLIAM, "Observations made on a Tour from Bengal to Persia." Calctta, 1788

7— ADMIRALTY, "A Handbook of Arabia" London 1920

8— LOW, CHARLES R. "History of The Indian Navy". London 1877

9— LYNE, ROBERT N. "Zanzibar in Contemporary Times". London 1905

10— SHAIKH MANSUR, "History of Seyd Said, Sultan of Muscat, together with an Account of the Countries and Peoples on the Shores of the Persian Gulf, Particularly the Wahabis". London 1819.

11— MILES, Co. S. B. "The Countries and Tribes of the Persion Gulf". London 1919.

12— ———————— "On the Route between Sohar and el-Bereymi in Oman." By Leiut - S. B. Miles. In the Journal Asiatic Society of Bengal. Vol. XLVI., Part I 1877.

13— Palgrave, W. G. "Narrative of a Year's Journey Through Central And Eastern Arabia". 1862 - 63, London 1866

14— REARCE, F. B. "Zanzibar the Island Metropolis of Eastern Africa". London 1919.

15— PELLY, LEWIS, "A visit to the Wahabee Capital, Centra Arabia". In the Journal Royal Geographic Society. 1865.

16— SAID RUETE "Sand Ibn Sultan" 1791 - 1856, Ruler of Oman and Zanzibar, London 1929.

17— SADLIER, G. F. "Diary of a Journey Across Arabia". Bombay 1866.

18— AITCHESTON, C.W. "Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neihbouring Countries". Vo. XII., containing the Treaties, etd. relating to Persia, the Arab Principalities in the Persian Gulf and Oman. Calcutta, 1909.

19— WELLESTED, J.R. 'Trabels in Arabia". London 1839.

20— WILSON, A. "The Persian Gulf". Oxford 1928.

السكان في العراق

الدكتور نوري خليل البرازي

قبل أن نمضى فى البحث عن السكان فى العراق يجدر بنا أن نضع تحديدا مبدئيا لهذا الموضوع الذى نتناوله ، فنحن نعنى بهذا الموضوع الذى نحن بصدد الكلام عنه دراسة السكان من جانبين رئيسين : لاول يتعلق بالنمو والتوزيع وانماط المعيشة من مناطق العراق المختلفة بعضها عن بعض جغرفيا وعلاقة هذه المظاهر الثلاثة بالبيئة الطبيعية لكل أقليم من هذه الاقاليم[1] وأثرها فى الحياة الاقتصادية والاحوال الاجتماعية لان هذين العاملين الاخيرين يلعبان دورا هاما فى نمو السكان وتوزيعه وطبعه بطابع اجتماعى خاص • **اما الجانب الثانى فهو معرفة مدى أهمية السكان كعامل** فى الانتاج الاقتصادى ذلك الانتاج الذى تظهر آثاره لاول مرة فى درجة استغلال المصادر الطبيعية وتسخيرها وتحويلها الى موارد اقتصادية بينما فى المرحلة الثانية يبرز أثر القدرة فى الوحدة الانتاجية ، الامر الذى يؤدى فى النهاية الى زيادة الدخل القومى الذى تنعكس نتائجه فى رفع المستوى الاقتصادى العام للاقليم وبالتالى تحسن المستوى المعاشى للفرد •

ان هذه الحقائق تصبح بديهية لا تقبل الجدل اذا ما أدركنا مكانة الانسان بالنسبة للبيئة الطبيعية من جهة وللمظهر الاقتصادى فى الاقليم من جهة أخرى • ان الانسان هو الذى يلعب الدور الفعال فى تطوير مصادر البيئة الطبيعية المكونة من الارض والماء والمناخ والمعادن والنباتات الطبيعية والقوى الطبيعية الاخرى وتسخيرها وتحويل هذه الطاقات بواسطة مجهوده العضلى والفكرى والفنى الذى يتمتع به دون سواه من المخلوقات الحية

---

(١) المقصود هنا بلفظة « الاقاليم » تقسيم العراق الى أقاليم أو مناطق جغرافية ثانوية تتكون من السهل الرسوبى ، والمنطقة الجبلية العالية ، والمنطقة شبه الجبلية ، والهضبة الصحراوية ٠

الاخرى الى منتوجات لم تكن موجودة من قبل ليتسنى له استخدامها فى سدّ حاجاته الامر الذى يضمن له عيشا هنيئا وحياة سعيدة يسرة ، ومن غير الانسان كأداة عاملة لا يمكن الوصول الى مثل هذه الحياة الرغيدة ، ولاثبات أثر الانسان فى هذا المضمار نود أن ندلى بالادلة التى تثبت ذلك . ان خير برهان على هذا هو الاختلاف فى انماط الحياة ومظهر الحضارات بين المجتمعات المعاصرة التى قطعت شوطا فى مستواها العلمى والفنى وتلك التى لا تملك من هذه المظاهر شيئا او تملك البعض منها او التى لا تزال فى طريقها اليها ، لم يقف الدليل عند هذا الحد انما يظهر الفرق أكبر وضوحا عندما نستعرض ألحياة ونوعها فى المجتمعات التاريخية القديمة التى كان يحياها الانسان الغابر وبمقارنتها بنوع الحياة التى يتمتع بها الانسان المعاصر وخاصة فى البيئات المتقدمة حضاريا حيث نلاحظ ن التباين شاسع بين مظهر الحياتين حتى ليحدو بنا القول بأنه ليس بالامكان المقارنة بين حضارة العصرين او بكلمة أخرى يصعب الموازنة بين مجهودى الانسان القديم والمعاصر وذلك لعظم الفرق بين المستويين حتى ليصح القول بأن الفرق بينهما يضاهى الفرق ما بين الثرى والثريا .

أصل السكان :

ان لمحة سريعة الى موقع العراق الجغرافى المتاخم لايران من الشرق وآسيا الصغرى من الشمال ذلكما القطران اللذان تمتد وراءهما اراضى آسيا الفسيحة التى تمتاز بمناطق مختلفة بطبيعتها الجغرافية وبأجناسها البشرية ، ومن الغرب تحفه الصحراء العربية التى تنتهى من الشمال الغربى بأقاليم حوض البحر الابيض المتوسط ومن الجنوب الغربى بداخلية بلاد العرب أما من الجنوب فيربطه الخليج العربى بأقاليم الشرق الاقصى . ان من يستعرض تاريخ السلالات البشرية التى مثلت أدوارها على تربة هذا الاقليم يدرك تماما الدور الذى لعبه هذا الموقع الجغرافى . لقد تعاقبت على أرضه موجات بشرية مختلفة فى تكوينها الجنسى وفى مستوياتها الثقافية

ولكن ما لبثت هذه الاقوام الداخلة الى هذا الوادى المكشوف مسرحه أمام الموجات البشرية فى العصور التاريخية المختلفة ان تنصهر على صعيده وأن تأخذ فى النهاية طابعا جنسيا متميزا وصفا ثقافية واجتماعية معينة • ان وادى الرافدين كان ولا يزال مشهورا بسهوله الواسعة المستوية ومياهه الوفيرة وبتربته الرسوبية الخصبة وبمناخه الملائم لمعظم المحاصيل الزراعية الامر الذى أدى الى اجتذاب الموجات البشرية التى عمرته وخاصة الغازية منها حيث كانت تفد اليه بين فترة وأخرى غير أنها كانت تنصهر بين سكانه حتى تصبح عنصرا من عناصره الاصلية ولكن ما تلبث أن تنتهى الموجة الاولى حتى تأتى اليه الاخرى وهكذا دواليك حتى تركت هذه الاقوام آثارها بارزة فى المميزات الانتروبولوجية او **الثقافية او الاجتماعية او** الدين •

فى ضوء هذه المعلومات يمكن أن نميز بين مجموعتين بشريتين مختلفتين كانت قد دخلتا وادى الرافدين على شكل موجات فى ادوار تاريخية متفاوتة • تتكون المجموعة الاولى من الجنس الالبى التى يطلق عليها الانتروبولوجيون « السلالة العريضة الرأس » ذات بنية جسمية ضخمة وأنف مقوس سميك بينما تعرف المجموعة الثانية بسلالة البحر الابيض المتوسط أو بالسلالة السمراء ذات بنية نحيفة تميزها عن غيرها من السلالات البشرية الاخرى • تتضمن المجموعة الاولى أقواما مختلفة نقتصر هنا على المشهور منها كالجماعات التى انحدرت من المناطق الجبلية نحو سهول العراق ومن أشهرها جماعة السومريين التى سكنت سهل العراق الرسوبى حيث أقامت أول حضارة زراعية لا فى العراق فحسب بل فى العالم وقد اتفق معظم الباحثين على أن موجة السومريين تسللت الى سهل العراق الجنوبى من موطنها الاصلى فى جبال عيلام حوالى الالف الثالث قبل الميلاد ، وقد تلت هذه الموجة موجات أخرى عريضة الرأس وكان على رأسها الحيثيون الذين جاءوا من آسيا الصغرى فى ١٨٠٠ق•م• وقد اعقبتهم موجة العيلاميين من الهضبة الايرانية وعلى أثر هذه دخلت موجات أخرى أحدث فى هجراتها وكانت كلها تدخل

من الشرق والشمال مثل الفرس الذين دخلوا العرق وأقاموا امبراطوريتهم التى اتخذت العراق مركزا سياسيا لها حتى أيام الفتح العربى الاسلامى وآخر هذه الموجات الغازية كانت الموجة المغولية فى منتصف القرن الثالث عشر وبعدها دخل العثمانيون حيث طالت اقامتهم فى العراق حتى دخول الانكليز فى عام ١٩١٧-١٩١٨ ، ومن الملاحظ ان هذه الاقوام تركت آثارها واضحة فى السكان حتى يومنا هذا .

أما اذا انتقلنا الى المجموعة الثانية التى تتمثل فيها ميزات سلالة البحر الابيض المتوسط (الساميون والعرب) فنجدها تتكون من عدة موجات دخلت الوادى على شكل دفعات متعاقبة كان اولها جماعة العموريين الذين يقال انهم جاءوا من جهات فلسطين فى الفترة الممتدة ما بين ٢٥٢٣-٢٧٥٠ ق.م. وقد عرفوا بعد توطنهم فى العراق بالاكديين وكان موطنهم الفرات الاعلى بينما كان السومريون فى المناطق الجنوبية وعلى أثر هذه المجموعة دخلت الموجات السامية الاخرى مثل الآراميين والعرب قبل الاسلام وبعده من داخلية شبه الجزيرة العربية وكانت آخر هذه الموجات وأكبرها تأثيرا الموجة العربية التى دخلت فى صدر الاسلام حوالى ٦١٥ ب. م.

لقد اختلطت هذه الموجات المختلفة فى سلالاتها الجنسية وفى مواطنها الاصلية التى نزحت منها فوق مسرح هذا الوادى حتى كونت فى النهاية شعبا واحدا ذا طابع جنسى متميز ولكن لا تزال بعض المؤثرات الجنسية واللغوية تدل على الاصول التى انحدرت منها بعض الجماعات نتيجة لاختلاف عوامل البيئة المحلية التى توطنت فيها بعض هذه الموجات التى لم تتح لها الفرصة لتندمج مع غيرها اندماجا كليا فمثلا فى منطقة السهول نجد أن السكان يحملون صفات سلالة البحر الابيض المتوسط وذلك لتغلب مميزات الموجة العربية الاخيرة التى سادت فى هذه المنطقة على سواها من المجموعات الاخرى التى سبقتها حتى استطاعت ان تصبغ السكان بطابعها وهذا واضح من المؤثرات الانثروبولوجية واللغوية والاجتماعية التى تسود سكان سهل العراق الاوسط والجنوبى بينما فى المنطقة الجبلية العالية نجد الطابع الجنسى

السائد بين السكان هو صفات السلالة الالبية العريضة الرأس التى استطاعت المحافظة على تلك المميزات نتيجة عزلتها فى المنطقة الجبلية التى قللت أمامها فرصة الاختلاط مع الموجات السامية والعربية • اما المنطقة الثالثة شبه الجبلية فهى منطقة انتقالية أتتمثل فى سكانها مؤثرات كلتا السلالتين الالبية والسمراء وعليه تعتبر منطقة اختلاط بالاضافة الى انتشار مجموعة التركمان الذين يحملون بعض الصفات المغولية •

فى ضوء هذا التوزيع الجنسى للسكان يمكن أن ندرك مدى تأثير البيئة الطبيعية وخاصة العامل الطوبغرافى منها فى تكتل السكان ودرجة اختلاطهم ومدى انصهارهم مع بعضهم ، فيلاحظ من هذا ان جماعة الاكراد التى سكنت الاقليم الجبلى استطاعت المحافظة على صفاتها الانثروبولوجية واللغوية بسبب عزلتهم بينما المجموعة الثانية التى تسكن السهول وهى المجموعة العربية فقد تمكنت من اشغال جميع المناطق السهلية الامر الذى ساعدها على الاختلاط بالسكان القدامى للاقليم حتى تمت لهم الغلبة فى صهر تلك المجموعة البشرية وطبع سكانها بالصفات الجسمية واللغوية والاجتماعية والدينية ، أما المنطقة الثالثة (شبه الجبلية) فهى كما قلنا تمثل منطقة اختلاط لاجناس ثلاث هى العريضة الرأس كالاكراد والمغولية كالتركمان والعرب المنحدرين من سلالة البحر الابيض المتوسط •

نمو السكان فى العراق وتوزيعهم :ـ

يصعب على الباحث الحصول على الارقام الصحيحة التى تبين عـدد نفوس العراق فى الاحصاءات القديمة المتعاقبة وهذا ناتج عن اوضاع العراق السياسية غير المستقرة لانه كان يخضع لسلطات أجنبية مختلفة وكان معظمها سلطات لا مركزية لم تكترث بشؤون الاقليم ومصالحه الحيوية ولذلك أصبح من الصعب الحصول على الارقام اما لغدم وجود احصاء واذا وجدت فانهـا تقديرية فى تلك الفترات التاريخية الغابرة الا اذا استثنينا بعض التخمينات التى هى فى الحقيقة غير دقيقة ولـكنها تعطى فكرة عامة تقريبية عن اتجاه

السكان وعددهم ومن أهم تلك التخمينات ما يأتى :ـ

(١) التخمينات التى أجريت من قبل سلطات الاحتلال البريطانية فى عام ١٩١٩ وقد قدرت بموجبه نفوس العراق بحوالى ٢٨٢ر٨٤٩ر٢مليونا[٢] ولا يدخل ضمن هذا العدد القبائل البدوية ولا المهاجرون الى العراق فى الحرب العالمية الاولى .

(٢) فى عام ١٩٣٥ كانت اول الاحصاءات التى أجريت من قبل مديرية النفوس العامة وكانت أيضا على أساس التخمينات وبموجبها بلغ عدد السكان ٤٥٦ر٥٦٠ر٣ مليونا .

(٣) كان عام ١٩٤٧ أول احصاء قامت به مديرية النفوس العامة على أسس احصائية حديثة وهو بالنسبة للتخمينات السابقة يعتبر اكثر صحة ولكن من الناحية الواقعية يعتبر أيضا غير دقيق وقد بلغ عدد السكان فى هذه المرحلة الاحصائية ١٢٢ر٨١٤ر٤ مليونا .

(٤) فى عام ١٩٥٧ وهو آخر احصاء يمكن الاعتماد عليه الى حد ما ولكن النقد الوحيد الذى يوجه اليه هو عدم تطبيق هذا التعداد على القبائل البدوية ونصف البدوية التى لا يزال التخمين هو الطريقة المتبعة فى احصائهم وقد بلغت نفوس العراق بموجبه ١٠٩ر٥٣٨ر٦ مليونا .

فى ضوء هذه التعدادات يمكن تلخيص الاسباب التى كانت تؤدى الى عدم الحصول على احصاءات دقيقة للسكان بما يأتى :

(١) ان السبب الاول هو رواج الفكرة القديمة التى كانت عند معظم السكان وخاصة فى الريف والتى فحواها ان الحكومة تحصى السكان لغرض جباية الضرائب منهم او لأخذ الاشخاص المتخلفين عن الانخراط فى الخدمة العسكرية وهى فكرة منحدرة منذ العهد العثمانى ولذلك كانوا يمتنعون عن التسجيل او يدلون بمعلومات مغلوطة من حيث تسجيل الاناث ذكورا او تسجيل الاعمار على غير حقيقتها وغيرها من المعلومات الاخرى المتعلقة بهذا الموضوع .

---

(٢) الدكتور أحمد سوسه (فى رى العـــراق « نهر الفرات ») ١٩٤٥ . ص ٢٦ .

(٢) السبب الثانى يتعلق بجهل المواطنين وذلك لعدم ادراكهم الغرض الحقيقى من التعداد وبسبب ذلك كان الكثير منهم يمتنع عن التسجيل •

(٣) ان الكثير من القرويين يجهل عمره وكثيرا ما نلاحظهم يقرنون ولاداتهم بحادث من الحوادث التاريخية المحلية وبناءا على جهلهم هذا كان البعض يعطى المعلومات مغلوطة او ناقصة لذلك نلاحظها تظهر فى نتائج التعدادات كالمجموع العام للسكان او فى عدم التوازن الطبيعى بين عدد الذكور والاناث من جهة وبين فئات السن المختلفة من جهة أخرى •

(٤) هناك مشكلة البدو التى تعد من الامور التى لم يتوصل الاحصاء الى حلها لان هذه المجموعة من السكان لا تزال تمتنع عن الادلاء بالمعلومات الحقيقية المتعلقة بالتعدادات الامر الذى اضطر السلطات المسؤولة الاكتفاء بالتخمين الذى نتائجه تبعد كل البعد عن الحقيقة الواقعية المتبعة فى طريقة الاحصاء •

أما ما يتعلق بنمو السكان فى الفترة الواقعة ما بين **١٩١٩-١٩٥٧** وهى مدة تبلغ **٣٨** عاما لوحظ فى اثنائها ان عدد السكان آخذ فى الزيادة التدريجية ولكن نسبة الزيادة فى عشرين السنة الاخيرة كانت أكبر حيث تنوف على ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ذلك • اذا ما دققنا فى الاسباب التى أدت الى هذه الزيادة أمكن تعليلها بالتطور الاقتصادى اولا وبتقدم الوسائل الاجتماعية ثانيا • ان الزيادة الحاصلة فى عدد السكان من احصاء الى آخر معناه زيادة الولادات التى بلغت نسبتها فى العراق **(٥٠)** بالالف ولكن نسبة الوفيات المرتفعة التى بلغت **٣٠** [٣] بالالف حددت الزيادة الطبيعية البالغة **٢٠** بالالف أو ما يعادل ٢٪ • استنادا الى هذه النتائج يؤمل فى المستقبل ان تقل نسبة الوفيات ومعناه سترتفع نسبة الزيادة الطبيعية فى السكان • ان من العوامل المباشرة لهذه الزيادة هو التقدم الاقتصادى ايتمثل فى المظاهر الآتية :-

---

(3) Adams, Doris, G: "Current Thends in Iraq. Middle East Joun. (1956). pps. 151-165.

(١) تطور المظهر الزراعى فى العراق خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩١٩-١٩٥٧ .

(٢) تحسن الوضع الصناعى والتجارى فى خلال نفس الفترة الموما اليها أعلاه .

ففى حالة العامل الاول نجد تحسنا ملموسا كان قد طرأ على تغيير الاساليب الزراعية القديمة ولو بدرجة محدودة حيث انعكست آثار ذلك فى زيادة الاراضى المزروعة ومما يؤكد ذلك هو زيادة المساحات المزروعة التى تبلغ حاليا ١١ر٢٧٠ر٠٠٠ مشارة بينما قدر هذا الرقم فى عام ١٩١٣[٤] حسب التخمينات التى أجرتها السلطات العثمانية بمقدار ١ر٤١٨ر٠٠٠ مشارة . تعتبر هذه الاحصاءات خير دليل بل وأصدق صورة عن الحياة الزراعية فى العراق خلال الـ (٤٧) عاما الاخيرة . لم يقتصر الوضع على اتساع المساحات المزروعة فقط انما يشمل الزيادة فى وحدة الارض الانتاجية بسبب استخدام الطرق الزراعية الحديثة من النواحى الفنية والتخصص والادارة واستعمال الآلات الميكانيكية على اختلاف انواعها تلك الاساليب التى كان يفتقر اليها الفلاح العراقى والتى لا يزال العدد الكبير منهم بحاجة الى استخدامها ، ومما يعزز هذا القول فتح المشاريع الزراعية التى تعد من أهم مقومات التطور الزراعى ولا ننسى عاملا مهما آخر كان يسير الى جانب هذه المشاريع هو توزيع الملكية الصغيرة الذى بدأ منذ عام ١٩٥١ وقد اتسع مجال هذا النظام عندما جاء دور تطبيق نظام الاصلاح الزراعى ذلك النظام الذى قضى على نظام الاقطاع وزاد من دخل الفرد وخاصة فى الريف الذى تقدر نسبة سكانه حوالى ٦٧٪ من مجموع سكان العراق . ومما شجع المشروع الزراعى على اتساع تحسين الوضع المالى فى العراق بعد استغلال البترول فى عام ١٩٢٧ ذلك الاستغلال الذى أخذ يزداد فى السنوات التى تلت ذلك التاريخ حتى بلغت نسبة مدخولات العراق

---

(٤) فائق صبرى : (الجغرافية الاقتصادية فى تركيا) ١٩١٣ .

منه ٥٠٪ فى عام ١٩٥١ وقد خصص ٧٠٪ من هذا الدخل لتطوير المشاريع الاقتصادية وخاصة الزراعية منها ومعنى ذلك ان ٧٠٪ من مجموع عائدات البترول البالغة ٤٧ر٥٠٩ر٦٥٥ دينارا فى عام ١٩٥٦ كانت قد خصصت لانشاء المشاريع الزراعية ، أما الصناعية التى يشتغل فيها حوالى ٦٪ من مجموع السكان والتجارة التى تحتل مكانة اكبر من الصناعة حيث تبلغ نسبة المشتغلين بها حوالى ٨٪ فهى المظهر الآخر الذى أخذ طريقه نحو التقدم • اننا نجد أن آثار هذا التطوير الاقتصادى ينعكس فى الوسائل الاجتماعية المتمثلة فى النواحى الطبية كتأسيس المستشفيات وكثرة أصحاب المهن الطبية والمشاريع المتعلقة بتنقية مياه الشرب والاضاءة فى كثير من المدن الصغيرة من العراق تلك الوسائل التى تحافظ على مستوى صحى أعلى مما كان عليه فى العهود الماضية ، والى جانب ذلك انتشار التعليم الذى عم ارجاء القطر عن طريق اقامة المعاهد العلمية والمدارس ودار الاذاعة والصحف فى أصغر مناطق السكن العراقية وكذلك تأسيس مساكن صحية فى مناطق متعددة ، يضاف الى هذه الاصلاحات كلها اقامة شبكة من طرق المواصلات البرية التى لها أهميتها الكبرى فى اصلاح الاقليم • لقد ظهر أثر تلك العوامل فى النمو والزيادة الطبيعية للسكان كما أشرنا اليه سابقا فى بحثنا هذا •

توزيع السكان :

ان العدد الذى يسكن العراق حاليا قليل بالنسبة الى وفرة مصادر الاقليم الطبيعية والى سعة مساحة أرضه الصالحة للزراعة • لقد وجد أن كثافة السكان تصل الى ١٥ نسمة فى الكيلومتر المربع الواحد حسب احصاء ١٩٥٧ ، ان هذه الكثافة قليلة اذا ما قورنت بكثافة السكان فى الاقطار المجاورة ففى سوريا تبلغ الكثافة ٢٠ وفى لبنان ١٢٧ وفى تركيا ٣٠ وفى ايران ٢٠ ، أما اذا ما قورنت بكثافة الاقطار الاخرى من العالم فنجد العراق يتخلف عنها كثيرا ، ففى بريطانيا تصل الكثافة ٢١٠ وفى بلجيكا ٢٨٦

وفى هولندة ٣٢٠ • هذا ما يتعلق بمعدل الكثافة فى العراق ، أما كثافة السكان بالنسبة للاراضى القابلة للزراعة فهى تزيد عن ذلك اذ تقدر بحولى ٥ر٥٤[٥] نسمة فى الكيلومتر المربع الواحد ، وكذلك تختلف كثافة السكان فى العراق من منطقة لاخرى تبعا لاختلاف عوامل البيئة الطبيعية والثقافية التى يمكن تلخيصها بما يأتى :ـ

(١) الموقع الجغرافى •

(٢) طوبغرافية الاقليم ونوع المناخ السائد فيه •

(٣) الموارد المائية ودرجة توفرها •

(٤) التربة •

(٥) المواصلات •

(٦) العوامل الثقافية المختلفة (ويدخل ضمنها المراكز الادارية والتجارية والثقافية للمنطقة) •

استنادا الى هذه العوامل يمكن أن نصنف العراق من حيث الكثافة الى أقاليم متباينة كما يأتى :ـ

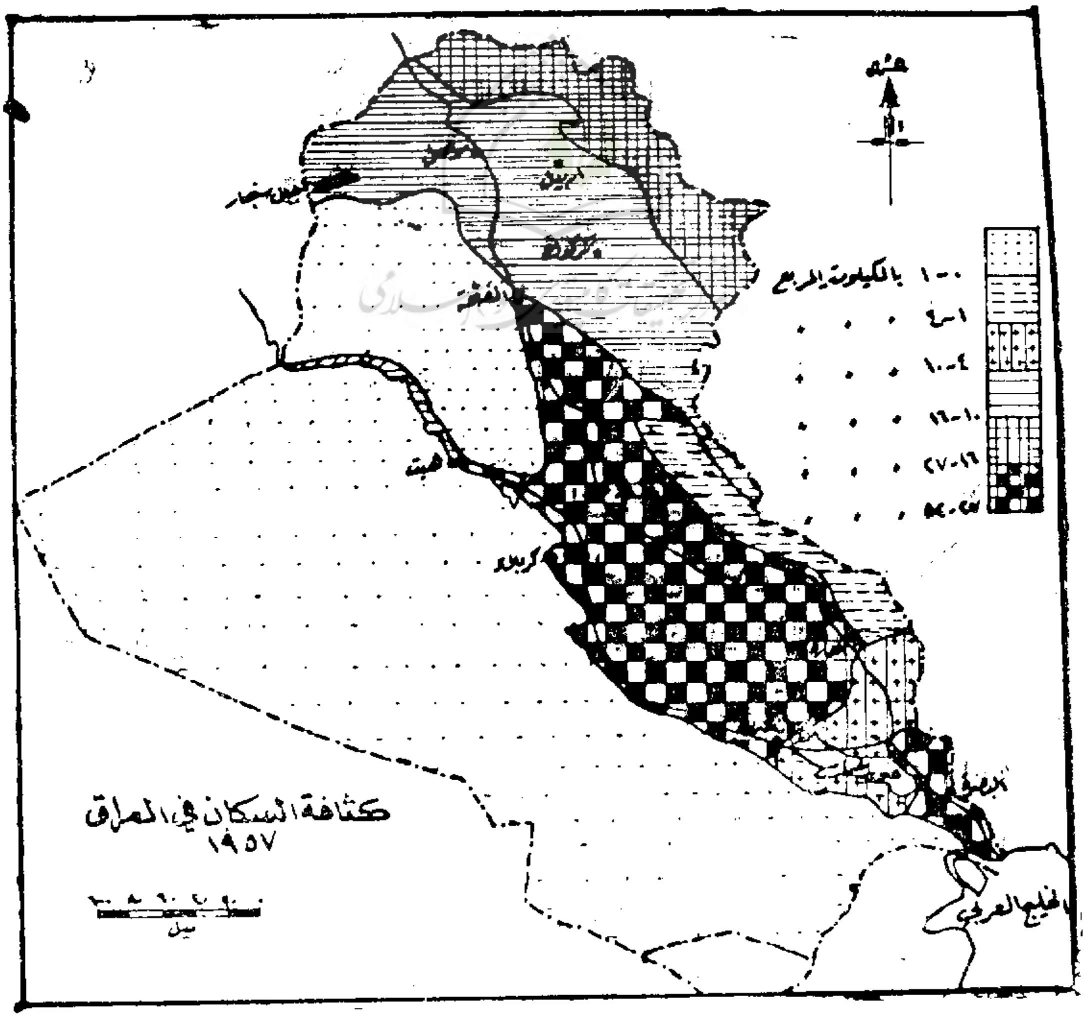
١ ـ سهل العراق الرسوبى :

يمتاز هذا الاقليم بموقعه الجغرافى الذى يصله من الجهة الغربية بأقاليم شرقى البحر الابيض المتوسط ومن الشرق بايران وبلاد الخليج العربى عن طريق ميناء البصرة من الجنوب • هذا ما يتعلق بالبلاد المحيطة بالعراق أما بالنسبة لمناطق العراق المختلفة فيعتبر هذا السهل قلبهاوعليه أصبح منطقة جذب تكتل السكان وتركزت معظم المدن الكبيرة والصغيرة والقرى التى أخذت تمثل مراكز للتجميع والتوزيع فيه او بكلمة أخرى أصبحت محطات للحركة التجارية والادارية والثقافية والصحية وتأتى على رأس هذه المراكز مدينة بغداد • أما من حيث وضعه الطوبغرافى وشكل السطح فهو يحتل

(٥) مساحة الاراضى القابلة للزراعة فى العراق تقدر ١٢٠ر١٢٠ كيلو مترا مربعا (٤٨ مليون مشارة) أو ما يعادل ٢٧٪ من مجموع مساحة العراق حسب ما جاء فى تقرير بيورنك (أراضى العراق وأحوال التربة فيها) ١٩٦٠ ص ٦٢ •

أرضا مترامية الاطراف مستوية السطح تقدر مساحتها بحوالى ٩٣٫٠٠٠ كيلومترا مربعا او ما يعادل ٢٠٪ من مجموع مساحة العراق الكلية معظمها قابلة للزراعة ذات تربة رسوبية مشهورة بخصبها من أقدم العصور التاريخية الى يومنا هذا وعليه فهى تعتبر المصدر الاول لقيام الزراعة بينما المورد المائى المتمثل بدجلة والفرات وروافدهما والقنوات المتفرعة منهما والمياه الجوفية الاخرى هى المصدر الثانى ومما يزيد الاقليم أهمية وقوع المنطقة فى اقليم معتدل دفىء ، الامر الذى ساعد على نمو معظم الحاصلات الزراعية ،يضاف الى ذلك وجود شبكة من المواصلات البرية التى تغطى الاقليم والتى تفوق فى درجة تقدمها بقية المناطق الاخرى من العراق ، ويشتد تكتل السكان فى الاقليم الذى نحن بصدد الكلام عنه فى الاراضى الزراعية ويقل فى سواها وعليه نلاحظ من الخريطة رقم (١) ان أكثف المناطق هى النطاقات الممتدة حول مجارى الانهار وقنوات الرى وتقل نسبة التكتل كلما بعدنا عن هذه المجارى المائية ، ويدل احصاء ١٩٥٧ ان عدد سكان الاقليم يبلغ ٤٫٢٨٦٫٠١٤ نسمة او مايعادل ٦٥٫٥٪ من مجموع سكان العراق • واستنادا الى هذه الارقام أمكن معرفة كثافة سكانه البالغة ٥١٫٥ نسمة بالكيلومتر المربع الواحد معظمهم يتركز فى المناطق الوسطى والشمالية من السهل اعتبارا من الخط الممتد من سامراء نحو الجنوب حتى خط العرض الذى يمتد فى منتصف المسافة الواقعة ما بين القرنة ومدينتى العمارة والناصرية والمحصورة ما بين مجرى دجلة والفرات بينما المناطق التى يتبعثر السكان فيها فهى تشمل المنطقة التى تغطى معظمها الاهوار والمستنقعات والتى تمتد الى جنوب خط العرض الذى يمتد ما بين القرنة من جهة العمارة والناصرية من جهة أخرى ، وكذلك الحال فى نطاق السهل المروحى الواقع ما بين ايران من الشرق وحوض دجلة من الغرب والممتد ما بين نهر ديالى من الشمال وخط العرض الواقع ما بين العمارة والحدود الايرانية من الجنوب • فى هذين المنطقتين الاخيرتين تنتشر بعض مراكز السكن الصغيرة والقرى وتقل المراكز الكبيرة وخاصة المدن وان من أهم الجهات ازدحاما بالسكان المناطق الواقعة حول المجارى المائية (الكلالات) القادمة

من المرتفعات الايرانية نحو حوض دجلة فى حالة السهل المروحى أمـــا منطقة الاهوار فتنتشر القرى بالقرب من حافات او فى جزر تتناثر وسط الاهوار وتقدر كثافة السكان فى هذه المنطقة بالنسبة لعدد نفوسها ومساحتها البالغتين ٢٧٢ر٦٠٧ نسمة و ٢٩ر٤٠٤ كيلومترا مربعا على التوالى بحوالى ٩ر٥ نسمة فى الـكيلومتر المربع الواحد بينما فى حالة السهـل المروحى الذى يبلغ نفوسه ٩٦ر١٢٠ نسمة ومساحة قدرها ٢٣ر٣٣٠ كيلومترا مربعا فان الـكثافة تقـدر بأربع نسمات فى الـكيلومتر المربع الواحد • يستدل من هذه الـكثافات المتفاوتة ان عدد السكان يقل فى المنطقتين الاخيرتـين تبعـا لقـلة مراكز السكان وكثيرا ما تنعدم فى بعض الجهات وذلك بسبب انتشار الاهوار فى المنطقة الاولى الامر الذى وجه السكان الى حرفة الصيد فى الاهوار من ناحية والى زراعة الرز التى تعتبر العمود الفقرى الاقتصادى من الناحية الاخرى لهذه المجموعة البشرية من الناس ، أما المنطقة الثانية



فان قلة السكان فيها يعلل بعدم وجود المصادر المائية الكافية الامر الذى أدى الى تناثر بعض القرى حول المجارى المائية الصغيرة المنحدرة من المرتفعات الايرانية او حول بعض العيون والآبار التى تستفيد منها الجماعات البدوية التى تسكن هذا النطاق من العراق مثل شمر طوكة وبنى لام •

٢ ـ المنطقة الجبلية العالية :

ان خريطة رقم (١) تبين كثافة السكان فى مناطق العراق المختلفة ، ففى حالة المنطقة الجبلية العالية التى تقدر مساحتها بحوالى ٣٧٠ ر٢٣ كيلو مترا مربعا او ما يعادل ٥٪ من مساحة العراق ، و ١٢٤ر٦٤٢ نسمة تبلغ كثافة السكان فيها ٢٧ نسمة فى الكيلومتر المربع الواحد وتعتبر المنطقة الثانية فى درجة الكثافة بعد السهل الرسوبى • فى الواقع ان الكثافة هنا ترجع الى أن مساحة هذه المنطقة الجبلية صغيرة بالنسبة لانتشار مراكز السكن فى معظم انحاء الاقليم وكذلك الى تنوع طوبغرافيته المكونة من سهول وأحواض وأودية ومرتفعات أكسبت هذه البيئة تباينا فى امكانياتها ومصادرها الطبيعية الامر الذى أدى الى تجمع مراكز السكن على اختلاف أحجامها فى مناطق السهول والاحواض بالقرب من الموارد المائية وفى الاراضى الزراعية الصالحة أما الاودية والسفوح فهى المناطق الاخرى التى تغطيها غابات أشجار الفاكهة المجففة التى تكتلت حولها مجموعات أخرى من السكان بينما المناطق المرتفعة الواقعة فى أقصى الشمال الشرقى فهى بيئة المراعى التى تعتبر موطن الجماعات الرعوية المتنقلة (الحركات الفصلية الرأسية) التى تعيش على تربية الماشية والاغنام والماعز فيها • بالرغم من وجود الامكانيات الطبيعية فى هذا الاقليم الا أن هناك مصاعب تتعلق بالموقع الجغرافى والوضع الطوبغرافى اللذين انعكست آثارهما فى عدم وجود شبكة منظمة من المواصلات تقوم بربط الاقليم بالمناطق المجاورة الامر الذى ترتب عليه عزل هذا الاقليم الجبلى وجعله منطقة طرد بدل من أن تكون منطقة جذب وقد ظهر ذلك واضحا فى عدم تمكن السكان من نقل حاصلاتهم

الحيوانية والزراعية بسهولة الى مراكز الاستهلاك الرأيسة ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعدى ذلك الى هجرة عدد من أبناء الريف الشمالى الى المناطق الوسطى والجنوبية من العراق لغرض كسب العيش والتخلص من الفـــاقـة .

٣ ـ المنطقة شبه الجبلية :

يغطى الاقليم شبه الجبلى أراضى واسعة تتكون من مناطق سهلية وهضاب وتلال تبلغ مساحتها ٦٧٫٠٠٠ كيلومترا مربعا أى ما يعادل ١٥٪ من مساحة العراق أو ثلاثة أضعاف المنطقة الجبلية العالية ويسكنها حوالى مليون نسمة . ان هذا العدد من السكان قليل اذا ما قورن بمساحة الاقليم وعليه نجد أن كثافته تقل عن كثافة المنطقة الجبلية المرتفعة حيث تقدر بحوالى ١٦ نسمة فى الـكيلومتر المربع الواحد . تختلف الـكثافة فى هذا الاقليم نفسه من منطقـة لاخرى تبعـا للموقـع الجغرافى ولوجود المصادر الطبيعية وكذلك لاختلاف الوضع الطوبغرافى والتربة ووفرة الموارد المائية فى كل جزء منه . على أساس هذه العوامل نلاحظ أن مراكز السكن الرئيسة تتجمـع فى النطاق الممتد ما بين دجلة من الشمال الغربى اعتبارا من مدينة الموصل ونهر ديالى من الجنوب الشرقى بينما تقل ظاهرة الـكثافة فى المنطقة الواقعة غربى نهر دجلة اعتبارا من الموصل أيضا حتى حدود العراق الواقعة الى غربى منطقة سنجار ، أما المنطقة الثـانية التى تقل فيها الـكثافة فهى الممتدة الى الجنوب الشرقى من ديالى اعتبارا من خانقين . ان السبب فى تركز السكان فى المنطقة الممتدة ما بين دجلة وديالى بلا شك يرجع الى موقعها الجغرافى ذلك الموقع الذى يصلها بمنطقة السهل الرسوبى ومراكز العمران الـكبيرة والصغيرة فيه والى وجود السهول الفسيحة ذات التربة الخصبة الصالحـة للزراعة والى توفر الموارد المائية من أمطار وأنهار ومياه جوفية تلك العوامل الطبيعية التى خلقت من الاقليم منطقة جذب واستقرار دون سواها من جهات هذا الاقليم شبه الجبلى . لقد قامت معظم مراكز السكن الـكبيرة منها والصغيرة

حول ضفاف دجلة وروافدها وبالقرب من المنابع المائية كالعيون والكهاريز • أما العامل الثانى الذى يعزى اليه تكتل السكان فى هذا النطاق فهو استغلال حقول البترول ذلك المصدر الذى يستثمر فى منطقة عين زاله وكركوك ونفط خانه •

٤ ـ المنطقة الصحراوية :

تشمل منطقة الهضبة الصحراوية بادية الجزيرة الممتدة ما بين دجلة والفرات جنوبى اقليم جبل سنجار والبادية الشمالية والجنوبية الواقعتين غربى مجرى الفرات وتبلغ مساحة هذه الهضبة ٢٢٢٫٠٠٠ كيلومترا مربعا أو ما يعادل ٤٩٪ من مجموع مساحة العراق ويسكنها عدد قليل من السكان معظمهم من القبائل البدوية المتنقلة وتندر فيها مراكز السكن الا اذا استثنينا بعض الواحات التى تمثل مراكز ومحطات لتموين وتجهيز هذه القبائل ، وقد قدرت نفوس تلك المجموعات البدوية بحوالى ٢٠٥٫١٢٠ نسمة وعليه كانت كثافة السكان فيها لا تزيد عن نسمة واحدة فى الكيلومتر المربع الواحد • لقد دلت التخمينات بأن عدد القبائل فى الماضى كان أكثر منه الان يوم أن كانت الصحراء منطقة جذب بسبب مرور القوافل التجارية فوق تربتها ما بين العراق وبلاد الشام • كانت تمثل القبائل وقتذاك السلطة المتحكمة فى هذه الصحراء حيث كانوا يقومون على حراسة القوافل التجارية عبرها لنقل البضائع التجارية القادمة من الشرق الاقصى وايران نحو بلاد البحر الابيض المتوسط ، لهذا السبب اجتذبت القبائل نحوها ولكن على أثر موت الحركة التجارية المعتمدة على القوافل فيها فقدت أهميتها فأصبحت منطقة طرد لهذه المجموعة البشرية • أما عامل وجود البترول فى العراق الذى اجتذب أعدادا من هؤلاء البدو للاشتغال فى حقوله كان أيضا سببا فى قلة عددهم فى هذه الصحراء وكذلك الزراعة التى اجتذبت قسما آخر منهم مما ادى الى تقلصهم من ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة فى الماضى الى ٢٠٥٫١٢٠ فى الوقت الحاضر • هذا ما يتعلق بالعوامل الاقتصادية ، أما العوامل الطبيعية المتمثلة بفقر البيئة المتأتى من قلة الموارد المائية والتربة الفقيرة والمناخ

الصحراوی الجاف الذی لا تزید أمطاره عن خمس بوصات كمعدل سنوی وهی كمية لا تساعد على قيام حياة رعوية كافية ، ومما يزيد الامر صعوبة هو تذبذب نظام سقوط الامطار من سنة لأخرى مما يعرض حياتهم الى خطر الجفاف الذی يودی بموت قطعانهم مما ترتب عليه أن يعيش البدو فی هذه البيئة فی ظروف اقتصادية قاسية • لقد شعرت السلطة بما يقاسيه هؤلاء الرعاة فأخذت بحفر كثير من الآبار فی مناطق متفرقة من هذه الهضبة الصحراوية لغرض توفير المياه لهم ولماشيتهم ولكن يظهر ان المياه الجوفية محدودة الى جانب انها مالحة مما قلل من اهميتها • وبهذا الصدد يجدر ان نستعرض الاحوال الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجموعة من السكان التی تعيش فی مستوى معاشی منخفض بسبب بيئتهم الفقيرة وطبيعة تجولهم الدائم وابتعادهم عن المناطق المعمورة انتجاعا للكلاء أينما وجد فی بطن هذه الصحراء • فان عماد حياتهم الاقتصادية فی الدرجة الاولى الابل التی ينتقلون عليها ويستفذون من لبنها ويكتسون من وبرها وان قسما منهم يربی الاغنام والماعز بجانب تربية الابل • ولا شك ان معظم النفع فی هذا يعود للشيوخ واقاربهم فی الدرجة الاولى •

أن حياة التجول التی يحيونها ومجانبتهم احتراف الزرعة تجعل أمر توطينهم صعبا ولكن بالرغم من ذلك يمكن أن نقول بأن تبدل بعض الاحوال فی بيئتهم وتطور وسائل العيش مثل انعدام عادة الغزو وحراسة القوافل التجارية التی تسير فی الصحراء تحت امرتهم كانت فی السابق من حياتهم العامة وعليه فان اختفاء تلك الظاهرتين يعد عاملا مشجعا فی توطينهم حيث لوحظ ان قسما من عشائر شمر وعنزة اخذ يفكر فی التوطن وينصرف الى احتراف الزراعة فی السنوات الاخيرة كما ان قسما آخر منهم اخذ يرد الى بعض انحاء الريف ويشتغل فی بعض المواسم بنقل الحاصلات على الابل من مكان لآخر • من هذا يتضح ان حياتهم شاقة ومستواها منحط بالرغم من انهم يقومون بمعظم الاعمال الانتاجية ومرد ذلك ان هذه الجماعة محرومة من الارض والموطن الثابت المستقر بالرغم من وجود اراضی واسعة قابلة للزراعة وتتوفر لها جميع لعوامل والظروف المواتية للانتاج من موارد مائية

غزيرة ومناخ صالح لزراعة معظم الغلات الزراعية الاقتصادية المعروفة فى المناطق المعتدلة الدفيئة فى العالم وتربة خصبة فضلا عن الثروة النفطية المعدنية التى يمكن ان تسخر وارداتها وعوائدها لاعمار القطر والترفيه عن جميع طبقات السكان عامة والبدوية خاصة • ويجدر بنا ان نلاحظ ايضا ان العراق فى الحقيقة يعانى نقصا فى الايدى العاملة وذلك لعدم توازن عدد سكانه مع مصادره الطبيعية الامر الذى استلفت نظر السلطات المسؤولة فى الايام الاخيرة مما دعا الى اتباع سياسة اقتصادية جديدة تتمثل فى احياء الاراضى القابلة للزراعة واستثمارها وهى مساحات لا تقل عن ٤٩ مليون مشارة (دونم) ، وانه من الحيف والعجب ان تتوفر جميع هذه الامكانيات فى هذا الوادى وان لا يبادر الى الاستفادة من هذه القوى الطبيعية لتوطين هذه الجماعة البدوية التى تكاد تصبح مشردة غير مستقرة فى هذا الوطن ، ومن المؤلم حقا الا لا يسارع المسؤلون الى تسخير هذه الايدى العاملة واستخدامها فى زيادة الانتاج التى لا بد أن تؤدى الى حدوث انقلاب عام فى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيما اذا استخدمت لانها تشكل نسبة لا يمكن التفريط والاستهانة بها •

ولا شك ان العلاج الوحيد لهذا الوضع هو التفكير الجدى فى تعميم الملكية الصغيرة وتوزيع الاراضى الزراعية على القبائل المتنقلة التى لم تتوطن حتى الآن توطينا يربطها بالارض الامر الذى سيؤدى فى آخر المطاف الى الاصلاح المنشود الذى سينتشل هؤلاء الرعاة من قسوة هذه البيئة الصحراوية التى تتحكم فى مصائرهم وحياتهم ولا حيلة لانقاذهم من ذلك الا بتوطينهم فى الاراضى التى ستستغل بواسطة المشاريع الزراعية الحديثة •

السكان عامل انتاجى :

من المعروف اقتصاديا وجغرافيا ان هناك علاقة وثيقة بين الارض والانسان الذى يسكن على تربتها ، ففى كل قطر تظهر آثار هذه العلاقة فى درجة استغلال مصادر الارض وفى نوع الاساليب التى يستعملها

الانسان في الانتاج • ان السكان والارض عاملان يتفاعل كل منهما مع الآخر وعلى مقدار هذا التفاعل يتوقف تطور الاقتصاد الزراعي في الاقاليم، وبكلمة اخرى ان الانسان هو الواسطة التي تسخر موارد الارض وتحول طاقاتها الكامنة الى مادة انتاجية يستثمرها لمنافعه ، فعلى أساس هذه القاعدة الاساسية نشاهد ان درجة تقدم الاقليم يتوقف الى حد كبير على درجة التوازن بين هذين العاملين الرئيسين ((The man-Land balance''
الانسان والارض • وتطبيقا لظاهرة التوازن هذه نجد ان عددا من البلاد التي تشكو ضغطا كبيرا من كثرة سكانها مقابل مساحات محدودة من الارض التي تسكن عليها هذه الاعداد ، ومعنى ذلك ان التوازن بين المصدرين ينعدم وخير مثال يكشف لنا هذه الحقيقة مصر والهند والصين وجاوة • ان هذه البلاد تشكو عدم التوازن بين مساحة اراضيها الزراعية وكثافة سكانها التي باتت تهدد بالخطر وقد ظهر أثر ذلك الضغط في صغر وحدة الارض الاستثمارية (الملكية الصغيرة) الامر الذي انعكست نتائجه في انخفاض مستوى المعيشة وانحطاط دخل الفرد وتعويضا لهذا النقص فقد اتبعت اساليب « الزراعة الكثيفة » في هذه الاقطار لكي ترفع من القوة الانتاجية للوحدة الزراعية حتى يمكن انتاج اكبر كمية من المحاصيل الزراعية لمواجهة هذه الملايين من السكان ولكن بالرغم من هذه الجهود المبذولة والطرق الانتاجية المتبعة فأن المشكلة ستبقى في المدى الطويل طالما وان نمو السكان مستمرا في هذه الاقطار ذات الارض المحدودة والامكانية الثابتة التي ليس باستطاعتها ان تتجاوز القوانين الاقتصادية المتمثلة بنظام الغلة المتناقصة •

اما اذا استعرضنا ظاهرة توازن الارض والسكان في العراق فاننا نجد ان الوضع يناقض ما شاهدناه في تلك البلاد المومأ اليها سابقا لان مساحة الارض القابلة للزراعة كبيرة وللفدان القدرة بأن يلعب دوره في استغلالها فهي تقدر بحوالي « ٤٩ » مليونا من الدونمات او « ١٢١٫٠٠٠ » كيلومترا مربعا او ما يعادل ٢٧٪ من مجموع مساحة العراق ، وان هذه الارض بلا

شك تزيد عن حاجة سكانه البالغة حوالى « ٧ » ملايين نسمة • ان هـذه الاعداد من السكان ليس فى وسعها استثمار هذه الارض الواسعة بالطرق العلمية والفنية الحديثة وذلك لنقص فى اليد العاملة التى تلعب دورهـا الايجابى الاول بين عوامل الانتاج الاخرى وعليه يجب أن تتعامل الـكفـة بين هذا العامل وبين مساحة الارض حتى يمكن استغلالها على وجـه منتج يتفق والتطور الحديث الذى احرزته بلاد أخرى متقدمة فى الزراعة •

تدل المعلومات التى امكن الحصول عليها أنه فى خـلال الثمانى والثلاثين سنة الاخيرة بأن الزيادة الحاصلة من نمو السكان قد بلغت حوالى ضعف ما كانت عليه فى عام ١٩١٩ وهذا يفسر لنا ان هـذه اليزادة كانت تتمشى مع تطور الوضع الاقتصادى الذى انعكست آثاره فى ارتفاع مستوى المعيشة الذى نتج عنه تحسن فى الاحـوال الصحية وفى المسكن والملبس والمأكل والوسائل الاجتماعية المختلفة التى كان مـن أهم نتائجهـا زيادة الولادات وقلة الوفيـات التى نجم عنها الزيادة الطبيعية فى اتجاه العـام للسكان ، ولما كان التطور الاقتصادى هـو العمود الفقرى لزيادة عـدد السكان فهو آخذ مجراه الطبيعى فى جميع المجالات الزراعية والصـناعية والتجارية وفى استغلال الثروة النفطية وعليه نأمل ان تكون النتيجة ايجابية يستطيع الباحث على ضوئها ان يتنبأ بأن عدد سكان العراق سيصـل فى أربعين السنة القـادمة الى ضعف عدده الحالى إن لم يكن أكثر هذا فيمـا اذا طبقت القواعد الآتية :ـ

١ ـ اذا وضعت خطة تهدف الى استغلال المصادر الطبيعية على اسس سليمة وخاصة الارض والموارد المائية المختلفة وذلك باتباع سياسة زراعية حكيمة وثابتة لا تتغير بتغير الاشخاص والاوضاع فان أثر ذلك سيظهر فى تحسين الحياة المعاشية والوسائل الاجتماعية الاخرى •

٢ ـ ان تحسن الحالة الاقتصادية ستؤدى حتما الى قلة الوفيات ومعنى ذلك حدوث زيادة مستمرة للسكان يمكن استخدامها فى المستقبل فى استغلال الامكانيـات الطبيعية وخاصة استثمار الاراضى الجديدة والصناعات الناشئة

ولنا خير مثال على ذلك أقطار غربي اوربا التي اتفقت زيادة نفوسها مع نهضتها الاقتصادية في العصر الحديث ، فاذا ما اردنا ذلك للعراق ففي وسعنا ان نسترشد بخطواتهم وان نستفيد بما يتفق وظروف بلدنا .

٣ ـ ان من بين الموارد الطبيعية المتوفرة حاليا دخل البترول تلك الثروة لتي يمكن تسخيرها في شراء واستخدام الوسائل الفنية ولآلات الميكانيكية والخبراء والاخصائيين وأصحاب الاعمال الادارية تلك العوامل التي تعتبر المقومات الضرورية للنهضة الاقتصادية الصحيحة لان استخدامها سيكون الدافع على تغلب المصاعب وبالتالي استثمار جميع القوى الطبيعية بطرق علمية صحيحة موجهة .

تميم الداري

أوّل قاصٍّ في الاسلام ؟!

الدكتورة وديعة طه النجم

لقـــد كان اول من وجه نظري نحو هـــذه الشخصية الغريبة في القصّاص ، الجاحظ • وكان ذلك في رسالته (التربيع والتدوير) ، حين يثير الجاحظ فضولا حول هذه الشخصيّة متسائلا :

« وخبّرني عن النميرى صاحب الورقة وعن تميم الداريّ صاحب الرّدم »(١)

فقد بدالي ان تساؤل الجاحظ هـذا لم يـكن غرضه الا اثارة الشكّ والاستغراب من هذا الذي يتساءل عنه ، لا سيما اذا علمنا انّ رسالة التربيع والتدوير نفسها تحفظ لناكلّ ما أثار فضول عصر الجاحظ ، وشكّ العلماء من امثاله •فهو وان وضع اكثر مسائلها موضع الاستفسار والاستفهام الاّ انّه لم يأمل في جوابٍ ، وانما هو يثير حولها الفكر ، ويشكّك في مسائلها •

ويذكره الجاحظ في مناسبةٍ غير هذه ايضا على لسان خالد بن يزيد (او خالوية) المكدّي من البخلاء ، حين يعظ هذا ابنه ويذكّره انه مارس كلّ مهنة وافلح حتّى لقد بزّ ابرز القصّاص في الاسلام تميم الدارى • يقول خالوية :

« ولو رآني تميم الداريّ لأخذ عنّي صفة الروم »(٢)

على ان الجاحظ لا يذكر الداريّ هذا في جملة القصّاص الذين قال عنهم انهم من اوائل القصّاص في الاسلام ، كما لا يشير اليـــه مطلقاً في

---

(١) يثبت پيلاّ النصّ ويقرأ (الرّدم) بدلا من (الروم) ، ويعلّق على ذلك بأنّ المقصود هو (الردم ، المردم أو المرطوم) الموضع الذى اقطع لتميم الدارى من ارض فلسطين : راجع رسالة التربيع والتدوير (ط پيلاّ) ص ٤٢ ـ ٤٣ ثم التعليقات ص ٤١ •

(٢) البخلاء : (ط ـ الحاجرى ـ ١٩٤٨) : ص ٤٠ •

(البيان والتبيين) ، مما يؤكد شك الجاحظ فى أمره والتشكيك فيه [٣]

وحينما رجعت الى المصادر الاسلاميّة وجدت انها تحدثت عن تميم الدارى فى اكثر من مجال واحد ، سواء منها ما كانت مصادر تأريخية ، او من كتب الحديث او الأدب ، أو سوى هذه • على ان ما يلفت النظر الى أمر هذه الشخصيّة انّه كلّما تقدّم بنا الزمن نجد الاهتمام يزداد به شيئاً فشيئاً حتّى نأتى الى زمن المقريزى (تقى الدين) فنجده يفرد رسالة خاصّة فى تميم الدارى وما يتعلّق به من اخبار يسميّها (كتاب ضوء السارى لمعرفة خبر تميم الدارىّ)[٤] •

ولنبدأ بما تذكره المصادر عن اصل تميم وقبيلته ، ثم انتقل الى الحديث عن علاقته بالاسلام •

قيل اسمه تميم بن أوس بن خارجة (او حارثة) بن سود (او سواد) ابن خزيمة (او حذيفة) بن دراع عدىّ بن الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة (او بن رقية الدارى)[٥] ابن لخم بن عدى (ابو رقية الدارى)[٦] ابن عمرو بن سبأ[٧] • اما من هم هؤلاء الداريون واى نسبة ينتسب تميم فان المصادر تكاد على ان الدار بن هانىء هم من لخم [٨] • ويقول ابو عبيد ان « تميم الدارى فخذ من لخم أو جذام »[٩] (كذا !) • وقال ابن سعد :

---

(٣) البيان والتبيين : (ط السندوسى) حـ ١ ص ٢٣٤ •

(٤) نشرها وقدّم لها : Charles D. Mathews فى Journal of the Palestine Oriental Society, Jerusalem, Vol. XIX, 1939-1940., pub. 1941, pp. 150-179.

(٥) ابن عساكر : التاريخ الكبير (سنة ١٣٣١) حـ ٣ ص ٣٤٤ •

(٦) المقريزى : ضوء السارى ص ١٥٣ •

(٧) ابن الاثير : اسد الغابة : (ط طهران) : حـ ١ ص ٢١٥ ، واختلافات اخرى فى ابن سعد : الطبقات الكبرى (سنة ١٩٥٨) مجلد ٧ ص ٤٠٨ •

(٨) بالاضافة الى المصادر المتقدمة يراجع : البلاذرى : فتوح البلدان (دار النشر للجامعيين) حـ ٢ ص ١٧٦ ؛ ابن دريد : الاشتقاق (سنة ١٩٥٨) ص ١٥٥ ؛ الطبرى : تاريخ (الملحق) (الطبعة الاوربية) حـ ٣ ص ٢٥٤٥ •

(٩) المقريزى : ضوء السارى ص ٧٦٠ • ابن عساكر : التاريخ • حـ ٣ ص ٣٥٠ •

« تميم بن أوس الدارى بطن من لخم ويكنى ابا رقية »[١٠] • والمصادر الاسلاميّة تدعى ايضاً ان لخماً وجذاماً وعاملة هم جميعاً فى اواقع من اصل واحد ، وذلك ان أسد بن خزيمة انتشر ولده فى اليمن وهم لخم وجذام وعامله بنو عمرو بن احد»[١١] • على ان ابن قتيبة يقول : « •• واجمع النسّاب على ان اليمن من ولد قحطان •• فأما عمرو بن سبأ فولد عدى بن عمرو وولد عدى لخماً وجذاما فمن لخم حدس بن لخم وهم قبائل كثيرة ويقول انهم قوم من ولد أراشة بن مر بن أد بن طابخة بن الياس وذلك ان أراشة لحق باليمن وصار فى جذام ، ومن لخم غنم بن لخم وهم قبائل كثيرة ويقول قوم انهم من مضر • ومن لخم بنو الدار بن هانىء وهم الداريون وكان منهم تميم الدارى »[١٢] •

ونلاحظ أن لخما وجذاما تتمتعان بتاريخ حافل وظروف تؤهلهما لكى تكونا مصدرا للاساطير والقصص وأن تنسب اليهما شخصيات قصصية فى الاسلام • فهما ترجعان بنسبهما الى الانبياء وتتصلان بتاريخهم اتصالا وثيقا • « قال الحمدانى : ويقال انهم من ولد يعفر بن مدين بن ابراهيم (ع) • واستشهد كذلك بما رواه محمد بن السائب انه وفد على رسول الله (ص) فى وفد من جذام ، فقال : مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى »[١٣] •

ويقال ان الذى أخرج يوسف من الجب كان من مدين[١٤] ، بل وتخصص بعض الروايات انه كان من لخم واسمه مالك بن ذعر (أو ملك بن زعر)[١٥] ، وان مالك بن ذعر هذا من ولد ابراهيم عليه السلام ويزيدون على ذلك فيسمون أبناءه أيضا وهم أربعة وعشرون ، اختيرت لهم

---

(١٠) ن•م عن ابن سعد فى الطبقة الرابعة •

(١١) اليعقوبى : تاريخ : (Houtsma) حـ ١ ص ٢٦٤ •

(١٢) ابن قتيبة : المعارف سنة ١٩٣٤م ص ٤٦ راجع أيضا اليعقوبى : تاريخ حـ ١ ص ٢٦٤ •

(١٣) القلقشندى : نهاية الارب (قاهرة سنة ١٩٥٩) ص ٢٠٥ — ٢٠٦ •

(١٤) الثعلبى : قصص الانبياء (سنة ١٣٠١) ص ٨٨ — ٨٩ •

(١٥) ابن عبد ربه : العقد (سنة ١٩٤٠) حـ ٣ ص ٣٥١ •

أغرب الاسماء وأعجبها وقعا ، أذكر منها على سبيل المثال :

الشرعبى ، السبندى . السندرى . السرندى . البلندى ...

وبيهس ، عسعس . العملَّس . العدبَّس . ملادس . العرندس ... الخ[١٦] . وكأنها من أسماء الجن !

فليس غريبا اذن ، على هذا التدبير وهذا الاعتراف بعلاقة لخم عامة بابراهيم والانبياء أن يجعل الرواة من اللخميين أصحاب حق يطالبون به – على لسان تميم الدارى – ، فى الاسلام ، اذ يطلب الى النبى محمد أن يقطعه بأرض حبرون حيث قبر ابراهيم – كما سنرى – وان يوافق النبى – على حد قول الرواة – ويستشهد قائلا :

« ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا معه . والله ولى المؤمنين »[١٧] .

هذا الى أن لخما أيضا يتصل تاريخها بتاريخ ملوك الحيرة الذين حكموا فيها خمس مائة سنة ، وشخصيات من لخم تبرز فى تاريخ الحيرة ، وفى القصص المنقول عن الروم . فعمرو بن عدى بن نصر اول من ملك من لخم ، وهو الذى قتل الزباء ، وله قصة مع جذيمة الابرش[١٨] . ولنشأة عمرو هذا صلة بالجن أيضا ، وهو الذى قيل فيه المثل « شب عمرو عن الطوق »[١٩] الخ ..

على أن قبيلة لخم تبدأ بالتراجع نحو زوايا النسيان عند ظهور الاسلام، حتى لا نكاد نسمع عنها الا القليل من الاشارات التى تؤكد علاقة اللخميين بالنصرانية ، وبالروم وبفلسطين والشام .. الخ . ففى أوائل الاسلام نسمع بلخم وجذام وهم على أطراف الجزيرة العربية ، ويرد ذكرهم فى الحروب الاولى للمسلمين ، فقد توجه « رسول الله (ص) الى تبوك من أرض الشام

---

(١٦) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٨ .

(١٧) ابن عساكر : التاريخ . ح ٣ ص ٣٥١ .

(١٨) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٧ .

(١٩) البلخى : البدء والتاريخ (ط Huart) ح ٣ ص ١٩٦ . كذلك ابن دريد : ن . م .

لغزو من انتهى اليه انه قد تجمع له من الروم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم. وذلك سنة ٩ للهجرة[٢٠] . وفى حرب اليرموك يستعين هرقل « ملك الشام والروم وانطاكية » بجبلة بن الايهم فيأتيه فى من معه من لخم وجذام[٢١] ، أما قصة جبلة بن الايهم واسلامه زمن النبى أو عمر ، ثم ارتداده عن الاسلام فأشهر من ان تذكر[٢٢]) .

ونسمع بقوم من الازد وجذام وجميعهم من أهل اليمن يسكنون الجبل الشرقى لمدينة برقة من بلاد المغرب[٢٣] . ونسمع أيضا عن قوم من جذام فى كورة بيت حبرين وهى مدينة قديمة تدخل ضمن جند فلسطين[٢٤] . وان جند فلسطين اخلاط من العرب من لخم وجذام وعاملة وكندة . وتنسب الى لخم وجذام بعض البطولات والايام المشهودة ، قال الحمدانى : « وبالاسكندرية من جذام ولخم أقوام ذوو عدد وعدة ، وأهل شجاعة واقدام وضرب بالسيف ورشق بالسهام ، ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع فى البر والبحر مشهودة »[٢٥] ويقال ان جذاما هم اول من سكن مصر من العرب ، جاؤوا فى الفتح مع عمرو بن العاص[٢٦] .

وبعد فترة من الزمن نسمع ان هذه القبيلة تنتشر بطونها فى انحاء جديدة من العالم الاسلامى ، فبطون لواته يقولون انهم من ولد لواته بن بر بن قيس عيلان ، وبعضهم يقول انهم قوم من لخم كان اولهم من أهل الشام فنقلوا هذه الديار [الحديث عن برقة من بلاد المغرب] وبعضهم يقول

(٢٠) البلاذرى : فتوح حـ ٢ ص ١٨٤ ؛ ابن سعد : الطبقات (دار صادر) حـ ٦ ص ١٦٥ .
(٢١) البلخى : البدء حـ ٥ ص ١٨٤ . البلاذرى : ن.م .
(٢٢) ابن عبد ربه : العقد حـ ١ ص ٢٨٩ ــ ص ٢٩٥ . وتروى بشكل مختلف عند البيهقى : المحاسن والمساوى فى (مساوىء من ارتد عن الاسلام) .
(٢٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٣ .
(٢٤) ن.م.ص ٣٢٩ .
(٢٥) القلقشندى : نهاية ص ٢٠٦ .
(٢٦) ن.م .

انهم من الروم[٢٧] .

القصد من متابعة هذه الاشارات هو متابعة هذه الصلة التى تظهرها لنا النصوص المختلفة للخم : صلتها بالروم وبأطراف الجزيرة من جهة ، ثم بابراهيم والانبياء او النصرانية من جهة أخرى ، وأخيرا بالاسلام .

وأنا أرى أن كون تميم بالذات يختار لتدور على لسانه او حول شخصه أحاديث غريبة او تنسب اليه اول القصص فى الاسلام ، ثم يجىء الجاحظ فيورد اسمه متعمدا على لسان أحد قصاصه المحتالين ، او يتساءل هو فى رسالته التربيع والتدوير عنه ، لا ترجع أسبابه الى الصدفة المحضة ، او الى شخص تميم وحسب ، وانما الى نسبه الذى يرجع به النسابون الى هذه القبيلة بالذات ، والى هـــذه العلاقات التى ترتبط بها القبيلة ، فتؤهلها أن تكون أرضا خصبة لمثل هذه الاساطير والخيال الروائى . ثم لا تخفى علاقة اللخميين بهذا المركز الحضارى الذى كان مصدرا مهما للقصص قبل الاسلام وعند ظهوره: أعنى الحيرة ، فقد قيل ان النضر بن الحارث الذى كان يقص على أهل مكة قصص رستم واسفنديار ، كان قد تعلم ذلك فى الحيرة نفسها .

وقبل أن أنهى الحديث عن أصل تميم ونسبه وقبيلته ، أود أن أشير الى أن الجاحظ يذكر قبيلتى لخم وجذام فى مناسبة قد تبدو غامضة بعض الشىء لاسيما وهو يخصهما بالقول دون سواهما من القبائل ، يقول الجاحظ:

« وكان الحسن اذا ذكـر الحجاج يقول : يتلو كتـاب الله على لخم وجذام ، ويعظ عظة الازارقة ويبطش بطش الجبارين[٢٨] » .

فهل فى قوله ما يدل على جرأة الحجاج ، أى انه يجرؤ حتى عـلى قراءة القرآن على لخم وجذام رغم انهم عرفوا بميلهم عنه الى النصرانية ، لا سيما وقد اتبعه بقوله انه يعظ عظة الازارقة ويبطش بطش الجبارين ، أى كأنه يستطيع ان يتلون هذا التلون دون خشية ، ويردفه بقوله :

---

(٢٧) اليعقوبى : البلدان : ص ٣٤٤ .

(٢٨) البيان . (ط عبدالسلام هرون) حـ ٣ ص ١٦٤ .

« اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا »

هذا مع العلم ان لخما اشتهرت من بين كثير من القبائل العربية بالنصرانية ، منذ الجاهلية ، وقد قال الجاحظ فى موضع آخر :

« هذا مع ما كان فى العرب من النصارى الذين يخالفون دين مشركى العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان وعبدالقيس وقضاعة وغسان وسليح والعباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب ، وهم خلطاء وأعداء يغاورون ويسبون ويسبى منهم ، وفيهم الثؤور والاوتار والطوائل وهى العرب وألسنتها الحداد »(٢٩) .

على أن بعض الرواة يثير شكا حول صحة انتساب تميم الدارى الى أصل عربى ، بل قيل هو مولى ، قيل : « فرض عمر لأهل بدر عربهم ومواليهم فى خمسة آلاف ، وقال لأفضلنهم على من سواهم .. عن عامر قال : كان فيهم خمسة من العجم منهم تميم الدارى وبلال . قال وكيع : الدار من لخم ولكن الشعبى قال هذا ! (٣٠) » .

★ ★ ★

ولنرجع الى الحديث عن تميم نفسه : يقال ان تميما الدارى هذا كان من الصحابة ، وانه كان يدين بالنصرانية قبل الاسلام ، ثم أسلم . وتروى فى خبر اسلامه قصة طريفة تصله بالجن وتنسب اليه الحديث الى شخصيات غير مرئية ، وتروى القصة على لسانه هو :

« .. قال تميم الدارى كنت بالشام حين بعث رسول الله (صلعم) فخرجت الى بعض حاجتى وادركنى الليل ، فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة ، قال فلما أخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا أراه : عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله ، فقلت : ايم تقول فقال : قد خرج رسول الله (صلعم) وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ،

---

(٢٩) الجاحظ : الحيوان (ط عبدالسلام هرون) . حـ ٧ ص ٢١٦ .
(٣٠) البلاذرى : فتوح . حـ ٥ ص ٦٣٧ ــ ٣٨ .

ورُميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم ، فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبا به وأخبرته الخبر فقال : قد صدقوك تجد يخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو آخر الانبياء فلا تسبق اليه فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله (صلعم) فأسلمت » (٣١) .

وان تميما لقب في الاسلام بلقب راهب الامة(٣٢) . وترد رواية متأخرة في انه تزوج بأخت أبي بكر ، على أن الرواية غريبة في بابها عن أمر هذه العلاقة ، ولم أجدها عند غير البلخي ؟ يقول : « .. ولا يعرف لأبي بكر أخ ولكن له أختان ام فروة بنت ابي قحافة تزوجها تميم الداري ثم لما رجع الاشعث بن قيس الى الاسلام بعد ردته زوجها منه أبو بكر(٣٣)» (كذا !) ..

وتؤكد أكثر من رواية أن تميم الداري كان قد ارتكب سرقة مال أحد أصحابه أيضا قبل أن يسلم لكنه أدرك النبي وأسلم وغفر له ، ونزلت فيه بعض آيات القرآن على أن الخبر ورد بأشكال مختلفة جعلت بعض المؤرخين يشك ـ قبلنا ـ في صحتها ، لاسيما بعض ما روى باسناد محمد بن السائب الكلبي الراوية المعروف(٣٤) .

ويقترن اسم تميم في بعض الروايات بشخصيات معروفة في التاريخ الاسلامي كشخصية سلمان الفارسي مثلا ، فنجد الداري على مستوى واحد مع سلمان الفارسي في علمه ، يقول قتادة : « في قوله تعالى ومن عنده علم

---

(٣١) المقريزي : ضوء الساري . ص ١٧١ ـ ٧٢ ، وبشيء من الاختلاف عند ابن عساكر : التاريخ . حـ ٣ ص ٣٥٥ .

(٣٢) راجع :

De Slane, Ibn Khallikan, Wafyat., Vol. II p. 21, note 3.,

نقلا عن مخطوط بعنوان (مجمع الاحباب) ، راجع أيضا . العسقلاني : لسان الميزان (ط ؟) حـ ١ ص ٣٧٢ .

(٣٣) البلخي : البدء والتاريخ حـ ٥ ص ٧٧ .

(٣٤) المقريزي : ضوء الساري ص ١٦٨ وابن عساكر (عن الترمذي) : التاريخ . حـ ٣ ص ٣٥٤ ـ ٥٥ ، والذهبي في : العسقلاني لسان الميزان حـ ١ ص ٣٧٢ .

الكتاب قال : منهم عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسى ، وتميم الدارى (٣٥) » .

كما تقترن شخصيته ببعض الشخصيات البطولية فى الاسلام ، كشخصية موسى بن نصير الذى كاد أن يصبح فى بعض السير كشخص عنترة ، وهو فى الواقع من الشخصيات التاريخية التى استغلتها قصص ألف ليلة وليلة مثلا . وقيل ان موسى بن نصير روى عن تميم الدارى ، ويتضح فى الرواية عطف تميم الدارى على الروم ـ قال موسى بن نصير :

« كان تميم الدارى فى البحر غازيا ، فكان يرسل الي لأرسل اليه بالاسارى من الروم فيتصدق عليهم ويأمر بهم فيغسلوا ويدهنوا ويمشطوا » (٣٦) .

وعن موسى بن نصير أيضا قال : « كنا فى غزاة مع تميم الدارى فى البحر فكان يأمرنا بمشط رؤوس الاسارى ودهنهم » (٣٧) .

وتميم الدارى وموسى بن نصير كلاهما كانا من أبناء بلد واحد ، من بلد الخليل بقرب البيت المقدس (٣٨) وينسب الى تميم حتى الجمع الاول للقرآن فى حياة النبى فى جملة ممن كتبه من الصحابة ، فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت (٣٩) .

وتميم كان الاول فى فعل أشياء كثيرة فى الاسلام كان فيها المبتدى المبتدع ، فمن جملة ما فعله انه كان : أول من قص فى الاسلام بأمر من عمر اذ جعل له يوما واحدا فى الاسبوع ، فلما كان زمن عثمان جعل له يوما آخر (٤٠) ، وهو أول من أسرج فى المسجد (٤١) ، وهو من أوائل من ختم القرآن فى الليلة الواحدة ثمانى مرات ، ولتنسكه وعبادته قام سنة

---

(٣٥) المقريزى : ن.م ص ١٧٢ .

(٣٦) ن.م . ص ١٧٦ .

(٣٧) ن.م .

(٣٨) ترجمته فى ابن خلكان : وفيات (مكتبة النهضة) ح ٤ ص ٤٠٢ ، وياقوت : معجم البلدان : ح ٢ ص ٤٦٨ .

(٣٩) المقريزى : ن.م ص ١٧٢ .

(٤٠) ابن عساكر : التاريخ ح ٣ ص ٣٥٧ .

(٤١) ن.م . وأيضا العسقلانى : لسان الميزان ح ١ ص ٣٧٢ .

يتهجد ويصلى لأنه أغفل ونام ليلة واحدة ، وقد جلس الى مجلس وعظه عمر بن الخطاب نفسه ، واعترف بفضله : قيل وفى سنة ١٤هـ « سن عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان وكتب بذلك الى البلدان وأمر أبي بن كعب وتميم الدارى أن يصليا بالناس ، فقيل له فى ذلك ان رسول الله لم يفعله وان أبا بكر لم يفعله ، فقال : ان تكن بدعة فما أحسنها من بدعة »(٤٢) .

كما روى عنه النبى نفسه فى اوصاف العذاب والموت الى جانب قصة الجساسة (٤٣) ، بل وتنسب اليه بعض المعجزات « أخرج البيهقى عن معاوية بن حرمل أن نارا ظهرت بالحرة فى زمن عمر فقال لتميم : قم الى هذه النار ؛ فانطلق اليها تميم وجعل يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ودخل خلفها فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير »(٤٤) .

وقيل انه صنع المنبر الاول للنبى فى مسجده ، وقد كان من قبل يجلس على جذع نخلة(٤٥) ، ثم فوق كل هذا وذاك كان تميم اول من أقطعه النبيّ أرضا لم تكن فتحت بعد ، وسأتحدث عنها فيما بعد .

ومعرفة تميم وعلمه لم يقتصرا على كل ذلك وانما يتصل اسمه بمظهر مهم من مظاهر الحياة الفكرية فى الاسلام ، هو هذه الصلة التى نجدها بين عناصر الثقافات المختلفة ، التى تم امتزاجها بصورة خاصة فى العصر العباسى ، وبدأت تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة ، بما فى ذلك الادب ، والقصص بصورة خاصة . ويبدو هذا المزج واضحا حين نتفحص شخصية تميم الدارى هذا ، وطبيعة القصص التى نسبت اليه ، لا سيما قصة المسيح الدجال ودابة الارض ، والجساسة التى تكاد المصادر التى تذكر تميما جميعها تتفق على نسبتها اليه ، وان النبى نفسه نقل عنه حديث الجساسة .

قال الحافظ ابن عساكر : « أخرج الحافظ بسنده الى فاطمة بنت قيس انها قالت : نادى النبى (ص) الصلاة جامعة . ثم جلس على منبره ثم أقبل

---

(٤٢) اليعقوبى : تاريخ . حـ ٢ ص ١٥٩ .
(٤٣) ابن عساكر : التاريخ حـ ٣ ص ٣٤٨ ـ ٥٠ .
(٤٤) ن.م . حـ ٣ ص ٣٥٦ ـ ٥٧ .
(٤٥) راجع رحلة ابن بطوطه (دار صادر) ص ١١٩ .

علينا بوجهه فتبسم وقال : انى لم أدعكم لرغبة ولا لرهبة ، ولـكن جمعتكم لحديث حدثنيه تميم ان تميما أتانى فبايعنى وحسن اسلامه فأخبرنى انـه ركب البحر فى ناس من لخم وجذام فى سفينة ، وذكر حديث الجساسة. قال الحافظ : هذا حديث غريب[٤٦] » .

وفى حديث الجساسة جاء على لسان النبى :

« .. ان تميما الدارى حدثنى انـه ركب البحر فى نفـر من أهـل فلسطين فرمت بهم الريح الى جزيرة فخرجوا فاذا هم بشىء طويل الشعر كبير ... فقلنا لها : ألا تخبرينا وتستخبرينا ، فقالت : ما أنا بمخبركم شيئا ولا مستخبركم ولـكن ايتوا هذا الدير فان فيه من هو فقير اليكم يستخبركم. قالوا : ما انت قالت : أنا الجساسة فأتينا الدير فاذا فيه انسان نضر وجهه به زمانه ، قال : وأحسبه موثق . قال : من أنتم قلنا نفر من العرب . فقال : هل خرج نبيكم قالوا : نعم قال : ما صنعتم ؟ قلنا : اتبعوه قال : أما ان ذلك خير لهم . قال : فما فعلت فارس والروم قلنا : العرب تغزوهم ، قال : فما فعلت البحيرة ، قلنا ملأى تدفق قال : فما فعل نخل الاردن وفلسطين قلنا : قد أطعم قال : فما فعل زغر قلنا تسقي ويسقى منها . فقال : أما أنا فمسلط عـلى الارض كلهـا ليس طيبـة . قـال رسول الله (ص) : طيبـة المدينـة لا يدخلها »[٤٧] .

وقد نقلت أكثر المصادر هذا الحديث مفصلا او مختصرا او أشارت اليه منقولا عن تميم الدارى[٤٨] . أما المسعودى ، ينقل الحديث مختصرا ويضيف فى وصف هذا المخلوق حبيس القصر قائلا : « .. وانه خاطبهم وساءلهم وانه الدجال ، وانه اخبرهم بجمل من الملاحم » ![٤٩]

---

(٤٦) التاريخ : حـ ٣ ص ٣٤٤ .

(٤٧) ن.م .

(٤٨) راجع : العسقلانى : لسان حـ ١ ص ٣٧٢ ، ابن الاثير : اسد الغابة : حـ ١ ص ٢١٥ ـ قال : حدث عنه (أى عن تميم) انـبى حديث الجساسه وهو حديث صحيح !

(٤٩) مروج : حـ ٤ ص ٢٧ .

وأضاف المسعودى على ذلك معلقا :

« .. وهذا باب يكثر ويتسع وصفه ويعظم شرحه .. »

وحين كتب المقريزى رسالته الخاصة فى تميم الدراى ، أفاض فى وصف حديث الجساسة ونقله بتفصيل أكبر ، على أن الحديث ينقل فى كل الاحوال تقريبا مسندا الى فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ؛ قال المقريزى فى هذا الحديث (منقولا عن فاطمة أيضا) :

« .. سمعت المنادى منادى رسول الله (صعم) ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله وكنت فى صف النساء الذى يلى ظهر القوم فلما قضى رسول الله (صلعم) صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : ليلزم كل انسان مصلاه ، ثم قال : اتدرون لم جمعتكم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : انى والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثنى انه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعبت بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارفوا الى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر .

فقالوا : ويلك ما انت قالت : الجساسة قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق ، قال : فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأينا قط خلقا واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه بالحديد الى كعبيه ، قلنا ويلكما انت قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم . قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم ارفأنا الى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربنا فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لايدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا ويلك ما انت قالت : الجساسة قلنا

وما الجساسة قالت : اعبروا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة •

قال : اخبرونى عن نخل بيسان ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر فقلنا نعم ، قال : أما انها يوشك ان لا تثمر ، قال : اخبرونى عن بحيرة طبرية ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر قال : هل فيها ماء قالوا : هى كثيرة الماء • قال : أما انها يوشك أن يذهب • قال : أخبرونى عن عين زغر قالوا : عن أى شأنها تستخبر ، قال : هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين ، قلنا له نعم هى كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها قال اخبرونى عن نبى الاميين ما فعل : قالوا : خرج من مكة ونزل يثرب قال : أقاتله العرب ، قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ، فأخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا نعم • قال : أما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه ، وانى مخبركم عنى انى انا المسيح ، وانى اوشك ان يؤذن لى فى الخروج فأخرج فى الارض فلا أدع قرية الا هبطتها فى اربعين ليلة الا مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما ، كلما اردت ان ادخل واحدة او واحدا منها استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها •

قال [ت] قال رسول الله (صلعم) وطعن بمخصرته فى المنبر : هذه طيبة ، هذه طيبة يعنى المدينة ، ألا هل كنت احدثكم ذلك فقال الناس : نعم • قال فانه أعجبنى حديث تميم انه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، الا انه فى بحر الشام وبحر اليمن لا بل هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ؟ وأومأ بيده الى المشرق قالت : فحفظت هذا عن رسول الله (صلعم) » (٥٠) •

والمعروف ان فكرة المسيح الدجال تنعكس فيها صور للحياة الفكرية والسياسية للمجتمع الاسلامى ،والعباسى بصورة خاصة ، وكثيرا ما تستعار هذه الصور من مصادر غير اسلامية • ويبدو ان السبب الرئيس الذى من

---

(٥٠) المقريزى : ضوء السارى ص ١٥٤ ـ ١٥٦ •

أجله نسبت هذه القصة ـ في المصادر الاسلامية ـ الى تميم الدارى بالذات انه كان نصرانيا وأسلم ـ على ما تدعى الروايات ـ وانه كان على اتصال بالاصول المسيحية للفكرة ، هذا يضاف الى انه من لخم ، القبيلة التى يتصل تأريخها قبل الاسلام بتاريخ ابراهيم والانبياء • ولا نستطيع أن نتجاهل الطابع الاسلامى فى القصة ، من تفضيل للدعوة الاسلامية وللنبى •

ولكى تتم جوانب صورة الدارى فى الادب العربى ، والقصص والاحاديث خاصة ، ولكى نفسر علاقة الداريين ـ حتى من بعد الاسلام ـ بيت المقدس وفلسطين وبيت ابراهيم •• الخ لا بد من ملاحظة أمر آخر مهم ، ترجع أصوله من قبل الرواة ، الى النبى محمد نفسه ، وأقصد بذلك مسألة الاقطاع التى قيل فيها ان النبى أعطى تميما أرضا فى فلسطين • والذى يهمنى فى هذا البحث ان هذا الاقطاع سواء كان منه صورته التى كتب فيها أو الموضع الذى أقطع من فلسطين ، ما هو الا تتمة لجوانب هذه الصورة التى اتحدث عنها لتميم الدارى واعنى بذلك :

شخصية القاص التى ترتبط بالاسرائيليات القديمة من جهة ، وبالاسلام من جهة أخرى • أما بقية العوامل ـ وهى كون تميم من لخم ، ومن أصل نصرانى ، ومن سلالة ابراهيم النبى •• الخ • فهى عوامل مساعدة على بناء هذه الشخصية الغريبة فى القصاص •

فعلاقة تميم بهذا الاقطاع من جهة ، وبالموضع الذى أقطع فيه هى تأكيد واعتراف للداريين واللخميين على العموم بعلاقتهم بالانبياء ، وبالبيت المقدس ، والرابط بين هؤلاء جميعا والاسلام ، انما هو تميم الدارى نفسه الذى أسلم •

★ ★ ★

تروى المصادر التى بين أيدينا صورة هذا الاقطاع بأشكال مختلفة • وقد قيل ان النبى كتبه فى مكة ثم أكده ثانية بعد الهجرة فى المدينة ، وان تميما وفد عليه فى الحالتين ـ أى فى مكة وفى المدينة[٥١] • على أن

---

(٥١) المقريزى : ضوء السارى • ص ١٦٠ ـ ٦١ •

الروايات تتفق فى بعض الخطوط العامة ، ومن ذلك ان تميما هو الذى عين المواضع التى أقطعها ، وانه وفد بجمع من الداريين يختلف عددهم ، باختلاف الروايات • على انه قبل أن أشير الى بعض صور هذا الاقطاع اود أن أشير الى أن المهم عندى هناليس هو الصدق التأريخى لهذه النصوص او الاحداث ، بل هو دلالتها على شخصية تميم وعناصر هذه الشخصية •

قال المقريزى : « وخرج ابن عساكر من طريق حميد بن زنجوية فى كتاب الاموال قال حدثنا الهيثم بن عدى قال : انبأنى يونس عن الزهرى وثور بن يزيد عن راشد بن سعد قال : قام تميم الدارى وهم تميم بن اوس ، رجل من لخم ، فقال : يا رسول الله ان لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها حبرى ، وأخرى يقال لها : بيت عينون ، فان فتح الله عليك الشام فهبهما لى ، قال : هما لك • قال فاكتب لى بذلك كتابا فكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى ان له قرية حبرى وبيت عينون كلها سهلها وجبلها وماؤها وحرثها وانباطها ، ولعقبة من بعده لا يحاقه ولا يلجها عليهم أحد بظلم ، فمن ظلمهم او أخذ منهم شيئا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين • وكتب علي »(٥٢) •

وفى رواية أخرى :

« •• فدعا رسول الله (صلعم) بقطعة جلد من ادم فكتب فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما وهب محمد رسول الله الداريين ان أعطاه الله الارض ، وهب لهم بيت عين وحبرون وبيت ابراهيم بما فيهن لهم أبدا ، شهد عباس بن عبدالمطلب وجهم بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب • قال : ثم دخل بالكتاب الى منزله وغشاه بشىء لا نعرفه وعقده من خارج الرقعة بسير عقدين وخرج الينا به مطويا وهو يقول : ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين • ثم قال :

---

(٥٢) ن•م • ص ١٦٣ •

انصرفوا حتى تسمعوا بى قد هاجرت »[٥٣] •

ثم يجدد النبى لهم كتاب الاقطاع بعد الهجرة فى المدينة ويشهد على ذلك كلا من أبى بكر بن ابى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان[٥٤] • ولا نستطيع الا نلاحظ هذا التسلس التأريخى الذى وردت فيه أسماء الشهود[٥٥] •

وهناك صور أخرى للاقطاع وروايات كثيرة ، سواء منها ما كان فى كتب الحديث او الفقه او غيرها[٥٦] • لـكن المصادر المتأخرة جدا تشير الى أمور تسترعى نظر الباحث ، قد لا تشير اليها المصادر المتقدمة أبدا • ويبدو فى هذه المسألة أثر العامل الزمنى واضحا فى التأثير على محتواها وشخصياتها• ففى كتاب انس الجليل لمجيرالدين الحنبلى ــ وهو من كتاب القرن العاشر الهجرى ، جاءت أمور حول هذا الاقطاع لم توردها المصادر الاولى ، وان كان يبدو لى ان المؤلف ينقل عن ابن فضل‌الله العمرى (من كتّاب القرن الثامن الهجرى) ، عن كتابه (مسالك الابصار) ، الا انه لايشير الى ذلك •

قال الحنبلى :

« اقطاع تميم الدارى الذى أقطعه له النبى (ص) وهى الارض التى بها بلد سيدنا الخليل عليه السلام وما حولها من الارض وكتب له ذلك فى قطعة اديم من خف أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (رض) ، وقد حكى

(٥٣) ن٠م ٠ ص ١٦٠ ٠ وايضا : ابن الفركاح : كتاب باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس ، نشره وقدّم له
Ch. D. Mathews; Jpos, Vol. XIV 1934 no. 4 pp. 284-93; Vol. XV 1935, no. 1-2 pp. 51-87.

(٥٤) ن٠م ٠ ص ١٦٢ ٠

(٥٥) راجع المقال الذى كتبه F. Krenkow فى :
Islanica Leipzig vol. I 1924-25 pp. 524-32

بعنوان :

"The Grant of Land by Muhammad to Tamin ad-Dari"

(٥٦) راجع مثلا : ابن سلاّم : الاموال (سنة ١٩٥٣) ص ٢٧٤ ، ابو يوسف : الخراج (السلفيه) ص ٢١٦ ٠

المؤرخون لفظ الانطا على وجوه مختلفة وقد رأيت عند المتكلم(٥٧) عن الاقطاع المشار اليه القطعة الاديم التى يقال انها من خف أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (رض) ، وقد صارت رثة وفيها بعض اثر الكتابة ، ورأيت معها ورقة مكتوبة فى الصندوق الذى فيه القطعة الادم منسوب خط هذه الورقة الى امير المؤمنين المستنجد بالله العباسى ، تغمده الله برحمته كتب فيها نسخة الانطا • صورة ما كتبه :

« الحمد لله نسخة كتاب رسول الله (ص) الذى كتبه لتميم الدارى وأخوته فى سنة تسع من الهجرة الشريفة بعد منصرفه من غزوة تبوك فى قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه نسخته كهيئته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطا محمد رسول الله لتميم الدارى واخوته ، حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن نطيّه بت بدمنهم [بذمتهم ؟] ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم •• »(٥٨) •

والشك عظيم حول صحة نسبة هذا الاقطاع الى النبى • ويظن ان الداريين وضعوه فى حوالى نهاية حكم الراشدين وقبل حوالى سنة ٣٧ هـ أو سنة ٤٠هـ او ربما قبل تولى معاوية الخلافة(٥٩) •

والمهم فى بحثنا هنا الدلالة التى تحملها هذه النصوص ، وبصورة خاصة ما يتعلق منها بتميم الدارى من جهة وبالموضع الذى قيل ان الاقطاع أعطى فيه ، وهو حبرون او المرطوم وبيت ابراهيم •

ان هذا الموضع مهم بالنسبة لبحثى هذا • فجميع صور الاقطاع تقريبا

---

(٥٧) لست ادرى اذا كان المقصود بهذا ان الحنبلى رأى صورة الاقطاع بنفسه ، أو هو ينقل كلام ابن فضل‌الله العمرى الذى يبدو انه رأى الاقطاع بنفسه فى حبرون ، عند احد ورثة تميم الدارى ، كما ذكر فى (مسالك الابصار) : ط سنة ١٩٢٤ ، حـ ١ ص ١٧٢ ـ ١٧٥ ، على ان المؤلفين يتفقان فى التفاصيل •

(٥٨) انس الجليل تاريخ القدس والخليل : مخطوطة المتحف البريطانى (or. 1546) ، ورقة ١٧٤ آ ، ب • والكتاب مطبوع فى القاهرة سنة ١٢٨٣هـ •

(٥٩) راجع مقالة Krenkow المذكورة سابقا •

تنفق على أن موضع الاقطاع كان في حبرون أو عينون والمرطوم • وحبرون هي من أرض فلسطين • وترجع أهميتها الى أزمان تاريخية قديمة تربطها بصورة وثيقة بتاريخ الانبياء ، لاسيما بابراهيم وأبنائه من بعده • فقد قيل : (ان ابراهيم (صلعم) لما نجاه الله من النار خرج من أرض بابل الى أرض المقدسة ومعه سارة وابن أخيه لوط ورهط من قومه حتى وردوا حـران فأقاموا بها زمانا ثم خرجوا الى الاردن ، ودفعوا الى مدينة بها جبار ، وهو الذي تعرض لسارة ومنعها الله تعالى منه قال : وخرج ذلك الجبار من تلك المدينة وورثها الله تعالى ابراهيم (عم) فأثرى بها ابراهيم وانمى الله تعالى ماله وزد عليه الرزق فقاسم ابراهيم ابن أخيه لوطا (عم) فأعطاه نصفها ومات ابراهيم فدفن في حبرون قرية الجبابرة وفيها دفنت سارة في مزرعة كان قد اشتراها ابراهيم (عم) • » [٦٠]

وان اولاده من بعده قد دفنوا في مغارة حبرون بما في ذلك اسحاق ويعقوب واولادهما وزوجاتهم[٦١] ••

وتعين المصادر موضع الغار الذي دفن فيه ابراهيم زوجته سارة ودفن الى جانبها ، وترجع بعض الروايات أهمية هذه البقعة وقدسيتها الى زمن آدم نفسه « قال أهل العلم لما خرج ابراهيم (عم) من كوثا نزل بالشام في ناحية فلسطين في الموضع الذي يعرف اليوم بوادي السبع واتفق له مع أهله ما اتفق ثم نزل اللجون وأقام بها ما شاء الله ثم أوحى الله تعالى اليه أن أنزل ممرا فرحل ونزل عليه جبريل وميكايل (عم) بممرا ، وهما يريدان قوم لوط ، فخرج ابراهيم ليذبح العجل فانفلت منه فلم يزل حتى دخل مغارة حبرون ، ونودي : يا ابراهيم سلم على عظام ابيك آدم (عم) وعلى جميع

(٦٠) ابن الفركاح : باعث النفوس ص ٨٢ •

(٦١) ابو الفداء : مثير الغرام الى زيارة الخليل عليه السلام • نشره Ch. D.Mathews أيضا في Jpos, vol. XVII no. 2 pp. 108-137, no. 3-4 pp. 149-208.
وابو الفـدا كان خطيبـا في مسجد « مقـام الخليل » في حبرون • توفي سنة ٨٣٣هـ •

النبيين فوقع ذلك فى نفس ابراهيم (عم) • ثم ذبح العجل وقدمه اليهم وكان من شأنه ما قص الله تعالى فى كتابه »[٦٢] •

وان المغارة أحيطت بحائط لم يصل اليه أحد حتى جاءت الروم ففتحوا له بابا ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة ، ثم ان الله تعالى أظهر الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار[٦٣] • وقصة الحائط تروى فيها روايات مختلفة، قيل بناه سليمان بن داود بوحى من الله وان نورا قد التزق بعنان السماء من فوق المغارة دل سليمان على الموضع فبناه[٦٤]• وقيل ان الحصن كان من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة[٦٥] ، وقيل بناه اولاد يعقوب او أخوته وحوطوا على المغارة حائطا وعلموا فيه علامات القبور[٦٦] •

وحبرون اشتهرت ببيت ابراهيم ، وقد سميت باسمه فيما بعد (بلد الخليل) ، قال ياقوت : « الخليل اسم موضع وبلدة فيهـا حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم فيه قبر الخليل ابراهيم (عم) فى مغارة تحت الارض وهناك مشهد وزوار وقوام فى الموضع وضيافـة للزوار • وبالخليـل سمى الموضـع واسـمه الاصلى حبرون ، وقيـل حبرى »[٦٧] •

ويبالغ الرواة فى قدسية حبرون بصورة تلفت النظر ؛ فقد قيل عن ابن عباس انه قال : « لما أراد الله ان يقبض روح خليله ابراهيم (صلعم) أوحى الله عز وجل الى الدنيا انى دافن فيك خليلى فاضطربت اضطرابـا شديدا وتشامخت جبالها وتواضت [تواضعت ؟] منها بقعة يقال لها حبرى ، فقال الله لها : يا حبرى انت شعوعى انت شعشوعى انت قدسى ، فيك خزانة

---

(٦٢) ن٠م ٠ ص ١٧٨ ٠
(٦٣) ن٠م ٠ ص ١٨٠ ٠
(٦٤) ياقوت : **معجم البلدان** : (Wustenfeld) ، ح ٢ ص ١٩٤ _ ٩٥ ٠
(٦٥) ابو الفداء مثير الغرام ٠ ص ١٨٤ ٠
(٦٦) ن٠م ٠ ص ١٨٠ ٠
(٦٧) ياقوت : معجم البلدان ح ٢ ص ٤٦٨ ٠

علمي وعليك انزل رحمتي وبركاتي واليك أحشر خيار عبادي من ولـد خليلي فطوبى لمن وضع جبهته فيك لى ساجدا ، اسقيه من حضرة قدسي وآمنة أفزاع قيامتي وأسكنه الجنة برحمتي فطوباك ثم طوباك ادفن فيـك خليلي »(٦٨) .

فنحن نرى أن هذه البقعة قد أصبحت مادة طيبة للقصص ، لاسيما القصص الديني ، وذلك لعلاقتها بالاديان القديمة وبابراهيم خاصة . ولعل الداريين انفسهم هم مصدر كثير من هذا القصص الذي يدور على ألسن الرواة . ولقد ظلت قرية حبرون عامرة أمدا طويلا ، وظل بها الداريون يدعون هذا الانتساب الى ابراهيم ، والى تميم الداري . فقد قال المقدسي في وصف حبرون :

« وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخدام مرتبون يقدمون العدس بالزيت لـكل من حضر من الفقراء ويدفع الى الاغنياء اذا أخذوا ، ويظن أكثر الناس انه من قِـرى' ابراهيم وانما هو من وقف تميم الداري وغيره ، والافضل عندي التورع عنه »(٦٩) .

ويبدو ان الداريين جعلوا هذه الضيافة وكأنها سنة متبعة منذ عهـد ابراهيم ، وتقليد ساروا هم عليه من بعده ، خاصة وان ابراهيم اشتهـــر بضيافته ، وقيل انه اول من أضاف الضيف ، قال الثعالبي : « ويروى انـه (أي ابراهيم ع) اول من أضاف الضيفَ حتى كنى أبا الضيفان وسنته باقية جارية ببيت المقدس الآن »(٧٠) .

ونعلم أيضا من مصادر متأخرة ان الداريين كانوا جماعة كبيرة لهـا شأن في هذه المنطقة فقد جاء ان واقعة وقعت في سنة ٨٧٨هـ في بلد الخليل « وهي فتنة جرت بين طائفة الدارية وطائفة الاكراد فحصل بينهما تشاجر

(٦٨) ابن الفركاح : باعث النفوس ص ٨٢ ـ ٨٣ .
(٦٩) احسن التقاسيم (Leiden) ص ١٧٢ ـ ٧٣ ، أبو الفداء مثير الغرام ص ١٨٤ ـ ٨٥ .
(٧٠) لطائف المعارف (١٩٦٠) ص ٧ .

واتشر الكلام بينهما ، فقتل من الفريقين ثمانية عشر نفرا ، واستنفر كل طائفة من ينتصر لها من العشير ، فدخلوا المدينة ونهبوا ما فيها عن آخره الا القليل منها ، وخربت أماكن واجتمع أهل البلد من الاكراد ودخلوا بأولادهم ونسائهم الى المسجد الشريف وأغلقوا الابواب ، ودخل جماعة الدارية الى القلعة وتحصنوا بها ، وكانت حادثة فاحشة لم يسمع بمثلها فى هذه الازمنة .. »(٧١) .

على أن الغريب ان ابن بطوطة حين وصف هذه المنطقة ، ووصف المغارة وبيت ابراهيم..الخ ، لم يشر الى ملك الداريين ولا الى جماعتهم بشيء(٧٢).

الخلاصـــة :

ملخص القول ان تميما الدارى هذا ، الذى يثير الجاحظ حوله هذا الغبار من الشك هو شخصية ربما وجدت حقيقة فى اوائل الاسلام ، بدليل أن جميع المصادر التى تتحدث عن الصحابة او عن الحديث او السيرة او المغازى او الطبقات تشير اليه بقليل او بكثير . وبما أن أكثر المصادر تتفق على نسبته الى لخم ، وانه كان نصرانيا فأسلم ، ولخم اشتهرت بعلاقتها بالنصرانية ، وبالروم ، كما اشتهرت بين الرواة بعلاقتها بتاريخ الانبياء ، فقد انتقلت شخصية تميم من الواقع التاريخى ، الى المجال الادبى القصصى ، الذى يلعب فيه الخيال دورا مهما ، لا سيما والعناصر المكونة لشخصية تميم كلها ساعدت على هذا الانتقال . فتميم كان حلقة وصل بين الاسرائيليات وقصص الانبياء ، وبين الاسلام . يضاف الى ذلك كله علاقة تميم والداريين بيت ابراهيم ، التى يسندها الداريون بوثيقة تأريخية اسلامية ، ولا يكتفى بعلاقتهم بهذه المواضع قبل الاسلام ، بل أعطيت هذه العلاقة طابعا اسلاميا عن طريق هذا الاقطاع الذى قيل ان النبى منحه للداريين . وبذلك أصبحت شخصية تميم أرضا صالحة لكى ينسب اليها الرواة كل ما يجد

---

(٧١) الحنبلى : انس الجليل : ورقة ٢٣٢ أ .
(٧٢) رحلة ابن بطوطه ص ٥٥ .

فى الاسلام ، كما أصبحت ملجأ مهما للقصاص ، تختلط فيه عناصر خيال أجيال مختلفة ، ظل كل جيل يزيد عليها عصرا بعد عصر حتى زمن متأخر .

والفخر للجاحظ اذ نبه على هذه الشخصية الغريبة ، وان كان الجاحظ لم يتعرض لتميم بالنقد والفحص ، الا انه اكتفى بأن يذكره ويحيط شخصه بشكه الذى يحمل شيئا من السخرية أيضا ، ويتساءل عنه من بين أمور كثيرة غامضة تساءل عنها .

وديعة طه النجم

منطق اللغة

نظرية عامة فى التحليل اللغوى

الدكتور ياسين خليل

١ ــ خطة البحث وهدفه العلمي والطريقة المقترحة

تمهيـــد

١ ــ يتضمن هذا البحث نظرية جديدة ومنهجا جديدا فى تحليل اللغة من نواحيها المختلفة ، ولقد استعنت بمبادىء المنطق الرياضى فى وضع القوانين والمبادىء الاساسية التى تؤلف طبيعة اللغات ، وبذلك نكون قد وضعنا اسسا جديدة لفهم مقومات اللغة الاساسية • وهذه النظرية مفيدة للدراسات اللغوية والمنطقية والفلسفية لانها تعالج التركيب العام للغة والمعانى المقترنة بالعبارات اللغوية كما انهـا تهتم بدراسة علاقة الفرد المتكلم بالعبارات الصادرة عنه •

وعلم اللغة Linguistics يدرس الخصائص الاساسية للغات ، فنجد فى هذا المضمار مذاهب وطرقا مختلفة فى تحليل اللغة تحاول فهم تركيبها وظواهرها مستعينة بالطرق العلمية والفلسفية • ولـكننا نجد رغم هـذه الاختلافات فى تحليل اللغة اتجاها حديثا يحاول تطبيق المنطق الرياضى على اللغات[١] للوقوف على تركيبها المنطقى العام ،

---

(١) نذكر على سبيل المثال بعض البحوث الحديثة التى تحاول تطبيق المنطق الرياضى على اللغة •

(1) Bloomfield, L., A set of Postulates for the Science of Language
(2) Hjelmslev, L., & Uldall, H. J., Outine of Glossematics
(3) Khalil, Y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse

وهـذا يعنى ان المنطق والرياضة أخذا يقتربان من اللغـة لدراستها وكشف نظامهـا التركيبى والدلالى ، وكان من نتائج هـذا التقارب ان نشأ احـد فروع المعـرفة حديثـا وهو « علم اللغـة الرياضى » Mathematical Linguistics وأخـذت الجامعات العالميـة تدرس هـذا الفرع وتهتم به •

٢ ـ اما دور نظريتنا العامة فى هذا المجال فانه يقوم بخدمة البحوث المنطقية واللغوية والفلسفية معا ، لان هذه النظرية تضع المبادىء الاولية لـكل لغـة وتكشف لنا عن تركيب اللغات ودلالات العبارات اللغـوية فى وضعيات لغوية واجتماعية مختلفة •

وسنحاول فيما يأتى ان نضع مخططا عاما لعلم اللغة بحيث نستطيع ان نبني القاعدة الاساسية للبحث التى بواسطتها نشتق الظواهر اللغوية الرئيسـية المتعلقـة بالسنتاكس Syntax وبالسـيمانطيقة Semantics وبالبراجماطيقة Pragmatics ونقصد بالسنتاكس العلم الذى يدرس التركيب اللغوى أو المنطقى للغة ، بينما تهتم السيمانطيقة كعلم بدراسة المعـاني والدلالات التى تقترن أو تشير اليهـا العبارات اللغوية • اما البراجماطيقة فهى علم يدرس علاقة الفرد المتكلم بالعبارات اللغوية • والى جانب ذلك سيكون من مهمتنا أيضا تثبيت بعض طرق البحث الخاصة بالظواهر الرئيسية ، بحيث تأتى بنتائج مثمرة تهم علم اللغة والمنطق والفلسفة • ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان العلم الذى يضم السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة يسمى عادة « السيموطيقة » Semiotics أو علم العلامات(٤) ، ويتميز هذا العلم بانه يدرس اللغة من نواحيها المختلفة ويضع فى الاخير نظرية عامة لدراسة الظواهر

---

(٤) بحث موريس فى كتابه المعروف « بأسس نظرية العلامات » الذى عالج فيه اللغة والانظمة اللغوية أو المنطقية على أساس ما حققه المنطق الرياضى من انجا ات علمية ، فناقش السنتاكس المنطقى والسيمانطيقة المنطقيـة والبراجماطيقة كما اعتبر نظرية العلامات علما من العلـوم وآلة للعلوم الاخرى أيضا Foundations of the Theory of Signs p. 2

اللغوية المختلفة مجتمعة • وعلى هذا الاساس يكون علم العلامات علما له قاعدة عامة مشتركة للدراسات اللغوية ، كما انه نظرية عامة تضم البحوث اللغوية التى تعالج التركيب اللغوى والمعنى والدلالة وصلة الفرد المتكلم باللغة • فمن واجبنا فى هذا الصدد ان نضع أولا القاعدة الاساسية للغة التى تشمل القوانين الرئيسية المكونة لكل لغة والتى بغيرها لا يمكن لاية لغة ان تعيش ، وسنحاول كذلك ان ندرس الظواهر الاساسية للغة مستعينين بالقاعدة العامة بحيث نبني عليها العلوم اللغوية الاخرى التى هى السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة •

(١) خطة البحث وهدفه

٣ ـ يجب أن تتضمن القاعدة الاساسية للبحوث اللغوية جميع الصفات والخصائص العامة ، بحيث نستطيع بواسطتها فهم كل ظاهرة لغوية ، كما ان بناء مثل هذه القاعدة وتخطيطها يتطلب برنامجا يكون فيه لكل ظاهرة لغوية تفسير •

واذا ما اعتبرنا نظرية العلامات وسيلة كافية لامدادنا بالمعرفة العلمية لكل ظاهرة لغوية ، فان من واجبنا تبعا لذلك بناء نظام منطقى عام للغة ككل وانظمة اخرى لكل من السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة •

٤ ـ ان الواجب الذى نريد تحقيقه فى هذه الرسالة يمكن ان يوجز بالخطوات الآتية :ـ

أ ـ ان نبني نظاما عاما للغة يبين ويضم المبادىء الاساسية للغة كوسيلة للتعبير •

ب ـ ان نجزء اللغة الى عواملها الرئيسية بحيث نضع لكل عامل نظاما له القدرة على وصف الصفات المتعلقة به • اما هذه الانظمة فتهتم بالعوامل الآتية :ـ ١ـ التركيب اللغوى ٢ـ المعنى والدلالة ٣ـ الفرد المتكلم وصلته باللغة • وهذا يعني ان الانظمة هذه ثلاث هى السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة •

ولـكى نكون على بينة من هذه الانظمة اللغوية يجدر بنا ان نحدد معانيها ومفاهيمها • نفهم تحت عبارة « السنتاكس » النظام الصورى أو الشكلى الذى يهتم بدراسة جميع العناصر والعلاقات المكونة للغة من غير ان يهتم بدلالة العبارات ومعانيها أو بصلة الفرد باللغة • واللغة هى نظام من الاصوات ينطقه الفرد بواسطة أعضائه الصوتية لـكى ينقل للافراد الآخرين أفكاره وعواطفه وأحاسيسه ، فاذا جردنا من اللغة العامل الصوتى والدلالى ، وركزنا اهتمامنا على علاقة الوحدات اللغوية فيما بينها ، فاننـا نقوم تبعـا لذلك بدراسة سنتاكية للغـة • فالسنتاكس اذن هو « دراسة للوحدات اللغــوية بعلاقتها مع وحدات لغوية أخرى من غير ان نعتبر دلالاتها »(٥) •

اما السيمانطيقة فهى نظام مؤلف من مبادىء تختص بدراسة العبارات اللغوية فيما بينها ، فاننـا نقوم تبعا لذلك بدراسة سنتاكسية للغة • بتجريد اللغة من العامل الصوتى ونركز اهتمامنا على العبارات والمعانى المقترنة بهـا ، فالسيمانطيقة اذن هى « دراسة اللغة من وجهـة نظر معانيها »(٦) •

كما نعرف البراجماطيقة بانها نظام يتألف من مبادىء تهتم بدراسة علاقة الفرد المتكلم باللغة من حيث الاصوات ودلالاتها فى وضعيات لغوية واجتماعية مختلفة •

نفهم من هذا التعريف ان البراجماطيقة تهتم بالتحليل الفيزيولوجى للعمليات التى تحدث فى أعضاء الصوت والجهاز العصبى مع فعاليات التكلم ، كما تبحث التحليل النفسى للعلاقات بين سلوك التكلم والسلوك الآخر وكما تهتم بدراسة الوضعيات الاجتماعية للافراد عند استعمالهم اللغة واختلاف العادات الـكلامية فى مجتمعات مختلفة وغير ذلك(٧) •

---

(5) Pap, A., Elements of Analytic Philosophy p:510

(٦) نفس المصدر السابق • p:508

(7) Carnap, R., Introduction to Semantics p:10

٥ ـ ولكي نحقق هذا الواجب نرى من الضرورة صياغة بعض المبادىء المساعدة التى يمكن وضعها بالصيغة الآتية :ـ

أ ـ كشف الوحدات الاساسية والعلاقات الضرورية المتميزة بكونها تكون القاعدة الاساسية التى نستطيع بموجبها أن نشق الوحدات والعلاقات اللغوية الاخرى • وبعبارة اخرى يجب ان نحدد الوحدات والعلاقات الاولية التى بواسطتها نستطيع ان نعرف الوحدات والعلاقات الاخرى ، ومن أهم ما يتميز به هذا المبدأ هو انه يمثل الخطوة العلمية الاولى فى البحوث العلمية للغة •

ب ـ تحديد الوحدات والعلاقات الاساسية فى كل نظام ، فيما اذا كان النظام برجماطيقي أو سيمانطيقي أو سنتاكسى النزعة أو الهيئة •

ح ـ بناء أنظمة من هذه الوحدات والعلاقات المكتشفة والمحدودة •

٦ ـ ولكي تتبع هذه المبادىء المساعدة في البحوث اللغوية يجب علينا ان نقترح ونخطط بعض الطرق لغرض بناء الانظمة المختلفة ، وهذا يعني اننا سوف نضع طرقا علمية فى السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة • ورغم تعدد هذه الطرق الا انها فى الحقيقة صور لطريقة علمية واحدة فى التحليل اللغوي • ومن دراساتنا التركيبية والدلالية والبراجماطيقية للغة نتوصل الى حقيقة هامة هى اننا نضع في الحقيقة نظرية عامة تدرس اللغة من جميع نواحيها ، ولقد اعطينا لهذه النظرية عبارة السيميوطيقة أو علم العلامات اللغوية • فعلم العلامات اذن علم لغوى عام من حيث انه يهتم باللغة ككل وبالظواهر والصفات اللغوية التى هى من اختصاص كل من السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة •

(٢) طريقة البحث

٧ ـ نحن نطالب لعلم اللغة باعتباره نظرية عامة لبحث اللغات ، طريقة تمزج بين المنطق واللغة بحيث يكون بالامكان كشف النقاب عن

طبيعة اللغات وتركيبها المنطقى لبناء هذا العلم على اسس دقيقة . هذه الطريقة التى سنسعى فى تطويرها فى هذه المقالة تجمع بين التحليل والتركيب معا ، فهى تكشف لنا عن الوحدات والعلاقات الاساسية بتحليل تركيب اللغة فى أجزائه ، وتبني لنا أنظمة مكونة من أفكار ومبادىء ومقاييس علمية دقيقة . وفيما يأتى سنركز اهتمامنا على بحث الوجوه المختلفة لهذه الطريقة لكى يكون من السهل علينا بعدئذ تطبيقها على مادة البحث .

أ ـ التحليل اللغوى :

٨ ـ ان واجب علم اللغةفى اعتقادنا يتركز فى تحليل اللغة تركيبا لمعرفة الخصائص التركيبية التى تحدد كلاً من النظام System والتركيب Structure للغـــة[٨] . اما الذى نقصده بالخصائص التركيبية فهي الظواهر اللغـــوية المختلفة التى هى من اختصاص علم السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة ، فهى تجمـــع الظواهر الصورية أو الشكلية والدلالية والـكلامية أو الصوتية للغة .

٩ ـ اما من حيث تحديد مادة علم الـكلام وموضوعه فواضح من كلامنا فى الظواهر اللغوية ، أى ان هذا العلم يبحث فى اللغة تركيبا صوريا ودلاليا وكلاميا . ولـكى نقوم ببحث هذه المادة فاننا نجد ان أول خطوة نستطيع ان نتخذها هى تحليل الـكلام والنصوص اللغوية الى اجزائها التى تتألف منهـا . ومن الضرورى ان تستوفى هـذه التجزئة الشروط الآتية :ـ

أ ـ تتألف كل لغة من أصوات لها خصائص متميزة تحدد الوحدات

(٨) نميز بين النظام والتركيب للغـــة ، لان الاول حسب تعريف "De Groot" مجموعة وحدات منظمة بعلاقات ، بينما التركيب يمثـل شبكة علاقات الوحدات اللغوى فهو بذلك البناء الشكلي للغة .
Khalil, Y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse p: 68-70

الصوتية التى ندعوها علميا Phonemes ، ولـكي نحدد هذه الوحدات الصوتية فمن الضرورى ان نلاحظها فى أماكن لغوية مختلفة لـكي نعرف مكوناتها وخصائصها الصوتية •

ب ــ تثبيت امكانية وجود كل وحدة صوتية مع الوحدات الاخرى وذلك بدراسة جميع احتمالات وجود هذه الوحدة الصوتية فى النصوص اللغوية المختلفة •

حـ ــ تثبيت جميع الوحدات النحوية أو الصرفية Morphological Elements وتحديدها ، وبواسطتها يقوم بنـاء جميع العبارات المفيـدة • ولتثبيت هذه الوحدات وتحديدها نستعمل الطرق الآتية :ــ

١ ــ بواسطة عمليـة التشابه ، حيث نعين الوحدات الصـرفية المتشابهة فى نصوص مختلفة •

٢ ــ بواسطة ملاحظة ترتيب الوحدات الصرفية وتتابعها •

٣ ــ بواسـطة تحـديد توزيع Distribution الوحـدات الصرفية ، وذلك من خلال امكانية وجـود كل وحـدة صرفية Morpheme فى المواضع التى تظهر فيها •

وبالاستعانة بهـذه الطرق الفرعية مع طـرق اخـرى يكون بامكاننـا اكتشاف اوليات اللغة أو مقومات النصوص اللغوية ، والتى تتكون منها جميع العبارات اللغوية بدون استثناء • ولهذه الطرق أهمية كبيرة فى البحوث الاستقرائية التى نطبقها عنـد بحث اللغـة بالطريقـة الوصفية •

١٠ــ ولابد ان نميز هنا بين مفهومين هما « قول » و « عبارة » ، حيث نفهم الاول على أساس انه متوالية نهائية مؤلفة من أصوات منطوقة ، بينما نفهم المفهوم الثانى على أساس انه متوالية نهائية مؤلفة من اشكال Gestalten (أشكال الحروف مثلا) ، بواسطتها نفهم اسس السنتاكس الوصفى للغة • والفرق بين القول والعبارة واضح ، خاصة وان معرفة

الوحدات الصوتية الداخلة في تركيب القول لا يكون الا بواسطة علم الاصـوات Phonetics ، بينما نستطيع معرفة الوحدات المـكونة للعبارة عن طريق شكلها الـكتابى وما تتميز به من خصائص وظيفية .

ب ـ قاعدة التركيب :

١١ـ ان هـذه القاعدة ضرورية لانهـا تبدأ في الوقت الذى تنتهى عنـدها القاعـدة التحليلية من العمل العملى فى ايجـاد الوحدات والعلاقات الاولية للبناء اللغوى ، فهى خطوة علمية مهمة نحو بناء النظام النظرى الذى بواسطته نحلل كل لغة الى ظواهرها التكوينية المختلفة . ويتألف النظام النظرى بدوره من السنتاكس النظرى والسيمانطيقة النظرية والبراجماطيقة النظرية . وعندما نحلل لغة ما كاللغة العربية مثلا فاننا سنتوصل الى معرفة نظامهـا الوصفى العـام الذى يحتوى السنتاكس الوصـفى والسيمانطيقة الوصفيـة والبراجماطيقة الوصفية(٩) للغـة العربية . اضف الى ذلك ان لـكل نظام من هـذه الانظمة أولياته الخاصة التى تقوم ببناء قاعدته وبالتالى النظرية باجمعها . فيجب على التحليل ان يراعى شروط ومتطلبات الانظمة ، ففى حالة كون النظام شكلى أو صورى مثلا ، فمن الضرورى أن نكشف الاوليات الشكلية لهذا النظام ، وكذلك الحال فى تركيب النظـام السيمانطيقى حيث نصل بالتحليلات اللغوية والتجزئة الى أوليات السيمانطيقة التى بدورها لا تقبل التجزئة الى اوليات سيمانطيقية أصغر منها ، وينطبق الشىء نفسه على البراجماطيقة التى لها اولياتها الخاصة . فاذا كانت أوليات النظام الشكلى للغة الوحدات الشكلية ، فان اوليات السيمانطيقة هى

---

(٩) يميـــز كارناب فى دراســـاته المنطقية فى السيميوطيقه بين السنتاكس الصورى والوصفى ، وبين السيمانطيقه الصورية والوصفية ، وبين البراجماطيقه الصورية والوصفية ، ولقد اخذنا عنه هـذا التصنيف المتضمن فى بحثه Introduction to Semantics p: 11 فى دراساتنا اللغوية بشىء من التعديل .

تلك الوحدات الدلالية التي تتميز بانها تدل على معانى أو أشياء ، اما اوليات البراجماطيقة فهي اما وحدات صوتية أو دلالية تتميز بانهـا محدودة بوضعيات اجتماعية لغوية ومرتبطة بسلوك الفرد الـكلامى •

١٢ـ وكبداية لتركيب النظام نشترط أولا الشرط الآتي :ـ

لبناء هيكل السيميوطيقة اللغوية يجب علينا أولا ان نختار العناصر أو الوحدات البنائية التي بواسطتها نقوم ببناء كل من السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة على انفراد •

فنختار للسنتاكس مثلا تلك العناصر والعلاقات التي تلائم طبيعة نظامه ، بينمـــا نختـــار وحدات وعلاقات أخرى لـكل من السيمانطيقـــة والبراجماطية التي ترجع اليها جميع الوحدات والعلاقات الاخرى في النظام لانهـا الاوليات الضرورية في البنـاء • اما اختيـار الاوليات والعلاقات فيجب ان يستوفي الشرط الآتي :ـ

يجب أن يكون للوحدات والعلاقات الاولية المختارة القوة والقابلية الارتباطية والتكوينية لـكي تحقق بناء النظام أولا ، وتجعل البناء دقيقا ثانيا •

حـ ـ النظرية والنموذج : Theory & Model

١٣ـ يجب ان نميز في الدراسات المنطقية واللغوية بين مستويين في البحث العلمى ، فالمستوى الاول هو موضوع البحث ، بينما يمثل المستوى الثاني النظام الذي نتكلم به عن موضوع البحث • وفي حالة علم اللغة يجب ان نميز بين اللغة التي نريد تحليلها ودراستها وبين اللغة العلمية التي نتكلم بها عن لغة الموضوع • ونطلق في الدراسات المنطقية على اللغة التيهيموضوع البحث اسملغة الموضوع Object-Language ونحفظ اسم اللغة العلوية Meta-Language فاللغة العربية مثلا تعتبر لغة الموضوع في حالة كونها مادة البحث ، اما اللغة أو المبادىء التي تتكلم أو تشترط وتحلل اللغة العربية فهي اللغة العلوية ، وقد

تكون هذه اللغة عربية أو أجنبية • اما الذى يميز اللغة العلوية عن لغة الموضوع فهو كونها تتألف من أفكار وقضايا وقوانين بنائية مهمة التى تمثل هيكل النظرية اللغوية العامة • ومن المحتمل ان تكون هذه اللغة العلوية لغة موضوع للغة علوية اخرى وهكذا ، كما ان هذا الاحتمال يمكن ان يتتابع الى ما لا نهاية •

اما فى حالة علم اللغة فنحن بحاجة الى لغة علوية واحدة تتكلم بها عن اللغات المتداولة ، وعلم اللغة بحد ذاته ليس الا هـذه اللغة العلوية لتحليل اللغات المختلفة وبحثها • ومن الامثلة البسيطة لافكار هذه اللغة المورفيمات والـكلمات ، والفونيمات وهكذا • تساعدنا هـذه اللغة العلمية فى تحليـل اللغات وكشف علاقات الوحدات اللغـوية المؤسسة لنظام وتركيب اللغة[١٠] • ويجب ان نشير هنا باننا نميز بين اللغـة كنظام System واللغـة ككلام Speech أو صيرورة كلامية Process[١١] ، والاختلاف بينهما واضح ، فبينما يمثـل النظام الهيكل الشكلى العام للغة ، نجد الـكلام عبارة عن اخراج هذا النظام الى حيز الوجود فى كلام منطوق مؤلف من وحدات صوتية معينـــة •

١٤ـ والنظرية العامة فى التحليل اللغوى هى نظام صورى يتألف من صيغ وتعاريف وقواعد وقضايا لها القابلية على بحث الاوجه اللغوية المختلفة بالطريقة الوصفية • وعلى هذا الاساس يجب ان تحتوى النظرية على

---

(١٠) يعتقد L. Hjelmslev ان الوحدات اللغـوية الحقيقية ليست الاصوات أو المعانى ، بل العلاقات التى تظهرها الاصوات والمعانى ، وهذا يعنى ان العلاقات المتبـادلة بين الوحدات اللغوية هى العنـاصر الحقيقية المـكونة لنظام اللغة

Hjelmslev, L., Structural Analysis of Language. p: 69

(١١) يميز L. Hjelmslev بين النظـــام والصيرورة ، ويعتقد ان لـكل صيرورة نظام بواسطته يكون تحليل الصيرورة ممكنا كمـا توصف بواسطته بعدد محدود من القضايا أو المبادىء

Hjelmslev, L., Prolegomena to a Theory of Language p: 5

مبادىء أو صيغ لها طبيعة مختلفة وهى :ـ

أ ـ المبادىء التى تؤلف السنتاكس

ب ـ المبادىء التى تؤلف السيمانطيقة

حـ ـ المبادىء التى تؤلف البراجماطيقة •

يتجلى عمل هذه المبادىء فى بحث ودراسة الخصائص أو الظواهر اللغوية الرئيسية لاية لغة كانت • ولكى نقوم بتحقيق هذه المبادىء وتطبيقها علميا يجب علينا ان نفسرها بطريقة معينة • ونقصد بالتفسير Interpretation اقران وحدات لغوية من لغة معينة للوحدات الصورية للنظرية ، بحيث نحصل على نموذج لغوى لنظام النظرية •

فنحن نفرق بين الوحدات الصورية والوصفية وكذلك بين الافكار الصورية والوصفية • ولتوضيح هذه القاعدة نأخذ اللغة العربيــة كموضوع دراسة علم اللغة ، فاذا كانت احدى قضايا أو مبادىء النظرية العامة تقول « ان الوحدات الصرفية تدخل فى علاقات مع وحدات أخرى ضمن العبارات » فاننا نستطيع ان نجد فى اللغة العربية وحدات صرفية معينة تدخل فى علاقات مع وحدات اخــرى ضمن عبارات معينة مثل الوحدة النحوية « في » التى لها وظيفة معينة وترتبط بالاسماء كوحدات لغوية أخرى • وبهذه الطريقة نكون قد اعطينا نموذجا لغويا لمبدأ من مبادىء النظرية العامة • وبالطريقة نفســها نستطيع ان نعطي نماذج كثيرة من لغات مختلفة •

وعندما نفسر النظام النظرى العام بالنسبة للغة أو لغات معينة ، فاننا نقول ان لهذا النظام نماذج لغوية تقترن به • ومن هنـــا يتضح قولنا فى الفقرة (١١) ان نميز بين السنتاكس الصورى والوصفى ، وكذلك بين السيمانطيقة والبراجماطيقة النظرية والوصفية •

١٥ـ اما الخصائص الاساسية لهذا النظام العام القائم على اسس منطقية هى :ـ

أ ـ يجب ان يكون النظام خاليا من كل تناقض Contradiction

ب ـ يجب ان يكون النظام تاما ومستنفدا Exhaustive

حـ - يجب ان يكـون النظـام قابلا للتحقيـق ومناسـبا وبسيطـا Simple[١٢] .

ويعتقد Uldall بان مبدأ عدم التناقض ومبـدأ الاستنفاد ما هى الا خصائص يمكن اشتقاقها من مبدأ البساطة Simplicity[١٣] .

فمن الناحية المنطقية لابد ان يتحقق الشـرط الاول والثانى ، لان امكان احتواء النظام على تناقض يهدم قيمته المنطقية ، بل لايعد صالحا حتى فى التطبيق ، لان ذلك يؤدى الى فوضى علمية . اما الشرط الثانى فمنهم ما دمنا نضع اسس النظام وبنيانه لتطبيقه على اللغات المختلفة ، لنعرف خصائصها ، لان النظرية الناجحة فى التحليل هى تلك التى تستطيع أن تحلل جميع الظواهر اللغوية . اما الشرط الثالث فله أهمية منطقية أيضا ، فاذا كانت النظرية معقدة التركيب فان احتمال تناقض المبادىء أكثر من النظرية البسيطة التركيب . ولابد أن نشير هنا الى نقطة مهمة هى ان البحث العلمى يتطلب ان نبدأ من أبسط الافكار واكثرها وضوحا وأصغر عددا لـكى نرتقي الى اعقد منها حتى نصل الى ذروة البناء المنطقى للنظرية . وعلى هذا الاساس نحتاج الى مبدأ البساطة والرد أو الاخضاع Reduction والاشتقاق Derivation فنبدأ من أبسط الافكار ونخضعها الى أصغر عدد ممكن ، ثم نشتق منها الافكار والمبادىء الاخرى الممكنة[١٤] .

٢ - موضوع البحث

تمهيـــد

١٦- ان ما نهـدف اليه الآن هو وصف الخصـائص التركيبة للانظمـة اللغوية ، لـكى نكون على معرفة بالموضوع الذى نريد بحثه . وفى هذا المجال سنحاول ان نضع اسسا جديدة لعلم اللغة مهتمين بالانظمة

(12) Hjelmslev, L., Prolegomena to a Theory of Language p:6.

(13) Uldall, H. J., Outline of Glossematics p:20.

(14) Khalil, Y., Prinzipien zur strukurellen Sprachanalyse p: 115.

العلمية المختلفة سواء كانت من اختصاص السنتاكس ام السيمانطيقة ام البراجماطيقة • وكما ان لكل علم مادة أو موضوعا ، فان موضوع علم اللغة الانظمة اللغوية المختلفة • ويقوم علماء اللغة بوصف تركيب اللغة وما يترتب عليه من دلالات ومعاني ، وهذا يعني بطبيعة الحال ان علم اللغة يدرس تراكيب المستويات اللغوية المختلفة التي يمكن تصنيفها كما يأتي :ـ

١ ـ التركيب الصوتى Phonemic Structure

٢ ـ التركيب الصرفي Morphological Structure

٣ ـ التركيب النحوى Grammatical Structure

كما ان لكل تركيب من هذه التراكيب خصائص جوهرية معينة تميزه عن التراكيب الاخرى •

(١) خصائص اللغة :

١٧ـ نجد انفسنا مجبرين على اخراج اصوات معينة لها دلالات معينة عندما نريد التحدث الى الآخرين ، واذا حللنا هذه السلاسل الصوتية الى عناصرها الاولية لوقفنا عند وحدات صوتية لا نستطيع ان نحللها الى أجزاء أصغر منها ، واذا احصينا عدد هذه الوحدات فى كل لغة لرأيناها تمثل عددا صغيرا ، ولكنها رغم ذلك تدخل فى بناء جميع التراكيب اللغوية للغة التى نتكلم بها ، فهى الاوليات التركيبية لاشكال اللغة المختلفة الدالة على معنى • ندعو هذه الوحدات بالفونيمات Phonemes التى يجد الفرد نفسه مجبرها على اخراج خصائصها الصوتية اذا أراد أن يفهمه الناس •

١٨ـ أما فى دراستنا للتركيب الصرفى للغة فاننا لابد أن نفترض ان « كل شكل Form يتألف كليا من فونيمات »(١٥) ، وهذه هى فى الحقيقة حقيقة تجريبية نلاحظها فى جميع اللغات • ولابد ان نميزها بين

(15) Bloomfield, L., A set of Postulates for the Science of Language p: 197

الاشكال اللغوية ، فالمورنيم مثلا يمثل أصغر شكل له معنى ، كما ندعوا بعض الاشكال طليقة أو حرة Free اذا ظهرت كأقوال ، ولكننا ندعوها مرتبطة Bound اذا لم تكن طليقة • والفرق بين الاشكال الطليقة والمرتبطة واضح هو ان الاولى تستطيع ان تظهر فى اللغة دونما حاجة الى أشكال أخرى ، فى حين تعتمد الاشكال المرتبطة على أشكال لغوية أخرى لتستطيع ان تظهر فى اللغة • وبناء على هذا التحليل نستطيع الآن ان نعرف الكلمة بانها « أصغر مورفيم حر »[١٦] •

١٩ـ والكلام يتألف من كلمات تترتب بشكل خاص ، وتختلف خصائص الترتيب من لغة لاخرى حسب قواعدها النحوية[١٧] • وعندما نريد ان نتكلم الى الآخرين فمن الضرورى ان نختار بعض الكلمات الملائمة من ناحية القواعد والمعنى لنستطيع التعبير عما نريد ان ننقله الى الآخرين ، وهذا يعنى ان اللغة تفرض علينا نظاما يجب ان نتبعه فى ترتيب الكلمات وتنظيمها فى الاقوال ، لان لكل كلمة موضعا تظهر فيه كما تحدد وظيفتها النحوية تبعا لهذا الوضع ، فاذا اختلف الموضع اختلفت الوظيفة النحوية • واذا كان هذا التغير فى الموضع يؤدى الى تغير فى الوظيفة المرتبطة بالكلمة ، فانه يؤثر كذلك فى معناها • كما ترتبط العبارات اللغوية فيما بينها مكونة عبارات أكثر معناها • كما ترتبط العبارات اللغوية فيما بينها مكونة عبارات أكثر تعقيدا ، ومن مجموعة هذه العبارات اللغوية البسيطة والمعقدة يتكون الكلام الذى هو موضوع درس علم اللغة •

(٢) خصائص الانظمة اللغوية :

٢٠ـ يمكننا ان نحدد علم اللغة حسب النظرية التى نريد وضعها بانه تحليل علمى للغات المتداولة ، فهو بذلك عملية بحث اللغة من ناحية تركيبها ، دلالتها وجوهرها ، بحيث تبدأ هذه العملية بالتحليل وتنتهى بتركيب

(١٦) **نفس المصدر السابق •** p: 197

(17) Bloomfield, L., Linguistic Aspects of Science p.25

الانظمة العلمية وبنائها • فتحليل التركيب اللغوى مثلا يهدف الى وضع القواعد العامة لتلك اللغـــة أو يكشف النقاب عن الخصائص الصورية التى يتحلى بها نظام اللغة من حيث انه يمثل شبكة مؤلفة من وحدات وعلاقات لغوية • اما تحليل المعنى أو الدلالة فيهـدف الى معرفة خصائص اللغة وما تشير اليه من معانى ودلالات ، فهناك على سبيل المثال أسماء لها معانى مختلفة وأسماء لها معانى معينة ، بينما توجد أسماء مختلفة لها معنى واحد ، فمن واجب تحليل المعنى وعلم السيمانطيقة هـو ان يكشف لنا هـذه الخصائص بوضوح وبدقة ، ولهذه الطريقة فائدتها فى معرفة المرادفات اللغوية والمجازات وكذلك عندما نضع القواميس اللغوية • اما عند تحليل اللغة من حيث الجوهر أو المـادة Substance فان بحثنـا ينصب على الخصائص الطبيعية للاصوات ، كما ان لهذا البحث علاقة بالبراجماطيقة ، خاصة عنـد بحثنا علاقة اللغة بالعالم الخارجى • وكيفما يكون الامر فان دراسة الاصوات تدخل فى اختصاص علم الأصوات الذى من واجباته تحليل الوحدات الصوتية وخصائصها فى المختبر لمعرفة ما تتميز به •

٢١ـ ولما كانت مادة بحث اللغة اللغات البشرية ، فان علينا ان نحدد بعض خصائصها العامة مستعينين بالذى درسناه فى خصائص اللغة • تتألف كل لغة من الخصائص العلمية الآتية :ـ

أ ـ الخصائص التركيبية التى تتميز بانها شكلية أو صورية • تؤلف هذه الخصائص التركيب العام للغة ، كما ان الوحدات الشكلية للغة سواء كنت بسيطة أو مركبة حاصلة على معنى أو بدونه ما هى الا هيئات أو أشكال Gestalten (١٨) ، وقـد تكون

(١٨) نميز فى دراستنا اللغوية هذه بين Gestalt, Form ، فان الاول مثلا يتألف من فونيمات وله دور وظيفى فى علم الصرف والنحو ، اما الثانى فهو تعبير يمثل هيئة الوحدات اللغوية سواء كانت هذه الوحدات فونيمات أو مورفيمات ، وقد لا يتصل بهذا التعبير دور وظيفى صرفى أو نحوى •

هذه الاشكال بسيطة لا يمكن تجزئتها الى أشكال أبسط منها ، وفي هذه الحالة ندعوا مثل هـذه الاشكال بأوليات التركيب اللغوي • اما العبارات اللغوية فيمكن اعتبارها مجرد متواليات تتألف من وحدات شكلية مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات معينة •

ب ـ الخصائص السيمانطيقية التي ترتبط بمعاني أو دلالات الوحدات اللغوية ، وبعبارة اخرى : ان هذه الخصائص تمثل لنا طبيعة اللغة من حيث الدلالة والمعنى ، باعتبار اللغة اداة للتفاهم والتبادل الفكري والعاطفي •

حـ ـ الخصائص البراجماطيقية التي ننظر لها من زاويتين هما :ـ

١ ـ عندما تكون الخصائص مادية أو طبيعية أو فيزيولوجية ، حيث يكون هدفنا بحث هـذه الخصائص مستعينين بعلم الاصوات •

٢ ـ عندما تكون الخصائص نفسية أو اجتماعية ، أي في حالة كون الوحدات اللغوية تدل على معـاني ترتبط بسلوك المتكلم ووضعيته الاجتماعية • يجب ان ندرس في هذه الحـالة معـاني الـكلمات تبعـا لوضعية الفـرد النفسية والاجتماعية •

تتميز هذه الخصائص بأنها تعتمد على الفرد المتكلم ، حيث نلاحظ الخصائص المـادية والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية ، لان معاني الـكلمات قـد تتغير أثنـاء تغير الوضعية الاجتماعية والنفسية للفرد المتكلم •

د ـ ان هذه الخصائص المختلفة ليست منفصلة عن بعضها ، بل تكون الطبيعة الـكلية وجوهر اللغة ، ولـكي نستطيع فهم هذا القول نتقدم الآن بالشروط العلمية التي يجب أن تتوفر في المتكلم اذا أراد ان يخبر الناس بشيء ما ، والشروط هي :ـ

١ ـ يجب على المتكلم ان يحافظ على الميـزات الضـرورية

للاصوات ، لكي يستطيع الافراد ان يعرفوا هذه الاشارات الصوتية بوضوح ويميزوا بعضها عن البعض الآخر ليفهموا فى الاخير ما تدل عليه هذه الاصوات من معانى •

٢ ـ ان هذه الاصوات ليست خالية من المعانى ، بل يجب عليها ان تعبر عن أفكار الشخص المتكلم ، والا أصبحت وظيفتها الاجتماعية خالية من كل فائدة • وعلى هذا الاساس يجب ان يكون لكل عبارة قيمة Value مرتبطة بها ، بحيث يستطيع الفرد المتكلم ان يستعملها عندما يريد ان ينقل خبراته للاشخاص الآخرين •

٢٢ـ يمكننا الآن ان نضع الشروط التى ذكرناها على هيئة قوانين ثابتة هى :ـ

القانون الاول : يجب ان تترتب الاصوات على هيئة معينة تبعا لقوانين لغوية ثابتة ، وبعبارة اخرى : يشترط فى المتكلم ان ان ينطق هذه الاصوات بموجب قواعد لغوية معينة التى نعتبرها الوسيلة الوحيدة فى ترتيب الاصوات ، كما ترتبط هذه القواعد أو المبادىء بالتركيب الصوتي والصرفي والنحوي للغة •

القانون الثاني : اذا أراد الافراد ان يخبروا عن شيء بلغة ، فمن الضروري ان يراعوا في ذلك القانون الاول ، كما يجب ان يكون للاصوات المنطوقة قيم معنوية أو دلالية ، بحيث تكون معاني هذه الاصوات متعارف عليها اجتماعيا ، لكي تؤدى نفس المعنى الى جميع المستمعين •

واذا أردنا الآن ان نحدد القواعد ، فمن الضرورى ان نأخذ بنظر الاعتبار المبادىء التى بموجبها تنتظم وتترتب الاصوات مكونة بذلك العبارات اللغوية المختلفة التى تشير بدورها الى معانى معينة • فالقواعد

هى مجموعة المبادىء اللغوية التى تترتب بموجبها الاصوات لتكوين العبارات • ولـكن الاصوات تختلف من ناحيتها باختلاف مميزاتها أو خصائصها الصـوتية المتميـزة Distinctive Features التى تحـدد الفونيمات(١٩) •

القانون الثالث : يجب ان نأخـذ بنظر الاعتبار كل من القانون الاول والثانى أولا • ان كل وحدة صوتية يجب ان تحتفظ بخصائص صوتيـة وفيزيولوجية معينـة التى تؤلف باجمعها هذه الوحدة • وبعبارة اخرى ان لـكل وحدة صوتية خصائص فيزيولوجية وصوتية متميزة تحدد شكل الوحدة ووظيفتها ضمن النظام العام للغة •

٢٣ـ تمثل هذه القوانين الثلاثة الشروط الضرورية لبناء كل لغة ، بل انها تصف التركيب العام لـكل لغة مهما اختلف نظامها اللغوى ، وتبعا لهـذه الشروط يجب ان نعرف اللغة بحيث يكون التعريف مستوفيا للشروط الثلاثة المذكورة :

اللغة نظام يتألف من علامات أو وحدات لغـوية ومتواليات صورية قائمة على اسس صوتية وصرفية ونحوية معينة ، كما تدل هذه المتواليات على أشياء أو أفكار تنقل الى الآخرين عن طريق نطق العبارات بالاعضاء الصوتية ، بشرط ان تحتفظ هذه العبارات بخصائصها الصوتية الثابتة •

تبعا للتعريف الذى قدمناه للغة وتبعا للقوانين الموضوعة يكون للانسان الامكانية ان يدرس الظواهر اللغوية التى تصفها القوانين كل على حدة أو مجتمعة • فالقـانون الاول يضـع أمامنـا شرطا ضروريا لبنـاء القواعد التى تمثل قواعد اللغة المدروسة • اما القانون الثاني فيضع

(19) Bloomfield, L., Language p: 79.

ويعرف بلومفيلد الفونيم بانه وحدة صوتية متميزة

A minimum unit of distinctive sound-feature

أمامنا شرطا جوهريا لوصف خصائص الدلالة والمعنى للغة التى هى قيد الدرس • اما القانون الثالث فانه يمثل أساس بحث اللغة صوتيا وسيكولوجيا واجتماعيا • والى جانب ذلك يجد الانسان احتمال دراسة اللغة تبعا لقانون واحد أو قانونين أو القوانين الثلاثة • ان مثل هذا العمل يتعلق بهدف الباحث فى دراسة الخصائص المتعلقة بمادة البحث • اما ما يتعلق بنا فى هذه الرسالة فاننا سوف ندرس الخصائص الرئيسية للغة التى تمثل القاعدة الاساسية لبحوث السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة ، كما سنبحث الخصائص تبعا لكل قانون من القوانين التى تم تثبيتها •

(٣) مجالات بحث علم اللغة :

٢٤ـ لقد تواردت فى هذا البحث عبارة « علم اللغة » عدة مرات من غير ان نحدد مجالات البحث فى هذا العلم ، بل اننا لم نعط لحد الآن صورة واضحة لهذا العلم • ولكننا اذا نظرنا الى الخصائص اللغوية أدركنا الذى يريد هذا العلم بحثه والطريقة التى يريد بها ان يحلل اللغات • كما تجدر الاشارة هنا بأننا عرفنا علم اللغة فى الفقرة (٢٠) بانه علم تحليلى ما دام يبحث فى العوامل المكونة للغة للوقوف على الوحدات الاولية التى يبدأ منها النظام اللغوى • واذا أردنا الآن ان نحدد مجالات بحث علم اللغة ، فمن الضرورى ان نأخذ بنظر الاعتبار العوامل الاساسية المكونة لكل لغة •

٢٥ـ فالعلم الذى يهتم بالعلامات والاشكال والمتواليات الشكلية المختلفة من غير ان يأخذ بنظر الاعتبار أهمية الشخص المتكلم أو الدلالة ، ندعوه بعلم اللغة الصورى أو الشكلى Formal Linguistics • فمادة بحث علم اللغة الصورى اذن لاتتعدى أن تكون الخصائص الصورية • والخصائص الصورية هذه تحدد فى الحقيقة بالعلاقات التى تربط الاشكال والعبارات مع بعضها • وتحتم هذه الخاصية أو الصفة الارتباطية

Combinatoric Character (٢٠) تركيب العبارات لانها تحدد علاقة الاشكال أو الوحدات والمتواليات الشكلية مع بعضها • كما نميز نوعين من الصفة الارتباطية هما ـ

أ ـ عندما ترتبط الاشكال أو الوحدات الشكلية في عبارات بسيطة وترتبط هذه العبارات البسيطة مع بعضها مكونة عبارات مركبة •

ب ـ عندما ترتبط العبارات الشكلية مع بعضها مكونة مجاميع أو فئات ومقولات لها وظائف وخصائص لغوية معينة •

٢٦ـ والعلم الذى لا يهتم بالفرد المتكلم ، ولكنه يركز بحثه على دراسة خصائص اللغة من ناحية الدلالة والمعنى ندعوه علم السيمانطيقة • فالسيمانطيقة اذن علم تحليلي يدرس الخصائص الصورية والمعنوية أو الدلالية للعبارات فى آن واحد • وهذا يعني ان دراسة اللغة من الناحية الشكلية تسبق جميع البحوث الاخرى ، بل وتعتمد عليها جميع الدراسات اللغوية ، لان الشكل يعطينا فكرة عن نظام اللغة وقواعدها الاساسية فى بناء العبارات المختلفة وتركيبها • فعندما نحلل اللغة صوريا ، فاننا لا نهتم بما تعنيه العبارات قدر اهتمامنا بتشابه الاشكال واختلافها تبعا لمكوناتها ، لان التشابه والاختلاف يحدد طبيعتها النحوية والى أية فئة أو مقولة تنتمي • اما اذا حللنا اللغة معتمدين على المعنى ، فلابد ان نأخذ بنظر الاعتبار معنى العبارات ودلالتها ، ومن هنا يبدأ الاختلاف بين السيمانطيقة والسنتاكس •

٢٧ـ والعلم الذى يهتم بدراسة الاصوات من ناحيتها المادية الطبيعية والفيزيولوجية ندعوه علم الاصوات • فعلم الاصوات يدرس خصائص

---

(٢٠) يعتمد المنطق الرياضى كذلك على الخاصية الارتباطية ، لان القضايا المنطقية تترتب تبعا لعلاقات معينة ويبرهن عليها تبعا لطريقة استدلالية ارتباطية • ولقد أشار ليبنتز الى أهمية هذه الصفة المنطقية واقترح طريقته المنطقية المعروفة Characteristica Universalis
انظر كتاب شولتز فى تاريخ المنطق •
Scholz, H., Abrissder Geschichte der Logik p: 52

الاصوات الفيزيولوجية ، وذلك بتحليل الصوت وملاحظة أعضاء التكلم عند الفرد ، ومن ثم وصف الوحدة الصوتية تبعا لهذه الخصائص الفيزيولوجية كما ان للصوت خصائص مادية أو طبيعية ، فاننا نستطيع مثلا ان نبحث تردد وحدة الصوت المرسوم على ورق خاص وعلاقة هذا التردد بتردد وحدات صوتية أخرى ، وبهذه الطريقة نكون قد وضعنا أيدينا على خصائص الوحدات الصوتية بالرسوم المعمولة في المختبرات • ولقد اعتقد أكثر علماء اللغة الى عهد قريب ان الكلام مجرد ظواهر صوتية لا تظهر فيه قواعد ثابتة • ولكننا اذا درسنا الناحية المادية للاصوات اللغوية فيزيولوجيا طبيعيا دون أن نبحث علاقة هذه الاصوات بوظائفها اللغوية ، فاننا بذلك نحدد دراسة علم الاصوات ونميزها عن بقية الدراسات ، كما نجعل علم الاصوات من الدراسات الطبيعية التي ليس لها علاقة بعلم اللغة(٢١) •

٢٨- ولو أخذنا بنظر الاعتبار وظائف الاصوات في النظام اللغوي لانتقلنا من علم الاصوات الى الفونولوجية Phonology أو علم الاصوات الوظيفي الذي يبحث الاصوات على أساس ان لها خصائص متميزة تقترن بها ، والاصوات تقابل بعضها البعض ، لان لكل وحدة صوتية وظيفة متميزة تجعلها تختلف عن الوحدات الصوتية الاخرى(٢٢) فالعلم الذي يهتم بوظائف الاصوات التكوينية والسيمانطيقية نسميه فونولوجية ، وبعبارة اخرى : يتحدد مجال هذا العلم بدراسة الاصوات باعتبارها وحدات تمييز معنى ، فاذا أخذنا لهذه الميزة كلمة « جاء » و « باء » كمثل ، لادركنا ان للوحدة الصوتية (ج) قابلية تغيير المعنى اذا ما استبدلت بوحدة صوتية أخرى مثل (ب) • فللوحدة الصوتية

---

(21) Trubetzkoy, N., Anleitung zu phonologischen Beschreibungen p: 5.

(22) Trubetzkoy, N., Grundzüge der Phonologie p: 30

(ج) و (ب) وظيفة سيمانطيقية معينة ندركها عند الاستعاضة عنهـــا بوحدة أو بوحدات صوتية أخرى •

٢٩ـ وعندما ندرس اشكال اللغة التى تدل على معنى وقابليتها على تكوين عبارات لغوية أخرى أكثر تعقيدا ، فاننا نكون قد انتقلنا من الفونولوجية الى المورفولوجية أو علم الصرف الذى يهتم بدراسة الاشكال الدالة على معنى سواء كانت هذه الاشكال بسيطة أو معقدة ، كما يحلل الـكلام الى أجزاء أو أقسام اللغة المعرفة Parts of Speech ليـدرس خصائصها الصرفية والنحوية • واذا حللنا ودرسنا العبارات المؤلفة من كلمات ، فاننا نكون قـد بحثنـا فى نظرية العبارات التى تؤلف النظرية النحوية للغة •

٣٠ـ وعندما نهتم بدراسة الاقوال اللغوية المـكونة من أصوات مع ملاحظة سلوك الفرد المتكلم ووضعيته الاجتماعية ، فاننا نكون قد دخلنا فى مجال بحث البراجماطيقة التى تدرس اللغة وصلتها بالفرد المتكلم وبالوضعية الاجتماعية والنفسية التى يوجد فيها •

٣ ـ الخصائص الاساسية للسيميوطيقة

تمهيـــد

٣١ـ نعرف السيميوطيقة أو علم العلامات بانها علم دراسة اللغة من جميع نواحيها التكوينية ووضع هذه الدراسة على هيئة نظرية عامة ممكنة التطبيق على جميع اللغـــات مهمـــا اختلفت خصائصها وأصولها • والسيميوطيقة بناء على ذلك نظرية تتألف من مجموعة مبادىء تحليلية عامة غايتها كشف الاصول العامة فى اللغة المدروسة ، بحيث تصبح هذه الاصول القاعدة الرئيسية العامة لجميع الدراسات اللغوية ومنها نشتق القوانين والقواعد الخاصة ببعض الخصائص • والسيميوطيقة تختلف عن السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة من حيث تكوينها العلمى العام ، اذ هى لا تأخذ بنظر الاعتبـــار الخصائص الصورية

والدلالية والصوتية أو الـكلامية وتدرس كل واحدة على انفراد ، بل انها تسعى لوضع أسس عامة لهذه العلوم ، فتبحث اللغة ككل غير مجزء الى خصائص مختلفة الطبيعة والدرس • والى جانب ما تقـدم تهدف السيميوطيقة الى معرفة وكشف الصفات والمبادىء التكوينية لـكل لغة • وقيمة هذه المبادىء البنائية واضحة ، لان اللغة لا يمكن ان تستقيم بغيرها ، فهى العمود الفقرى لجميع اللغات قاطبة تكشف لنا عن طبيعة اللغة وهيئتها التركيبية العامة •

(١) معايير السيميوطيقة :

٣٢ـ يبين كل بناء لغوى بوضوح مميزات أساسية تكون بداية لـكل بحث لغوى عام ، فمن واجبنا هنا اذن ان نضع هذه الخصائص على شكل مقاييس أو معايير Criterions لنهتدي بها في البحوث القادمة ، وهذه المعايير هى :ـ

أ ـ معيار ارتباطية الوحدات : تتألف كل لغة من اوليات تترتب مع بعضها تبعا لعلاقات لغوية معينة ، بحيث تكون من جراء ذلك عبارات أو وحدات لغوية أكثر تعقيدا •

ب ـ معيار بناء الفئات : تجتمع الوحدات اللغوية فى فئات Classes تبعا لخصائص أو مميزات معينة ، بحيث تصبح الوحدات أعضاء أو أفراد Members فى هذه الفئات عندما تحصل هذه على المميزات العامة للفئة • اما اذا كانت لا تملك هذه المميزات فاننا نقول عنها بانها تنتمي الى فئة اخرى لها مميزات مختلفة •

حـ ـ معيار التبادل : ان موضع الوحدات ووظيفتها فى العبارات ثابتة ، وبذلك نستطيع ان نستبدل بهذه الوحدات وحدات اخرى فى حالة حصول هذه الوحدات على مميزات الموضع والوظيفة نفسها •

ان لهذه المعايير الاساسية التى توضح ارتباطية الوحدات وبناء الفئات وامكانية الاستعاضة أهمية كبيرة فى بحثنا هذا ، ولسوف نقوم بتحليل

هذه المعايير ووضعها على هيئة قوانين أو مبادىء عامة تكشف لنا طبيعة اللغـــة •

٣٣ـ ان وحدات السيميوطيقة علامات Signs يحتمل ان تفسر على أساس السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة ، فهى مجرد ذرات Atoms فى بنـــاء نظرية السنتاكس ، بينما هى وحدات دلالية أو دالات Semantemes فى بناء نظرية السيمانطيقة • اما فى البراجماطيقة فانها تفسر على أساس انها وحدات كلامية Pragmemes .

ولما كان واجبنا يتطلب تفسير هذه العلامات بوحدات مختلفة الطبيعة ، فمن الضرورى أن نحدد ما هى العلامة آخذين بنظر الاعتبار كل ما تقدم •

تعريف (١) : العلامة هى وحدة مهيئة لتفسيرها شكليا صوريا ودلاليا وكلاميا ، كما ان لها القدرة على الدخول فى علاقات مع علامات أخرى مكونة بذلك وحدات أكثر تعقيدا •

تدلنا الصفة الاخيرة فى التعريف المتقدم امكانية بناء متواليات تتألف من علامات نعطيها اسم متوالية علامات Succession of Signs ، ويمكن تعريفها كما يلى :ــ

تعريف (٢) : متوالية العلامات هى تتابع محدود من علامات تربطها بعلامات أخرى علاقات معينة مكونة بذلك صيغا Formulae مختلفة •

ويجدر بنا هنا أن نذكر انه ليست كل متواليات علامات تؤلف صيغة ، بل يمكن ان تكون عندنا متواليات مؤلفة من علامات ولـكنها ليست صيغا بتاتا • والذى يعيين ان هذه المتوالية صيغة مثلا هو معيار القبول الذى يمكن تحديده كما يلى :ــ

د ــ معيار القبول : ان تتابع العـــلامات يكون متوالية اذا تحققت الشروط الآتية :ــ

١ ــ يجب ان تترتب العلامات تبعا لعلاقات ثابتة •

٢ ـ يجب ان تكون المتوالية وعلاقاتها مبنية على اسس أو قواعد تكوينية ثابتة •

ان تعريف المتوالية محدود فى الحقيقة بشرطين ضروريين هما شرط التتابع المحدود للعلامات وشرط ان يكون هذا التتابع بموجب قوانين قواعدية ثابتة •

ومعيار القبول ضرورى جدا فى علم العلامات لانه يبين فى ذاته الصفات الاساسية لتتابع الاشكال أو الوحدات الشكلية فى السنتاكس والوحدات الدلالية فى السيمانطيقة والوحدات الكلامية فى البراجماطيقة •

(٢) المبادىء العامة للسيميوطيقة :

٣٤ـ نحاول الآن ان نعمل للسيميوطيقة مبادىء عامة لها أهميتها فى البحوث اللغوية ، وتتميز هذه المبادىء بانها عامة لاحتوائها على الخصائص الاساسية للنظام اللغوى وللسنتاكس وللسيمانطيقة والبراجماطيقة • وكما بينا فيما سبق يجب ان تكون الوحدات الاساسية لهذا العلم ممكنة التفسير على اسس سنتاكسية وسيمانطيقية وبراجماطيقية ، خاصة واننا نعتقد ان جميع هذه العلوم تبدأ من أوليات معينة تبدأ منها أنظمة العلوم اللغوية •

٣٥ـ وفيما يأتى نعطى المبادىء الاساسية أو البديهيات على هيئة نظام متكامل لعلم العلامات ، بحيث نكون على معرفة بالخصائص التركيبية البنائية العامة للغة •

مبدأ (١) : تتألف كل لغة من علامات لها الخصائص الآتية :ـ

أ ـ انها وحدات منطوقة

ب ـ انها وحدات بناء الكلام والعبارات

حـ ـ انها تشير الى قيم معنوية أو دلالية ، كما ان لها القابلية على تغيير معانى العبارات فى حالة استبدالها بوحدات أخرى •

د ــ انها وسائل للتعبير والنقل الفكرى والعاطفى •

يبين لنا هذا التحليل الخصائص الاولية المشتركة فى العلامات ، فهى وحدات منطوقة بمعنى ان الافراد يستطيعون ان ينطقوها عند التعبير عن شيء يريدون الاخبار به ، كما ان هذه العلامات وحدات بنائية ، لان العبارات تتألف منها وبالتالى يتألف النظام اللغوى جميعه من هذه الوحدات أو الاوليات • ولما كانت اللغة اداة للنقل الفكرى والعاطفى فلابد ان تشير هذه العبارات التى تؤلفها الوحدات الى معان معينة • واذا كانت عبارة مؤلفة من وحدات واردنا ان نستعيض عن هــذه الوحدات بأوليات اخــرى ، فان المعنى سوف لا يبقى ثابتا بطبيعة الحال ، فاذا استعضنا عن حرف (ك) فى كلمة « كلب » بحرف (ق) ، فاننا سوف نحصل على كلمة « قلب » التى لها معنى يخالف معنى كلب • وبالاضافة الى ذلك فان حالة الشخص السيكولوجية والوضعية الاجتماعية تسبغان على الـكلمات أو العبارات معانى معينة ربما تختلف فيما اذا نطقت فى حالة سيكولوجية واجتماعية اخرى •

٣٦ـ مبدأ (٢) : تقــوم العلامات بمساعدة علاقات معينــة ببناء متواليات محدودة ، بحيث يكون لـكل علامة منها وضع معــين ووظيفة ثابتة • كما يجب أن تكون العلامات والعلاقات تركيبية ، لان تركيب اللغــة يسبق جميع الخصائص الاخرى من حيث الاهمية •

تؤلف اللغة نظــاما متماسكا تجد فيه الوحدات التركيبية والعلاقات مكانا وعملا فى تركيبه ، فاذا أردنا ان ننطق بشيء معين ، فمــن الضرورى أولا ان نراعى ترتيب الوحدات المنطوقة والمعنى المقترن بها • فاذا لم نراع الترتيب ، فاننا لن نستطيع ان ننقل للسامع الشيء أو الفكرة التى نريد ان نخبره عنها • لذا فاننا نعتقد بضرورة مراعاة ودراسة القواعد قبل معرفة المعانى التى تشير اليهــا العبارات ، لان تركيب اللغة هو الموضوع الذى يحمل علية المعنى ، كما نستخدمه بطريقة معينة لنقل الافكار •

٣٧ـ مبدأ (٣) : تجتمع العلامات مؤلفة فئات تبعا لمميزات أو صفات معينة تختلف باختلاف العلم الذى يود تفسيرها ، فهى مميزات أو صفات صورية فى السنتاكس ومعنوية أو دلالية في السيمانطيقة وكلامية فى البراجماطيقة •

فالعلامات أو الوحدات التى تحتفظ لنفسها بخصائص ثابتة تكون فيما بينها فئات معينة ، اما الوحدات التى لها خصائص أخرى فيجب ان تؤلف فئات أخرى • ان هذا المبدأ يفيدنا فى تصنيف العبارات الى مقولات كالفعل والاسم والاداة والظرف والحال ••• الخ ، فالعبارات التى تتميز بخصائص صورية معينة فى الاشتقاق والبناء مثلا تكون مقولة من مقولات اللغة •

فلمقولة « الفعل » فى اللغة العربية مثلا خصائص لغوية معينة ، فاذا صادفنا عبارة أو عبارات تحتفظ بهذه الخصائص ادركنا بانها « فعل » ، لانها تدخل فى المقولة وتصبح جزءً منها • ولهذا المبدأ أهمية كبيرة أيضا فى تصنيف المعانى وتحقيقها ، فالعبارات المختلفة مثلا يمكن ان تدل على شيء واحد ؛ فهى والحالة هذه تؤلف مقولة خاصة فى علم المعانى •

٣٨ـ مبدأ (٤) : ان انتماء العلامات الى فئة لا يتم الا اذا كانت هذه العلامات حاصلة على الصفات الاساسية للفئة •

فاذا اعتبرنا بعض العلامات أفراد أو أعضاء لفئة معينة ، فمن الضرورى ان نلاحظ أولا فيما اذا كانت هـــذه العلامات حاصلة على المميزات الخاصة بالفئة والتى تميزها عن الفئات الاخرى • ولهذا المبدأ كما سنجد أهمية كبيرة فى العلوم اللغوية الاخرى •

٣٩ـ مبدأ (٥) : تكون العلامات متشابهة مع بعضها ، عندما تكون أفراد أو أعضاء لفئة واحدة معينة ، ولـكنها تكون مختلفة ، عندما لا تكون أعضاء لفئة واحدة •

فاذا فحصنا لغة ما بغية وضع قواعدها العامة ومقولاتها النحوية ، فاننا

في الاعراب نرتبط بهذه القواعد والمقولات ، فاذا صادفنا عبارة أ واخرى ب ، في نصوص لغوية ، فاننا يمكن ان نقول انها متشابهة في حالة واحدة عندما تكون كل من أ و ب حاصلة على خصائص فئة واحدة ، وبعبارة اخرى : عندما تكون كل من أ و ب أفراد أو أعضاء لفئة واحدة .

٤٠ـ مبدأ (٦) : ان استعاضة العلامات باخرى لا يتم الا اذا كانت تنتمي الى فئة واحدة معينة أو اذا بقيت المتواليات (العبارات مثلا) محتفظة بخواصها النحوية بعد الاستعاضة .

يبين هذا المبدأ امكانية وقابلية اللغة في بناء عبارات ذات معان مختلفة لكنها تجتمع جميعها بخاصية واحدة هي ان هذه العبارات من الناحية النحوية والصرفية تنتمي الى فئة أو مقولة واحدة . فاذا استعضنا عن علامة بعلامة اخرى فيجب ان نراعي معيار القبول الذي ذكرناه في فقرة (٣٣) والذي يشترط ان تكون العبارة أو المتوالية الناتجة قائمة على اسس نحوية صحيحة .

وقبل ان نختتم المبادىء الاساسية للسيميوطيقة يجدر بنا ان نذكر بان هذه المبادىء ستصبح أكثر وضوحا وفعالية كما ندرك أهميتها عند بحثنا السنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة في محولة لصياغة مبادئهـا الرئيسية . ولما كانت اللغة وسيلة للتبادل الفكري والعاطفي ، وان هذا العمل لا يتم الا بنطق عبارات معينة ، فمن الضروري ان ندرس أولا طبيعة الوحدات المنطوقة لنكشف عن نظام علاقاتها الداخلي ، وهذا يعني باننا سنبدأ البحث بالبراجماطيقة أولا .

٤ ـ البراجماطيقه (قسم الاصوات)

تمهيـــد

٤١ـ يبدأ التحليل اللغوي عمله في تجزئة اللغة المنطوقة أو الكلام الى مستويات لدراسة طبيعة اللغة ، فهنـــاك المستوى الشكلي والدلالي والصوتي ـ السيكولوجي . فاذا كان هدف الباحث ان يعـــرف

خصـــائص المستوى الشكلى ، فمن الضرورى ان يحلل اللغـــة أو الكلام الى وحدات معقدة ، وهذه الوحدات الى وحدات أصغر منها وهكذا حتى يصل الى الاوليات التى يبدأ عندها التركيب • أما اذا كان هدف الباحث كشف طبيعة اللغة من ناحيـــة المعنى ، فمن الضرورى ان يقسم الـكلام الى وحدات صغيرة وصغيرة حتى يصل الى أصغـــر الوحدات التى لها معنى والتى اذا ما جزئت الى أصغر منها فقدت هذا المعنى ولم تعد وحدة معنى • ان اصغر الوحدات التى يقترن بها المعنى هى المورفيمات التى لو جزئت الى أصغر منها فقدت قيمتهـــا باعتبارها اوليات علم المعانى • والفرق بين المستوى الشكلى والدلالى واضح ، فان الباحث فى المستوى الاول يقوم بتجزئة الاشكال الى عناصرها التى لا تحتوى على معنى أو لا معنى لها ، ولـكنها تتصف بانها أوليات علم التراكيب اللغوية أو السنتاكس ، كما ان تجزئة هذه الاوليات الى أشكال أصغر منها غير ممكن • ان هذه الاوليات هى المـكونات الحقيقية للمورفيمات ، كما ان الحروف هى المـكونات الاولية للـكلمات والعبارات اللغوية •

(١) الخاصية الصوتية للغة :

٤٢ـ من الممكن ان تتحلل باعتبارها فعالية كلامية الى مكوناتها الاولية التى يطلق عليها علماء اللغة عبارة « الخصائص الصوتية المتميزة » • كما يجب ان نلاحظ من جهة أخرى بان هذه الخصائص الصوتية المتميزة تظهر متجاورة فى متواليات صوتية ، لذا فمن الضرورى ان ندرسها تبعـا لظهورها فى متواليات صوتية مختلفة ، وهـذا يعنى ان البحث العلمى يتناول هذه الخصائص الصوتية من ناحية وظيفتها وموضعها فى المتواليات ولأية وحدات صوتيـة تجاور • ان هذه الخصائص الصوتية تحدد الوحدات الصوتية باعتبارها ثابتة رغم التغيير الذى قـد يحدث عليهـا عندما تظهر فى مواضع صوتيـة مختلفة مجاورة

لوحدات صوتية أخرى • فلابد ان نميز هنا بين الخصائص الصوتية الثابتة التى تحدد الوحدات الصوتية ، والمتغيرة التى تظهر نتيجة للاسباب التالية :ـ

أ ـ عندما تظهر الاصوات فى مواضع مختلفة ومجاورة لاصوات مختلفة ، أى عندما تظهر الاصوات مرتبطة مع أصوات أخرى مختلفة فى متواليات صوتية مختلفة أيضا •

ب ـ عندما تنطق الاصوات من متكلمين مختلفين وفى أزمنة ووضعيات اجتماعية وسيكولوجية مختلفة ، لانه من المعروف فى علم الاصوات بان الفرد لا ينطق عبارة باصوات ثابتة دائما ، بل ان هناك تغييرا يطرأ عليها من حالة لاخرى •

يلاحظ الفرد الاسباب التى ذكرناها ويستنتج منها ان الاصوات تحصل اذن على صفات أو خصائص هى :ـ

أ ـ انها تبين أو تظهر خصائص صوتية متميزة ثابتة لكى يستطيع الافراد ان يفهم بعضهم البعض الآخر فى أثناء النقل الفكرى والعاطفى •

ب ـ انها تحصل على خصائص متغيرة هى فى الحقيقة ليست خصائص متميزة للاصوات ، وعلى هذا الاساس لا يمكن اعتبارها ذات أهمية لغوية ، هذا بالاضافة الى كونها غير قادرة على تغيير معانى العبارات كما هو الحال بالنسبة للخصائص الصوتية المتميزة •

أما الطريقة التى نستعين بها لمعرفة الخصائص الصوتية المتميزة الثابتة فهى أن نتتبع توزيع الاصوات فى أقوال مختلفة وتثبيت الخصائص التى ترافق الصوت فى جميع محلات ظهوره فى الاقوال ، وبالطريقة ذاتها نستخلص المميزات الثابتة التى تحدد الوحدة الصوتية وتميزها عن الوحدات الصوتية الاخرى • وفيما يأتى نهتم بدراسة الظواهر اللغوية الاساسية للاصوات ، لكى نمهد الطريق لبحث وظائف هذه الاصوات معنويا وصوريا •

(٢) المعايير الكلامية الصوتية :

٤٣- يهتم علم الاصوات باعتباره علم الخصائص المادية والفيزيولوجية للاصوات بدراسة الصفات اللغوية الآتية التى نضعها على هيئة معايير أو مقاييس علمية دقيقة •

أ ـ معيار ترتيب الاصوات : تخرج جميع الاصوات من أعضاء الكلام على هيئة ترتيب مستقيم ، بحيث يكون لكل صوت فى هذا الترتيب موضع ومجاورة مع أصوات أخرى ووظيفة •

فعندما يتكلم الاستاذ فى محاضرة مثلا ، فانه سيقوم بنطق أصوات متوالية لها دلالات معينة ، وتترتب هذه الاصوات من الناحية الزمنية والفيزيولوجية على هيئة خط مستقيم ، فيه الصوت الاول أقدم زمنيا من الثانى ، كما انه أقدم من الناحية الفيزيولوجية باعتباره نطق أولا • وبناء على ذلك يحتل كل صوت من هذه الاصوات موضعا معينا ووظيفة معينة أيضا •

ب ـ معيار بناء المجاميع الصوتية : تبين الاصوات خصائص صوتية متميزة فى الاقوال التى تظهر فيها ، وهى تحدد الاصوات وتجعلها تختلف عن الاصوات الاخرى • فاذا أردنا ان نجمع هذه الاصوات أو غيرها فى مجاميع ، فلابد ان نراعى شرطا مهما هو ان الاصوات يجب ان تكون لها الخصائص الصوتية نفسها ، وعلى هذا الاساس يكون للاصوات فئات معينة •

ح ـ معيار الاستعاضة الصوتى : عندما يظهر صوتان من لغة واحدة في أقوال مختلفة ، فانه بالامكان ان يستبدل الواحد بالآخر اذا بقي القول محافظا على قواعده النحوية (أنظر معيار القبول فقرة ٣٣) •

٤٤ـ يتضح مما تقدم ان الوحدات الاساسية لعلم الاصوات هى الخصائص الصوتية المتميزة أو الاصوات التى تحددها هذه الخصائص الصوتية التى تحتفظ لنفسها بانها تتصل فيزيولوجيا بالمتكلم أو بأعضاء الكلام من جهة كما انها متصفة بالمادية باعتبار ان لها القدرة على تغيير معانى الاشياء بالاضافة الى تمييز شكلها عند الكتابة على الورق أى عندما نريد ان ننقل هذه الاصوات الى الآخرين كتابيا •

الوحدة الصوتية هى خاصية صوتية متميزة لا يمكن تجزئتها الى خصائص صوتية أصغر منها • ومن هذا التعريف للوحدة الصوتية نحاول ان نذهب أبعد من ذلك لبحث الصفات الاساسية للاصوات وتحديدها ، ونضعها على هيئة نظام مؤلف من مبادىء نستفاد منها فى وصف اللغة مبدأيا • ومن الضرورى ان نعرف الوحدة الصوتية الآن من ناحية الخصائص والقدرة فى بناء الاقوال •

تعريف (٣) : الوحدة الصوتية هى خاصية صوتية متميزة تكون أولية لانها غير قابلة للتجزئة الى خصائص صوتية أخرى ، كما انها تدخل هذه الاولية مع اوليات أخرى مكونة بذلك الاقوال •

تعريف (٤) : القول هو تتابع محدود من أصوات ناتجة تبعا لقوانين صوتية ونحوية ومنطوقة من فرد ما •

بناء على ما يحدده تعريف (٤) نستطيع التعميم فنقول ان كل قول يتألف من أصوات محدودة ولكل واحد من هذه الاصوات موضع ووظيفة فى القول • ومن هذا التحليل يظهر لنا ان معيار القبول مستوف شروطه فى تعريف (٤) والذى يمكن صياغته كالآتى :ـ

د ـ معيار القبول الصوتى : تدخل الاصوات مع غيرها بعلاقات ، عندما تكون أقوالا تبعا لقواعد لغوية معينة •

واذا كان لكل صوت موضع ووظيفة معينة ، فان الاقوال تكون مستوفية للشروط اللغوية ، عندما يكون لكل صوت موضع ووظيفة معينة تربطه بالاصوات الاخرى •

(٣) المبادىء الاساسية للبراجماطيقا (قسم الاصوات) :

٤٥ـ ولما كانت البحوث اللغوية تبدأ تحليلاتها للغة المدروسة من أصغر الوحدات وهى الاصوات لكشف العلاقات التى تربطها مع الوحدات الاخرى ، فمن واجبنا هنا اذن ان نضع هذه العلاقات بصيغة تجعلنا نعرف خصائص اللغات • واذا كانت اللغات وسائل للتعبير الفكرى والعاطفى ، فمن الضرورى أولا ان نعرف طبيعة هذا التعبير وكيف ترتبط الاصوات مع بعضها مؤدية الغرض المطلوب • كما ان للاصوات خصائص معينة كما ذكرنا ، فهى وحدات تركيبية صغيرة من ناحية ، وتقوم بمساعدة العلاقات فى تركيب الوحدات اللغوية الاكبر منها من ناحية أخرى • واذا اردنا ان نضع مبادىء البراجماطيقة الصوتية ، فمن الضرورى ان نراعى فيها طبيعة الوحدات الصوتية وعلاقاتها مع الوحدات الاخرى • ويمكننا الآن بناءً على الشروط المتقدمة ان نكون هذه المبادىء أو القوانين كما يأتى :ـ

المبدأ الاول : يتكون كل قول أو تعبير لغوى من أصوات ، هى فى الحقيقة مجرد خصائص صوتية متميزة لا يمكن تجزئتها الى أصغر منها •

ان الخصائص الصوتية المتميزة حسب المبدأ الاول ما هى الا أصغر الوحدات اللغوية المتميزة لانها غير قابلة للتجزئة الى وحدات لغوية أصغر منها ، كما ان معرفتنا لها فى اللغة يتطلب منا دراسات صوتية معينة ، بالاضافة الى الملاحظات التى نقوم بها عن وظيفة هذه الوحدات فى البناء اللغوى وتغيير المعنى ، خاصة عندما نستعيض عنها بوحدات صوتية أخرى وعندما تبدأ دراساتنا لوظيفة الوحدات الصوتية أو الفونيمات فى البناء اللغوى ومقدار أهميتها بالنسبة للمعنى نكون قد انتقلنا من علم الاصوات الى الفونولوجية • والفرق بين علم الاصوات والفونولوجية واضح ؛ « لان علم الاصوات يهتم بدراسة الناحية المادية للاقوال البشرية ، فى حين تهم الفونولوجية » بدراسة وظيفة

الصوت فى البناء اللغوى »[٢٣] •

اما الذى نقصده بوظيفة الصوت فى البناء اللغوى فهو ذو حدين : أولا قيمة هذا الصوت فى البناء باعتباره من المكونات الضرورية ، وثانيا قدرة هذا الصوت على تغيير وتثبيت معانى العبارات ، فمن الضرورى اذن ان تركز الفونولوجية اهتمامها على الاصوات فيما اذا كانت متشابهة أو متضادة • واكتشاف المشابهة والتضاد يكون بالرجوع الى وظيفة الاصوات فى البناء اللغوى •

٤٦- المبدأ الثانى : لا يمكن أن يتم البناء اللغوى للاقوال الا بمساعدة الاصوات وعلاقات معينة تربطها •

حسب هذا المبدأ تظهر طبيعة الاقوال البشرية القائمة على أساس العلاقات التى تربط الوحدات الصوتية فيما بينها ، لان الاصوات بلا علاقات لا يمكن أن تكون أقوالا وبالتالى الكلام بأجمعه • أما طبيعة هذه العلاقات فسوف ندرسها بالتفصيل عند بحثنا للسنتاكس ، ولسوف تظهر أهمية هذه العلاقات واضحة فى كل من السيمانطيقة والبراجراطيقة على حد سواء • كما يظهر المبدأ الثانى شرطا ضروريا فى البناء اللغوى ، فاذا كانت عندنا ثلاثة وحدات صوتية مع علاقاتها ، فاننا نستطيع أن نكون بناء لغويا مفيدا ، أما اذا لم تكن هناك علاقات تربط هذه الوحدات ، فاننا بطبيعة الحال سنكون تعبيرا غريبا عن اللغة لانه لا يخضع لنظامها العام •

٤٧- المبدأ الثالث : اذا كانت الاصوات من خلال تشابهها الصوتى قريبة من بعضها ، فانها تكون مجموعة لها خاصية التشابه الصوتى •

لقد عرفنا ان الاصوات خصائص صوتية متميزة بمعنى انها تميز الصوت عن غيره ، فاذا كانت الاصوات (أ١ ، أ٢ ، أ٣ ، أ٤ ، أ٥) لها نفس الخاصية التى نحددها بواسطة الدراسات الصوتية ، فانها

(23) Trubetzkoy, N. S., Grundzüge der Phonology. p. 14.

تكون بطبيعة الحال مجموعة على الرغم من ظهور هذه الوحدات الصوتية فى مواضع مختلفة فى البناء اللغوى • أما فائدة هذا المبدأ فيتجلى فى تعريفنا للفونيمات (phonemes) بأنها فئات او أجناس او مجاميع من خصائص صوتية متميزة • وبناء على ذلك يجب أن نميز بين الصوت الذى يظهر فى عبارة معينة وبين الفونيم الذى يؤلف الوحدة اللغوية والذى يجمع الصفات الاساسية للاصوات المتشابهة رغم اختلاف مواضعها فى العبارات • ويمكننا مقارنة الفونيم بالحرف لأنهما يملكان الخصائص الضرورية نفسها ، أما الفرق بينهما فهو ان الاول وحدة كلامية فى البناء اللغوى بينما الحرف هو تحقيق هذه الوحدة اللغوية كتابيا • فالعلاقة بين الفونيم والصوت يمكن دراستها من وجهين :ـ

أ ـ الصوت كتحقيق كلامى لفونيم معين •

ب ـ الصوت كفرد او كعضو لجنس او لفئة معينة •

يبين الوجه الاول طبيعة الفونيم بأنه وحدة لغوية مجردة ، وما علاقة الصوت فى هذه الحالة الا مجرد علاقة تبعية كما هو الحال فى الدراسات الفلسفية عندما نتحدث عن المعنى الكلى والافراد الذين يرتبطون بالمعنى الكلى بعلاقة تبعية فقط ، لانها تحتوى على الصفات الاساسية للمعنى الكلى • أما الوجه الثانى فيبين بأن هناك فئة او جنس يدخل تحته أصوات كثيرة ، وكل صوت من هذه الاصوات عبارة عن عضو فى هذه الفئة • ولكى يكون هذا التميز ثابتا نضعه بصيغة مبدأ او او قانون •

٤٨ـ المبدأ الرابع : اذا كان أحد الاصوات حاصلا على صفة جنس او فئة ، فيمكن اعتباره عضوا فى تلك الفئة او الجنس ؛ ويمكن أن نعتبر الصوت فى هذه الحالة كتحقيق صوتى لفونيم معين •

ان أهمية هذا المبدأ تظهر بصورة خاصة فى الدراسات الفونولوجية ،

اذ نعتبر هذا القانون مبدأ البحوث الفونولوجية والسنتاكسية ، لان هذه البحوث تحتاج الى تحديد للوحدات اللغوية قبل البدء بالدرس ، كما ان تحديد الوحدات اللغوية يكون أيضا بتمييزها عن الوحدات الاخرى • ففى الدراسات الفونولوجية مثلا نعتبر الفونيم كوحدة فونولوجية لدراسات النظام الفونولوجى للغة ، بينما نعتبر الفونيم فى الدراسات السنتاكسية ذرة او وحدة لغوية لدراسات نظام السنتاكس اللغوى •

٤٩ــ واذا تكلمنا عن التشابه او الذاتية والاختلاف للاصوات فى الاقوال ، فاننا لابد أن نستعمل الخصائص الصوتية او نركز اهتمامنا على معانى الاقوال لتثبيت ذاتية الاصوات او اختلافها • ولما كان بالامكان ان ننظر الى الفونيم من وجهين (كتحقيق صوتى وكعضو فى فئة) ، فان هذين الاحتمالين يمكن تفسيرهما كما يأتى :

أ ــ اذا اعتبرنا الصوت عضوا فى فئة او جنس معين (لفونيم) ، فمن الضرورى أن نتكلم عن خاصيته صوتيا •

ــ اذا اعتبرنا الصوت تحقيقا لفونيم معين ، فمن الممكن أن نتكلم عن وظيفته كوحدة تغيير معنى •

وبناء على هذين الاحتمالين نحاول الآن أن نضعهما فى هيئة قانونية ، فنأخذ بالاحتمال الاول كمبدأ خامس ، بينما يصبح الاحتمال الثانى مبدأ سادسا •

المبدأ الخامس : يمكن أن يتشابه صوت مع آخر ، اذا كان كل منهما عضوا فى فئة واحدة تجمعهما ، ولا يمكن أن نعتبرهما كذلك فى حالة كونهما أعضاء فى فئات مختلفة •

ولكى يكون علينا فهم هذا المبدأ بسيطا نفترض وجود شخصين ، أحدهما متكلم والآخر مستمع لهم اللغة نفسها • فالمتكلم ينطق عبارات لغوية مؤلفة من أصوات لها خصائص صوتية متميزة ، فى حين ينصت المستمع الى هذه العبارات ويركز انتباهه على الاصوات

لـكى يفهم ما يقصد اليه المتكلم ، لان المتكلم اذ ينطق هذه العبارات انما يريد بها ان يعبر عن افكاره بل وعالمه الفكرى ، فمن الضرورى اذن ان تخرج الاصوات متمايزة عن بعضهـا ، لان اختلافها يرتبط تماما باختلاف فى المعنى • وهذا يعنى اننا عند الـكلام يجب أن نرعى قواعد اخراج الاصوات من جهة والمعانى المرتبطة بها من جهة أخرى، لأن الاصوات فى الحقيقة عناصر بنائية فى اللغة ووحدات تغيير فى المعنى فى آن واحد •

٥٠ـ واذا أردنا الكلام عن استبدال صوت بصوت آخر فى لغة معينة ، فاننا نعنى بذلك أن هذا الاستبدال لا يكون الا فى حالتين ، اولاهما عندمـــا يكون الصوتان متشابهين ، وثانيهما عندما يكون الصوتان مختلفين • كما نأخذ بنظر الاعتبار معنى العبارات عند الاستبدال ، ففى حالـة تشابه الاصوات يبقى المعنى ثابتا بعد الاستبدال ، بينما يتغير المعنى بعد الاستبدال فى حالة اختلاف الاصوات • وعندما نستبدل صوتا بصوت آخر فى قول معين ، فاننا نواجه احتمالين :

أ ـ أما أن نحصل على قول لا يوجد فى اللغة بتـاتـا ، مثال ذلك استبدال القاف فى القول « قال » بالالف فينتج قولا « ققال » لا وجود له فى اللغة العربية •

ب ـ أو أن نحصل على قول يخضع للعرف اللغوى مثال ذلك استبدال صوت « ز » فى القول « قـال » بالصوتى « ق » فينتج قـولا « زال » •

٥١ـ فاذا أردنا الآن أن نثبت هذه الخصائص بمبدأ ، فمن الضرورى أن نأخذ بنظر الاعتبـار الخصائص الصوتيـة والفونولوجيـة للاصوات المتشابهة والمختلفة معا ، وما تحدثه هذه الاصوات عند الاستبدال من تغيير او عدم تغيير فى المعنى للقول •

المبدأ السادس : يمكن استبدال صوت بصوت آخر ، اذا كان الصوتان متشابهين او مختلفين : يكون الاستبدال فى حالة التشابه ،

اذا كان الصوتان عضوين لفئة واحدة ، ولا يرافق هذا الاستبدال أى تغيير فى المعنى • كما يكون الاستبدال فى الحالة الثانية ممكنا عندما نحصل على قول مألوف ، ويرافق هذا العمل تغيير فى المعنى •

هذه هى المبادىء الاساسية للدراسات الصوتية مع ملاحظات هامة لوظائف الصوت فى البناء اللغوى ومن ناحية السنتاكس والمعنى • كما تجدر الاشارة هنا بأننا سنؤجل القسم الثانى من البراجرطيقة والذى يتضمن نظرية المعرفة اللغوية الى آخر هذه المقالة لاعتماده على بحوث السنتاكس والسيمانطيقة معا •

٥ ـ السنتاكس كنظرية للاشكال اللغوية

تمهيـــد

٥٢ـ لقد لاحظنا فيما تقدم بأن اللغة تظهر لنا أول الامر على شكل متواليات صوتية ، وكانت غايتنا الاولى التعرف على هذه الظاهرة ودراستهـا علميا ومن ثم بناء القواعد العامة المشتركة لكل اللغات فى هذا المجال • ولـكننا نضع أيدينا كما شاهدنا من دراساتنا السابقة على تنظيم وترتيب يجب أن يراعيه الفرد عند الـكلام ، فاذا استطعنا الآن أن نجمع الخصائص الاساسية لهذا النظام ، فاننا نكون قد كشفنا عن الاساس الذى يساعدنا فى ترتيب الاصوات والعبارات • ودراسة هذا النظام بخصائصه الاساسية هو من عمـل السنتاكس الذى يهتم بالاشكال والعـلاقات اللغوية التى تحدد نوع النظام اللغوى للغة المدروسة ، وهذا يعنى اننا سنترك الآن دراسة الاصوات جانبا ولا نأخذ من هذه الدراسة الا النتيجة التى توصلنا لها وهى ان الفونيمات هى الوحدات اللغوية الاساسية ، وانها يمكن أن تفهم على طريقتين ، اولا كذرات او عناصر بنائية فى السنتاكس ووحدات وظيفية فى الفونولوجية • وفى بحثنا لتركيب اللغة سنحدد الفونيم باعتباره وحدة لغوية او ذرة لها شكل معين •

(١) المعايير البنائية فى السنتاكس :

٥٣ـ السنتاكس ، باعتباره علم يهتم بدراسة جميع الخصائص الصورية او الشكلية للغات التى تظهر فى العبارات والفئات والمقولات والعلاقات اللغوية ، يهتم أولا بالصفات او الخصائص اللغوية الآتية :

١ ـ ترتيب الوحدات السنتاكسية او الصورية •

٢ ـ تكوين المقولات والفئات الخاصة بالوحدات الصورية •

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان العبارة اللغوية لها ترتيب معين ، وفى هذا الترتيب تستتر المقولات اللغوية المعروفة ، فمن واجبنا الآن أن ندرس هذه الخصائص ونضعها على هيئة معايير لهذا العلم •

أ ـ معيار الترتيب الصورى : تترتب جميع الوحدات الشكلية على هيئة خط مستقيم ، بحيث يكون هناك وحدات متقدمة واخرى متأخرة عنها ، ويكون لكل وحدة موضع ووظيفة معينة •

ب ـ معيار بناء الفئات الصورى : ان ترتيب الوحدات الشكلية يبين ظاهرة أخرى هى ان هذه الوحدات تبعا لوظائفها ومواضعها تكون فئات ومقولات •

جـ ـ معيار الاستعاضة الصورى : يمكن أن نستعيض عن وحدة شكلية بوحدة أخرى ، اذا استطعنا ان نحصل بعد الاستعاضة على عبارة لغوية مقبولة •

د ـ معيار القبول الصورى : تكون الوحدات الشكلية ترتيبا لغويا مقبولا ، اذا كانت العلاقات التى تربط هذه الوحدات قواعدية ، بحيث تكون العبارات الناتجة جملا او قضايا فى اللغة التى تحتوى هذه الوحدات والعلاقات •

٥٤ـ واذا كانت دراستنا الآن تهتم بالاشكال والعلاقات اللغوية ، فان الدراسات الصوتية والفيزيولوجية والفونولوجية لن تجد مكانا فيها ، ومن أبسط

قواعد السنتاكس هو ان نميز الان بين الاشكال اللغوية ، فاذا أخذنا نصا لغويا ونظرنا اليه ، فان اول ما نلاحظه هو الاشكال المكتوبة والتي تترتب في كلمات وعبارات تختلف باختلاف وحداتها الشكلية المكونة لها • وكما كان التحليل في الاصوات ينتهي بايجاد الوحدات الصوتية ، كذلك التحليل في التركيب اللغوي الذي ينتهي عند ايجاد الوحدات الشكلية غير القابلة للتجزئة الى وحدات شكلية أصغر منها •
والوحدة البنائية في السنتاكس التي لا تقبل التجزئة بالمعنى المذكور هي الذرة التي يوازيها الفونيم في دراسات السنتاكس الوصفية •
ويمكننا الآن تعريف الذرة كالآتي :

التعريف (٥) : الذرة : هي أصغر وحدة في السنتاكس الصوري التي لا تقبل التجزئة ، كما انها تدخل مع وحدات أخرى في بناء التراكيب • على هذا الاساس تكون كل عبارة سنتاكسية من ذرات معينة لها موضع ووظيفة معينان في العبارة •

تعريف (٦) : الجزيء : هو تركيب لغوي مؤلف من أكثر من ذرة لغوية •

ان تركيب الجزيء وتتابع الذرات فيه لا يتم الا تبعا لقواعد لغوية معينة ، لذا من الضروري أن يطبق هذا المبدأ في اللغات المدروسة لمعرفة القواعد التي تسير التراكيب بموجبها • وهنا تظهر أهمية العلاقات التي تربط هذه الذرات مكونة الجزيئات او التراكيب اللغوية عامة • ومن أهدافنا الآن أن نبين ونعرف جميع العلاقات الضرورية الشكلية في علم التراكيب اللغوية والتي يظهر كلها او بعضها في اللغات حسب مقتضيات اللغة المدروسة • ولكن هناك علاقة ضرورية تظهر في جميع اللغات قاطبة واليها ترجع جميع العلاقات الاخرى ألا وهي « الاستلزام Presupposition » ولقد اتخذت مدرسة كوبنهاجن في دراستها اللغوية العلاقة نفسها ، كما أشار هيلمسليف واولدال في بحثهما عن علاقة التبعية dependence [٢٤] حيث اعتبروها العلاقة

الضرورية فى دراسة منطق اللغة • ولكى يكون لنا معنى واضحا لعلاقة الاستلزام نعرفها بالكلمات الآتية :

تعريف (٧) الاستلزام علاقة ضرورية بين الوحدات الغوية ، فاذا كانت الذرة أ تستلزم مثلا الذرة ب ، فان ذلك معناه ، ان وجود أ يشترط معه وجود ب •

ولهذه العلاقة أهمية كبيرة فى دراسة المقاطع اللغوية التى تتألف من وحدتين او ثلاثة وحدات لغوية أو أكثر •

٥٥- والى جانب هذه العلاقة توجد علاقات أخرى مهمة فى البناء الشكلى للغة ، ويمكننا ان نعرف هذه العلاقات بالاستعانة بعلاقة الاستلزام •

تعريف (٨) التكامل علاقة استلزام بشرط أن العكس ممكن ، وبعبارة أخرى اذا كانت الذرة أ تستلزم الذرة ب ، فان ب تستلزم الذرة أ أيضا •

تعريف (٩) التفكك علاقة غير الزامية بين الوحدات الغوية ، وهذا يعنى أن بين الذرة أ والذرة ب مثلا لاتوجد علاقة استلزام •

ان دور التفكك مهم فى الدراسات الشكلية ، فليس من الضرورى أن تظهر الوحدات اللغوية معا مكونة بذلك وحدات أكبر اذ هناك ما يمنع تركيب بعض الوحدات •

٥٦- وفى حالة تكوين العبارات او الجزيئات اللغوية من الذرات والعلاقات البورية ، فمن الضرورى أن نميز تركيبا أكثر تعقيدا من سابقه وهو موضوع علم الصرف "Morphology" الذى يهتم بدراسة اللغة من ناحية اشتقاقاتها وتصريفات أفعالها • ورغم تعقيد هذا التركيب الا انه يعتمد فى الحقيقة على التركيب الذى سبقه • ولما كنا قد ميزنا بين السنتاكس الصورى والوصفى ، فمن الضرورى هنا ان نميز بين الالفاظ التى نستخدمها فى كل حقل من العلمين ، فالجزيئات مثلا

(24) Hjelmslev L., and Uldall, H. J., Outine of Glossematics p: 36.

لفظ من السنتاكس الصورى تقابله المقاطع الاولية والنهائية والمورفيمات في السنتاكس الوصفى • والعلاقة بين السنتاكس الصورى والوصفى هى ان السنتاكس الصورى نظريـة عامـة يمكن تفسيرها فى عـلوم مختلفة بعد ادخال بعض الافكار التى تقترن بالعلوم ، أما السنتاكس الوصفى فانه تفسيرلغوى لسنتاكس لغة معينة •

(٢) مبادىء السنتاكس الاساسية :

٥٧ـ نحاول الآن من بعد دراستنا للصفات الجوهرية للسنتاكس الصورى ان نضع هذه الصفات على هيئة نظام مؤلف من مبادىء نستطيع بواسطته ان نحلل التراكيب اللغوية لاية لغة كانت مهما اختلف نظامها الصرفي والنحوى • ولبناء مثل هذا النظام نحتاج الى مبدأ عام ندعوه « بمبدأ التحويل » لـكى نوحد المبادىء العامة فى جميع مراحل السنتاكس المختلفة ، اما صياغة المبدأ فهى :ـ

مبدأ التحويل : يمكن تحويل جميع الخصائص الاساسية للسنتاكس الصورى التى تهتم بدراسة الفونولوجية الوصفية للغة معينة الى مرحلة أعلى بحيث تهتم بدراسـة المورفولوجية او او اشتقاقات اللغة وصرفها •

والذى نعنيه بهذا المبدأ العام هو ان المبادىء التى نضعهـا للدراسات الفونولوجية المهتمة بالوحدات اللغوية الاساسية تصلح لان تطبق على مرحلة أعلى هى مرحلة الدراسات المورفولوجية أو الصرفية • ولكى يكون تطبيق هذا المبدأ يسيراً خاليا من النقد العلمى يجب ان ندخل بعض الافكار أو الالفاظ التى تصلح لان تطبق فى الفونولوجيـة والمورفولوجية معا وكذلك جميع مراحل السنتاكس الصورى • ومن هذه الالفاظ أو الافكار « شكل (Gestalt) الذى يصلح ان يفسر على أساس ذرة فى الدراسات الفونولوجية أو جزيء فى الدراسات الصرفية • ويمكننا الآن تعريف (الشكل) كما يأتى :ـ

تعريف (١٠) الشكل ذرة أو جزيء •

٥٨ـ اما المبادىء التى نود ان نعملها للدراسات التركيبية للغة فانها تؤلف مع بعضها نظاما صوريا له الخصائص التى تحددها المبادىء ، كمـــا يمكن تفسير هذه المبادىء تبعا للغة التى نعنيها للدرس والتمحيص • تقع هذه المبادىء أو القوانين فى أربعة مجاميع تظهر فيها الخصائص الصورية مجتمعة •

أ ـ مبادىء الارتباط التى تهتم بالخصائص الاساسية للترتيب •

ب ـ مبادىء نظرية الفئات التى تركز اهتمامها على تصنيف الاشكال

حـ ـ مبادىء نظرية العلاقات التى تدرس علاقات الفئات •

د ـ مبادىء النظرية النحوية التى تتخـذ من الخصائص النحـوية للغات وامكانية الاستعاضة ضمن حدود معينة موضوعا لها •

ولـكى نكون على بينة من دور هذه المجاميع والمبادىء يجدر بنا ان نتكلم عنها بشىء من التوضيح ونقوم بصياغتها علميا مستعينين بمبادىء المنطق الرياضى الحديث •

(أ) مبادىء الارتباط :

٥٩ـ اذا لاحظنا نظام أية لغة كانت ، فاننا سنجد ظاهرة عامة مشتركة فى جميعها ، هى ان الوحدات اللغـــوية سواء كانت فونيمات أم كلمات ترتبط بشكل خاص مكونة بذلك عبارات أكثر تعقيدا ، ولـكى نثبت هذه الصفة الارتباطية العامة فى السنتاكس الصورى ، نحاول ان نضعها فى قانونين أو مبدأين :ـ

المبدأ الاول : الذرات هى الوحدات الاولية للسنتاكس ، منها تتكون الجزيئات التى تتميز بكونها أكثر تعقيدا من الوحدات الاولية •

٦٠ـ المبدأ الثانى : اذا كانت هناك رابطة أو علاقة بين الشكل أ والشكل ب ، فمن الممكـن ان تكون طبيعة هذه العلامة احـــد الاحتمالات الآتية :

« أ تستلزم ب » وندعو هذه الرابطة بالحتمية Determinism لان وجود أ يحتم وجود ب بالضرورة •

« ب تستلزم أ » وهى رابطة حتمية أيضا •

« أ تسلتزم ب وبالعكس » وندعوا هـــذه الرابطـــة بالتكامل Integration •

« أ لا تستلزم ب » وهذه هى رابطة التفكك Disintegration

واذا اصلطلحنا الآن على وضع العلامة « ← » الى علاقة الاستلزام نكون قد حصلنا على الاحتمالات بصيغها الرمزية التالية :

أ ← ب الحتمية

ب ← أ الحتمية

أ ⇄ ب التكامل

أ ↛ ب التفكك

هذه هى العلاقات الممكنة التى يمكننا ان نحصل لها على نماذج لغوية فى الدراسات الفونولوجية والصرفية معا • ولـكن أهمية هذه العلاقات تظهر أكثر وضوحا فى الدراسات الصرفية ، فهناك مقاطع لغـــوية تستلزم وجود مقاطع لغوية اخرى لانها لا يمكن ان تظهر لوحدها فى اللغة ومن الامثلة على ذلك فى اللغة العربية مقطع التثنية كما فى المثال الآتى :

« ولدان » مؤلفة من ولد ومقطع التثنية « ـ ان » ويمكننا الآن ان نبين هذه العلاقة بالاحتمالات السابقة : « ولد ← ان » أى ان المقطع (ـ ان) يستلزم مقطعا آخر لانه لا يمكن ان يظهر لوحده فى اللغة ، وكذلك الامر فى اللغات الاجنبية ففى اللغة الانكليزية مثلا نجـد ان المقطـــع الدال على الجمع وهو (S —) فى العبـــارات "Girls" , "Streets" الخ يستلزم مقـاطع أخرى يمكن ان تظهـر

لوحدها في اللغة ، اما هو فيحتاج الى مقطع يقترن به • وكذلك الحال في اللغة الالمانية واللاتينية مثلا •

ولكي نعطي أمثلة واضحة من لغات مختلفة لمختلف الروابط نحاول الآن ان نضع جدولا بذلك ، على ان نرمز للوحدات اللغوية في هذه الحالة بحرفي (y ، x) •

قرأ	(المانية)	Lesen ⟵ ge	X ⟶ y
نساء	(المانية)	en ⟵ Frau	X ⟶ y
انا اثني	(لاتينية)	O ⇄ Laud	X ⟷ y
	(المانية)	Lich ⟶/- gehen	X ←/→ y

ان المقطع (— ge) في العبارة الاولى يستلزم وجود عبارات من صيغ الافعال بينما يستلزم المقطع (— en) الدال على الجمع في اللغة الالمانية وجود صيغ أسمية أو أسماء • اما المقطع (— O) , (Laud) في اللاتينية فيستلزم احدهما الآخر ، في حين تنعدم هذه الصفة في في العبارة الرابعة اذ لا توجد علامة استلزام بين المقطعين ، بل لا يمكن ان توجد عبارة بهذا الشكل في اللغة الالمانية •

(ب) مبادىء نظرية الفئات :

٦١ـ ذكرنا في الفقرة **(٥٣)** معيار بنـــاء الفئات الصورى الذى يعتبر في نظريتنا اللغوية بداية بحث نظرية الفئات ، كما ان تأكيد هذا المعيار على تكوين فئات أو مقولات لغوية له أهميته في التحليل اللغوى ، لان العبارات اللغوية ومنها الـكلمات والافعال والادوات تتشابه فيما بينها بخصائص وظيفية ، بحيث يمكننا ان نجمع جميـــع العبارات الحاصلة على صفة معينة أو وظيفة خاصة تحت فئة ، وبعبارة أخرى : ان الصفة العامة الجوهرية للعبارات أو الاشكال هي التي تحدد لنا نوع

المقولة ، ولما كانت نظرية الفئات تعتمد على الفئة فان تعريفها ضرورى قبل الشروع بوضع المبادىء العامة لنظرية الفئات • ولقد وجدنا من بحوثنا السابقة ان العبارات أو الاشكال تترتب بشكل خط مستقيم أو من الممكن ان تترتب كذلك فى بعض اللغات ، وكانت العلاقة الجوهرية التى تربط الوحدات اللغوية مع بعضها هى (الاستلزام) • اما الآن فاننا نتحدث عن وظيفة أو صفة للاشياء التى تكون فئة معينة ، فمن واجبنا الآن ان نحدد هذه الخاصية وطبيعتها وهل يمكن ان نخضعها الى العلاقات التى ذكرناها سابقا •

تعريف (١١) خاصية الفئة أو صفتها أو وظيفتها : هى استلزام مع شرط هو : اذا ظهرت علاقة الاستلزام كرابطة حتمية أو تكاملية تربط بين الوحدات المتشابهة والمختلفة ، فاننا سنعتبر الوحدات المتشابهة دلالة للفئة المكونة •

ولتوضيح ذلك نأخذ بعض الامثلة :

العربية	معلمون ، مثقفون ، عائدون
الانكليزية	employment ‘ establishment
الالمانية	Studenten Frauen
اللاتينية	migrabam Laudabam

ترتبط جميع المقاطع التى تحتها خط فى اللغات التى ذكرناها بعلامة استلزام مع مقاطعها المرتبطة بها ، وهى لا تستطيع ان تظهر وحدها فى اللغة ، لانها تعتمد فى وجودها على عبارات أخرى ، وهذه المقاطع بعلاقاتها تبين لنا خاصية الفئة ، اذ عندنا الآن مقاطع أو وحدات لغوية متشابهة تستلزم وحدات لغوية مختلفة وهى تحدد خاصة الفئة •

٦٢- تتميز هذه الوحدات المتشابهة فى الامثلة السابقة مثل (ـ ون) ، (— ment) ‘ (— en) ‘ (— bam) بانها ثابتة رغم تغيير الوحدات اللغوية التى تظهر معها ، فهى ثوابت لغوية (Constants of Language) فى حين تكون الوحدات الاخرى متغيرات (Varibles of Language) لانها تتغير من حين لآخر •

وبعد ان اتضح لنا الآن أهمية علاقة الاستلزام فى اللغة وفى الفئات نحاول ان نصيغ الآن تعريف الفئة .

تعريف (١٢) : الفئة هى مجموعة الوحدات التى لها وظيفة أو خاصية مشتركة .

يظهر هذا التعريف بانه عام بحيث يمكن ان تحتوى الفئة على وحدات مختلفة أو متشابهة لان المهم هو ان لهـذه الوحدات سواء كانت مختلفة أو متشابهة خاصية مشتركة .

٦٣- وفيما يأتى نضع الخصائص الاساسية لنظرية الفئات على شكل مبادىء هى :-

المبدأ الثالث : تؤلف جميع الاشكال المتشابهة فئة .

المبدأ الرابع : اذا احتوت فئة على أشكال مختلفة ، فمن الضرورى ان تكون لهذه الاشكال خاصية أو وظيفة مشتركة .

ولتوضيح هذه المبادىء نجد الامثلة السابقة فى الفقرة (٦٠) تكفي الغرض المطلوب ، فان المقاطع (ـ ون) فى العبارات معلمون ، مثقفون ، جاهلون ، عائدون وهكذا تؤلف فئة حسب المبدأ الثالث ، بينما تؤلف العبارات معلم ، مثقف ، جاهل ، عائد .. الخ فئة رغم اختلاف اشكالها لانها حاصلة على خاصية أو وظيفة لغوية واحدة ، فهى تخضع فى تصنيفها للمبدأ الرابع .

(ح) مبادىء نظرية العلاقات :

٦٤- تكمل نظرية العلاقات ما بدأت به وانتهت اليه نظرية الفئات ، وتهتم هذه النظرية بعلاقات الوحدات بالفئة . وفى هذا المجال نقوم بوضع مبادىء تتعلق بالخصائص الاساسية للعلاقات .

المبدأ الخامس : يكون الشكل عضوا فى فئة ، اذا كان منتميا لها أو حاصلا على خاصية تلك الفئة .

المبدأ السادس : تكون الاشكال مع بعضها متجانسة فى حالة كونها أعضاء فى فئة واحدة معينة .

تظهر أهمية المبادىء الخاصة بالفئات والعلاقات بصورة خاصة في دراساتنا للغة وتصنيفها الى مقولات وفئات ليسهل علينا اعرابها ومعرفة مواضعها النحوية ، كما ان لهذه المبادىء اهميتها في بحوث علم الصرف والنحو ، لانها تثبت طريقة تحليل وتصنيف المقاطع اللغوية ، كما انها مهمة في الدراسات النحوية ، لانها تبين خصائص العبارات ضمن عبارات أخرى أكثر تعقيدا • ومن الامثلة على العبارات المتجانسة في اللغة العربية ، الافعال ، الاسماء ، الادوات ••• الخ ، فالفعل الماضي يعتبر متجانسا مع فعل ماضي آخر مثلا ، وكذلك أدوات الجر التي تعتبر متجانسة فيما بينها أيضا •

(د) مبادىء النظرية النحوية :

٦٥- ان الذي نفهمه من النظرية النحوية المبادىء الاساسية التي تختص بظواهر ترتيب الكلمات أو العبارات التي يمكن ان تظهر وحدها من غير حاجة الى الاعتماد على عبارات أخرى • وتظهر هذه المبادىء كما يأتي :

المبدأ السابع : لكل شكل في الترتيب موضع معين يبين وظيفة الشكل فيه •

المبدأ الثامن : يمكن ان نستعيض عن شكل بشكل آخر في ترتيب معين اذا كان الشكلان أعضاء لفئة واحدة وكان نتيجة التعويض ترتيبا مقبولا •

يبين المبدأ السابع حقيقة نحوية مهمة هي ان للكلمات مواضع معينة تظهر فيها ، كما تظهر معها وظائف هذه الكلمات وخصائصها النحوية ، فاذا ابدلنا مواضع الكلمات نتج عن هذا التبديل تغيرا في وظيفة الكلمات وخصائصها • ففي اللغات الاوربية مثلا يظهر الفاعل في موضع معين والمفعول به في موضع آخر ، فاذا ما جعلنا الاسم الذي كان في الحالة الاولى فاعلا محل المفعول به فلابد ان يحصل تغيير نحوي لان الاسم سيحصل على خصائص أخرى هي من جوهر فئة

المفعول به • واذا أردنا ان نستعيض عن عبارة بأخرى فان ذلك ممكن اذا كانت العبارة تحتوى الخصائص النحوية نفسها وان الاستعاضة تكون موفقة بحيث نحصل على نتيجة مقبولة نحويا • وهذا يعنى ان من شروط الاستعاضة حسب المبدأ الثامن هو ان نأخذ بنظر الاعتبار موضع العبارات ووظيفتها أو خاصيتها ، ومن الامثلة على ذلك العبارات الآتية :

ذهب الولد الى البيت • فاننا نستطيع ان نستعيض عن اللفظة « الولد » بألفاظ أخرى مثل الرجل ، الحصان •• الخ فتكون النتيجة ذهب الرجل الى البيت ، ذهب الحصان الى البيت • ولكننا لا نستطيع ان نستعيض عن هذا اللفظ بلفظ مؤنث مثل امرأة لان النتيجة لا تكون مقبولة نحويا ، ذهب المرأة الى البيت » • فلابد اذن ان يستوفى التعويض شروط المبدأ الثامن •

٦ ـ السيمانطيقة كنظرية للمعنى

تمهيـــد

٦٦ـ تركز الدراسات المنطقية للغة اهتمامها على ثلاثة مظاهر كبرى ، سنتاكسية وسيمانطيقية وبراجماطيقية ، ولقد وجدنا من مناقشاتنا لحد الآن بان البراجماطيقة تهتم بدراسة صلة الفرد باللغة من ناحيتين : الناحية الصوتية والناحية الفكرية ، اما السنتاكس فيهتم بالاشكال أو العلامات وعلاقتها وما يتم بواسطتها من تعابير مختلفة • وتختلف السيمانطيقة عن السنتاكس فى ناحية واحدة ، فهى تأخذ بدراسة الاشكال والعلاقات والتعابير لانها تستلزم هذه الدراسة السنتاكسية للغة ، ولكن السيمانطيقة تبحث الى جانب ذلك دلالة العبارات والاشكال وما تعنيه[٢٥] •

---

(٢٥) من الدراسات الحديثة فى السيمانطيقة نذكر الكتب الآتية :
1) Ogden, C. K., and Richards, I. A., Meaning of Meaning
2) Morris, Ch, W., Foundations of the Theory of signs
3) Carnap, R., Introduction to Semantics

ويقترب مفهومنا للسيمانطيقة من مفاهيم الدراسات اللغوية والمنطقية مع اختلاف ظاهر هو اننا نسعى لبناء نظرية عامة لبحث خصائص الدلالة والمعنى للغات ، وهذا يعني بان أهميتها للدراسات اللغوية ترتكز على بحث اللغات ، وذلك باعطاء نماذج لغوية للمبادىء العامة للنظرية بغية تحقيقها • لذا فيجب ان نميز كما في السنتاكس بين السيمانطيقة الصورية التي تتألف من مبادىء عامة وتعاريف وبين السيمانطيقة الوصفية التي تتصل باللغات مباشرة وباللغة المدروسة خاصة•وفي كلتا الحالتين تعتمد دراساتنا السيمانطيقية على السنتاكس لان الاخير يكون القاعدة الاساسية لنظام اللغة التركيبي ، وعلى هذا الاساس سوف نتبع طرق السنتاكس مع اضافات تتعلق بالسيمانطيقة عند وضعنا نظرية المعنى العامة •

(١) المعايير السيمانطيقية :

٦٧- السيمانطيقة ، باعتبارها علم دراسة الخصائص الدلالية والمعنوية للغات ، تركز اهتمامها على دراسة الخصائص الآتية المقترنة بالسنتاكس أيضا :

١ - ترتيب الوحدات السيمانطيقية

٢ - وتركيب فئات هذه الوحدات •

يمكننا الآن ان نعبر عن هذه الخصائص بمعايير سيمانطيقية مهمة :-

أ - معيار الترتيب السيمانطيقي : لما كانت لجميع الوحدات الصورية موضع ووظيفة معينة (حسب معيار الترتيب الصوري - فقرة ٥٣) ، فكذلك الحال بالنسبة للوحدات الدلالية لان قيمتها (Value) تقاس بالنسبة لموضعها ووظيفتها •

ب - معيار بناء الفئات السيمانطيقي : تقوم الوحدات الدلالية بتأليف فئات أو مجاميع تبعا لقيمتها في العبارة ، اللغوية ، ويكون تأليف الفئات على نوعين :-

١ ـ تؤلف الوحدات الدلالية المختلفة فئة واحدة ، اذا كان لجميعها قيمة دلالية واحدة •

٢ ـ تؤلف الوحـدات الدلاليـة المتشابهة شكليا فئة رغم اختلاف قيمها الدلاليه •

يتم بناء هذه الفئات على اعتبارين: الاول ويختص بالمعنى ويرتبط به رغم اختلاف الوحدات الدلالية شكليا ، ومن الامثلة على ذلك الاسماء التى تختص بالاسـد التى تدل على الاسـد رغم اختلافها شكليا • الثانى ويختص بالشكل ويرتبط به ، رغم اختلاف الوحدات الدلالية معنويا ، ومن الامثلة على ذلك قولنا « عين » التى تدل على العين الباصرة وعلى العين الجارية •

حـ ـ معيار الترادف السيمانطيقى : تكون وحدة سيمانطيقية مترادفة مع وحدة اخرى من نفس اللغة ، اذا استوفت الشروط الآتية :

١ ـ اذا ظهرتا ضمن عبارة لغوية لها معنى •

٢ ـ اذا امكن استبدال احدهما بالآخر •

٣ ـ يجب ان يبقى معنى العبارة اللغوية ثابتا بعد عملية الاستبدال •

٦٨ـ وكما هو الحال فى دراساتنا السنتاكسية نهمل فى السيمانطيقة بحث الاصوات ونهتم فقط بالمستوى الشكلى والدلالى للغـــة • فالوحدات السيمانطيقية يجب ان يكون لها شكل معين ودلالة معينة ، وندعـو هذه الوحدات (بالدالات Semanteme) التى نعرفها بالصيغة الآتية :

تعريف ١٣ : الدالة هى أصغر وحدة دلالية لا تقبـــل التجزئة الى وحدات دلالية أصغر منها • ولـكنها تدخل فى تراكيب لغوية مكونة مع الوحدات الاخرى معنى معينا •

يظهر من التعريف ان الدلالة تكون مع الوحدات الاخـــرى معنى

معينا ، فلابد ان تترتب هذه الدالات مع بعضها بحيث تعطينا أخيرا معنى • وهذا الترتيب لا يكون الا ضمن قواعد اللغة الدلالية • لذا نجد انفسنا مضطرين الى صياغة معيار القبول السيمانطيقى •

د ـ معيار القبول السيمانطيقى : تكون متوالية دالات معنى مقبولا ، اذا استوفت الشروط الآتية :

١ ـ يجب ان تكون المتوالية مقبولة تركيبيا أو شكليا •

٢ ـ يجب ان ترتبط قيم الدالات مع بعضها مكونة بذلك معنى مفيدا •

ويظهر كذلك من هذا المعيار بان الدالات تكون نسيجا دلاليا فى سياق الكلام (Context) • ولكى نميز بين الكلام المفيد والكلام الذى لا معنى له ، نعرف هذا النسيج الدلالى :ـ

تعريف ١٤ : النسيج الدلالى متوالية نهائية مقبولة تتألف من دالات • ان هذا التعريف يبين بوضوح ماذا نعنى بالكلام المفيد الذى يكون نسيجا دلاليا ، والذى يختلف فى طبيعته عن الكلام الذى لا يؤلف هذا النسيج الدلالى ، والذى هو مجرد وضع كلمات متفرقة على هيئة كلام •

٦٩ـ واذا حللنا الدالات اللغوية الى مكوناتها الاساسية لوجدناها تتألف من مظهرين :ـ

١ ـ المظهر الشكلى الذى تعتمد عليه الدالات فى البناء الصورى للغة والذى يدخل ضمن دراسات السنتاكس •

٢ ـ المظهر الدلالى الذى يستلزم المظهر الشكلى ويعتمد عليه ، ولكنه يحدد قيمة الاشكال •

واذا قرنا الآن المظهر الدلالى للدالات بالقيم ، فمن الضرورى ان نحدد الآن مالذى نقصده بالقيمة :

تعريف ١٥ : قيمة الدالة هى المعنى الذى يقترن بتركيب الدالة والذى

يظهر ضمن نسيج دلالى معين •

ويجب ان نشير هنا الى حقيقة لغوية هامة هى ان ارتباطات الدالات يعتمد أولا وقبل كل شيء على قابليتها التركيبية فى بناء العبارات ومقدرتها على ان تنجز عملها ضمن الاطار العام للمعنى الكلى التى تعطيه العبارات ، فاذا كشفنا عن ارتباطات الوحدات اللغوية استطعنا ان نذلل جميع المصاعب التى قد تظهر فى بحوث السيمانطيقة والبراجماطيقة معا •

(٢) المبادىء السيمانطيقية العامة :

٧٠ـ تؤلف المعايير السيمانطيقية المذكورة الاساس فى الدراسات النظرية السيمانطيقية ، لان تحليلها الى مبادىء عامة يشكل لنا نظاما نظريا لدراسة اللغة على أساس المعنى والدلالة • وهذا يعنى ان النظام النظرى فى السيمانطيقة يقدم لنا المبادىء التى نستعملها فى تحليل اللغة واقرانها بنماذج لغوية وصفية من اللغة المدروسة •

وتقع المبادىء العامة فى أربع مجموعات كما هو الحال فى المبادىء العامة للسنتاكس ، وتعبر هذه المبادىء عن الخصائص السيمانطيقية العامة التى تتوفر فى جميع اللغات • والمجموعات الاربع هى :ـ

أ ـ مبادىء الارتباط السيمانطيقية •

ب ـ مبادىء نظرية الفئات السمانطيقية •

حـ ـ مبادىء نظرية العلاقات السيمانطيقية •

د ـ مبادىء الاستعاضة السيمانطيقية •

ولكي نكون على بينة من دور هذه المبادىء وطبيعتها ندرسها الآن بالتفصيل :

(أ) مبادىء الارتباط السيمانطيقية :

٧١ـ تظهر مبادىء الارتباط السيمانطيقية شبيهة فى صيغتها المنطقية بالمبادىء الارتباط الصورية ولكن بين المجموعتين اختلاف كبير ، فبينما تهتم

المبادىء الصورية بالاشكال من غير ان تأخذ بنظر الاعتبار المعنى ، نجد المبادىء السيمانطيقية تركز اهميتها على دور المعنى فى الارتباط ، اما العلاقات فى المبادىء الصورية والسيمانطيقية فهى واحدة من ناحية التراكيب ، لكنها مختلفة من ناحية الدلالية ، لان على الوحدات الدلالية ان ترتبط بصورة معينة بحيث نستطيع فى الاخير ان نحصل على معنى مفيد من العبارة المتكونة ، بينما هـــذا الشرط غير موجـــود فى السنتاكس •

المبدأ الاول : ان الوحدات الاساسية فى السيمانطيقة هى الدالات ، التى يتألف منها النسيج الدلالى •

المبدأ الثانى : اذا ارتبطت دالة بدالات أخرى بعلاقة سنتاكسية أو صورية ، فمن الضرورى ان ندرس قيمة النسيج الدلالى بالنسبة لهذه العلاقة والمعنى أيضا ، سواء كانت العلاقـة حتمية أم تكاملية •

المبدأ الثالث : يتوقف تعين قيمة الدالة على وجودها وعلاقتها ضمن النسيج الدلالى •

٧٢ـ تقوم الدالات بناء النسيج الدلالى ، وهى الوحدات الاساسية التى يبدأ منها البحث فى المعنى ، لان تجزئتها الى وحدات أصغر منها تدل على معنى غير ممكنة • اما كيف ترتبط هـــذه الدالات ؟ فان جواب هذا السؤال يعتمد على العلاقات الصورية التى بحثتها فى السنتاكس وهى الاستلزام أو الحتمية والتكامل ، ولما كانت الدالات تحتوى على قيم معينة ، فان هذه القيمة تتأثر بالبناء الصورى للعبارات ، وعليـــه يجب ان ندرس قيم الدلان حسب العلاقة التى تربط بالوحـــدات اللغوية الاخرى • ولما كانت الدالات لا تظهر الى فى نسيج دلالى له تركيب لغوى معين ، فان قيم هـــذه الدالات تتأثر بل تتعين بالنسبة لوجودها وعلاقتها ضمن النسيج الدلالى • كما نلاحظ ظاهرة معروفة فى اللغات وهى ان معانى الـكلمات تتغير بتغير الاسلوب والجمل التى

تظهر فيها • والمبدأ الثالث يشير الى هذه الظاهرة بوضوح ، اذ ان تعيين قيمة الدالة مثلا يتوقف على وجودها ضمن العبارة التى تظهر فيها ، وتختلف قيمة الدالة باختلاف موضعها واختلاف النسيج الدلالى الذى تظهر فيه •

(ب) مبادىء نظرية الفئات السيمانطيقية :

٧٣- تعتمد نظرية الفئات على مفهوم الفئة ، كما يعتمد مفهوم الفئة على خاصيتها وما تتميز به عن الفئات الاخرى ، فاذا أردنا ان نعرف الفئة سيمانطيقيا ، فمن الضرورى ان نحدد الصفة التى تتميز بها ضمن السيمانطيقة •

تعريف **(١٦)** : خاصية الفئة السيمانطيقية هى قيمة الدلات •

ولكن هذا التعريف يظهر ناقصا ، لانه يوضح حقيقة فئة واحدة مؤلفة من دالات مختلفة لها قيمة مشتركة ، فى حين نميز بين نوعين من الفئات هما :

تعريف **(١٧)** الفئة هى مجموعة الدالات التى تتميز بكونها حاصلة على قيمة مشتركة واحدة •

تعريف **(١٨)** الفئة هى مجموعة القيم التى تنتمى الى دالة واحدة •

ان الفرق بين التعريفين واضح ، لان التعريف الاول يجعل الفئة مؤلفة من دالات ، بينما التعريف الثانى يجعل الفئة مؤلفة من القيم المرتبطة بالدالة ، وهذا يعنى بأن تعريف الفئة الاولى يعتمد على الماصدق "Denotation" الذى له مفهوما واحدا ، بينما يعتمد تعريف الفئة الثانى على المفهوم "Connotation" الذى له ماصدقا واحدا •

٧٤- أما الآن فتهدف بعد هذه الدراسة للفئات ان نقوم بتثبيت مبادىء النظرية •

المبدأ الرابع : اذا ظهرت دالة ما فى أنسجة دلالية مختلفة ، واستحصلت على قيم مختلفة تبعا لذلك ، فاننا سوف نعتبر

هذه القيم المختلفة للدالة عالما لها .

المبدأ الخامس : اذا اختلفت الدالات شكليا وظهرت فى أنسجة مختلفة ولكنها كلها حاصلة على قيمة واحدة ، فمن الضرورى أن تكون هناك فئة تجمع هذه الدالات المختلفة بحيث تكون قيمتها الواحدة قيمة للفئة .

ولتوضيح المبدأ الرابع والخامس نستعين ببعض الرموز ، فاذا كان الرمز (س) موضوعا لدالة معينة ، فان الرموز التالية (ق١ ، ق٢ ، ق٣ ، ق٤ ، ق٥) تكون قيما للرمز س . وتؤلف أخيرا فئة معينة أما اذا كانت دالات مختلفة مثل (س١ ، س٢ ، س٣ ، س٤ ، س٥) لها قيمة واحدة هى (ق) ، فان هذه الدالات تكون فئة قيمتها (ق) .

(ح) مبادىء نظرية العلاقات السيمانطيقية :

٧٥- ظهر الان من مناقشتنا لنظرية الفئات ان القيم المختلفة لدالة معينة تؤلف عالما معينا ، كما تؤلف الدالات المختلفة التى لها قيمة مشتركة فئة . وتبعا لهذين المفهومين يجب علينا أن نناقش نوعين من العلاقات ، تلك التى ترتبط بالعوالم ، والاخرى التى ترتبط بالفئات . والعلاقات التى نعتمد عليها الان هما الترادف او المرادفة والتشابه او المشابهة .

المبدأ السادس : تكون عضوية الدالة فى الفئة فى حالة حصولها على القيمة الخاصة بالفئة ، وبعبارة أخرى اذا انتمت الدالة للفئة .

المبدأ السابع : تكون الدالات مترادفة ، اذا كانت اعضاء فى فئة واحدة وبعبارة أخرى ، اذا كانت حاصلة على قيمة الفئة .

تؤلف الدالات حسب المبدأ الخامس فئة لها قيمة معينة فاذا فرضنا وجود الدالة س والدالة ص مختلفتين من الناحية الشكل ، ولكنهما ينتميان الى فئة واحدة ، فمن الضرورى ان تكون الدالة س والدالة ص مترادفتين ، لان بينهما قيمة مشتركة رغم اختلافهما فى الشكل .

٧٦- المبدأ الثامن : اذا كانت الدالات حاصلة على قيمة مشتركة واحدة على الاقل فى عوالمها ، فاننا سندعو مثل هذه الدالات متشابهة.

المبدأ التاسع : اذا كانت الدالات غير مترادفة وغير متشابهة ، فمن الضرورى ان تكون مختلفة فى القيمة والشكل معا .

يبين المبدأ الثامن الفرق بين الترادف والتشابه ، فان المرادفة تستلزم اشتراك الدالات بقيمة الفئة التى تنتمى اليها ، بينما تستلزم المشابهة اشتراك قيمة واحدة على الاقل بين الدالات . أما اذا انتفت هذه العلاقات بين الدالات ، فمن الضرورى ان تكون مختلفة من حيث الشكل والقيمة معا .

(د) مبادىء الاستعاضة السيمانطيقية :

٧٧- اذا تحدثنا عن الاستعاضة فى لغة ما ، فاننا نعنى بذلك وجود عبارتين على الاقل لهما قيم متشابهة او مترادفة ، رغم اختلاف العبارات تركيبيا. وهذا يعنى باننا نحتاج الى الترادف والتشابه عند بحثنا فى مبادىء الاستعاضة تعتمد على هذه الافكار وحدها .

المبدأ العاشر : يمكن أن نستعيض عن دالة بدالة أخرى ، اذا كانت الدالتان مترادفتين او متشابهتين ، واذا كانت نتيجة الاستعاضة عبارة مقبولة سمانطيقيا .

المبدأ الحادى عشر : اذا أمكن الاستعاضة عن دالة بدالة أخرى او عن دالات مترابطة بدالات أخرى ، بحيث تبقى العبارة التى تمت الاستعاضة فيها حاصلة على القيمة نفسها ، فاننا سندعو هذه العملية « ترجمة او تفسير فى نفس اللغة » .

اذا نظرنا هذين المبدأين تحليليا ، فاننا سنضع ايدينا على حقيقتين مهمتين فى اللغة من ناحية دراسة المعانى هما :

أ - تكون استعاضة الدالات ممكنة ، رغم اختلافها فى بعض القيم .

ب ـ تتم ترجمة الدالات الا اذا النسيج الدلالى محافظا على قيمته العامة •

نستفيد من هذه الحقائق فى الدراسات اللغوية وذلك عند تأليف قاموس للغة معينة ، بحيث نعرف معانى الكلمات بمعانى كلمات أخرى • والتعريف فى القواميس اللغوية يأخذ بهذين المبدأين قليلا او كثيرا ، وهما حسب اعتقادنا القاعدة الاساسية فى التعريف اللغوى المستخدم فى القواميس •

٧ ـ البراجماطيقة (قسم نظرية المعرفة)

(١) تمهيـــد

٧٨ـ لم تكن الدراسات اللغوية الى عهد قريب تفرق بين السيمانطيقة والبراجماطيقية ، وكان الباحثون يدرسون ظواهر اللغة من غير هذا التمييز ، ولقد لفت موريس الانظار فى دراسته المنطقية للغةفى كتابه أسس نظرية العلامات "Foundations of the Theory of Signs" الى أهمية البراجماطيقة فى البحوث اللغوية والمنطقية ، فبدأت محاولات المناطقة فى تطوير هذا الجزء من المعرفة • وظهرت نتيجة لذلك مفاهيم تختلف قليلا بعضها عن البعض الآخر • ولقد ناقش رودلف كارناب بعض أفكار البراجماطيقة مثل القصد (intension) والاعتقاد (belief) وأفكار أخرى[٢٦] • وظهرت فى الآونة الاخيرة دراسة منطقية للبراجماطيقة (لمارتن) الذى يقول بالنسبة لهذا الفرع « اننا لا نأخذ فى حسابنا الخصائص السنتاكسية والسيمانطيقية للغة فقط ، بل اننا نأخذ أحد أو جميع ما يأتى : مستعملين اللغة انفراديا او اجماعيا او كأفراد مجموعة اجتماعية ، الحالات الفكرية او العقلية لمستعملى اللغة ؛ وكذلك نشاطهم وسلوكهم

(26) Carnap, R., Meaning and Necessity S: 248.

مقترنا باستعمالهم للغة ، الظروف الطبيعية ، البيولوجية ،او الاجتماعية التى تستعمل فيها عبارات اللغة ، ثم الغايات التى من أجلها استعملت وهكذا[٢٧] . كما يجب أن نذكر هنا ان جميع هذه الدراسات تهتم بالانظمة المنطقية ، ولم تكن هناك محاولة لتطبيق هذه الدراسات على اللغة كما نفهمها .

٧٩ـ ويمكننا تحديد مجال بحث البراجماطيقة اللغوية بأنها تبحث فى علاقة الفرد بالعبارات اللغوية التى يستعملها ضمن مجموعة معينة من الناس أو ضمن أفراد معينين ، وهذا يعنى ان هذه الدراسة تعتمد على ملاحظة المظاهر الاجتماعية والنفسية والبيولوجية للمتكلمين عند استعمالهم العبارات اللغوية ، كما أن هذه العبارات ما هى الا نتاج حضارى معين، فلابد أن تتأثر كذلك بظروف المتكلمين . واذا استعمل أحد الافراد اللغة ضمن مموعة معينة ، فلابد أن نميز المظاهر الآتية :

أ ـ لابد أن يوجد متكلم ومستمع على الاقل .
ب ـ المعانى والاشياء والمفاهيم التىيتكلم عنها المتكلم .
جـ ـ مادة العبارات من حيث انها مؤلفة من أصوات ، وأشكال الوحدات اللغوية .

ان الذى يتأثر بالظروف الاجتماعية والنفسية والبيولوجية هو الشخص المتكلم وبالتالى المعانى والاشياء والمفاهيم المرتبطة بالعبارات ، وهدفنا الآن هو ان نضع القوانين لهذه الحالة . أما مادة العبارات فاننا تكلمنا عنها فى قسم الاصوات . ويمكننا أن نضيف أيضا عامل الزمن عاملا مؤثرا فى معانى العبارات ، لان الشخص الموجود فى زمن معين وحالة معينة قد يستعمل العبارات التى تكلم بها فى زمن آخر نفسها وحالة أخرى ولكن بمعانى مختلفة . أما أهمية البراجماطيقة فانها تبدو واضحة فى دراسة لغة ما ضمن مجتمع لا نعرف لغة أفراده مقدما .

---

(27) Martin, R. M., Toward a systematic Pragmatics S: 9

(٢) المعايير البراجماطيقية :

٨٠ـ البراجماطيقة هى علم الاقوال والـكلام فى علاقاته بالفرد ، وبالمظاهر الاجتماعية والنفسية ، أما واجب البراجماطيقة فيتركز على بحث هذه الاقوال والظواهر المتعلقة بها • ولقد درسنا لحد الآن قسم الاصوات فى البراجماطيقة ، ولم يبق لنا الآن تحليل المعانى المقترنة بالاقوال • والمعايير الاتية تسعى لـكشف الخصائص الاساسية لهذا العلم :ـ

أ ـ معيار الحالة البراجماطيقى : يجب أن يتوفر فى استعمال اللغة متكلم واحد على الاقل ، ومستمع يستلم هذا الـكلام فى حالة وجود محادثـة بينهمـا ، بالاضافة الى أن هذه المحادثة توجد فى زمان ومكان معينين ، وان المعنى المقترن بالـكلام يكون موضوع المحادثـة بين المشتركين فى الـكلام •

ب ـ معيار الترتيب البراجماطيقى : اذا استعمل الافراد لغة ما ، فمن الضرورى أن يرتبوا الـكلمات تبعا للقواعد النحوية او الصوريـة لتلك اللغـة ، لـكى تكون الاقوال صحيحة من الناحية السنتاكسية والبراجماطيقية •

جـ ـ معيار بناء الفئات البراجماطيقي : اذا كانت الـكلمات متشابهة في المعنى ، بحيث يستطيع المشتركين فى الكلام أن يستبدلوا بعضها بالبعض الاخر دون ان يتأثر المعنى العام للقول ، فان هذه الـكلمات تجتمع فى فئة ، بحيث تكون قيمتهـا المعنى المشترك للـكلمات جميعها •

تبين هذه المعـايير الثـلاثة الاطار العـام فى البحث وكذلك طبيعـة البراجماطيقة ، وغايتنا الآن هى أن نحلل هذا الاطار العام الى مبادىء

نستخدمها عند بحثنا لاى لغة كانت .

٨١ـ ان الذى يميز علم البراجماطيقة عن غيره من العلوم هو عنايته بالحالة التى تتم فيها اللغة ، ونقصد بالحالة ما يأتى :ـ

تعريف (١٩) الحالة هى وضعية لغوية يجب أن تتوفر فيها المظاهر الآتية :

أ ـ متكلم ومستمع واحد على الاقل .

ب ـ كلمة واحدة أو قول واحد على الاقل .

جـ ـ تظهر الكلمات او الاقوال فى زمان ومكان معينين .

د ـ تشير هذه الكلمات او الاقوال الى معانى ، تتعين ضمن الوضعية اللغوية .

تعريف (٢٠) الكلمة هى الوحدة الاساسية للبراجماطيقة ، التى تتوفر فيها الشروط التالية :

أ ـ تظهر فى حالة او وضعية لغوية .

ب ـ تدل على معنى من صلب المجتمع ويتعين بواسطته .

٨٢ـ واذا كانت الكلمات ترتبط بعضها مع البعض الآخر ، فلابد أن يتوفر فى هذا الترتيب شرط لغوى هو أن يكون القول الناتج عن هذا الارتباط مقبول لغوية .

د ـ معيار القبول البراجماطيقى : يكون ارتباط الكلمات مقبولا ، اذا وجد هذا التركيب فى وضعية لغوية معينة .

تعريف (٢١) الكلام هو تتابع او تركيب يتألف من كلمات ، ويكون مقبولا ضمن وضعية لغوية .

أما الآن فبقيت عندنا ظاهرة براجماطيقية أخرى سوف نضعها على هيئة معيار ندعوه بالترجمة او التفسير ، كما يختلف هذا المعيار عن المعيار السيمانطيقى بأنه يأخذ بنظر الاعتبار الحالة اللغوية التى تظهر فيها الاقوال .

٥ ـ معيار الترجمة او التفسير البراجماطيقى : يمكن ترجمة او تفسير كلمة بكلمة او قول بقول آخر ، اذا توفرت الشروط الآتية :

أ ـ اذا أمكن استعاضة هذه الكلمة بكلمة أخرى أو قول بقول آخر •

ب ـ اذا بقى المعنى العام ثابتا بعد الاستعاضة ، بحيث لا يرفض المستمع مثل هذه الاستعاضة ، لاعتباره ان ذلك لا يغير من المعنى العام •

(٣) المبادىء العامة للبراجماطيقة :

٨٣ـ للمبادىء المقترحة فائدة كبيرة فى بحث اللغات غير المدروسة لحد الآن لمعرفة طبيعتها وقوانينها العامة ، كما تفيدنا الدراسات البراجماطيقية فى عمل القواميس ومعرفة معانى الكلمات ضمن المجتمع الذى تستعمل فيه اللغة ، والمنهج الذى نضع أسسه الآن ذو نفع كبير لدراسات الانثروبولوجيا الحضارية ، لأن معرفة لغة شعب من الشعوب تجعلنا على مقربة من فهم سلوكه وطبيعته الحضارية • وكما ندرس اللغة ضمن وضعيات لغوية ، فان الانثروبولوجى يدرس اللغة ضمن وضعيات اجتماعية ولغوية لمعرفة معانى كلماتها • والمبادىء الآتية هى طرق بحث اللغة لتحديد معانى عباراتها •

المبدأ الاول : الكلمات هى الوحدات الاساسية للبراجماطيقة ، والتى يتألف منها كل كلام •

المبدأ الثانى : اذا ظهرت كلمة فى كلام ، فيجب أن تكون علاقات الكلمات مع بعضها صحيحة من الوجهة النحوية •

المبدأ الثالث : لا يتم تعيين معنى الكلمة أو الكلام الا ضمن وضعية او وضعيات لغوية •

تعبر هذه المبادىء الثلاثة عن طبيعة البراجماطيقية الارتباطية ، كما انها تبين لنا كيفية تحديد معنى الكلمات • وتستعين البراجماطيقة بالسنتاكس في ارتباط الكلمات مع بعضها البعض •

المبدأ الرابع : اذا ظهرت كلمة فى كلام او أقوال مختلفة وفى وضعيات لغوية مختلفة ، وأصبح لهذه الكلمة معان مختلفة ، فان هذه المعانى للكلمة تكون اطارها العام •

المبدأ الخامس : اذا ظهرت كلمات فى كلام او أقوال مختلفة وفى وضعيات لغوية متباينة ، واقترن بهذه الكلمات معنى واحد معين ، فاننا سنعتبر هذه الكلمات قرائن فى المعنى •

المبدأ السادس : اذا كان للكلمتين أو اكثر فى أقوال ووضعيات مختلفتين نفس الاطار العام الذى يحتوى على المعانى ، فاننا سنعتبر هذه الكلمات مترادفة براجماطيقيا •

المبدأ السابع : اذا كانت كلمتان او اكثر فى أقوال ووضعيان مختلفة قرائن فى وضعية واحدة على الاقل ، فاننا سنعتبر هذه الكلمات متشابهة براجماطيقيا •

المبدأ الثامن : يمكن الاستعاضة براجماطيقيا عن كلمة بكلمة أخرى أو عن كلام بكلام آخر ، اذا كانت الكلمات او الاقوال مترادفة او متشابهة براجماطيقيا •

المبدأ التاسع : يمكن ترجمة الكلمات براجماطيقيا ، اذا كانت مترادفة براجماطيقيا •

٨٤ـ يظهر مما تقدم ان بعض الافكار التى ظهرت فى السيمانطيقة وجدت لها محلا فى البراجماطيقة مع اختلاف واضح ، هو أن هذه الافكار براجماطيقية وليست سيمانطيقية ، لأنها تتحدد ضمن وضعيات لغوية وتأخذ بنظر الاعتبار سلوك الافراد فى الوضعيات • واذا كانت معانى الكلمات البسيطة والمركبة تتعين بالنسبة للوضعية اللغوية وحالة الفرد النفسية ، فاننا نستطيع عندئذ ان نجد لكل كلمة معانى مختلفة

ولـكنها متقاربة من بعضها ، لأن الـكلمة حسب المبدأ الرابع تدل على معان كثيرة التي تؤلف اطارها العام ، وتختلف شدة تقارب المعانى بالنسبة لوضعها فى الاطار ، فاذا كان لـكلمة ما معنى معين يؤلف نواة الاطار العام ، فان المعانى تترتب حسب بعدها وقربها من النواة حتى تكون عندنا فى نهاية الاطار معانى مختلفة تماما حصلت عليها الـكلمة عند استعمالها مجازيا مثلا • واذا كان لبعض الـكلمات الاطار العام نفسه ، فاننا ملزمون حسب المبدأ السادس ان نعتبرها مترادفة ، ولكننا نعتبرها متشابهة اذا كان لها معنى واحد مشترك على الاقل تماما حسب المبدأ السابع • وبواسطة المرادفة والمشابهة يمكننا ان نستعيض عن كلمة بكلمة أخرى لها المعنى نفسه ، كما أن هذه العملية لا تؤثر على المعنى العام للـكلام • والاستعاضة بين الـكلمات المترادفة أمر بسيط ، ولـكننا يجب أن نلاحظ نتيجة الاستعاضة عندما تكون الـكلمات متشابهة ، لأن معانى هذه الـكلمات مختلفة رغـم اشتراكهـا بمعنى واحد معين على الاقل • لذا فاننا لا نأخذ فى مبدأ التفسير او الترجمة بالتشابه ، ونؤكد على دور المرادفة فى الترجمة البراجماطيقية •

الى هنـا ينتهى بنـاء منطق اللغة الذى تنـاول التحليل اللغوى والتركيب فى بناء المبادىء ، وكيفية تطبيق هذه المبادىء عـلى اللغات لكشف تركيبها الصورى ، والسمانطيقى والبراجماطيقى •

مراجع البحث

1) Bloomfield, L., Language (London, 1957)

2) —— A Set of Postulates for the Science of Language (International Journal of American Linguistics Vol. 15 - Nr. 4, 1949)

3) —— Linguistic Aspects of Science (International Encyclopedia of Unified Science Vol. 1 - Nr. 4, Chicago, 1955)

4) Carnap, R,, Meaning and Necessity "A Study in Semantics and Modal Logic" (Chicago, 1956)

5) —— Introduction to Semantics and Formalization of Logic (Harvard, 1959)

6) Hjelmslev, L., Prolegomena to a Theory of Language (Baltimore, 1953)

7) —— Structural Analysis of Language (Studia Linguistica I, P 69 - 78, 1947).

8) —— & Uldall, H. J, Outlin of Glossematics (Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague Vol. X, 1957)

9) Khalil, Y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse "Anwendung logisch - positivistischer Sprachanalyse" (Münster/Westf. 1961)

10) Martin,, R. M., Toward a systematic Pragmatics (Amsterdam, 1959)

11) Morris, Ch. W., — Foundations of the Theory of Signs (International Encyclopedia of Unified Science Vol. 1 - Nr. 2, Chicago, 1957)

12) Ogden, C. K., & Richards, I. A., — Meaning of Meaning (London, 1956).

13) Pap, A., — Elements of Analytic Philosophy (New York, 949)

14) Trubetzkoy, N., — Grundzüge der Phonologie (Göttingen, 1958)

15) —— — Anleitung zu phonologischen Beshreibungen (Cöttingen, 1958)

القصيدة المزدوجة

لعلي بن الجهم السامي ، الشاعر المعروف*

المتوفى سنة ٢٤٩هـ

جمع بطرس گريزنيويچ

نشر العلامة المرحوم خليل مردم بك ديوان على بن الجهم السامى قبل برهة • وقد أشار الى مقطعة ظنّ مصيباً أنّها بداية مزدوجة ابن الجهم فى التأريخ ونوّه بأهمّيتها اذ أنّها ــ عنده ــ من أوائل النظم التأريخى العام فى الآداب العربيّة • فانّ منظومة ابن الجهم هذه محاولة لتدوين تأريخ العرب عامّة منذ بداية الخلق حتى زمانه •

وتكاد هذه المزدوجة تعدّ من أوائل النظم التعليمى • وعلى بن الجهم وكذلك يحيى بن الحكم البكرى الغزال ، وتمام بن علقمة ، وابن المعتزّ ، وابن عبد ربّه ، وابو طالب عبدالجبّار المتنبى الاندلسى هم الصفّ الاوّل من الرجّاز الذين بدىء بهم ضبط الحوادث التأريخيـة فى سلك الشـعر السياسى •

والشعر التأريخى من المظاهر الادبيّة المهمة التى عنيتُ أنا بدرسها وقد ألفت فى ذلك رسالة مقتضبة أرجو أن تتاح فرصة نشرها فى المستقبل • أمّا مزدوجة على بن الجهم فقد ضاع أكثرها وما وصل الينا منها الاّ قطع يسيرة مبعثرة فى بعض الـكتب التى لم يطّلع عليها الفاضل محقّق ديوان ابن الجهم ؛ ومنها : تأريخ العبّاسيين المحفوظة نسخته الفريدة بمكتبة معهد الشعوب الاسيوية بلنينغراد ، وكتاب الاوراق للصولى الذى تحتفظ مكتبة لنينغراد العامة بأصله الوحيد •

هذا ــ ويؤيّد ما عثرنا عليه من فِقَر تلك القصيدة اشارة ياقوت الحموى الذى ذكر أنّها تناولت تأريخ العرب حتى زمان الشاعر •

(*) نشرت هـذه المقالة تعريفا بما يكتبه المستشرقون عن التراث العربى •

وقد أرّخت نهاية القصيدة وفاة الخليفة المنتصر بالله ـ التى كانت ٢٤٨هـ • ولمّا كنّا نعرف أن الشاعر قُتل فى شعبان سنة ٢٤٩هـ فلابدّ أنّه أكمل تأليف منظومته ـ فى بغداد ـ فى النصف الثانى من سنة ٢٤٨هـ أو النصف الأوّل من السنة التى تلتها وهى على كل حال من أواخر نظم ابن الجهم •

والمراجع التى استمددنا منها المقطعات الباقية من المزدوجة ، هى :

(١) كتاب الاوراق للصولى/مخطوط •

(٢) مروج الذهب للمسعودى •

(٣) البدء والتأريخ للمطهّر بن طاهر المقدّسى •

(٤) التأريخ المجهول/مخطوط •

ثمّ ألحقت بالارجوزة تكملتها لابى الحسن أحمد بن محمد الاسدى الانبارى المتوفى سنة ٣٢٠هـ التى تمّم فيها ذكر الحوادث الى زمانه • وقد عثرتُ على هذه النتف منها فى كتاب الاوراق للصولى ، وشرح ابن بدرون ومعجم الادباء •

يا سائلى عن ابتداء الخلق ... مسألة القاصد قصد الحقّ

أخبرنى قوم من الثقات ... أولو علوم وأولو هيئات

تفرّعوا فى طلب الآثار ... وعرفوا موارد الاخبار

ودرسوا التوراة والانجيلا ... وأحكموا التأويل والتنزيلا

انّ الذى يفعل ما يشاء ... ومن له القُدْرة والبقاء

أنشأ خلق آدم انشاء ... وقدّ منه زوجة حوّاء

مبتدياً وذاك يوم الجمعهْ ... حتّى اذا أكمل فيه الصنعهْ

أسكنه وزوجه الجنانا ... فكان من أمرهما ما كانا

غرّهما الشيطان فيما صنعا ... فأهبطا منها الى الارض معا

فوقع الشيخ أبونا آدمْ ... بجبل بالهند يدعى واسمْ

لبئس ما اعتاض من الجنان ... والضعف من جبلّة الانسان

فشقيا وورّثا الشقاء نسلهما والكدّ والعناء
ولم يزل مستغفراً من ذنبه حتّى تلقى كلمات ربّه
فأمن السخطة والعذابا والله توّاب على من تابا
ثمّ تسلّى وأحبّ النسلا فحملت حوّاء منه حملا
وولدت ابناً فسمّى قاينا وعاينا من امره ما عاينا
فشبّ هابيل وشبّ قاين ولم يكن بينهما تباين

. . . .

والفرس والروم لهما أيّام يمنع من تفخيمها الاسلام
وظهرت باليمن التبابعه شمر يرعش وملوك خالعه

. . . .

ثمّ تولّى أمرهم يزيد لا حازم الرأى ولا سديد
وكان هدم الكعبة المصونة ووقعة الحرّة بالمدينة
ومقتل الحسين فى زمانه أعوذ بالرحمن من خذلانه

. . . .

فمات واستولى على الامر عمر بسيرة محمودة من السير
فعاش عامين ونصف عام بدير سمعان سوى أيّام

. . . .

ثمّ تولّى بعده هشام أخوه فامتدّت به الايام
فلم يزل عشرين عاماً واليا الاّ شهورا خمسة بواقيا
ثمّ الوليد بن يزيد الفاتك تعاورته الاسد الشوابك
من بعد شهرين وبعد عام وبعد عشرين من الايّام
ونصب الحرب له ابن عمّه مستنكراً سيرته بزعمه
فقتل الوليد بالنجراء من بعد أن أثخن فى الاعداء
ثمّ يزيد بن الوليد الناقص غافصه الحين الذى يغافص
فلم يعش الاّ شهوراً ستّه حتّى ازالته المنايا بغته

فبايعوا اخاه ابراهيما فكان براً بهم رحيما
فخلعوه أن أتى مروان تكنفه الاجناد والفرسان

. . . .

وبايعوا من بعده للواثق وكلّ هذا فى القضاء السابق
فلم يزل فى بسطة ومنعه خمس سنين وشهورا تسعه
وزاد أيّاما عليها خمسه معدودة ثمّ تبوّا رمسه
وبايع الناس الامام جعفرا خليفة الله الاغر الازهرا
بعد ثلاثين وماتى عام وبعد حولين سوى أيّام
خلت من الهجرة فى الحساب العربى المحكم الصواب

. . . .

ثم أتته بعد ذا المنيه سريعة مقبلة وحشيّه
فاودعوه فى صلاة العصر فى يوم سبت لحده فى قبر
مستكملا من الشهور ستّة ولم يزد يوما عليها بتّة
وذاك بعد ماتين كامله وأربعين وثمان فاضله

تكملة مزدوجة علي بن الجهم

لابي الحسن أحمد بن محمد بن عبيدالله الاسدي الانباري

قال أبو بكر الصولي :

انشدني ابو الحسن أحمد بن عبيدالله الاسدي لنفسه يتمم قصيدة علي بن الجهم في ذكر الخلفاء يذكر المتوكل .

ثمّ أتت بادرة الاتراك فصار بعد الملك للهلاك
فعاش عشرا كملا واربعا من السنين قد توفّاها معا
وتسعة من أشهر وعشره ايامه ثم استتمّ عمره

وقال ياقوت في معجم الادباء :

وحدّث عن الصولي قال أنشدني أبو الحسن أحمد بن محمد الانباري لنفسه في قصيدته المزدوجة التي تمّ بها قصيدة علي بن الجهم التي ذكر فيها الخلفاء الى زمانه :

ثمّ تولّى المستعين بعده فحاز بيت ماله وجنده
ثمّ أتى بغداد في محرّم احدى وخمسين برأي مبرم

وذكر قطعة من أخباره ثمّ قال :

وثبتت خلافة المعتزّ ولم يشب أموره بعجز

وذكر طرفاً من أموره ثمّ قال :

وقلّدوا محمّد بن الواثق في رجب من غير أمر عائق

وقال أيضا :

المهتدي بالله دون الناس جاء به الرحمٰن بعد الياس

ثمّ قال بعد أبيات :

وقام بالامر الامام المعتمد امام صدق في صلاح مجتهد

وساق قطعة من سيرته .

لينينغراد ــ بطرس گريزنيويچ

كتاب في عمل شكل مجسم ذي أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة(*)

لابى الحسن ثابت بن قرة

تحقيق : رشيد عبدالرزاق الصالحي

المدرس فى كلية الهندسة

فى صيف ٢٥ آب ١٩٥٨ اتيحت لى فرصة الاطلاع على مكتبة جامعة ماساشوتش فى الولايات المتحدة الامريكية وقد لاحظت فى فهرس هذه المكتبة اسم ثابت بن قرة فطلبت الكتاب واذا به مخطوطة مصورة أصلها فى متحف موسكو مع خلاصة باللغة الالمانية عن هذا الكتاب • وعليه فقد صحت العزيمة على استنساخ هذا الكتاب مباشرة من الصورة المصورة وأجهدت نفسى فى قراءتها ومقارنة بعضها ببعض حيث يتعذر أحيانا تمييز الحروف عن بعضها فتوصلت الى هذا الناتج الذى أضعه بين يدى القارىء وأرجو المعذرة عن الهفوات التى أرتكبتها بالنظر لعدم وجود نسخة أخرى لغرض المقارنة والتحقيق• لقد اتصلت مع الاستاذ كوركيس عواد (أمين مكتبة المتحف العراقى) فشجعنى على نشرها وبين لى عدم نشر هذه الرسالة من قبل وذلك بموجب المراجع المتيسرة له فى مكتبة المتحف العراقى • هذا وأرجو أن يكون هذا الكتاب ذا فائدة للمولعين به والله من وراء القصد •

(*) نشرت هذه المقالة تخليدا للتراث العربى الذى لا تزال الانوار تشع على العالم •

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب في عمل شكل مجسم ذى أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة لابى الحسن ثابت بن قرة

نريد أن نبين كيف نعمل شكلا مجسما ذا أربع عشرة قاعدة متساوى الاضلاع والزوايا تحيط به كرة معلومة وهذا الشكل لا يكون متشابه القواعد لكن ثمانى قواعد من قواعده مثلثات وستا منها مربعات ووضع بعضها مع بعض على نظام متشابه وضلع هذا الجسم مثل نصف قطر الكرة •

فلتكن[1] دائرة عظمى من دوائر الكرة المعلومة التى نريد أن نعمل فيها المجسم دائرة أ ب ج ومركزها د فاذا أردنا أن نعمل فى هذه الكرة شكلا مجسما ذا أربع عشرة قاعدة على ما وصفنا فانا نعمل فى دائرة أ ب ج مسدسا متساوى الاضلاع والزوايا وهو مسدس أ هـ و ب ج ز ونخرج من مركز د الى زوايا المسدس خطوط د أ ، د هـ ، د و ، د ب ، د ج ، د ز ، فتكن المثلثات التى تقسم به هذه الخطوط الشكل المسدس مثلثات متساوية الاضلاع ونعمل على مثلثات أ د هـ ، و د ب ، ج د ز ، منهـا مخروطات تحيط بها مثلثات متساوية الاضلاع وقد تسمى الاشكال النارية ولتكن فقط رؤوسها نقط ح ط ك ونصل خطوط ح ط ، ط ك ، ك ح ، ونعمل على مثلثات هـ د و ، ب د ج ، د ز أ فى الجهة الاخرى عن سطح دائرة أ ب ح مخروطات أخر نارية كما عملنا المخروطات النارية التى تقدم ذكرها ونصل فيما بين نقط رؤوسها خطوط مستقيمة •

فأقول انا قد عملنا فى الكرة المعلومة شكلا ذا أربع عشرة قاعدة متساوية الاضلاع والزوايا تكون ثمانى قواعد من قواعده مثلثات متساوية الاضلاع والست الباقية مربعات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وكل ضلع من أضلاعها مساو لكل واحد من أضلاع المثلثات وتركيبها على نظام واحد

---

(١) يشرح المؤلف من هذه الفقرة طريقة العمل •

وضلع هذا المجسم مثل نصف قطر الكرة .

برهان ذلك[٢] : انا نخرج من نقطة ح التى هى رأس مخروط أ د هـ ح النارى عمودا على سطح قاعدته التى هى أ د هـ وهو عمود ح ل ونخرج من نقطة ل الى نقطة أ هـ و د خطوط أ ل ، ل هـ ، ل و ، ل د ، فلأن خط ح ل عمودا على سطح أ د هـ يكون عمودا على جميع الخطوط التي تخرج من طرفه فى هذا السطح فهو اذن عمود على خطى أ ل ، ل د فيكون المربعات الكائنات من خطى ح ل ، أ ل مثل المربع الكائن من أ ح ويكون المربعات الكائنات من خطى ح ل ، ل د مثل المربع الكائن من د ح ولكن مربع خط أ ح مثل مربع خط د ح لان مثلث أ ح د متساوى الاضلاع اذا كان احد قواعد المخروط النارى فمربعا[٣] خطي ح ل ، أ ل مثل مربعى خطى ح ل ، ل د واذا اسقطنا المشترك وهو مربع خط ح ل بقى مربع خط أ ل مثل مربع خط ل د فخطا أ ل ، ل د من مثلثى أ ل هـ ، ل د هـ متساويان وخطا أ هـ ، هـ د أيضا منهما متساويان لان ضلع المسدس مساو لنصف القطر وضلع ل هـ مشترك للمثلثين فهذان المثلثان اذن متساويان وزواياهما متساوية كل واحدة ونظيرتها فقط قسم خط ل هـ زاوية أ هـ د بنصفين ولكن زاوية أ هـ د ثلثا زاوية قائمة لان مثلث أ هـ د متساوى الاضلاع ، فزاوية ل هـ د ثلث قائمة وزاوية د هـ و ثلثا قائمة لان مثلث هـ د و متساوى الاضلاع فجميع زاوية ل هـ و قائمة فالمربعات الكائنات من خطى ل هـ ، هـ و اذا جمعا متساويان للمربع الكائن من ل و ونجعل المربع الكائن من ح ل مشتركا فتصير المربعات الكائنة من خطوط ل هـ ، هـ و ، ح ل مجموعة مثل المربعين الكائنين من خطى ل و ، ل ح مجموعين فاما المربعات الكائنات من خطى ل هـ ، ح ل فهما مثل المربع الكائن من هـ ح لان ل ح عمود على كل الخطوط المستقيمة التى تخرج من نقطة ل فى سطح أ د هـ الذى هو سطح دائرة أ ب ج وكمثل ذلك أيضا اذا وصلنا خط[٤] ح

---

(٢) البرهان النظرى لطريقة العمل .

(٣) مربعا خطى ح ل ، أ ل يعنى (ح ل)^2 ، (أ ل)^2 .

(٤) يبدو ان الحرف الآخر للخط قد سقط .

ويكون المربعان الكائنان من خطي ح ل ، ل و واذا جمعا مساويين للمربع الكائن من خط ح و فيصير المربعان الكائنان من خطي ه ح ، ه و مثل المربع الكائن من خط و ح فزاوية و ه ح اذن قائمة وبمثل هذا المسلك نبين ان زاوية ه و ط أيضا قائمة فشكل ح ه و ط ذو الاربعة الاضلاع قد صار ضلعا ه ح ، و ط من أضلاعه عمودين على ضلع ه و منه وهذا الشكل في سطح واحد لان خطوط ه ح ، و ط ، ه و ثلاثة وواحد منها ضلع من أضلاع المسدس الذي في دائرة أ ب ج والخطان الباقيان مساويان لضلعين من أضلاع ذلك المسدس تكون ثلاثة من أضلاع ذلك المسدس تكون ثلاثة من اضلاع سطح ه ح ط و متساوية والزاويتان اللتان ذكرنا آنفا من زواياه قد كانتا قائمتين وتبين من ذلك انه مربع متساوي الاضلاع قائم الزوايا وكذلك أيضا تبين ان كل واحد من المربعين النظيرين لهذا المربع وهما مربعا ب ط ك ج ، ز ك ح أ قائم الزوايا متساوي الاضلاع وان الثلاثة المربعات التي في الجهة الاخرى التي قواعدها خطوط أ ه ، و ب ، ج ز هي أيضا قائمة الزوايا متساوية الاضلاع واضلاع جميع هذه الستة المربعات متساوية لانها مساوية لاضلاع المسدس الذي في دائرة أ ب ج وأيضا فان أضلاع الستة المثلثات التي من هذه المربعات وهي مثلثات أ ه ح ، و ب ط ، ج ك ز ونظائرها من الجهة الاخرى وهي التي قواعدها خطوط ه و ، ب ج ، ز أ متساوية ومساوية لاضلاع المسدس الذي في دائرة أ ب ج فهي اذن مساوية لاضلاع المربعات الستة التي ذكرناها وأما مثلث ح ط ك فان كل واحد من أضلاعه هو ضلع من أضلاع مربعات ه ح ط و ، ب ط ك ج ، ز ك ح أ التي هي مساوية لاضلاع المسدس فهي اذن متساوية وكذلك أيضا يكون المثلث الذي في الجهة الاخرى الذي هو نظير للمثلث ح ط ك فهذان المثلثان متساويا الاضلاع ومساويان كسائر الستة المثلثات التي تقدم ذكرها فقد أحاط بالمجسم الذي عملناه أربع عشرة قاعدة على ما وصفنا وقد ركبت قواعده على نظام متشابه لان حول كل مثلث منها ثلاث مربعات على أضلاعه وحول كل مربع منها أربعة مثلثات على اضلاعه وكل

زاوية من وزايا هذا المجسم قد أحاط بها زاويتا مربع وزاويتا مثلث فيما بينهما وجرى ذلك سبيل تساو فى جميع زواياه فزواياه اذن متساوية فاما ان الكرة المعلومة التى اردناها تحيط بهذا الشكل المجسم فهو بيّن[٥] وذلك : ان دائرة أ ب ج تمـــر بنقط زوايا أ هـ و ب ج ز من زوايا هذا الشكل والخطوط التى تخرج من مركز هذه الكرة الى الزوايا الباقية منه التى عند نقط ح ط ك وهى خطوط د ح ، د ط ، د ك ونظائرها التى فى الجهة الاخرى متساوية ومساوية لنصف قطر الكرة لانهـا أضلاع للاشكال المخروطية النارية التى عملناها أولا فبسيط[٦] الكرة اذن يمر بجميـــع زوايا هذا الشكل المجسم الذى عملناه وضلع هذا الشكل ذى أربع عشرة قاعدة الذى ذكرناه مثل نصف قطر الكرة ٠

والحمد لله رب العالمين

كتب[٧] ابراهيم بن هلال بن زهروت الصابئى الحرّانى الكـاتب فى ذى الحجة سنة سبعين وثلثمائة نسخة من دستور جدنا ابى الحسن ثابت بن قرة رحمه الله الذى بخطه ٠

(٥) أى ان هذا الشكل واضح ٠
(٦) أى سطح الكرة ٠
(٧) وجدت هذه الفقرة غير واضحة فى نهاية المخطوطة ٠

السجاد الايرانى

سهيلة الجبورى

يعتبر السجاد أكثر منتجات الفن الايرانى انتشاراً فى العالم وذلك لشهرته الواسعة التى ترجع الى العصور القديمة حيث كانت تصدر الى الاغريق ثم البيزنطيين ومن جاء بعدهم .

يرجع المرحوم الدكتور زكى محمد حسن قدم السجاد الايرانى الى عصر السلاجقة فى القرن السادس الهجرى[١] (الثانى عشر الميلادى) ، بينما ترى الدكتورة سعاد ماهر ان أقدم انواع السجاد فى العالم الاسلامى وبضمنه السجاد الايرانى يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادى ، وترى أيضا ان تلك السجاجيد التى نسجت قبل القرن الخامس عشر للملاد تدخل تحت باب النسيج الوبرى (Looped Weaving)

الا أننى أرى ان صناعة السجاد ترجع الى ما قبل القرن الثانى عشر الميلادى، اذ ليس من الصحيح ان نسب السجاد الى النسيج الوبرى، لكننا نقول ان السجاد قبل القرن الخامس عشر الميلادى لم يبلغ من الجودة والاتقان والجمال ما بلغه فى القرن الخامس عشر وذلك لاهتمام البلاط والامراء بانتاجه حيث أنشئت مصانع النسج الشاهانية ينسج فيها مهرة الصناع السجاجيد الجميلة لقصور الشاه او للامراء والملوك الاجانب الذين يأمر باهدائها اليهم .

ثم ان صناعة النسيج الوبرى تختلف عن صناعة السجاد اختلافا كبيرا ، فخميلة السجاد هى نهايات خصلات العقد التى تعقد على خيوط السدى[٢] ، أما طريقة صناعة النسيج الوبرى فهى تقاطع خيوط السدى مع

(١) ص ١٤٩ الفنون الايرانية الدكتور زكى محمد حسن .

(٢) سوف يأتى الكلام عن كيفية صناعة السجاد فى الصفحات التالية .

مع خيوط اللحمة ويحدث من تلقاء ذاته مجموعة من حلقات او عراو من اللحمة او السدى يجاور بعضها بعضا ، ظاهرة على سطح النسيج ، ويستعان على ذلك اما باستعمال سدى خاصة خلاف السدى الاصلية او لحمة خاصة خاصة لهذا الغرض الى جانب استخدام أسلوب نسجي لاظهار خيوط السدى الثانية ، أو خيوط اللحمة الخاص من بين خيوط السدى الاصلية على هيئة عراو متساوية بالارتفاع والكثافة المطلوبة ، ويستعان على ذلك بادخال قضيب رفيع من الخشب او السلك قطاعه العرضى مستدير أو بيضوى الشكل داخل الحلقات الناتجة من سحب خيط اللحمة للمحافظة على ارتفاع الحلقات وتساوى أطوالها ويعرف هذا القضيب باسم (السلال)[٣] .

يضاف الى ذلك ان عقدة السجاد التى تؤلف بمجموعها الخميلة ليست من نفس النوعية لخيوط السدى واللحمة ، وان خصلات هذه العقد تقص نهاياتها لتكون الخميلة بينما الوبر Terry Pile فى النسيج الوبرى هو من نفس خيوط السدى واللحمة او من سدى ثانية او لحمة أخرى ، وهو حلقات غير مقصوصة .

وهناك دليل آخر يمكننا الاستناد اليه لنثبت وجود صناعة السجاد قبل القرن الثانى عشر والخامس عشر الميلادى اذ ان كسرى الاول فى (٥٣١-٥٧٩م) كان يملك سجادة نفيسة عليها رسم صياد فى روضة غناء . أما السجادة التى كانت فى قصر كسر الثانى بالمدائن فقد أطنب المؤرخون فى وصفها[٤] .

ولا شك فى أن ايران كانت أكبر مركز لصناعة السجاد فى الشرق كله ، وان المراكز الاخرى تأثرت بأساليبها الفنية . فقد اشتهرت بصناعة أحسن السجاد وأفخره فلا يدرى المرء بأى شىء يعجب ! أبنضارة الالوان ؟ أو تلاؤمها ، أم بجمال الزخارف ودقتها ، أم بمتانة الصناعة واتقانها ..[٥]

(٣) انظر كتاب منسوجات المتحف القبطى للدكتورة سعاد ماهر .
(٤) ص ١٧٧ - ١٧٨ حـ ٤ (الطبرى) .
(٥) ص ١٥٠ الفنون الايرانية الدكتور زكى محمد حسن .

كان السجاد الايرانى يصنع فى المراكز الرئيسية المهمة مثل أصفهان وكرمان وقاشان وقم وتبريز وكرباغ وهمـدان وشستر وهراة ، وكانت أكثر الصادرات من هذا النوع[٦] • وهناك نوع آخر هو أبسط الانواع كانت تصنعه القبائل الرحل وعامة الشعب فى المدن •

استمر السجاد الايرانى فى الجودة الى القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد • وقد قدر الاستاذ بوب A. U. Pop عدد المحفوظ من هذه السجاجيد فى المتاحف والـكنائس والمجموعات الخاصة والذى ظهر منها فى أسواق السجاجيد الاثرية ، قدره بزهاء ثلاثة آلاف سجادة كاملة •

وللسجاد الايرانى كغيره من السجاجيد أنواع كثيرة وأسماء متعددة وقد اختلف رجال الفنون فى تسمية هذه السجاجيد فمنهم من نسبها الى مراكز صناعتها ومنهم من نسبها الى نوعية زخارفها ، والواقع انه من الصعب تسمية السجاد او نسبته الى مراكزه الصناعية وذلك لأن وقوع الاختيـار لذلك المركز الصناعى سببه توفر المواد الاولية ونقاوة مياهه وسهولة الوصول اليه ، يضاف الى ذلك ان مركز الصناعة قد يكون قريـة ليس لعمالها الا تنفيذ ما تطلبه المراجع الفنية الرئيسية فى المدينة ، أو تقليدا ينال رواجـا كبيرا أصله فى مكان بعيد عن مركز الصناعة •

هذا خلاف ما يراه الاستاذ C. J. Delabare May[٧] من أن صناعة السجاد ونوعيته فى منطقة ما لا تتأثر بالمنطقة المجاورة لها ، بل احتفظت كل منطقة بطابعها الخاص فى صناعة السجاد ، ويعزى ذلك الى أن الصناع يتعلمون صناعة السجاد وأساليبها منذ الطفولة ولا يمكنهم التقليد وبذلك يصبح عندهم عمل ذاتى عند تقدمهم فى السن ، أى انه أراد أن يقول انه تنسب السجاجيد الايرانية الى مراكز صناعتها وذلك بعكس ما يراه المرحوم الدكتور زكى

---

(٦) ص ٤٠٠ فنون الاسلام الدكتور زكى محمد حسن •

(7) Persian Rugs and other Oriental Rugs C. J. Delabere May. p 38.

ـــ حسن • اد من الافضل ان تنسب السجاجيد الايرانية الى زخارفها كما يمكن نسبة بعض الانواع منها الى مصانع بعض المدن الايرانية •

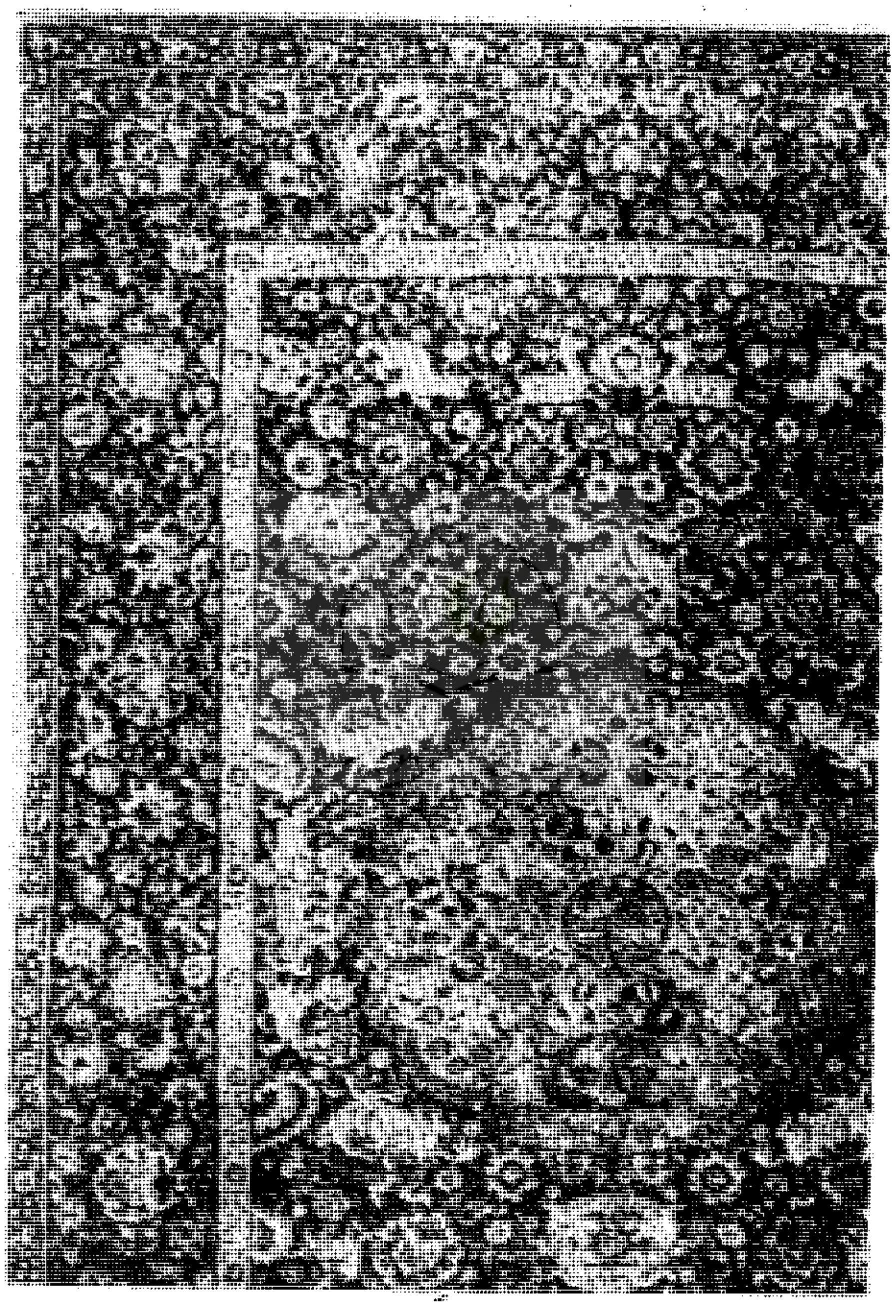
أهم أنواع السجاجيد الايرانية

١ ـ السجاجيد ذات الصرة Medalion Carpets :ـ

تصنع فى شمالى ايران وفى تبريز وقاشان وقد بلغت جودتها فى القرن السادس عشر الميلادى ودب التدهور فى صناعتها منذ القرن السابع عشر الميلادى ، تتكون هذه الساجيد من صرة (جامة) وسطية ذات أشكال مختلفة وقد يمتد من طرفى الجامة موضوع زخرفى أو اناء معلق • وفى الاركان أرباع جامات • وهذا النوع شائع فى الفنون الاسلامية لاسيما فى جلود الكتب والصفحات الاولى المذهبة فى المخطوطات • أما أرضية السجاد فمملوء زهورا وفروعا نباتية ، فضلا عن رسوم السحب العينية (تشي) استعملت فيها الالوان : الاحمر والاخضر والاصفر والازرق الناصع والداكن والاسمر والابيض • ولهذه السجاجيد اطار ثانوى داخل الاطار الخارجى • وهناك سجاجيد ذات جامة او جامتين فيها رسوم النباتية والحيوانية ومن أقدم الامثلة المعروفة من تلك المجموعة : بساط متحف پولدى پتزولى Poldi Pezzoli (٨) وبساط بمتحف القيصر فردريك ببرلين وتحتفظ مجموعة متحف المتروبوليتان ببساطين هامين بهما جامتان كبرتان وتشتملان على صورة آدمية ترتدى ملابس باللون الازرق والاخضر والاحمر وتعزف على آلات موسيقية او تمسك ببعض الحيوانات ،ويزين الارض الصفراء أشار غنية بألوانها • أما بقية أرضية البساط فتكسوها تفريعات مزهرة تضم بينها مراوح نخلية ورسوم حيوانية متعددة الالوان على أرضية حمراء خمرية [أنظر شكل ١] •

---

(٨) A Survey of Persian Art. p. 1117. V. 6.
ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢ فنون الاسلام المرحوم الدكتور زكى محمد حسن •



شكل (١) سجادة ايرانية ذات جامة « صرة » من القرن السادس عشر للميلاد ٠

٢ ـ السجاجيد البولندية :ـ

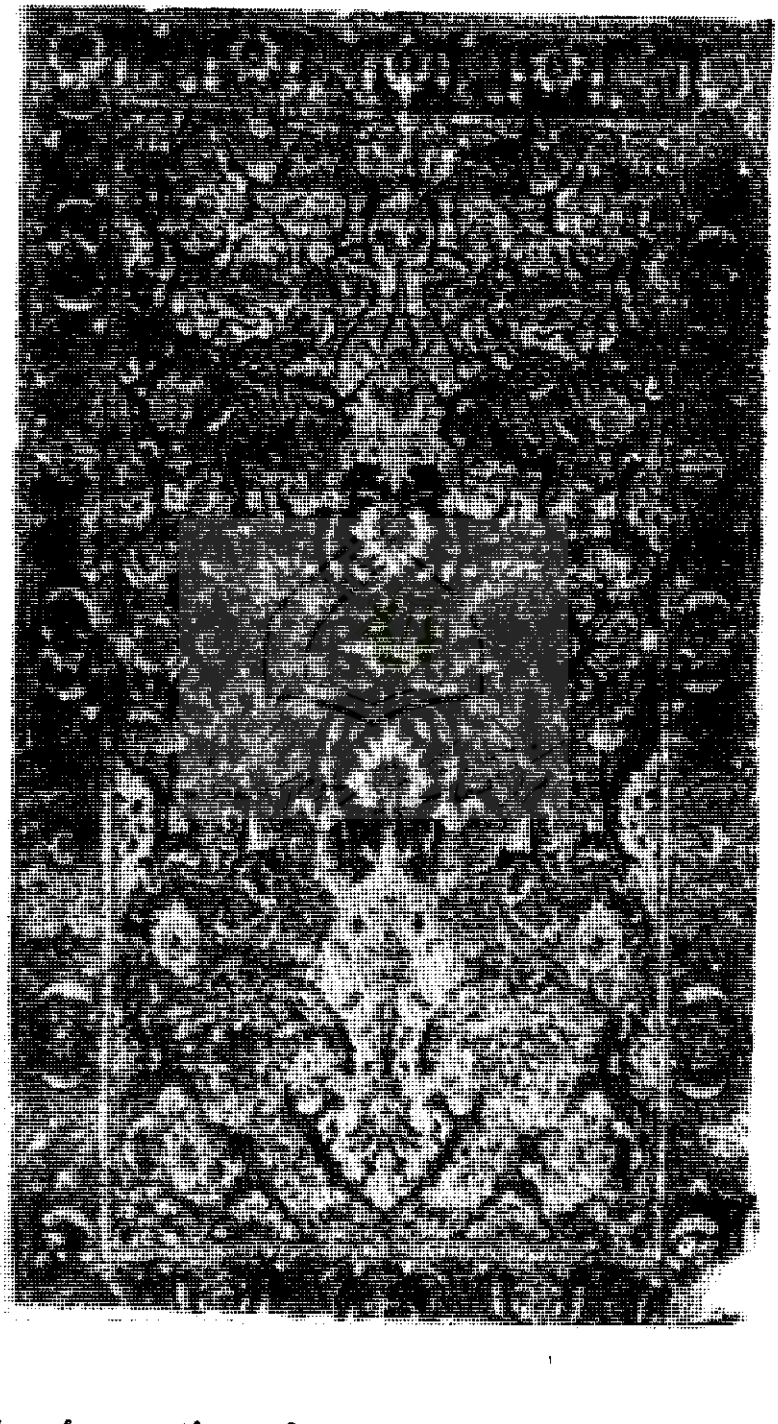
وهى سجاجيد فاخرة ذات رسوم مزهرة يحمل بعضها رنوكا بولندية. وكانت تنسب الى بولندة خطأ ويرجع الفضل الى العالمين بود ومارتن فى لفت النظر الى انها ايرانية صميمة ، وذلك بمقارنتها بالابسطة التى انتجتها ايران فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ومن المؤكد انها صنعت بمصانع البلاط بأصفهان وقاشان خلال النصف الاول من القرن السابع عشر وقد صنعت للبلاط الايرانى وللملوك الاوربيين ، ففى القرن السابع عشر أو فى ملوك بولندا مبعوثيهم من التجار الارمن الى أصفهان وقاشان بوجه خاص ، للتوصية على عمل أبسطة حريرية مشغولة بخيوط الذهب . وصنعت مثل هذه الابسطة فى عهد الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٨) والشاه صفى (١٦٢٨-١٦٤٢) والشاه عباس الثانى (١٦٤٢-١٦٦٦) .

تمتاز السجاجيد البولندية بتعدد ألوان أرضية السجادة الواحدة وأشهر ألوانها الاصفر الناصع ، والاخضر النافض والبرتقالى والازرق الفيروزى والاحمر القرمزى . وفى كاتدرائية سان مارك فى البندقية سجادة بولندية قديمة أهداها سفير الشاه عباس الى حاكم البندقية سنة ١٦٠٣م(٩) .

ويمكن تقسيم الابسطة البولندية الى مجموعتين : الاولى ذات عقد من الحرير المشغول بخيوط الفضة او الخيوط المذهبة ، وهذه الاخيرة ذات ألوان رقيقة هادئة . ويملك متحف المتروبوليتان اربع أبسطة من هذه المجموعة ، وتضم مجموعة ألتمان نموذجا بديعا تزينه رسوم التفريعات النباتية المزهرة والمراوح النخيلية بالالوان الفاتحة ، الوردية والزرقاء والصفراء على أرضية وسطها بلون الفضة والذهب ، وأجزاؤها الاخرى رمادية وزرقاء فاتحة . وتنتشر فى اطارها الاوراق الطويلة المسننة التى عرفت فى أبسطة هراة . وكذلك المراوح النخيلية ذات الالوان الفاتحة على الارضية الخضراء الزمردية . (انظر شكل ٢)

---

(٩) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ الفنون الايرانية زكى محمد حسن
ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ الفنون الاسلامية ديماند .



شكل (٢) سجادة من الحرير « من النوع المنسوب الى بولندا » من ايران من منتصف العصر الصفوى ٠

٣ ـ السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية :ـ

صنعت فى القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد زخارفها تمثل مناظر صيد او حيوانات خرافية ، وقد برع الفنان فى اكساب هذه الرسوم روحا وحياة وحركة •

ومن أجمل هذه السجاجيد والتى تعد آية فى الجمال سجادة من الصوف من مسجد الشيخ صفى‌الدين بأدربيل وتشبه هذه السجادة سجادة أخرى فى مجموعة (روكفلر بنيويورك • وتتكرر فى هذه السجادة رسوم حيوانية متقابلة تتألف من أسد ونمر يهاجمان حيوان صينى واختلطت هذه الكائنات الحية مع الوريدات والمراوح النخيلية ومراوح نبات‌عود الصليب‌ذات الالوان الغنية المنسجمة فوق الارضية الحمراء الخمرية وزاد فى قيمة تلك الموضوعات الزخرفية استخدام خيوط الفضة ، التى لا تزال ترى فى جزء من تلك السجادة ويزين الاطار رسم هادىء جميل من الزخارف النباتية المتشابكة من الفروع النباتية وأشرطة من السحب الصينية (تشى) على أرضية زرقاء قاتمة • وتنسب هذه السجادة الجميلة الى تبريز مصنوعة فى منتصف القرن السادس عشر للميلاد (أنظر شكل ٣) وهى محفوظة الآن فى متحف ايتروبوليتان بنيويورك[١٠] •

وفى نفس المتحف سجادة حريرية تنسب الى قاشان زخرفها تتكون من ستة صفوف نرى فيها الاسد والنمر والفهد والتنين والغزال وابن آوى والثعلب والارنب على أرضية من الاشجار والزهور • أما اطارها فمحلى بمراوح نخيلية يحف بكل منها طائران بريان • [١١]

٤ ـ سجاجيد الصلاة :ـ

كانت تصنع فى شمالى غربى ايران لا سيما تبريز ، تمتاز هذه

---

(١٠)

A Survey of Persian Art p. 1177 - V. 6.
Hand book - Dimand. p. 289-291.
Hand book - Dimand p. 292-293.

٥

السجاجيد بعقد وسطى يمثل المحراب تحف به الآيات القرآنية المكتوب بالخط الكوفى والنسخى والنستعليق ومعظم المعروف من هذا النوع لم



شكل (٣) سجادة ايرانية ذات رسوم حيوانية ترجع الى القرن السادس عشر الميلادى ٠

يكن غاية فى الجمال والابداع لأن الفنان لم يفلح تماما فى استخدام الكتابة عنصرا زخرفيا متقنا [١٢] (أنظر شكل ٤) .



شكل (٤) سجادة ايرانية للصلاة ترجع الى القرن السادس عشر .

---

(١٢) ص ١٦٩ الفنون الايرانية الدكتور زكى محمد حسن .

٥ ـ السجاجيد ذات الاشجار والحدائق :ـ

لعبت الحدائق دورا هاما فى حياة الناس فى ايران ، وأغرم المصورون الايرانيون بتصويرها فى الكتب ، كما أدخلها النساجون فى تزيين الابسطة فى أوائل العصر الصفوى • ومن أقدم الامثلة النادرة المعروفة ذات المناظر الطبيعية ، سجادة بمجموعة جوزيف ليز وليامز التذكارية فى وليمز تاون وتتكون زخارفها من أشجار السرو الكبيرة والشجيرات الصغيرة وأشجار الزهور على أرضية حمراء •

وهناك نوع آخر من أبسطة الاشجار بمتحف المتربوليتات مؤرخ فى النصف الاخير من القرن السادس عشر ، ويزين وسطه حوض صغير تسبح فيه الاسماك وتحيطه أربعة من أشجار الزهور ، وتقف الطيور على أغصانها أو تحلق على مقربة منها • ولون الارضية أحمر خمرى وتتألف زخارفها من الاشجار والمراوح النخيلية موزعة توزيعا متعادلا على الارضية •

وهناك مجموعة أخرى من السجاجيد التى تمتاز برسوم حدائق مقسمة الى مناطق مستطيلة ذات أشجار وشجيرات تفصل بينها جداول الماء • وأقدم سجادة معروفة من هذا النوع هى سجادة بها خيوط من الفضة والذهب محفوظة بفينا ضمن مجموعة فيجدور ويمكن نسبتها الى عصر الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٨) ، وقد اكتشفت فى عام **١٩٣٧** فى أحد مخازن قصر بمدينة عنبر ، وهى الآن معروضة فى متحف جيبور[١٣] •

وهناك أنواع أخرى من السجاجيد الايرانية لا يسعنا المجال لذكرها الآن فى هذه المقالة التى نود أن نتفرغ فيها عن ذكر كيفية صناعة السجاد ، منها السجاجيد ذات الارابسك وسجاد هولباين الى غير ذلك من انواع كثيرة ومتعددة لكل منها صفاتها الخاصة بها •

---

(١٣) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ الفنون الاسلامية ديماند •

عناصر السجاد الايراني :

١ ـ السدى Warp :

هي الخيوط الطويلة المشدودة من نهايتها على نورل رأسي وهذه الخيوط تظهر في نهايتي السجادة (شراشيب) ، وهي أساس السجادة حيث تلف عليها العقد ، وتمر خيوط اللحمة من خلالها بصورة أفقية وهذه الخيوط لا ترى في الوجه لأنها مغطاة بالخميلة ، كما لا ترى في القفا لأنها مغطاة بخيوط اللحمة والعقد .

٢ ـ اللحمة Weft :

وهي خيوط تمر من بين خيوط السدي من الخلف والامام ، وتتعاقب صفوف خيوط اللحمة مع صفوف العقد . تختفي تحت الخميلة من وجه السجادة الا انه من الممكن تمييزها في قفا السجادة .

٣ ـ العقد Knots :

وهي التواء أو التفاف خيط صغير على خيط او خيطين من خيوط السدى فتحدث ما يشبه عقدة تقص من أعلاها لتكون خصلتاها الخميلة التي تغطي سطح السجاد . وتبقى هذه العقد في مكانها نتيجة لضغط خيوط السدى في الجوانب وخيوط اللحمة من فوقها وتحتها .

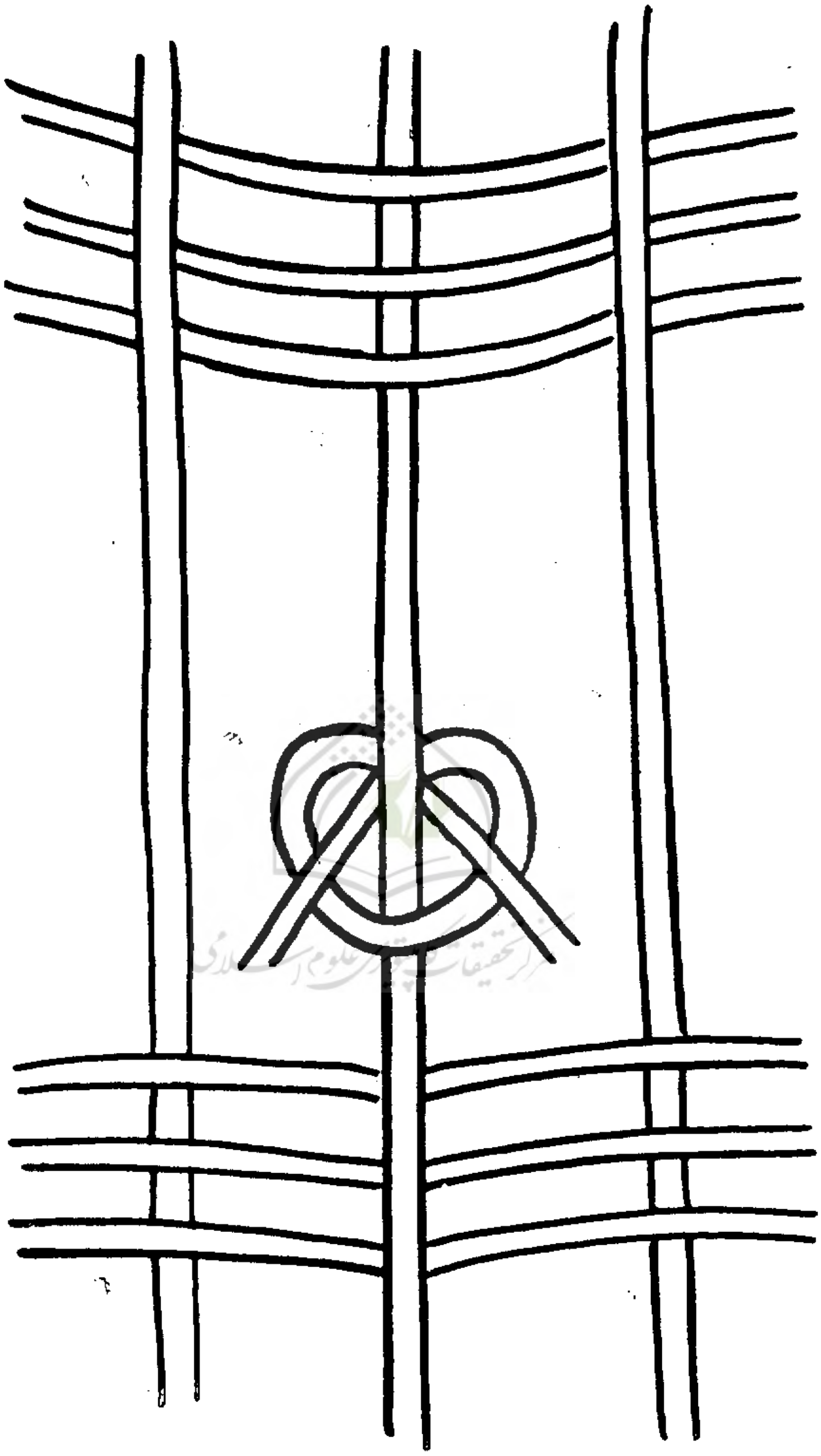
وتقسم العقد بالنسبة للسجاد الشرقي الى نوعين :ـ

النوع الاول : تسمى عقدة كورديز Ghiordes Knot أي العقدة التركية .

والنوع الثاني : عقدة سينا Sehna Knot أي العقدة الايرانية .

ان الاختلاف بين هاتين العقدتين هو في طريقة ربطها بخيوط السدى ، فعقدة كورديز تخرج من بين خيطين من خيوط السدى وتلتف اما على خيط واحد من خيوط السدى اذا كان خيطها من النوع الجيد الرفيع ، أو

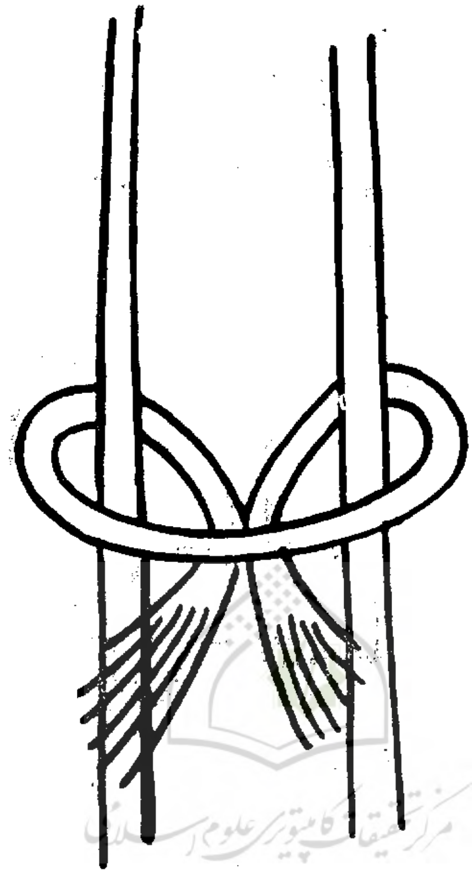
على خيطين من خيوط السدى اذا كان خيط العقدة خشنا رديئا (أنظر شكل ٥أ ، ٥ب) [١٤] .



شكل (٥أ) عقدة كورديز على خيط واحد من السدى .

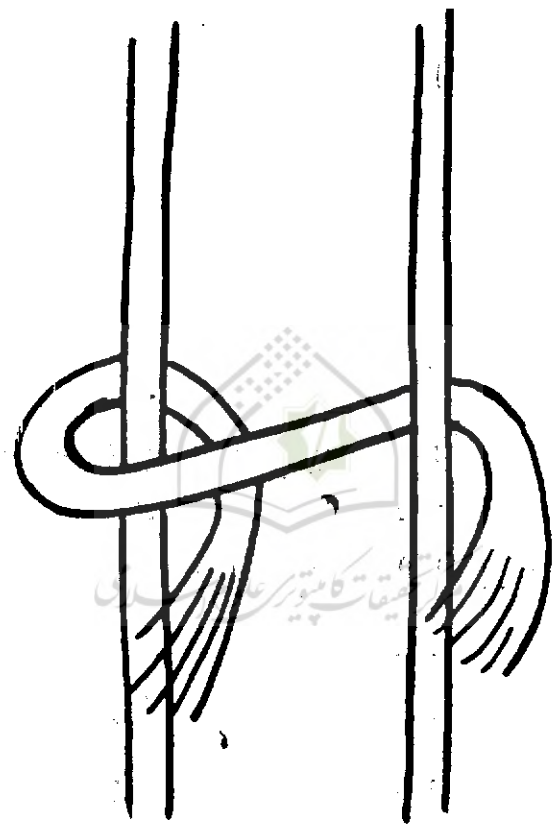
---

(١٤) Persian Rugs and other Oriental Rugs C. J. De labere May - p 39-42.



شكل (٥ب) عقدة كورديز على خيطين من خيوط السدى ٠

أما عقدة سينا فقد يلف خيطها على خيطين من خيوط السدى الا انها تُعقد على خيط واحد من خيوط السدى وتحتضن الخيط الثانى للسدى من الخلف (أنظر شكل ٦) ٠



شكل (٦) عقدة سينا ٠

ان هـــذه العقدة تأخذ وقتا أكثر من عقدة كورديز ، ولـكل بلـد طريقته الخاصة فى عقد العُقد من حيث جهة عقدها سواء من الجهة اليمنى أم الجهة اليسرى ، ومن حيث نوعيتها •

٤ ـ الخميلة Pile :

هى نهايات خصلات العقد التى تغطى سطح السجاد وهى التى تظهر السجاد بمظهرها الجميل أو بالعكس ، اذ هى التى تكون زخرفة السجاد بواسطة تعدد الالوان التى صبغت بها خيوط العقد لتعطى السجاد رونقـا وبهـــــاءً •

صناعة السجاد :

يصنع السجاد على نول رأسى يجلس النساج أمامـه ويضع خيوط السدى الطويلة لتكون أساسا للنسيج يشدها بقوة من الاعلى ومن الاسفل على النول ثم يبدأ النساج بنسج حاشية السجادة ، اذ ينسجها بطريقة بسيطة تعـــــرف بالقباطـــى Tapestry •[١٥] اذ تقســـم خيـــوط الســـدى الى فريقـــين متســـاويين فى العـــدد (خيـوط زوجيـــة او فردية) يتحركان بواسطة درأتين او ما يقوم مقامهما وتمر خيوط اللحمة (الخيوط الافقية) من بين خيوط السدى الى أن يتم نسج مسافة قليلة هى حاشية السجادة • ثم يبدأ النساج بنسج السجادة نفسها اذ يبدأ بامرار صف او أكثر من خيوط اللحمة فى النفس الواحد[١٦] ثم يليه صف واحد من العقد وذلك بحسب احدى الطرق التى ذكرناها سابقا • ثم تتعاقب صفوف اللحمة مع صفوف العقد الى أن تنتهى السجادة لتنسج الحاشية الثانية بالطريقة

---

(١٥) انظر كتاب منسوجات المتحف القبطى للدكتورة سعاد ماهر •

التى نسجت فيها الحاشية الاولى نفسها • (أنظر شكل ٧)

أما زخارف السجاد فتكون من خيوط العقد الملونة المصبوغة خيوطها بالاصباغ الحيوانية والنباتية ، اذ ان النساج ينظر الى نموذج للزخرفة المراد تطبيقها فى تلك السجادة فيضع العُقَد ذات اللون الاخضر مثلا فى المكان المناسب ثم الابيض فالاحمر وهكذا •

ولعل أعظم من اشتغل من المصورين بعمل زخارف السجاد بهزاد وسلطان محمد وسيد علي(١٧) •



شكل (٧) صورتين تبين كيفية صناعة السجادة •

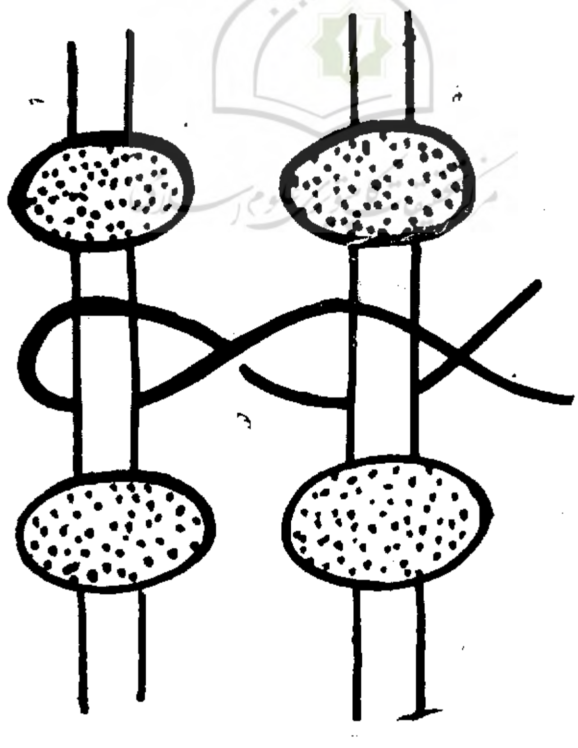
(١٦) النفس : هو الانفراج الذى يحدث بفصل الخيوط الفردية عن الزوجية من خيوط السدى •

(١٧) ص ١٥٦ الفنون الايرانية المرحوم الدكتور زكى محمد حسن •

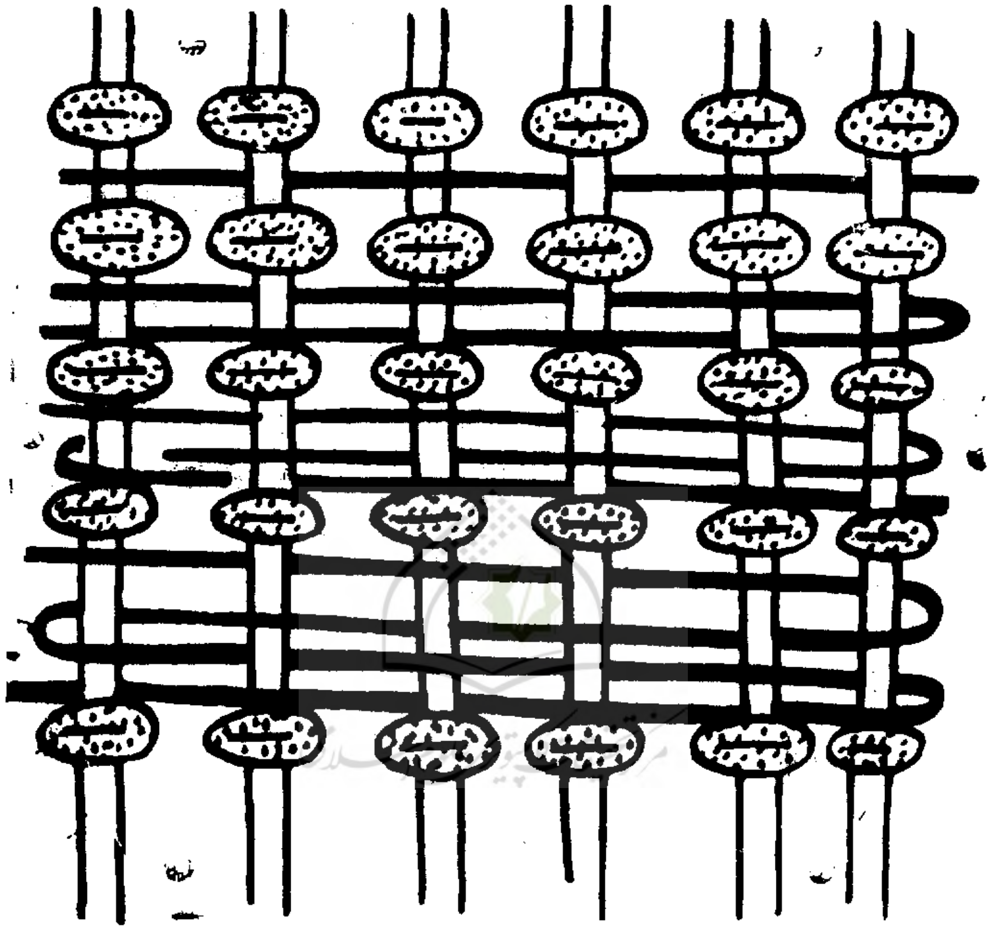
كيف تميز السجاجيد الجيدة :

من الممكن معرفة السجاد الجيد وذلك بأن نلقى نظرة دقيقة على خميلة السجادة مع لمس خفيف لها ، اذ أن السجاد الجيد هو ذو الخميلة الناعمة الكثيفة ، والسبب فى ذلك هو : جودة خيوط العُقَد ومتانتها ورفعها وذلك يدل على أن كل عقدة تلف على خيط واحد من خيوط السدى وليس على خيطين كما لو كانت خيوط العقد خشنة رديئة حيث تصبح خميلة السجادة فى هذه الحالة خشنة غير كثيفة .

أما السبب الثانى فى جودة السجاد فهو قلة خيوط اللحمة فى «النفس» الواحد والتى هى بين كل صفين من صفوف العُقَد (أنظر شكل ٨أ ، ٨ب)،



شكل (٨أ) خيط اللحمة بين صفين من صفوف العقد .



شكل (٨ب) شكل توضيحى يبين عدد خيوط اللحمة بين كل صفين من صفوف العقد ٠

فالسجادة التى تتكون من خيط واحد من خيوط اللحمة بين كل صفين من صفوف العُقَد تكون صفوف العقد متقاربة فيما بينها وهذا يؤدى الى زيادة فى كثافة الخميلة ذات الخيوط الجيدة ، وبالعكس كلما زادت خيوط اللحمة بين كل صفين من صفوف العُقَد قلت كثافة الخميلة أى ان صفوف العقد تباعدت فيما بينها .

وبعد الانتهاء من معرفة جودة السجادة من الناحية المادية والصناعية نبدأ بملاحظة الالوان التى تزدان بها السادة ، اذ أن جمال الالوان شىء متمم لجودتها ، ونعلم ان خيوط العُقَد هى الخيوط الملونة التى يستعملها النساج فى صنع العقد بحسب الرسم الملون المراد تطبيقه فى صنع السجادة . الا انه من الصعب تمييز الالوان المأخوذة من المواد الحيوانيـة والنبـاتية عن الالوان الكيماوية .

أما جمال الالوان وانسجامها فيعرفه من كان له ذوق سليم وهواية والمام بسيط بصناعة السجاد .

صحيفة

البصرة طول سبعة أيام من الصين الى الصين يعنون من عباس الى عبادان .

عبادان : وتقع على نهر فارس وهو يدور بها فلا يبقى بينها وبين البر الا قليل حيث الطول ٣٠ ¯ ٧٥ ° والعرض ٥ ¯ ٣١ ° . وتصب دجلة في البحر الفارسي .

الخشبات : وتقع جنوب شرق عبادان وهي علامات في البحر للمراكب . ويرفع على هذه العلامات في الليل نارا اشعارا للمراكب .

صحيفة

نهر عيسى : وينزل من الفرات نهر عيسى ويصب في دجلة . وهو من الانهار الكبار التي تخرج من الفرات فتسقى من الضياع عدد أيام الشهور . واشباهه في ذلك نهر الملك ونهر النيل .

القاطول : ويخرج من دجلة من المياه هذه في أرض العراق القاطول بالجانب الشرقي قوس سر من رأى .

٧٥ دجيل : يخرج من دجلة من الجانب الغربي عند حربا .

النهروان : وينزل من جبال شهرزور الى جنوبي بغداد النهروان واذا سار السابر الى المداين عبر هذا النهر على جسر كبير .

المداين : كانت للاكاسرة من بغداد على مرحلة ، والايوان منها باقٍ في الجانب الشرقي وهو من آجر وقار . وكثير ما يستعمل أهل العراق القار في أبنيتهم ولاسيما في الحمامات وأماكن الماء . ومن المداين يلتوي نهر دجلة فينصرف حتى تقع واسط في الجزء الرابع كما تقدم ثم تقع بطايح واسط والبصرة . من الانهار الخارجة من دجلة تحت واسط في هذا الجزء وهي ٨٠ فرسخا في مثلها . حدثت في أيام اشتغال الفرس بقتال العرب في صدر الاسلام فصارت ولاية منحازة وربما كان فيها ملك من الثوار وقاعدتها الجامدة . واكثر الانهار التي تصب فيها الغراف والبرار ومعظم أهلها كلدانيون على ملة سبت عليه السلام والياس يسمونهم الصابئة .

البصرة : بنيت في زمن الخلافة العمرية حيث الطول ٣١ ٧٤° والعرض ٣١° . وهي على نهر يقال له فيض البصرة يمتد مع شرقيها وجزيرة الابلة التي احد منتزهات العالم بين هذا النهر ونهر معقل ونهر الابلة ودجلة واذا صعد المد من نهر فارس لم يشرب هذه المياه ويذكرون انه يصعد قدر ستة أيام وتمل

وبين الموصل للقوافل (٦) أيام في أراض يصنع بها النفط كأنها قطعة من جهنم .

حمام العليل : وبالقرب من الموصل (قيارة) فيها ماء حار عليه مينا سلطاني . ينتفع الناس بها .

النهر الاسحاقي : جنوب شرقي تكريت حفره في أيام المتوكل اسحق ابن ابراهيم صاحب شرطته وهو أول حد سواد العراق ومنه تبدأ الاشجار .

حلوان : ومنها يصعد الى الجبال وهي آخر مدن العراق حيث الطول ٧١° والعرض ٣٥° .

أربل : وهي قاعدة بلاد شهرزور وهي محدثة وموضوعها حيث الطول ٥٠ - ٦٩° والعرض ٢٠ - ٣٦° .

بغداد : وهي أربع عشرة مدينة الزوراء منها . وهي مدينة المنصور في الجانب الغربي بين نهر الصراة ونهر عيسى النازلين من الفرات الى دجلة ، والمدينة المشهورة التي كانت فيها الخلافة في عصرنا بالجانب الشرقي ولها جسران . ومباني بغداد معظمها بالقصب والطوب ، والكلس والجبس يفسدهما هواءها فلا يكاد اللحظ يقع عليها في جميع مبانيها والرخام يتشقق من الحر . وارخص ما فيها التمر الذي يجلب من البصرة وقصب السكر والارز اللذان يجلبان من البطائح وجهات واسط فيها التفاح القراطيسي والعنب الرازقي والنارنج الفروي والليمون اليعقوبي والورق البغدادي والاقلام الواسطية . وتصعد بها المراكب ببضايع الهند في دجلة وموضوعها حيث الطول ٧٣ والعرض ٩ - ٣٣° .

سنجار : وتقع جنوب نصيبين . من أحسن المدن ، وجبالها من أخصب الجبال فيها الجوز واللوز اللذان يكسران براحة الكف . ومنها يجلب حب الرمان الكثير والناشف والملين المعمول من العنب . وفي داخلها عين معينة تشق الجامع وتخرج الى ظاهره فيضاف اليها ما يكون منه نهر وينضاف الى ذلك نهر نصيبين ويصب الجميع في الثرثار المشهور والذي كان عليه مدينة الحضر وهي خراب وفي غياض هذا النهر الاسود الكثيرة . وموضع مدينة سنجار حيث الطول ٢٠ـ ٦٨° والعرض ٤٠ـ ٣٥° .

الموصل : وتقع مدينة الموصل قاعدة الجزيرة في غرب دجلة حيث الطول ٦٩ والعرض ٣٠ـ ٣٥° وامامها في الجانب الشرقي نينوى مدينة يونس عليه السلام على ظهر ربوة وهي خراب وهناك تل التوبة . وهذه المدينة من أحسن البلاد منظرا في بنايتها وبساتينها وشوارقها التي على دجلة واهلها فيهم خصوصية منها صنايع جمة ولا سيما أواني النحاس المطعم يحمل منها الى الملوك وكذلك ثياب المحررات التي تنسج بها .

الزاب الاصغر : ويصب جنوب شرق الموصل بالقرب من مدينة آشور الخراب وهي المذكورة في التوراة وبها كان الملوك الاثوريون الذين خربوا بيت المقدس .

الزاب الكبير : ويصب أسفل الزاب الصغير من الجهة الشرقية أيضا وعليه البوازيج التى يجلب منها الرمان في دجلة الى بغداد .

٧٤ تكريت : وهي آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق وتقع على غربي دجلة حيث الطول ٧٢° غير دقائق والعرض ٣٠ـ ٣٣° وبينها

والعرض ٥٠ َ ٣١ ْ وهي اسـلامية بنيت في مدة عمـر بن الخطاب ويقال ان منها الطوفان فاض من مكان جامعـه وهي بلد نخيل .

واسط : وتقع على جانب دجلة حيث الطول ٣٠ َ ٦٢ ْ وفي هـذا الجزء تقع بطائح الـكوفة من فضلات مياه الفرات فأوى اليها العربان وقطاع الطرق .

حران القديمة : من بلاد الجزيرة حيث الطول ٣٦ َ ٦٥ ْ والعرض ٣٦ ْ .

رأس عين : تقع حيث الطول ٥٥ َ ٦٦ ْ والعرض ٣٠ َ ٣٦ ْ وتحتها المياه الـكثيرة والبساتين ومن عيونها يجتمـع الخابور وفي خارجها بحيرة احنجة في غاية العمق ترمى فيها الدنانير وتعاني كيف تنزل الى قعرها وينحـدر في اثرهـا الغطاسون حيث يلتقطونها وفيها النيلوفر الـكبير ذو الالوان المختلفة المبهجة .

٧٣ نصيبين : قاعدة ديار ربيعة حيث الطول ٥٠ َ ٦٧ ْ وهي مخصوصة بالورد الابيض الذي يعم ما ورده بلاد الدنيا ويفضل على ساير أنواعه ولا يوجد فيها وردة حمراء الا في الحدود .

الهرماس : ينبع من جبل كبير شمال نصيبين ويمر مع سورها وعليه البساتين الـكثيرة ويصب في نهر سيحان .

ماردين : وتقع بين رأس العين ونصيبين وقلعتها لاترام . وفيها المرعز الـكثير يحمل منها أكسية الى البلاد .

دارا : وتقع بين ماردين ونصيبين وعندها قتل دارا ملك الفرس وهي الآن قرية على نهر في حافتيه رمان كثير وغير ذلك .

صحيفة

٧١ بالس : مشهورة بالتجار الاغنياء • والبرية بينها وبين حلب وكثيرا ما تقطع فيها العرب على اهلها . وهي من الجانب الغـــربي (الشامي) .

الرقة : تقــع جنوب شرقي بالس تعــرف بالبيضا لابيضاض رملتهــا وسورها وهي قاعدة ديار مضر من بلاد الجزيرة حيث الطول ٣١¨ ٦٦° والعرض ٣٦° .

قرقيسيا : وتقع جزيرة قرقيسيا بين الفرات والخابور النازل من رأس عين حيث الطول ٥٠¯ ٦٦° والعرض ٢٠¨ ٣٥° .

الرحبة : تلي قرقيسيا . وهي ذات فواكه كثيرة على غربي الفرات في الجانب الشامي وهي فرضة تدمر .

٧٢ عنه : تقع جزيرة عنه في وسط الفرات حيث الطول ٢٠¨ ٦٧° وهي من بلاد الجزيرة وأهلها الغالب عليهم النصيرية . وحرها مذكور في الاشعار .

حديثه : تلي عنه . وتقع في وسط الفرات حيث الطول ٢٠¨ ٦٧° والعرض ٣٤° .

هيت : تقع على غربي الفرات وهي أيضا من مدن الجزيرة واليها ينتهي الحد حيث الطول ٣٠¯ ٦٨° والعرض ٣٤° . وهي بلد قيارات ونخيل .

الانبار : تقع مدينة الانبار على جانب الفرات الشرقي وهي أول مدن العراق على جهة الجزيرة حيث الطول ٣١¯ ٦° والعرض ١٠¯ ٣٢° .

الـكوفة : وتقع على ذراع الفرات في غربيه حيث الطول ٣٠¯ ٦٩°

العراق والجزيرة كما وصفها ابن سعيد المغربي

Dr. Muhammad Raslind Al-Feel

College of Arts.

Baghdad University.

الدكتور محمد رشيد الفيل

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

water into the sea. The Tigris, Euphrates and Tamarra flow from Armenia to the lands of Iraq where they they debouch onto the plain and irrigate its lands(5).

The dividing line between Iraq and al-Jazira has varied. During the Abbasid period the dividing line extended from al-Anbar on the Euphrates and to Tekrit in the Tigris. In the time of al-Mustawfi (1345), however, Iraq included many towns lying on the Euphrates to the north of Anbar, up or beyond Ana and the frontier line of that period went from a short distance below Karkasiya, to a point on the Tigris immediately below the junction of the lesser Zab(6). While According to our geographer (Ibn said) the dividid live extended below Tekrit on to the Tigris to below Hit on the Euphrates(7).

The dividing line, generally speaking, divided between the lands depended on artificial irrigation (Iraq in the south) and the lands depended mostly on rain (al-Jazira in the north).

---

(5) Yakut, op. ir. vol. 2 p. 624
Ibn Abd al-Hak, op it. Tomus prinuns p. 245
(6) op. in. p. 18
(7) Both Tekrit and Hit were included within al azira

Iraq and Al-Jazira as described by Ibn Sand Al-Maghribi

Iraq of the present time was divided during the Abbasid and the Mangolian period into two divisions namely al-Jazira in the north and Iraq in the South.

The northern part was given the name al-Jazira (the Island) because it was almost entirely enclosed by a ring of water formed by the upper courses of the Tigris and the Euphrates, and by streams and canals joining the two rivers to the south of the stony plain.

It was also called Diyar Bekr and Diyar Rabia (the habitation of Bekr and Rebia)(1).

The meaning of the word Iraq is uncertain and the Arab hypotheses are neither clear nor satisfactory. Iraq according to Arab geoprAphers, means low- lying ground or coastland.(2)

According to al-Masudi, it was called Iraq because it comprised the estuarine lands of both the Tigris and the Euphrates(3). Ibn Abd al-Hak said that it was called Iraq because it consisted of a plain(4). According to Yakut the word Iraq is an arabicised form of Iraf ايران with f) while Ibn Abd al-Hak gave the word with nas the final letter ايراف=Iran) meaning the point of the falling of the

---

(1) Diyar (singular Dar) habitation of Rabia and Bekr the Arab tribes which settled al-Jazira long before the rise of Islam. The first tribe to migate to al-Jazira was the Kudaa tribe which settled on the Tharthar. The Kudaa were followed by two other tribes namely, the Rabia and Mudar. These were followed by Banu Asad, and then Banu Bekr and thus al-Jazira was divided into three divisions according to the settlements of these tribes.

1— Diyar Mudar, 2— Diyar Bekr 3— Diyar Rabia.

Al-Idrisi, op. cit. p. p. 228-9

Al-Kulkashandi, op. cit. vol. 4 p. 325

Abu al-Feda : op. cit. p. 273

(2) According to Yakut, (vol. 2 p. 72), Abu al-Feda (p. 291) and al-Kalkashandi (vol. 4 p. p 327-8) it was called Iraq because it is lower than Nejd and approaching the sea.

According to al-Khalil, al-Iraq literally means "the sea shore" and Iraq was so called because it lies on the Banks of the Tigris and Euphrates and extends as far as the sea.

Yakut, op. cit. vol. 2 p. p. 628—9.

Anstas al-Karmali gave the meaning of Iraq as the low-land or land liable to inundation.

Sumer, vol. VIII p. 268 Baghdad 1952.

(3) "Muruj al-Dhahab". vol. 3 p. 140.

سمي عراقاً لاستواء أرضه وخلوه من جبال تعلو وأودية تنخفض .

(4) His own words were:

It was called Iraq because it is a plain devoid of high mountains or low valleys.

Ibn Abd al-Hak. "Marasid al-Itila." vol. I p. 245.

Ilyas. They are called Sabeans[43].

Basrah at longitude $74^{\circ}\ 31^{-}$ and latitude 31°, was built during the reign of Omer. It stands on a river called al-Faid, which runs by the east of the town to the Island of al-Ubula which lies between al-Faid, Nahr Makil, Nahr al-Ubulla and the Tigris, and was one of the most famous parks in the known world[44].

When the tidal waters come up from Nahr Fars the water of the Faid becomes undrinkable[45]. It is said that the water rises for six days and extends from Abbadan to Abdasi[46].

Abbadan stands at longitude $75^{\circ}\ 30^{-}$ and latitude $31^{\circ}\ 5^{-}$ on Nahr Fars, Which encircles it and leaves very limited dry land between the Town and the sea.

The Tigris flows into the Arabian Gulf[47].

al-Khashabat stand to the south east of Abbadan. They are marks in the sea for ships. Fires are put there at night in order to warn the mariners[48].

(43) se : al-Istakhri p. 86, Ibn Haukal p. 244, Ibn Rustah p. 95, Yakut vol. 4 pp. 445-448, alMustawfi pp. 50-52, Ibn Abd al-Hak vol. p. 61.

(44) His information concerning shatt al-Arab is confused. His words were:

على نهر يقال له الفيض يمتد مع شرقيها وجزيرة الابلة التى هى منتزهات العالم وبين هذا النهر ونهر الابلة ودجلة .

(45) He means the Arabian Gulf.

(46) see : al-Istakhri p. 80, Ibn Haukal pp. 235-9, al-Makdasi pp. 117-8, al-Hamathani pp. 187-195, Masudi p. 357. Nasir Khusrawi p. 95, Ibn Abd al-Hak vol. I p. 157, Yakut vol. I pp. 636-652, al-Mustawfi pp. 45-60, Della Valle pp. 244-246, Ibn Batutah P. 86, Teixeira p. 17.

(47) see : al-Istakhri p. 81, Yakut vol. 3 pp. 597-599, Ibn Abd al-Hak vol. 2 p. 230.

(48) al-Khashabat singular Khashaba.

see : al-Istakhri p. 3 al-Masudi vol. 2 p. 259, Nasir Khusrawi pp. 100-101, Ibn al Wardi p. 39, Abu al-Feda p. 304.

Dujayl flows from the western right side of the Tigris near Harba(39). al-Nahrawan flows from the mountains of Shahrezur to the south of Baghdad. The road from Baghdad to al-Madain crosses al-Nahrawan by a bridge(40).

Al-Madain belonged to the chosroes, and lay a day's journey from Baghdad. The chosroes arch is on the eastern side and is built of bricks and bitumen. The Iraqis use bitumen in their building and chiefly in the baths and watering places(41).

At al-Madain, the Tigris bends and passes through Wasit and al-Bataih of both wasit and Basra, which are 80 leagues by 80 leagues. They (al-Bataih) existed during the war between the Muslims and the Sassanids. Later on they became the refuge of the rebels. Their capital is al-Jamida. Nahr al-Gharraf and al-Barar flow into al-Bataih.(42) Most of the inhabitants are Chaldaeans of the creed of sabat and

---

(29) see : Ibn Serabion p. 18, al-Yakubi p. 363, al-Kazwini p. 258 al-Kalkashandi vol. 4 p. 325.

(30) The mountains start before Hulwan. He probably meant al-Jibal provine.

(31) see : Yakut vol. I pp. 186-7, Ibn Abd al-Hak vol. I p. 43, al-Mustawfi p. 102.

(32) Ibn Jubayr said 17 towns from which it seems that they meant quarters.

(33) This is wrong because al-Sarat canal flows from the Isa canal.

(34) al-Karatisi apples are the white apples.

(35) Al-Razki grapes are the yellowish grapes.

(36) This is quite an interesting fact which means that the Mongolian conquest did not disturb trade between Iraq and India see : al-Istakhri p. 83, Ibn Haukal pp. 240-43, al-Makdasi pp. 119-20, al-Khatib al-Baghdadi, al-Mausdi pp. 43, 360, Ibn Jubayr 204, al-Bashari p. 128, Ibn al-Jawzi p. 8, 27, 28, al-Yakubi pp. 234, 237, Yakut vol. I pp. 677-693, al-Mustawfi pp. 33-37, Ibn Abd al-Hak vol. I p. 163, Marco Polo vol. I. pp. 65-66, Teixeira p. 41, Ibn al-Athir vol. VIII p. 455, Ibn Batutah pp. 99-100.

(37) see : al-Istakhri p. 85, Ibn Haukal p. 243, Ibn Serabion p. 14, Ibn al-Wardi p. 38, Ibn Abd al-Hak vol. 3 p. 249, Yakut vol. 4 p. 842, al-Mustawfi p. 52, al-Nuwairi vol. I p. 256, Abu al-Feda p. 52, al-Kazwini pp. 182 3, al-Kalkashandi vol. 4 p. 399, Teixeira p. 46.

(38) This is wrong because al-Katul was in complete ruin since the 11th century A.D.

al-Masudi pp. 53, 356, Ibn Serabion pp. 19-20, Yakut vol. 4 pp. 16-17, Ibn Abd al-Hak vol. 4 pp. 16-17.

(39) The Dujayl flows out from the Tigris below Tekrit. At Harba al Mustansir constructed a bridge in 1233 which was known as (Jisr Harba).

as (Jirs Harba).

al-Istakhri p. 78, Ibn Haukal p. 228, Ibn Serabion p. 14, al-Idrisi p. 231 Ibn al-Jawzi vol. 10 p. 165, al-Khatib al-Baghdadi p. 20, Ibn Abd al-Hak vol. I p. 343, Yakut vol. 2 p. 555, al-Mustawfi p. 48, Ibn Batutah p. 102, al-Siyuti p. 458.

(40) This is the Diyala river.

al-Istakhri p. 86, Ibn Rustah p. 90, al-Makdasi p. 124, al-Masudi p. 53, Ibn Serabion p. 20, Ibn al-Wardi p. 139, Ibn Abd al-Hak vol. 3 p. 253, Yakut vol. 4 pp. 846-852, al-Kazwini p. 183-4, al-Mustawfi p. 23.

(41) His words were:

وكثيرا ما يستعمل أهل العراق القار في أبنيتهم ولاسيما في الحمامات وأماكن الماء

(42) al-Kazwini mentioned (p. 178) the following Nahr Sas, al-Iraq, Dakla, Jafar Maisan, Houvri and al-Hamama.

The Great Zab: Joins the Tigris below the small Zab on the left bank. On this river stands al-Bawazij, from which pomegranates are exported to Baghdad, via the Tigris(26).

Tekrit: is the most southerly town within al-Jazira province. It stands on the right bank of the Tigris at longitude 72° and latitude 33° 30⁻. The distance between Tekrit and Mosul is covered in six days. In Tekrit bitumen is manufactured in a district which in described as a piece of hell(27).

Kayara: stands below Mosul and has a spring of bitumen.

It has hot water (which is good for skin diseases) and brings a high income to the sultan(28).

al-Nahr al-Ishaki: is in the south of Tekrit. It was dug by Ibrahim, the chief of the police, during the reign of al-Mutawakil. It demarcates the northern limit of al-Sawad where trees start to grow(29).

Hulwan: is the last town within Iraq province, on the north-east boundary where the mountains start(30).

Arbil: the capital of shahrezur province, is at longitude 69° 50⁻ and latitude 36° 20⁻(31).

Baghdad: stands on the Tigris at longitude 73° and latitude 33° 9⁻. It consists of 14 towns and al-Zawra is one of them(32). The town of al-Mansurr is on the right bank between al-Sarat and Nahr Isa which flow from the Euphrates(33). It has two bridges. Most of its buildings are of reeds and bricks. Lime(كلس)and gypsum(جص) are destroyed by the air of the town and marble (رخام) cracks because of the excessive heat. The cheapest things in the town are dates, which are imported from Basra, and Sugar-cane and rice from al-Bataih and wasit. There are also al-Karatisi apples(34), al-Razki grapes(35), al-Farwi bitter oranges, al-Yakubi lemons al-Baghdadi paper and pencils from wasit. Ships come from Basra, via the Tigris, carrying Indian merchandise(36).

Nahr Isa: is one of the biggest canals to take its waters from the Euphrates and it irrigates 360 villages, as do Nahr al-Malik and Nahr al-Nil(37).

al-Katul: flows out from the Tigris on the eastern side of the Samara curve(38).

---

(26) Ibn Said confused the two Zabs; the first must be the Great Zab instead of the smaller Zab and the second must be the smaller Zab.
see : al-Istakhri p. 77, Ibn Haukal p. 228, Ibn Rustah p. 90, Ibn Serabion p. 18, Ibn Abd al-Hak pp. 550-51, Yakut vol. 2 pp. 902-4.

(27) His words were : فى أرض يصنع بها النفط كأنها قطعة من جهنم
see : al-Istakhri p. 77, Ibn Haukal p. 227, al-Hamathani p. 129, al-Bashari p 123, al-Mustawfi p. 46, Yakut vol. I pp. 861-3 Ibn Abd al-Hak vol. I p. 299.

(28) Kayara is any place there bitumen exists. This place is identified with present day Hamam al-Alil, 30 kilometres to the south of Mosul on the right bank of the Tigris.

Mardin stands between Ras al-Ayn and Nasibin. It has avery strong fortress. It is celebrated for the goats hair which is manfactured as cloth and blankets (اكسية) and exported to other countries(19).

Dara where Dara the Persian king was killed stands between Mardin and Nasibin. It is now a village on a river and on both its banks such fruit trees as pomegranates grow(20).

Sinjar stands to the south of Nasibin at longitude 68° 20⁻ and latitude 35° 40⁻. It is one of the best towns and its mountain is one of the most fertile. It has nuts and almonds which are broken by hand. From this town the following are exported: the seeds of the pomegranates, dry figs and a laxative made from grapes. In the town there is a special Spring which passes through the mosque, and together with Nahr Nasibin flow into the celebrated Tharthar, on which stood al-Hadr, now in ruins(21). Al-Tharthar is frequented by many lions(22).

Mosul is the capital of al-Jazira province. It stands on the right bank of the Tigris at longitude 69° and latitude 30° 35⁻. On a hill on the opposite side of the river (The eastern side) stand the ruins of Nineveh the town of Jonah the prophet. On this side also is tell al-Tauba (the hill of repentance). Mosul is one of the finest towns by reason of its buldings, orchards and al-Shawarik(23).

The people excel in industry, especially in inlaid metal work, which is carried to the kings, and also al-Muhararat cloths, which are manufactured in the Town(24).

The Smaller Zab: Joins the Tigris to the south of Mosul near Athur which is mentioned in the old Testament. It was inhabited by the Assyrians who destroyed Jerusalem(25).

---

(19) bn Batutah in the 14th century reported (vol. II p. 142) that Mardin was celebrated for its woollen stuff which was woven of goats hair.

see : Yakut vol. 4 p. 390, Ibn Abd al Hak vol. 3 p. 29, al-Mustawfi p. 105, Marco polo p. 29 Ibn Batutah pp. 104, 178.

(20) see : al-Istakhri p. 73, Ibn Haukal p. 221, al_Makdasi p. 140 Yakut vol. 2 pp. 516-7, Ibn Abd al-Hak vol. I p. 381.

(12) Nahr Nasibin is Nahr al-Hirmas. In order to supply al_Tharthar with water a dam was constructed on al-Hirmas a hundered miles below Nasibin.

(22) In both Iraq and al-Jazira lions existed down to the 17th century. see : al-Istakhri p. 73, Ibn Haukal p. 220, al_Makdasi p. 140, Yakut vol. 3 pp. 158-160, al-Mustawfi p. 104 Ibn Abd al-Hak vol. 2 p. 57.

(23) al_Shawarik : singular Sharuk is a piece of land cultivated with different vegetables on the bank of the river in early spring and summer seasons.

(24) Al-Muhararat : A kind of cloth which was a mixture of cotton and silk.

see . al-Istakhri p. 73, Ibn Haukal pp. 214-219, al-Makdasi pp. 138_9, al-Hamathani pp. 128-9, Ibn Abd al_Hak vol. 3 pp. 173-4, Yakut vol. 4 pp. 682-5, al-Mustawfi p. 102, al-Omari al-Mosuli p. 9, Marco Polo pp. 29_30, Abu al-Feda p. 289, Ibn al-Fuati p. Ibn Batutah p. 350, Ibn Jubayr pp. 236-8.

(25) see : al-Istakhri p. 77, Ibn Haukal p. 228, Ibn Rustah p. 90 Ibn Serabion p. 18, Yakut vol. 2 pp. 902-4, Ibn Abd al-Hak vol. I pp. 550_51.

of outlows and highway thieves(14).

Harran al-Kadima is at longitude 65° 30− and latitude 36° within al-Jazira province.(15)

Ras al-Ayn' Stands at longitude 66° 55 and latitude 36° 30−. It is famous for its orchards (basatin) and for its numerous springs, from which the Khabur takes its water. Out side the town there is a deep lake called Tanja(16). The purity of its water enables coins to be seen sinking to the very bottom. It is celebrated for its nenuphar (the great water lily) of divers bright colours.

Nasibin is the main town of Diyar Rabia at longitude 67° 50−. It is celebrated for its white flowers and it has no red roses except on its out skirts. Nasibin is famous for rose-water, which is exported to all countries.(17)

al-Hirmas flows from a huge mountain (Jabal Kabir) to the north of Nasibin. The river passes by the wall of the town, where many orchards stand on both banks and finally joins nahr sarhan(18).

---

(14) During the Mongoliam period (1258 and the following Years) the water way through al-Bataih was so unsafe and dangerous that Sultan kighatu (the IL-Khan) sent his troops in 693 A.H. and killed or captured most of the outlows who caused the trouble and fear at al-Bataih. His successor Ghazan made his way to Iraq through Choukhi and al-Bataih and rooted them.

Ibn al_Fuati pp. 467-7, 497.

see : al-Istakhri p. 82, Ibn Haukal p. 239, al-Makdasi pp. 118-9, al-Masudi p. 360, al_Yakubi p. 322, Ibn Rustah p. 187, Ali al-Yazdi vol. I p. 640, 657 vol. 2 517, Jahan Nama p. 6431 Ibn Abdal-Hak vol. 3 p. 367-70, Yakut vol. 4 p. 881-888, al-Kazwini p. 320, Ibn Batutah vol. 2 p. 2, al_Mustawfi p. 141, Ibn al-Fuati pp. 331-338, abu al-Feda p. 307.

(15) Harran al-Kadima means Ancient Harran. This name probably refers to the tradition which stated that Harran was the first city to be built after the flood.

Le strange: "The land of the Eastern Calphate" p. 103 al-Istakhri p. 76, Ibn Haukal p. 210, 226, al_Makdasi p. 141 Yakut vol. 2 pp. 232-3 al-Mustawfi p. 13 Ibn Abd al-Hak p. 244.

(16) His words were : وفي خارجها بحيرة طنجه في غاية العمق The name of the lake in not clear in the manuscript. al-Makdasi (p. 140) referring to a small lake at the chief spring two fathoms deep, said that the water was so clear that a silver piece could clearly be seen at the bottom.

Yakut (vol, 2 pp. 731-2) mentioned four lakes namely Ayn (spring) al-Aas, Ayn al_Sarar, Ayn al-Rayahiya nad Ayn al-Hashimiya. He also mentioned a fifth spring called Ayn Khasfa Salama. He described Ayn al-Sarar which is probably the Tanja of ibn Said as (10) dhira deep and said that its water was very pure al-Mutawakil threw 10000 dirham into the lake, which were all found by the inhabitants as a result of the purity of its water. see : al-Istakhri p. 74, Ibn Haukal pp. 221_2, al-Makdasi p. 140 Yakut vol. 2 pp. v31-2, Ibn Abd al-Hak vol. I. p. 453, al-Mustawfi p. 103.

(17) Yakut describes Nasibin (vol. 4 p. 787) as celebrated of its white roses and its forty thousand gardens. Ibn Batutah who was in Nasibin in the 14th century reported (vol. 2 p. 140) that the gardens round the city produced the rose-water for which it was celebrated.

see : al-Istakhri p. 73, Ibn Haukal pp. 211_214, al-Makdasi p. 140 Yakut vol. 4 pp. 787-4, Ibn Abd al-Hak vol. 3 p. 214, al-Mustawfi p. 105.

(18) This is wrong because the Hirmas flows into the khabur.

see : al_Hamathami p. 135, Ibn serabion p. 12, Yakut vol. 4 p. 963, Ibn Abd al-Hak vol. 3 pp. 213-4.

Al-Rahba: stands below karkasiya to the west of the Euphrates[6]. It produces much fruit. It is the port of Tedmur[7] (palyre).

Ana: The island of Ana stands in the Euphrates within al-Jazira province at longitude 67° 20−. Its polulation is composed for the most part of Nusayriya (members of the Nusayriya sect). Its excessive heat is well known and exemplified in verses[8].

Haditha: Stands below Ana in the centre of the Euphrates at longitude 67° 20− and latitude 34°[9].

Hit: Stands on the right bank of the Euphrates within al-Jazira province at longitude 68° 30− and latitude 34°.

The boundaries of al-Jazira end at Hit. It is a town of pitch (bitumen) and date - palms[10].

al-Anbar: Stands on the left (eastern) bank of the Euphrates at longitude 69° 31− and latitude 32° 10−.

It is the first town within Iraq, to the south of al-Jazira[11]

al-Kufa: stands on the right bank of the chief stream of the Euphrates[12], at longitude 69° 30− and latitude 31° 50−. It was constructed during the reign of Omar (the second legitigate caliph).

It is said that the flood (الطوفان) started from the land on which the mosque is constructed[13]. Kufa is calebrated for its date - palms.

Wasit: Stands on the Tigris at longitude 62° 30−, and here the swamps (Bataih) of Kufa are situated. These swamps are now the hiding place

---

(6) alRahba stood six leagnes to the west of Karkasiya on a loop canal called Nahr Said.

(7) His words were: وهى فرضة تدمر

See Ibn Haukal p. 227, al-Istakhri p. 77, al-Makdasi p. 142, Yakut vol. 2. p. 762, Ibn Abd al-Hak vol. I. p. p. 464-5.

(8) al-Istakhri p. 78, bn Haukal pp. 228-9, al-Makdasi p. 142, Yakut vol. 3 pp. 594-5, al-Mustawfi p. 49.

(9) al-Istakhri p. 75, Ibn Haukal p. 219, Ibn Abd al-Hak vol. 1P. 292 Yakut vol. 2 pp. 223-4, al-Mustawfi p. 46, Ibn khilikan vol. I. p. 256.

(10) The boundaries between Iraq and al_Jazira end below Tekrit on the Tigris and below Hit on the Euphrates, which means both towns were within al-Jazira province.

al-Istakhri p. 76, Ibn Houkal p. p. 227, 228 Ibn Abd al-Hak Vol. 3. pp. 228-9, Yakut vol. 4 pp. 997-9, al-Mustawfi p. 53, Abu al-Feda pp. 248_9, al_Kazwini p. 186, Ibn Khilikan vol. I. p. 248.

(11) al-Istakhri p. 77. Ibn Haukal p. 227. Ibn Abd al-Hak vol. I p. 49 Yakut Vol. I pp. 367-8, al-Mustawfi p. 45.

(12) His words were: وتقع على ذراع الفرات فى غربيه .

He mentioned this because the Euphrates bifurcates into two branches the Sura and the Kufa branch which was the main course of the Euphrates although the Arab geographers admitted that the Sura canal was larger than the Kufa branch.

(13) This refers to the flood of Noah.

see : al_Istakhri p. 82, Ibn Haukal pp. 239-240, al-Makdasi pp. 116-7, al-Hamathani p. 162, al-Masudi p. 358 I vol. 5 p. 400, al-Bashari p. 128, Ibn Rustah p. 174, Kudama p. 185, Ibn Jubayr p. 189, Yakut vol. 4 pp. 322-327, al-Mustawfi pp. 30_33, 37, Ibn Batuta p. 189, Teixeira pp. 28-9.

Iraq and al-Jazira as described by Ibn Said al-Maghribi.

By Dr. Muhamad R. Al-Feel
Ph. D., F. R. G. S.

This paper is a translation and annotation of a part of a manuscript in the Bibliothèque Nationale - Paris (Arabe 2234) written in the 13th Century by Ibn Said al-Maghribi, who was a prominent geographer historian and writer of the 13th Century. His activity is known to us from his books, his biography and from quotations from his work by such eminent geographers as Abu al-Feda.

The geography of Ibn Said offers a relevant and interesting reference in a period when very little is written about Iraq and al-Jazira.

Translation

Balis: Stands on the right bank of the Eupnrates on al-Sham (The Syrian) side. It is celebrated for its wealthy merchants. The desert land (al-Bariya)(1) between Balis and Aleppo was frequented by the Arabs (Nomads) who used to rob the residents of Balis, on the high ways.(2)

Rakka is the capital town of Diyar Mudar in al-Jazira province.(3) It stands to the south-east of Balis, at longitude 66° 31⁻ and latitude 36°. It is known as al-Baida (the white) because of its white sands and walls.(4)

Karkasiya: The island of karkasiya stands at longitude 66° 50⁻ and latitude 35° 20⁻, at the meeting point of the Euphrates and al-khabur which comes from Ras al-Ayn.(5)

---

(1) The Arabs used to call deserts Barari (singular Bariya) or al-Bawadi (singular Badiya).

(2) His words were وكثيرا ما تقطع فيها العرب على سكانها Those arabs were al-Fadl tribe (a section of Tai). Their chiefs were Al-Muhana. see. Ibn Abd al-Hak vol. I p. 122, Yakut vol. I pp. 477-8.

(3) Diyar (singular Dar) habitation. Mudar is an Arab tribe came to their habitation long time before Islam.

(4) His words were: لابيضاض رملتها وسورها

see. Istakhri p. 75, Ibn Haukal p. 225, Makdasi p. 141, Ibn Abd al-Hak vol. 1 p. 478, Yakut vol. 2 pp. 802-4. Al-Mustawfi p. 103, Abu al-Feda. p 277.

(5) Ibn Said was wrong when he referred to Karkasiya as the island (الجزيرة) because it was not surrounded by water. It seems that the meaning of al-Jazira was not very clear in their minds, for instance they called the northern part of Iraq al-Jazira because it was almost surrounded by the Tigris the Euphrates and the irrigation canals.

See: Istakhri p. 77, al-Hamathani p. 133, Ibn Abd al-Hak vol. 2. p. 401, Yakut vol. 4 pp. 65-6, al-Mustawfi p. 104, Abu al-Feda p. 281.

While the poetry of both languages os based on rhythmic units, the rhythmic unit is based upon different characteristics. In English it is based on stress, whereas in Arabic it is based on number and length of syllables. Thus the poetry of these two languages are at once similar and different—similar in that each uses similar poetic devices, but different in the application of these devices.

The fourth foot in a line of this kind may be replaced by: u-u. Examples of the trimeter and dimeter are given below: (18)

kəm keri:min/ʔəzrə bihid-/dəhru yəwmən/ʕələʔi:min/təə9ə ileyh-/hilwufu:ḍu

leyte ðiʕri:/maǰa tera//tumu 9əmrin/fi ʔəmrina

The tripping Metre (Bahr Al-Mutaqarib):

The tripping metre may be tetrameter or trimeter. The basis of this metre is the foot: u-u which occurs eight times in a tetrameter line and six in a trimeter. This arrangement is shown in the following schemes:

Tetrameter: u-u / u-u / u-u / u-u / / u-u / u-u / u-u / u-u

The eighth foot may be replaced by uu or u.

Trimeter: u-u / u-u / uu / / u-u / u-u / uu

It should be noticed here that the third foot and the sixth are identical. Sometimes, however, the former may be replaced by u-, the latter by u. The two verse-lines given below are examples of the tetrameter and the trimeter, respectively: (19)

wəkun-nə/nə9ud-du/kə lilnə/ʔibati//ʕəbə nəḍ/nu nəṭlub-/bu minkəl/ʔəmana

qəǰel-la/hu bi[illegible]/[illegible] li/fəəəbren/9ələ mə/q[illegible]

From the foregoing brief outline, we notice that the Arabic metrical system is rather rigid. It consists of definite metres which differ in Popularity and in usage. The rhythmic quality of each of these metres depends, as we have seen above, on the number of feet it consists of, on the number of syllables given in the foot, and on the vowel quantity of the syllables. In spite of this rigidity in metres, there is also a considerable amount of flexibility. Some of the metres, for example, may be either dimeter, trimeter, or tetrameter. They may be catalectic or acatelectic in either or both hemistichs. The Arabic metrical system is also made flexible by the ability to substitute for two successive short syllables a long one in certain feet. Despite the distinctiveness of vowel quantity in Arabic, there are some syllables which, in certain feet and under certain conditions, may be treated as either long or short.

Thus we have seen that rhythm is fundamental to both Arabic and English poetry. In Arabic each hemistich usually constitutes a rhythmic unit: and each rhythmic unit is separated by a terminal juncture. In English a verse-line may be composed of one or more rhythmic units.

---

(18) Ibid., pp. 81, 82.
(19) Ibid., pp. 91, 94

The Running Metre (Bahr Al-Ramel):

The running metre is based on the foot: -u-u which is repeated six times in a trimeter line, and four in a dimeter. The scheme of the former is:

-u-u / -u-u / -u-u / / -u-u / -u-u / -u-u

It should be indicated here that the third foot may be replaced by -uu; when this occurs the sixth foot may become -u-u or -u- or -uu.

The scheme of the latter is: -u-u / -u-u / / -u-u / -u-u

Here, the fourth foot may also be: -u-- or -uu.

The two lines given below are examples of the trimeter and the dimeter verse-lines, respectively: (16)

latequl ?eṣ/li: wefeṣli/da?iben //?inema ?eṣ/lulfeta ma/qed ḥeṣel

qel-lemen yen/qadu lilḥeq-//ḳi wemen yuṣ/ġi: lehu

The Swift Mere (Bahr Al-Sari):

The normal form of this metre is: uuuu / uuuu / u--u / / uuuu / uuuu / u--u.

It will be noticed that this metre consists of six feet: the first, second, fourth, and fifth are identical, and so are the third and sixth. This scheme occurs in the opening line of a poem composed according to this metre. In the rest of the poem the third foot may become: -uu; when this takes place the sixth becomes: uu- or -u- or -uu or uu. The third foot may also be replaced by: uuu, in which case the sixth foot becomes either uuu or uu.

This metre may be illustrated by the verse-line given below: (17)

men ?eṣbeḥet/dunyahu ġa/yetuhu//[illegible]yena/lel ġayetel/qurwa

The Swift metre (Bahr Al-Sari):

The nimble metre may be trimeter or dimeter. The former is made up of six feet arranged as follows in a verse-line:

-u-u / uuuu / -u-u / / -u-u / uuuu / -u-u

In a line of this type the last foot may be replaced by u-u or -uu. Sometimes the foot -uu may be substituted for the third foot; when this substitution occurs, the sixth foot should also be -uu.

The dimeter consists of four feet grouped in a verse-line as follows:

-u-u / uuuu / / -u-u / uuuu

---

(16) Ibid., pp. 67, 69.

(17) Ibid., p. 74.

Trimeter: uuuu/-uu/uuuu//uuuu/-uu/uu uu

It must be mentioned here that the sixthe foot in a line of this kind may also be uuu- or u-u or uuu. The third and the sixth feet may both be u-u or uuu.

The following two verse lines may serve as examples of the tetrameter line and the trimeter line, respectively.(13)

latəḥqurən-/nə səġi:/rən fi muxa/şəmətin//in-nəlbə9u/ʃətə tud/mimuqlətəl/?əsədi

si:ru mə9ən/?in-nəma/mi:9adukum//yoməġula/ġa bibəţ/nilwadi

The Perfect Metre (Bahr Al-Kamil):

The normal form of the foot in this metre is uu-uu repeated six times in a trimeter line: uu-uu/uu-uu/uu-uu//uu-uu/uu-uu / uu-uu and four times in a dimeter: uu-uu/uu-uu//uu-uu/uu-uu

In the former, the sixth foot may be uu-u or uu instead of uu-uu. The third foot may also be uuu; when it takes this form, the sixth foot becomes either uuu or uu. In the latter, the fourth foot may become either uu-u-u or uu-u- or uu-u.

The following lines are given as illustration of the trimeter and the dimeter, respectively: (14)

wəhəlawətud-/dunya lija/hiliha//wəmərarətud-/dunya liman 9əqələ

wə?iʒəfteqər/təfələ təkun//mutəjəši9ən/wətejəməli

The Trembling Metre (Bahr Al-Rajaz):

The basis of this metre is the foot: uuuu which recurs six times in a trimeter line and four in a dimeter:

Trimeter: uuuu/uuuu/uuuu//uuuu/uu uu/uuuu

Dimeter: uuuu/uuuu//uuuu/uuuu

It may be mentioned here that the third foot of the second hemisich in the trimeter may be replaced by: u-u or uuu.

As an example of these two types, the following lines may be presented: (15)

Trimeter:

?əkrim bihi/?əsfərə ra/qət sufrətuh//?əx-vəbu m/fəqintərə/mətsəfrətub

Dimeter: ?əɣtevtuhu/ma sə?əl̥ə // hək-xəmtuhu/law 9ədələ

(13) THE GOLD SCALES OF THE ARAB POETS' TRADE, (in Arabic), by Ahmed Al-Hashimi p. 40, p. 41.

(14) Ibid., pp. 54, 55.

(15) Ibid., pp. 63, 65.

line in a poem is usually composed of two rhythmical units, each of which coincides with a hemistich, and is called a metre. Every one of these metres consists of a number of feet ranging between four and eight. The rhythmic quality of the foot is determined by the number of its syllables, by the vowel quantity in each syllable, and by the position of this vowel in the foot.

Metres in Arabic poetry are sixteen in number; they vary in popularity as well as in frequency of usage. In the following discussion, a brief outline of only those more popular and more frequently used metres will be presented.

The Long Metre (Bahr Al-Tawil): (11)

This metre consists of two feet: u-u and u--u repeated twice in each hemistich. In the opening verse-line the last foot in the first hemistich and the last foot in the second hemistich have to be identical. In the following lines, however, the fourth foot may be u-uu instead of u- -u, and the fourth foot in the second half-line may be u-uu, or u-u instead of u--u. But if any one of these feet is used in the second hemistich, it has to be used throughout the whole poem. The scheme of the long metre is as follows: (12)

```
u-u/u--u/u-u/u--u//u-u/u--u/u-u/u--u
            /u-uu//               u--u
                                  u-uu
                                  u-u
```

As an illustration the following line may be given:

ʔərakə/9əṣiyədəm/9i šiːmə/tukəṣ-ṣəbru//ʔəma lil/həwə nəhyun/9əleykə wəla ʔəmru

The Outspread Metre (Bahr Al-Basit):

The outspread metre is composed of the feet: uuuu and -uu which are repeated so as to give a tetrameter or a trimeter line. The form of each of these lines is as follows:

Tetrameter: uuuu/-uu/uuuu/-uu//uuuu/-uu/ uuuu/-uu

The fourth foot in both hemistichs of the opening line must be -uu. In the rest of the pom it may be uuu in the first hemistich, and uuu or uu in the second.

---

(11) The name each of these metres bears has been conventionalised and has become a label by which each of them is recognised.

(12) The bars mark the division of the metre into feet.

This system is mainly based on Greek and Latin foot-systems which depend primarily on "quantity"; but in English poetry "quantity" is not phonemic as it is in Greek and Latin, and therefore it is not significant; for long vowels are often shortened or short ones lengthened, depending on the context.

The Stress System:

Those who hold the view of this system believe that verse lines in English poetry consist of stressed and unstressed syllables. They admit little or no time-quantity in English poetry, and believe that "long" and "short" syllables of a "foot" are nothing but stressed and unstressed syllables.

This system, in fact, is not much different from the foot system, except, perhaps, in terminology. Such a system with a strict stress pattern would inevitably result in monotony.

No matter how prosodists may interpret the units of English verse lines, the basic principle in English poetry is rhythmic equivalence.

Rhythm, according to this principle, depends on the occurrence of stresses within comparable juncture groups which are equal in time. This view is based on the native traditon inherited from Old English.

To be equal, rhythm does not necessarily require an equal number of syllables; this is true in both poetry and prose. In such a statement as "a stîtch ìn tíme/sâves níne" for example, there are at least two rhythmically equivalent juncture groups, the first of which (a stîtch ìn tíme) consists of four syllables, the second (sâves níne) has only two. But despite this difference in the number of syllables within each juncture group, the rhythm of each is equal in time.

The importance of rhythmic equivalence in poetry and prose does not necessarily mean that stress receives the same treatment in both. In prose there are usually four levels of stress; they are: primary/ʹ/, secondary/^/, tertiary/\/, and weak/u/. Whreas in poetry we have only two degrees of stress: primary or strong, and weak. The other two stresses, secondary and tertiary, may constitute what may be termed "common" stress, which is sometimes treated as strong and sometimes as weak stress. This treatment of the "common" stress ordinarily depends on the neighbouring stresses; that is, if the neighbouring stress is primary, the "common" stress is treated as weak; if the neighbouring stress is weak, this "common" stress would be primary. Context and rhythmic equivalence of the utterance also determine the degree of this "common" stress.

Metre in Arabic Poetry:

Turning now to rhythm in Arabic poetry, it should be stated that the unit in poetry as such is the verse line. Every two-hemistich

arrangement do not violate the basic principle of the metrical system in Arabic poetry, which, as will soon be seen below, is primarily based on syllabic equivalence.

In a poem consisting of two-hemistich lines, syllabic equivalence is carefully observed between hemistichs of each line and also between lines of the same poem.

Syllabic equivalence is also fundamental in poems consisting of two hemistich lines followed by rhyming refrains, as in the second example above. Each of these refrains should have syllables equal in number to those of the following refrains, as well as to those of one hemistich line.

Metre in English: (9)

Besides rhyme, English and Arabic prosody have another feature in common—metre. This will be the subject of the rest of the paper in hand.

To begin with metre in English poetry, it should be mentioned that all English prosodists agree that verse lines consist of units; but they disagree upon the nature and construction of these units.

In the following, a brief account will be given of these different views.

The Syllabic System:

Stated simply, this system considers English verse lines to consist of an equal number of syllables.

This interpretation of English prosody is French in origin. Not infrequently, however, this system confronts an extra number of syllables in successive lines. This difficulty is solved by elision; that is, by omitting vowels at the end of words, before other words beginning with a vowel, as in: th(e) apple; or by omitting a vowel from the middle of words as in: vi(o)lin; or by slurring short vowels in unstressed positions as, for example, in: slipp(e)ry.

Besides other shortcomings, this system produces an intolerable monotony in English poetry.

The Foot System:

According to this system, verse lines are made up of "feet" each of which consists of a combination of long (—), and short (u) syllables; the resulting foot is determined by the number and arrangements of these syllables.(10)

---

(9) See, for fuller account, G. Saintsbury's HISTORICAL MANUAL OF ENGLISH PROSODY, (London, 1914), chapters III, IV, and V.

(10) Arranged according to their common elements, these feet are: the iamb (u—); the trochee (—u); the anapest (uu—), the spondee (——); the dactyl (—uu); the pyrrhic (uu); and the tribrach (uuu).

?ıktəsətil ?ərðu bıha jəlabiba//wə ðəhərət ?əzharuha 9əja?iba

ġəra?ibən ?əǰhət ləna rəġa?iba

Thirdly, rhymes in poems known as MUWASHSHAHAT are arranged in various ways of which the following may be given as an example:

a//b
c
c
c
a//b
d
d
d

(7)

?əy-yuhəs-saqi ?ileykəl muštəka/ /qəd-də9əwnakə wə ?iləm təsmə9i:

wənədi:mun himtu fi ġur-rətihi

wəbišurbir-raḥi mir-raḥətini

kul-ləməsteyqəðə min səkrətihi

jəðəbeziq-qə ?ileyhi wət-tęka//wə səqani: ?ərbə9ən fi ?ərbə9i:

mə li9eyni: 9əšiyət bin-nəðəri

?ənkərət bə9dəkə ðəw?əl qəməri

wə?iðə mə ši?tə fəsmə9 xəbəri

Or finally, there are those poems in which both hemistichs of each individual line rhyme with each other, and in which different lines have different rhymes:

a//a
b//b
c//c

To illustrate, I mention the following example:

(8)

(1) məntəfə9əl mər?u bimiθli 9əqlihi//wəxeyru ðuxril mər?i ḥusnu fi9lihi

(2) likuli mə yu?ðiy wə?in qəl-lə ?ələm//mə ?ətwələl-leylu 9ələmən ləm yənəm

(3) ?inəš-šəbəbə wəlfərəġə wəj-jidəh//məfsədətun lilmər?i ?əy-yu məfsədəh

It should be mentioned here that these variant ways of rhyme

---

(7) M. A. Al Karim, The Art of the Towsheeh (in Arabic), p. 198 (Beirut, 1959).

(8) The Literary Orientation, by Taha Hussain & Colleagues (in Arabic), p. 142, (Cairo, 1952).

In English rhymed poems, rhymes are grouped in a number of ways, of which the following are a few samples: in a couplet they are arranged: aabb etc.; in a quatrain we find: abab, aaaa, bbba, ccca, abba, and so forth; in a pentastich: aabab; in a sextet: ababcc or aabccd; in a heptastich: ababccc; and in an octave: ababacac, or ababccdd, or abbacdcd.

In Arabic rhymed poems, on the other hand, the arrangement of rhymes is quite different. According to the old tradition of Arabic poetry, the last word in the first hemistich should, generally, rhyme with the last word in the second hemistich in the opening verse-line only; in the rest of the poem only last words in the second half-lines should rhyme. This restriction on the rhyme is, perhaps, responsible for the shortness of most of the poems composed in that fashion in Arabic.

Besides the old tradition of arranging rhymes in a successive identical order in a given poem, there are a number of other comparatively news ways of rhyme-arrangement; of these we shall mention only a few: first, there are those poems which consist of couplets with rhyming hemistichs: (4)

a//a
a//a
b//b
b//b

The following couplet is an examle:

(5)

biḥəmdil-læhi rəb-bil 9aləmi:na //wəḥəmdikə ya ?əmi:rəl mu?mini:na

ləqi:na fi 9əduwikə maləqi:na//ləqi:nəl fəthə wən-nəṣrəl mubi:na

Secondly, there are poems which have the same arrangement of rhymes as that which has just been mentioned above, except rhyming refrains follow each couplet:

a//a
a//a
a
b//b
b//b
a

as for example:

(6)

?əma terel ?ənwa?ə wəs-səḥa?iba//qəd ?əṣbəḥət dum:9uha səwakiba

---

(4) The double bar (//) indicates the division of the verse-line into two hemistichs.

(5) THE LITERARY ORIENTATION, by Taha Hussain & Colleagues (in Arabic) p. 154, (Cairo, 1952).

(6) Ibid.

-CV. Perfect rhymes of this type consist of identical consonants followed by identical vowels, such as:

/tə́ḥ+lə+mu/:/tə́l+θi+mu/, /bə́9+di/:/xə́d+di/

-CVC. This sub-type of perfect rhyme resembles sub-type -CV with the addition of an identical consonant at the end:

/ġím+dih/:/wə́j+dih/ /bə́9+dək/:/9ín+dək/

-CVCV. Another perfect sub-type is the result of an additional vowel at the end of the -CVC sub-type above:

/ġím+dihi/:/wə́j+dihi/, /bə́9+dəkə/:/9ín+dəkə/.

As far as rhyme is concerned, a number of similarities and dissimilarities can be pointed out in English and Arabic poetry.

Rhyme in the poetry of both languages consists of a special arrangement of segmental phonemes governed by similarities of stress and junctuure. The dissimilarities, on the other hand, lie, so far as segmental phonnmes are concerned, in the fact that perfect rhymes in English consist of identical vowels followed by identical consonants or semi-vowels; whereas in Arabic a perfect rhyme may consist of -VC or -CV, -VCV or -CVC, or even -VCVC and -VCVCV in which C may change freely.

Perfect rhymes in English as well as in Arabic require absolutely identical vowels, consonants, stress, and juncture. But in "acceptable" rhymes, poets in both languages have a limited freedom to construct their rhymes out of similar, but not identical, segmental phonemes occurring under identical stress and juncture.

This acceptability of rhyme is not identical in the poetry of the two languages; for what is considered "acceptable" in English would not be so in Arabic, and vice versa. This can be illustrated by the following example: such a rhyme as /súbur/:/?ə́fir/ is acceptable in Arabic, but not so in English.(2)

One other difference should be mentioned here in relation to eye-rhyme. An eye-rhyme consists of agreements in spelling with a different sound value as in: móve : lóve. English poetry seems to make use of this kind of rhyme, whereas in Arabic poetry this characteristic is lacking; this may be due to the fact that the Arabic spelling system is more phonetic than English.

The grouping of rhymes in a single poem in each of the two languages constitutes another difference.(3)

---

(2) According to the old tradition of Arabic poetry, it is permissible to have an acceptable rhyme of the type — VC with the vowels/i/and/u/interchangeably used before identical consonants:/?áfir/:/súbur/; but neither of these words would rhyme with a word ending in an indentical cosonant and having /ə/ for its vowel:/?ubur/:/jumar/. [See: W. Wright, A Grammar of the Arabic Language, Vol. 11, (Cambridge Univ. Press, 1955) pp. 353356.]

(3) The following ways of rhyme-arrangements in poetry of both languages are by no means exhaustive; they are meant only to serve as illustrative examples.

The difference of the segmental phonemes in rhymes of this kind may be in the vowel, as in: bet/bét/ : but /bə́t/ in which /e/ and /ə/ are different but close-in-position vowels; or it may be in the first element of the diphthong as in: raise/réyz/ : rise/ráyz/, or lake/léyk/ : like/láyk/ in which the first elements of the diphthongs /ey/ and /ay/ are also close-in-position vowels.

The difference of the segmental phonemes in rhymes may also be in the consonants, in such rhymes as time/táym/ : nine/náyn/, or duck /də́k/ : cup /kə́p/ the consonants / m / and / n /, or /k/ and /p/ are different consonants but of the same order; that is, they are both nasals or both voiceless stops.

In English poetry, a single consonant may rhyme with a cluster provided that the first component of the cluster is identical, for example: ten/tén/ : tend/ténd/.

Imperfect rhymes may be the result of using different juncture quality as in make+off : may+ cough or vowel quality as in leak: like; or consonant quality as in feed: cheese; or may be the result of using strong poetic stress in one word and weak poetic stress in another: mystery: sée; or may be the result of rhyming words which end in weak poetic stress as in teacher: preacher.

Rhyme in Arabic:

In Arabic, perfect rhymes consist of a succession of identical vowels or diphthongs, and consonants, occurring under conditions of identical stress and juncture. These segmental and suprasegmental phonemes may be arranged in different ways of which we will mention the following:

-VC. The perfect rhyme of this kind consists of identical vowels or diphthongs followed by consonants occurring under the same degrees of stress and juncture as in:

/ġí:d/:/jí:d/,/hə+wá:k/:/muq+lətá:k/, /θə́wb/:/ṣə́wb/

-VCV. This type of perfect rhyme is basically the same as that given above except that it ends in identical vowels throughout the entire poem, for example: /ðə+wú:hu/:/?ə+bú:hu/,/?əxá:+ha/:

/?ərá:+ha/,/já:+hi/:/jibá:+hi/,/hə+wá:+?i/:/ḍ̌i+yá:+?i/.

-VCVC. A rhyme of this kind consists of identical terminal consonants preceded by identical vowels or diphthongs, and begins with the same vowels; the intervocalic consonant *C* may vary freely. Examples are as follows: /si+bá:q/:/9i+ná:q/,/θá:+mir/:/9á:+bir/.

-VCVCV. This sub-type of perfect rhyme is identical with that mentioned above, except that it ends in similar vowels, as for example:

/?əl9á:+miri/:/?əθ-θá:+?iri/,/9i+ná:+qi/si+bá:+qi/,/θá:+mi+ru/: /9á:+bi+ru/

Structural Characteristics of Poetry In English and Arabic

by
Dr. Abdul Karim Taha

Poetry, in whatever language, has certain structural features which distinguish it from prose. The poetic characteristics, however, differ from language to language. It is this difference which makes the translation of poetry such an arduous task.

Bilinguals are, in this respect, particularly fortunate in being able to find pleasure in the reading of such poems as Omar Khayam's "Rubaiyat" in both its original Persian and in English. On reading and comparing both the original and the translations one finds that the translator, by applying the poetic structural characteristics of English, is actually the creator of a new poem, retaining only the subject matter of the original. He has created a new work by using those poetic characteristics common to both Persian and English but using the English applications of the devices.

The same situation holds when translating poetry from Arabic to English or from English to Arabic. The poetry of these two languages is at once similar and different—similar in that each makes use of similar poetic devices but different in the application of the devices. These poetic devices and their application in English and Arabic poetry will be our chief concern in this paper.

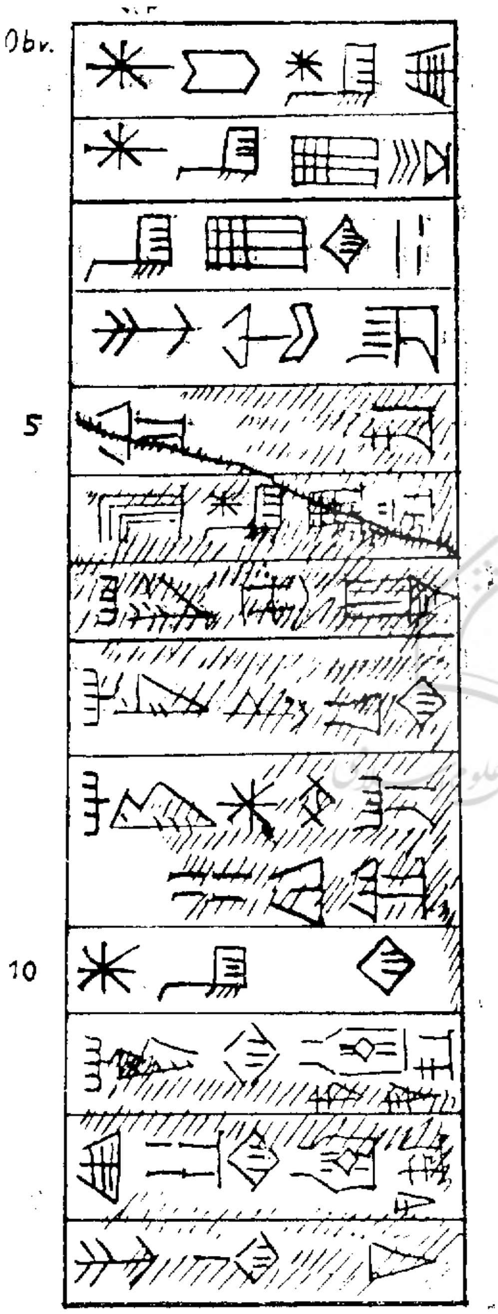
Rhyme in English:(1)

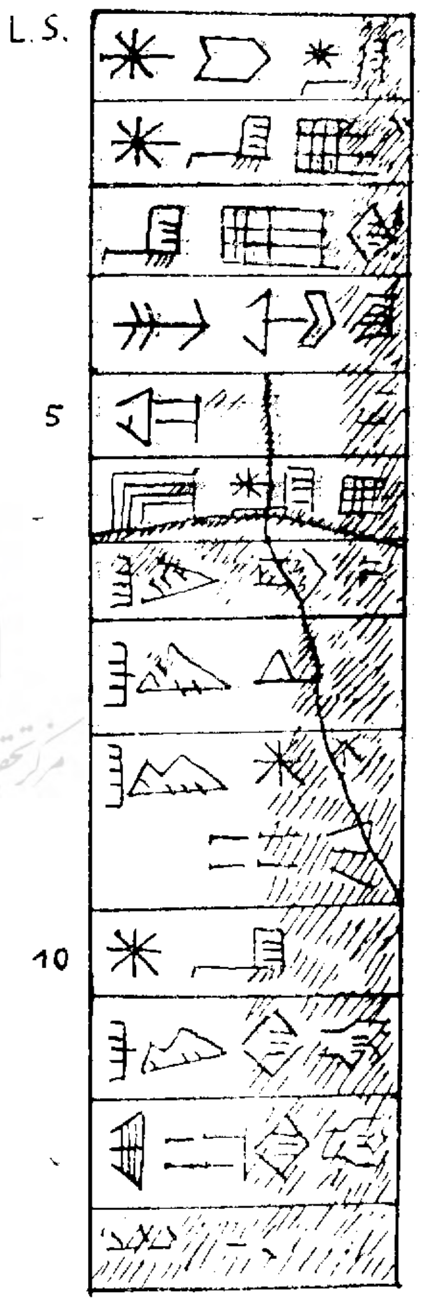
In English, rhymes that have a sequence of identical phonemes of which the first is a vowel or diphthong which occurs under comparable conditions of stress and juncture, and the second is a consonant or semi-vowel, are said to be perfect. Such rhymes are numerous in English poetry, and it will suffice to mention only a few illustrative examples: miss/mís/: kiss/kís/, eyes/áyz/: rise/ráyz/.

In addition to consisting of identical segmental phonemes and of comparable suprasegmental phonemes, rhymes may consist of different segmental phonemes occurring under comparable suprasegmental phonemes; such rhymes are not perfect, but acceptable.

---

(1) The opinion expressed here is adopted from lectures in "Literature and Linguistics" delivered by Professor A.A. Hill, at the University of Texas, U.S.A.


Obv.
5
10


L.S.
5
10

Schott, UVB I [1928/29] Tf. 24c=SAKI 186 XX Id; cf. R. Noth, Or. N. S. 26 [1957] p. 198).

The practice of impressing inscriptions on bricks with a stamp seems to appear for the first time in the period of the Dynasty of Akkade (s. V. Christian, After tumskunde des Zweistromlandes I p. 300; cf. also E. Unger, RV XIV p. 534 s. v. Ziegelstempel). So e.g. in Nippur were unearthed enormous bricks stamped with brief legends of the kings of the Agade-Dynasty Narâm-Sîn and Shar-kali-sharri (s. H.V. Hilprecht, Explorations in Bible Lands p. 389). Also in Bismaya (cf. E. Banks, Bismaya in OIP XIV No. 27) stamps of the king Naram-Sîn were found. For an example of a brick stamp of Shar-kali-sharri see B. Meissner, BuA I p. 275.

Our inscription commemorates the foundation of an abzu for the god Enki in Nippur or in Eridu. It is eften mentioned in Sumerian texts according to which it is a deep and dark place reaching to the waters of the underworld (cf. P. Jensen, RLA I p. 122 s.v.). In Sumerian temples it was a basin filled with sweet waters. Sir L. Woolley in his Ur Excavation IV p. 41 is inclined to identify it with the drain in the Giparku-temple in Ur. Also in Ur a room west of the Karaindash temple was considered to be the abzu, but what we have here is rather a sprinkling system of the gardens (cf. R. Noth, l.c.p. 226). On the other hand all engineering works found in a sanctuary discribed by H. Lenzen in UVB XIV p. 15 f (cf. ib. Abb. 3 b) seem to indicate that this room, into which in some way or other water was brought, represented the real abzu. But for the time being the matter remains uncertain.

IV 6=No. 7 [ib] I 7=No. 22 [l.c.p. 24] I 5) and in the dative construction, in which the full form -ra appears only after words ending with a consonant, in our case the genitive k, no matter whether dropped on account of its amissibility (see A. Poebel, AJSL 51 [1934/5] p. 165 ff): ur-sag ^{d}En-líla-ra (Ean. No. 60 [=CIRPL p. 24] I 2) compared with Urukagina No. 10 [CIRPL p. 56] I 2: ur-sag ^{d}En-líl-lá. or ur-sag. kala-ga- ^{d}En. -líl-lá-ra (Ur-Baba, Stone Tablet, quoted by Poebel, l.c.p. 166).

The text is the same as its duplicate CT XXI Pl. 27 (publ. also in I R, pl. 3 XII 1) translated by Fr. Thureau-Dangin in SAKI p. 196 f.=ISA p. 280 f. (cf. also G. Barton, RISA p. 288 D) found at el-Mughayir. (Another copy of the same Text has been published by C. Thompson in Archaeologia X p. 115 and by F. Safar in Sumer III. p. Fig. 1 c=opp. p. 235 of Arabic Section. It originates from Fridu). Our copy shows only a few minor variations in arrangement inside the squares.

	Our copy	CT XXI Pl. 27
Square 6:	é-^{d}En-líla-ka (in one line)	é-^{d}En- líla-ka (in two lines)
7:	lugal-kala-ga	lugal-kala- ga ,,
8:	lugal-Uri^{KI}-ma	lugal-SES. UNU^{KI}-ma ,,
9:	lugal-^{d}ub-da limu-ba-ka (in two lines)	lugal-^{d}ub- da-limu-ba-ka (in two lines, but in another arrangement)
11:	lugal-ki-ág-gá-ni (in one line)	lugal-ki-ág- gá-ni (in two lines)

On the left side of our brick the inscription given above in transliteration is repeated once more in the same arrangement as on the Obverse, but as there was room only for two-thirds of each line, the last third of the squares is lacking. Therefore it is evident that our brick cannot but bear two impressions of a stamp, while the dupl. CT XXI Pl. 27 represents an inscription which served probably as model for this stamp.

Stamped bricks from the third Dynasty of Ur are very well known. In Ur itself were found stamped seals with the legend of Amar-Suen (cf. L. Woolley, UECT V No. 40,76,91). In Uruk occur also stamps with the building inscriptions of Amar-Suen and Ur-Nammu (s. A.

The Inscription of Amar-Suen.

by L. Matous

The brick which bears the inscription of Amar-Suen (cca. 1998-1989), the third king of the third dynasty of Ur, measures 26 cm. by 12.5 cm. and is 6 cm. thick. It originates from Nuffar and has been acquired by purchase for the College of Arts of the University of Baghdad.

The text (18 x 6 cm.) runs as follows:

1	^{d}Amar-^{d}Sú-en	1	Amar-Suen
2	^{d}En-líl-le	2	by Enlil
3	Nibru^{KI}-a	3	in Nippur
4	mu-pà-da	4	named
5	sag-us	5	lifter of the head
6	é-^{d}En. líla-ka	6	of the temple of Enlil,
7	lugal-kala-ga	7	the mighty king,
8	lugal-Uri^{KI}-[ma]	8	king of Ur,
9	lugal-^{d}ub-da-limu-ba-ka	9	king of the four regions
10	^{d}En-ki	10	for Enki
11	lugal-ki-ág-gá-ni-ir	11	his beloved king,
12	zu-ab ki-ág-gá-ni	12	his beloved basin
13	mu-na-dù	13	he built.

Remarks to the text:

The sign líl in 1L:6 reqnires the reading lila with an overhanging ing vowel (cf. A. Falkenstein, GSGL § 3), because the vowel -a of vowel (cf. A. Falkenstein, GSGL § 3), because the vowel -a of the genitive ending is not elisible (according to GSGL § 28a 1) after a consonant, when the final -k of the genitive suffix is protected through a following vowel. But cf. A. Poebel, GSG § 214 whose opinion is based on his disregard of the Sumerian accent. As postulated by A. Falkenstein, ZA NF 19 (53) (1959), p. 103 the accent in Sumerian is transferred from the unaccentuated post postition to the previous syllable, even if it is a gen. post. -ak. (The reading líla for líl has been already proposed by Falkenstein, Das Sumeriche p. 26 and GSGL II p. 13 n. 1).

In the reading líla of the sign líl see also the inscriptions of Enannutum of mu.pà.da ^{d}En-líla-ke$_4$ (No. 2 [=CIRPL p. 17] I 16=No. II [ib p. 23] 16), á-sì-ma ^{d}En- líla-ke$_4$ (No. 6 [=l.c.p.22]

REFERENCES

1— Woodworth, R. S. Psychology, Revised Edition 1929.

2— Hartley, E. C. and Hartley R. E., Fundementals of Social Psychology 1952.

4— Freud, Sigmund, Group Psychology and the Analysis if the Ego 1922.

5— Wissler, C., Introduction to Social Anthropology, 1929.

6— Jennings, H. S., The Biological Basis of Human Nature, 1930.

7— Sargent, S. S. "Conceptions of Role and Ego in Contemporary Paychology" in J. H. Rohrer and M. Sherif (eds), Social Paychology at the Crossroads 1950.

8— Sullivan, H. S., Conceptions of Modern Psychiatry, 1947.

9— Kardiner, A. "The Relation of Culture to Mental Disorder", in P. H. Hoch and J. Subin (eds), Problem in Psychiatric Diagnosis, 1953.

10— Freud, Sigmund, Civilization and its Discontents, 1930.

11— Landis, C. and Page, J. D. Modern Society and Mental Disease, 1938.

12— Michael, J. and Adler, M. J. Crime law and Social Sciences, 1933.

13— Klineberg, Otto, Social Psychology, revised edition 1954.

14— Beulah, C. B. The Troubled Mind, 1953.

15— Brill, A. A. The Basic Writings of Sigmund Freud, 1938.

16— Freud, S. A. A General Introduction to Psychoanalysis, 1934.

17— Calvin, S. Hall, A Primer of Freudian Psychology, 1955.

18— Helen, I. Clarke, Principles and Practice of Social Work, 1947.

19— Erich Fromm, The Sane Soeiety, 1955.

20— William F. Ogburn and Nimkoff, Sociology, 1950.

21— George C. Homans, The Human Group, 1950.

22— Millbank Memorial Fund, Interrelations Between the Social Environment and Psychiatric Disroders, 1953 and 1950.

23— Faris, R. E. and Dunham H. W. Mental Disorders in Urban Areas, 1939.

24— Healy, W. Personality in Formation and Action, 1938.

25— Ribeiro, R. "The Schizophrenia" in Otte Klineberg's Social Psychology p 404, 1954.

26— Plant J. S., Personality and the Cultural Pattern, 1937.

27— Parson, T. "Illness and the Role of the Physician" in Klukhohn, Murray and Schneider, Personality in Nature, Society and Culture, revised edition 1953.

28— Bunzel, R. "The Role of Alcoholism in Two Central American Cultures", Psychiatry, 3 pp 361-387.

phenomena, but they have so far taught us little about the individual who is considered abnormal. It may be argued that this has been done sufficiently by psychiatrists in the american culture, but in their case the concommitant emphasis upon the role of the culture has generally been lacking.

The infiuence of the Culture on the individual in the problem of abnormality and mental disease would be more understood and obviously appeared in the studies of different kind of mental diseases on the comparative hasis. A similar phonomena may appear in two different cultures but the manner and the mechanism may be quite different in both cultures. For example the homosexuality among women as an abnormal phenomena or sexual perversion is apparently observed in some European countries, Romania, France and some others in the middle part of Europe. The same pheonmena is also in existence in three regions in the southern part of Iraq. There is much differences between both as far as is concerned the cultural factors behind the same phenomena in these two areas.

This phenomena in Iraq is connected to a great deal with the cultural values. That this phenomena is accompanied also by sexual dissatisfaction on the part of the woman, within the social values the woman cannot ask for divorce, therefore she must accept the husband in any way. In the meantime she has no opportunity to contact other men because she considers this practice as a great sin. In order to compromise between her biological needs and the cultural values she has no other way than to resort to these means which is at time tolerated even by the husbands and by the community. This indicates that there is a high relationship between cultural values and the type of abnormality.

While this phenomena itself has different factors in Europe and it might be produced by sexual deterioration or demoralizing in the community as a whole and the family situation may not be an effective factor in the problem. It is widely observed that a particular phenomena frequently occuring in a particular area may pass on from one generat-ion to the other to constitute a chronic social problem. This indicates that the community accepted this phenomana as a normal prectice. This also indicates that the frequency of an abnormal phenomena in a particular place is largely connected with social values and cultural patterns.

In the field of social psychology there is a great probability for investigation in order to separate hetween the individual and cultural factors as they operate on the individual to develop a sort of mental disease.

The combination of psychiatrical and ethnological techniques in this field should yield data of the greatest significance. The role of the culture has not always been recognized in the customary psychiatric approach to the individual in the present time.

difficult to find objective date in favor of this conclusion, but the hypothesis is one which deserves to be more full investigated.

C — Varieties of Abnormality:

The fact which apparently is abservable is that, behavior regarded as normal in one society may be abnormal in another, but the problem is of the manner in which the abnormality expresses itself when it does occur. It is possible to speak of (fashion of abnormality).

Familiar examples include the arctic hysteria of the Siberian tribes, characterized by heightened suggestibility and an irresistable impulse to imitate words or the acts of others in the vicinity. A similar disturbance among the Malays known as Tatah; running amok, also more frequuent among the Malays people.

The well known examples of the dancing and of the various forms of religious procession and ecstacy reported throughout the middle ages may also be cited in this connection from the forecited materials it is apparently demonstrated the significance of cultural factors for the understanding of abnormality. The factors aid in determining the meaning we attach to normal and abnormal. The situation giving to abnormality, its frequency, and the nature of manifestations. We must be cautious in the generalization from this material to the effect that all abnormality is culturally determined, and the personality is entirely at the mercy of the prevailing cultural patterns. Not all individuals react similarly to the infiuences of the eocial environment. Some may accept these influences readily while others resist them. This does not mean that the individual is completely or to a large degree influenced by his biological factors. He is the result of the interaction between both factors.

In the anaylsis of the relation between personality and culture, Plant distinguishes three contributing elements. There is a growing changing personality made up at any moment of the total of its own contributions and those of the environment. There is a cultural pattern which itself grows and changes in answer to the interests of all those personalities which make it up and in answer to a series of forces engendered precisely by the fact that it is made up of great numbers of personalities.

There is a selective process occuring at the place where the pattern impinges upon the personality which controls the material accepted (p 233). This means that although cultures shape and mold the personality, the individual still has an effect upon his cultural and social environment. He is not a mere assive recipient but reacting and interacting organism. In connection with both the normal and abnormal personality therefore, it is important to study not only the culture, but also the individual. The available ethnologocal accounts of abnormality have made important contributions through their analysis of cultural

appears to be justified. Since obviously not all slum dwellers succumbed, however, individual predisposition must be included as a contributing factor.

2— Amount of Abnormality:

The discussion of the situations giving rise to abnormality leads directly to a consideration of its Frequuency. Since it appears certain, that the more numerous such situations are, the more often does disturbance of one sort or another ensue. The effect of the social environment in determining the incidence of abnormality is sometimes considered to be proven by the far greater frequency in reported cases of psychoses and neuroses in the city than in the country. The differences is apparently found for mental disease in general and also for specific disease.

In Brazil for example Ribeiro Reports her own home as a result of in the urban population is times as great as in the rural areas.

Hoaly reported a number of almost miraculous changes in problem children as the result of their foster homes. Plant tells of a child who gave an uneasy picture of tension in her own home as a result of competition with an elder sister, and whose symptoms cleared up entirely upon association with a group of companions of her own age. A survey of the incidence of abnormality in large cities, which was roferred to above, has revealed a concentration in certain areas rather than others and has indicated the relation of mental disease to economic factors.

According to the Freudians a certain amount of neurotic disturbances are apparently inevitable in a civilization as complex as ours. Freud regards culture as primarily the result of the action of biological urges which are denied their natural expression and consequently sublimated, the energy which would be directed to the satisfaction of biological urges is used for the production of culture. Since however not all individuals possess the ability to sublimate their drives in these socially valued directions, repression will in many nstances lead to meurosis. if there was no repression there would be no neurosis, but at the same time there would be no culture.

In connection with the amount of disease both physical (especially psychosomatic) and mental, Parson makes the important point that if there is more of one kind of deviation there may be less of another. If it is true that there has been a marked increase in the incidence of mental illness in recent decades this does not necessarily mean that there has been a corresponding increase in social disorganization generally (it is altogether possible that an increase in mental illness may constitute a diversion of tendencies to deviance from other channels of expresion into the role of illness, with consequences less dangerous to the stability of society than certain alternatives might be) It is

various approaches to the problem are closely interrelated.

A — Situations Determining Abnormality:

In different cultures there are variations in the situations in which abnormality develops. A special defect or inhibition in the individual may escope notice if there is nothing in his social environment which demands the presence of the corresponding ability. Among the African Bantu, for example almost every man and woman is a fluent and sustained speaker and Gordon Brown has observed "that the most prevalent mental disturbance is in youths who realize that they are unable to become finished speakers. A person for example in some part of the oriental countries that finds his daughter or one of his relatives girls lost her virginity, he develops certain kinds of abnormality. While in some other parts of Europe or America this does not mean anything. This definitely is related to differentiation in cultural values. In a changing culture the possibility of difficulty and conflict are often increased. In pre-Communistic China the transition between the old family pattern and the newer western one constitute serious difficulty for many young people. The traditional Chinese family demanded complete submission of a young wife to her mother-in-law, and the girl brought up in the accepted Chinese fashion found little or no difficulty in adapting to such an arrangment.

In those cases however, in which there had been exposure to the Western notion of the independent small family, marriage into the large one might easily produce friction. There were some cases in the Peking Psychiatric Hospital in which this was apparently the precipitating cause. Whithin our own society also many examples could be given of the manner in which psychological difficulties may arise in response to reaction producing situation. Hunt has described a group of boys who were subjected to two sets of conflicting values. In their gang life they had been taught sexual perversions but they had also undergone a religious conversion which prohibited such behavior. Hunt writes "those members and only those members of the neighbrohood gang who experienced both these antiethical influences were later committed as psychotic (p 463) He concludes that socially induced conflicts are important causes of mental disorders. He adds however, that the fact, that the boys succumbed to psychoses at various ages suggests that a constitutional in the form of frustration-tolerance may also have played a part.

The ecological survey by Faris and Dunham of the distribution of various neuroses and psychoses in a number of American cities also suggests the importance of social factors. Schizophrenia for instance, shows an unusually high incidence in urban slums. Unless we assume that individuals suffering from such a disorder gravitate to this particular environment, the conclusion in favor of social causation

in stupor. Bunzel finds the explanation of these differences in the whole complex of economic, social and religious institutions characteristic of the two societies respectively.

Horton on the basis of an extensive analysis of the drinking patterns of a large number of different communities notes "that a great many background factors are related to drinking. For example there is more insobriety when living conditions are more difficult, and the belief in sorcery usually means that drinking will be accompanied by extreme aggression. These observations indicate how difficult and artificial would be the complete separation of biological from social factors in the causation of this particular form of abnormality. These and allied considerations have led many social scientists to conclude that mental abnormality is to be regarded as a disease of the society rather than of the individuals who compose it. This concept of society as the patient or of the sick society has been analyzed by L. K. Frank in an article written in the American Journal of Sociology (1936, 42, pp 335-344) under the title "society as the Patient". Such an approach has many advantages over the more usual emphasis upon disturbances in the individual. The most immediate gain being that of simplifying the problem.

Insteal of thinking in terms of multiplicity of so called social problems, each demanding special attention and a different remedy, we can view all of them as different symptoms of the same disease.

If for example we could regard crime, mental disorders, family disorganization, juvenille delinquency, prostitution and sex offenses, and much that now passes as result of pathological processes (for example gastric ulcer) as evidence not of individual weakness, incompetence, perversity or pathology, but as human reactions to cultural disintegration, a forward step would be taken (p 336). It would be a mistake however to disregard entirely the phenomena of individual pathology. Kallmans' study of herediary factors in schizophrenia indicates that such phenomena probably display an important part. In what follows our concern will be with the social factors in abnormality, but this sholud not be regarded as justifying the conclusion that any social factors are responsible. There are at least four distinct ways in which culture and abnormalty may be said to be related:

1— The very concept of abnormality may vary from one community to another.

2— There may be variations in the relative frequency of abnormelity.

3— Allied to this, the situations precipitating mental disturbance may differ because of social patterning.

4— There may be differences in the naturs of the disturbance, we might speak of (fashion in abnormality) in this connection. These

pampered and spoiled to a considerable degree. They have everything their own way and show no obedience or deference to their parents' wishes. If the child is phyiscally efficient has respect for other people's property and shows an adequate observance of the canons of prudery, and shame, no other demands are made upon him. From the foregoing it appears to us that the personality of the individual and all its components, his status, role, behavior, attitude are the result of the influences of the social and cultural factors upon his hereditary qualities and acquired characteristics.

There are social factors as well as bilogical factors in the abnormality. When Sullivan in his book "Conceptions of Modern Psychiatry" (p. 99) published in (1947) defined psychiatry as, "the study of interpersonal relations',, he gave expression to the intimate connection between abnormal and social psychology. Paychiatry is the study of the phenomena that occur in interpersonal situations, in configurations made up of two or more people, all but one of whom may be completely illusionary. Abnormality is social, however, not only because it occurs in social situations, but also because it is embedded in the very structure of a society and only be understood against the background of the culture in which it occurs. This does not mean that biological or physiological bases of abnormality are unimportant or they should be neglected. There can be no denying that a great deal of mental disorders are determined by causes which are not directly social. There are psychological consequences of brain injury, alcoholism, drug addiction, syphillis, and other physical diseases. At the same time it must not be forgotten that even these factors have a social aspect. Alcoholism and drug addiction, for example, are not only the causes but also the effects of personality difficulties. They represent in many cases an escape from a social world which is otherwise unbearable. In addition, the effect of behavior of a physical agent such as alcoholism can be demonstrated to be intimately related to the phenomena of cultural patterning. A particular social factor in a particular social environment probably induces a particular mental abnormality among particular types of personalities.

A study by Bunzel of alcoholism in two American Indian communities, Chichicastenango in Guatemala, and Chamula in Mexico make this clear. In the former gromer group there is excessive drinking, during which there are frequent sexual and aggressive reactions which are normally inhibited. No control is maintained by the authorities and there are frequent colossal spress in which men stay drunk for days on end. O In Camula drinking is also excessive during fiestas, the whole town is in varying degrees of intoxication for a day or a week. The effects are different, however, There is little aggression, sexual inhibitions are not released. The sprees are peaceful and end

types, hold also, perhaps even more markedly in the case of cultures. Not all cultures are integrated for instance or at least not all to the same degree. There may be contrasts and conflicts and the culture is not understood unless these are taken into account. It is apparent that the culture of a particular society expresses itself in the Behavior and the attitude of the individuals and the group. The individual in a society possesses a status and a role. Every culture makes certain demands on the individual, every society has certain expectations regarding the behavior of its members. Some of the ways in which a child learns to become are as follows:

The process of sociolization brings him slowly but in most cases surely to an awareness of what he must do to be accepted by his community. It also gives him a realization of the position or status which he occupies, and of the role which he is expected to play. According to Sargent the status is "the place in a particular system which a certain individual occupies at a particular time will be referred to as his status with respect to that system.

The term role is used to designate the sum total of the culture patterns associated with a particular status". It thus includes the attitudes values, and behavior ascribed by the society to any and all persons occupying this status. Insofar as it represents overt behavior, a role is the dynamic aspect of a status, what the individual has to do in order to validate his occupation of the status (ibid).

Sargent gives the following definition: "A person's role is a pattern of type of social behavior which seems situationally appropriate to him in terms of the demands and expectations of those in his froup. He regards this concept as especially important because it gives due weight to cultural, perssonal and situational determinants of behavior.

Newcomb believes that a sooiety keeps itself going by a process in which individuals come to take on the role behavior expected of them. A few examples of the manner in which status and role function in different societies should help to suggest the wide range of behaviors to which these concepts are applicable. One of the universal phenomenon associated with status and role is (age). Since all societies make some distinction in what they expect of individuals at different stages of development. these expectaions may begin to exert their influence very early in life.

In the case of the Manus tribe of New Guinea as Margaret Meade pointed out, great stress is laid upon physical proficiency. The early education of the child accustoms him from his first year to self-reliance as well as to a large number of manual activities. He grows up to be an adult wholly admirable from a physical standpoint, skilled, alert, fearless, resourceful in the face of emerency, reliable under strain. On the other hand social discipline is very loose, and the children are

substantiated.

In some cases it is a superior groups which migrates to the city in others an inferior group. There are many factors, economic, personal, accidental which determine the nature of the migration. The superiority of the city groups is much more probably due to the nature of the urban environment.

There is much arguement about the heredity and the environment regarding the extent to which the problems of personality development is related to each one of these two factors; but there is no doubt regarding the fact that social factors are important in the development of the personolity.

The personality of the individual is no more than a dynamic integration. While the heredity factors set up the general basis and characteristics of the personality, the environmental factors are responsible to mold these general basis and give the personality its shape. That is to say the hereditary factor endowed the individual with numerous capacities, qualities and tendencies but these elemonts alone do not mean anything. It takes its meaning and values in relation to the cultural and social environment. a person born with high tendency and excellent capacity in arts, but these are no more than the raw materials that to be manipulated and manufactured in order to form a vital operational thing. This is true also in the individual hereditary endowments, unless it is molded and trained in the abequate miliou, it will never manifest itself by its own. It takes its existence after a series of educational and training operations.

The adjustment of the individual to his environment does not depend upon his heredity qualities but upon his acquired capacities; its quality and its nature as it operated on him through his development in different periods of his life.

The culture expresses itself in the behavior and the attitudes of persons and that it has no existence apart from the individuals who are its carriers. On the other hand it may be urged that personality is what it is because of the process of enculturation and that the concept of personality represents at least in part the incorporation of materials from the surrounding culture. There can be no doubt that for the underatanding of a culture as well as of an individual, it is of fundemental importance to realize the character of the integration, or of the interrelationship of the parts with one another. It is clear that an act of dishonesty may not have the same meaning for two individuals, and a vision experience may have functionally a quite different significance in two cultures.

This analogy between individual and culture is in many respects a valid one, but the difficulties of understanding individuals and their personalities and their integration, and classifying individuals into

The needs of the individual vary in relation to the different periods of his growth and development. and relevant means should be taken in dealing with the individual which must be in proportion with the nature of that particular period. If the individual was not trained in a good manner in his childhood this will reflect in his adulthood and remain permanently and play a major role in his life. The individual personality, his attitude and behavior represent his historical life and this implies two different factors, contradictory but interrelated and supplement each other.

They are:

1— The Heredity.

2— and the environment.

Every individual is the result of these two factors. It is inaccurate however ' to say that the individual is so much heredity plus so much environment. The individual is not merely the sum of two groups of determinants since heredity and environment act upon each other.

The experimental studies of the inheritance of acquired characteristics have not succeeded in demonstrating such a possibility. Research on identical and non-identical twins has demonstrated that the former resemble though not a very marked effect of heredity on intelligence test scores. Identical twins reared apart usually coutinue to have approximately equal scores, but substantial differences have been found in certain cases - both hereditary and environmental factors must therefore play a part. An occupational hierarchy in test scores has frequently been demonstrated. That this is at least in part due to environmental influences is indicated by the marked effect of school training by the gains reported for foster children placed in homes of good economic level, and also by the marked decrease in I.Q. with increasing age under poor condition of education and economic standards. In view of the known effects of variations in the environment the occupational hierarchy may be explained adequately without the assumption of inherited differences. On the other hand, individual variations within a particular occupational group clearly point to the importance of heredity, partly because the range of variations is too great to be ascribed to nature and partly because of the much greater resemblance between true parents and children in comparable environments. Variation between groups therefore are almost certainly environmental in origin. Variations between individuals within a homogenous group are due to a combination of hereditary and environmental factors. The fear of a decline in general intelligence because of the differential occupational birth rate appears to be groundless.

Similar considerations apply to the differences between urban and rural groups. The explanation in terms of selective migration has not

and toward the social values can be influenced and social organizations and institutions modified.

At the present time the trend among sociologists, psychologists and others concerned is to center the emphasis upon the individual in the problem of the adjustment of the individual to his environment and little attention is given to the environment itself as an important factor, in this adjustment. In other words the sociologists, the psychologists and the concerned pay little attention to the modification of the environment as a very important factor in any kind of adjustment between the individual and his environment.

The emphasis is centered upon the individual rather than the environment itself. This is evidenced by the different programs which tend to re-educate or to re-socialize the individual who is considered or diagnosed as mal-adjusted, or antisocial or criminal and delinquent person. These different programs in the treatment or reformation can not achieve the goal in the adjustment or reformation. This is evidenced by the growing and increasing rate of criminality and juvenille delinquency, also it is evidenced in the high rate of the mental diseases which are apparently obvious through the last three decades.

It should be understood that the behavior of the individual and his attitude are the counterparts of the social values, unless these values are changed and modified, the behavior of the individual toward these values is difficult unless it is impossible to be changed alone. It is important to adjust the human being to behave within the social values of his environment, it is also necessary to offer him the adequate environment in which he can satisfy his biological and social needs.

The normal environment is the environment which is relaxable to meet the individual's needs to the possible extent within its capacity. The question has Two sides:

1— The adjustment of the individual himself.

2— and the modification of the environment to be relaxable to meet the individual's needs. if one of these two factors remain static while the other was of rapid changes, the adjustment becomes impossible.

The needs of the individual are not limited, especially the social needs. These are changed in time and place. They might develop unconsciously within him and drive him to act and behave in a way rather than the other in order to satisfy these various needs. The adjustment between the individual and his environment is a series of linked rings, each one supported the preceeding one, and in its turn supports the sequences. In any period of the development of the ndividual ' the adjustmant and adaptation must be adequately and completely accomplished, otherwise the mal-adjustment of the individual through any particular period of his development will affect the following periods after that.

and laws are also preceeding the existence of the individual. The individual is born endowed with certain biological qualities by heredity and these biological endowments are prone to the influences of the environment. Psychology has shown us that the human personality is the product of biological inheritance and personal and social experiences. The individual is not born good or bad, modest or vain, co-operative or competitive, generous or selfish, conformist or non-conformist, well adjusted or maladjusted, criminal or noncriminal, loyal to the country or disloyal, understanding of others or self-centered, but the personality of the individual in general, his attitude, behavior ' ways of thinking, his belief and all his personality chracteristics grow and develop through influences of the environment., in his contacts in family, neighborhood, school, and occupaton, the individual takes on many of his personality traits.

It has been said that the psychoanalysts have not been sufficiently aware of the part played by culture in the formation of the individual. It is probably true that they have paid too little attention to the varieties of behavior for which culture may be responsible. Freud himself does, however admit that the activities of the individual can be understood only in relation to the group.

Freud in his book "Group Psychology and the Analysis of the Ego", published in 1922 cited: "that the contrast between individual psychology and social or group paychology, which at a firat glance may seem to be full of significance, losses a great deal of its sharpness when it is examined more clearly. It is true that individual psychology is concerned with the individual man but only rarely and under certain exceptional conditions is individual psychology in a position to disregard the relations of this individual to others, in the individual's mental life someone else is invariably involved, as a model, as an object, as a helper, as an opponent and so from the first individual psychology is at the same time social psychology as well - in this extended but entirely justifiable sense of the word. In the field of sociology and anthropology it is evidenced that the growth, conflict and adaptation are fundamental social processes. That human personality, social organization and social institutions are the results of the interaction between persons, organizations and institutions. That these are in a continuous state of adaptation which may require conscious and difficult choice. This choice influences the direction of growth. Since human life takes on aspects of its physical and psychological environment some sbsorption occuring by accident but much by deliberate choice ' there is possibility of improvement of personality organization and in social condition. This means that the attitude and behavior of the individuals toward the society as a whole

older brother. Beers in 1903 returned from his institutional experiences and decided to bring about reforms in the care of the mentally ill. In 1907 he published "A Mind that Found Itself" - the story of his institutional life. In 1908 the National Committee for Mental Hygiene was setablished. Dr. Adolf Mayer suggested the use of the phrase mental hygiene, a term coined in 1843 by Dr. William Sweester who wrote a book under that title.

The National Committee for mental hygiene is the primary organization in the United States today for carrying on the activities originally outlined by Beers in 1907.

Psychiatry is still in its growing stages. In the future it will become more developod and in final form. The problem of mental health and abrormality should be approached by coordinated methods.

1— Those that deal with the cultural aspects and social factors through sociological stulies and 2— the individual approach which deals in the psychological and psychiatrical factors.

In order to find out the cultural and social factors in abnormality a general introduction in this connection is indispensable.

THE SOCIOLOGY OF MENTAL HEALTH

(1) General Introduction: The indivdual by nature cannot live isolated outside the society, whether it is primitive, barbaric or civilized he lives as a member of the group. He has his needs which can generally be classifified into two main categories:

(1) The Biological Needs.

(2) The Sociological Needs.

These different needs are fundemental and indispensable for the life of the human being. These needs could not be satisfied outside the society. Therefore the individual finds out the means by which he can satisfy theso needs, and consequently this satisfaction is accomplished through the association with the others in the society. By this association the individmal develops various relationships with different individuals and groups. These relationships must he regularized and controlled. This regularization takes place through customs, Conventions and laws. These are called the social controlling means.

These controls and methods distinguish between what is permitted and what is prohibited or what is approved and what is disapproved according to the cultural conditions and the social system in a particular society. The nature of these mean is of changeable character, it changes in time and place and it varies among different societies. They are dynamic rather than static. These controlling means repesent the standards of the culture of a particular society in time and place. Its major function is to protect the social values and the social system as a whole. The society as a great social being precedes the existence of the individual and consequently the social values, mores, cutoms

Preface

The development in the prevention and treatment of mental disorders owes its significant movement to the contributions which had been derived from different scientific work in the field of psychology, psychiatry and sociology.

The developments of the twenthieth century are generally related to three important contributions.

1— The contribution of Freud and the others.

2— The growth of the mental hygiene movement.

3— The acceptance of psychiatric social work.

Freud was by no means the first to recognize the importance of emotional factors in individual adjustment, that each psychic event has a natural or organic history. That all behavior is purposive; that organization of personality occurs as a result of the interaction of environment and heredity, especially as a result of family relationships.

The significance of his contribution to psychiatry lies in the fact that he organized a theory composed of numbers of hypothesis into what he called psychoanalysis and that he evolved a successful therapy based upon his theory. His theories of psychanalysis when introduced into the united states at Clark University in 1910 met with terrific opposition.

Freud invented the method of free association in order to stimulate the patient to talk freely to bring back the forgotten or repressed events into consciousness. He believes that most mental disorders particularly the psychoneuroses are due to repressed emotions dating back to early childhood.

Freud and his followers have made three major contributions to psychiatry and also to social work.

1— Psychoanalysis is a tool for treatment.

2— It is a method of research into the mental processes.

3— It is a theory of human personality.

The mental hygiene movement owes its origin to Clifford Beers, born in New Haven in 1876, he graduated from Yale in 1897. Three years later he became mentally ill. For several years he had been obsessed with the idea that he was going to be an epileptic as had an

CONTENTS

General Outline To The Sociology of Mental Health

BY

Abduljabbar Araim

H. D. Cr. S.

Assist, Professor of Sociology and Criminology

Head Department of Social Work

University of Baghdad

1962

were too elementary and stagy. His comic characters, for example, remained almost to the end "the familiar harlequin and columbine, clown and pantaloon", of which he speaks in the Preface to "Three Plays for Puritans". It is to these types that Mrs. Dudgeon of "The Devil's Disciple", Bohun of "You Never can tell", and Mr. Collins of "Getting Married" belong, but they are not the villain and hero of the conventional school which he repudiated. Some of his jocular devices were conceived along conventional lines too, as is evident in his use of vulgarities and swear words like the famous phrase in Pygmalion, and the vulgar expressions, as the hen laying eggs "like mad" in Saint Joan, or the rather embarrassing incident in Part IV of Back to Methusalah with which he aimed at amusing the audience at all expense. In fact, his stage setting, as A. Hanon has pointed out, is that of the Greek drama and the classic tragidians like Racine and Voltaire. Like Aristophanes, he employs no denouement. Instead, there is his crucial, technical innovation- discussion, that is, for essentially, Shaw's is a discussion play.

Notice how many times the words "sit" and "talk" recur in his plays whenever the climax is reached. For example, when Eugene Marchbanchs and Morell make their bids, Candida before explaning her choice, invites them to "sit and talk comfortably." In Mrs. Warren's Profession, before the last battle between mother and daughter is fought, "Vivie composed and extremely grave, sits down in Honoria's chair, and waits for her mother to speak" as the stage direction tells us.

But the predominance of ideas does not only affect the construction of the plays. It leaves its mark on the characters too. For almost all the Shavian characters are types and rarely individuals. They stand for schools of thought, old and new systems of life, attitudes, a class and profession but not, or rarely, temperament and feeling. In fact, they are, at best, when they represent whole groups of ideas by which men hold and live like Undershaft, the Rev. James Morell, Henry Straker and Sartorius. Shaw's people are invariably governed by ruling ideas as opposed to Jonson's ruling passions. Even their eccentricities are ideological and conceptual, like all his men and women of senius his artists and poets and his successful men of business. In this respect their eccentricities are really those of Shaw the man and the thinker, for some of the ideas are not of actual living people. The writer has put them in the mouths of his characters because he thinks they are, will be, or should be, as is the case, for example, with his new women, the socialist Undershaft, and the evolutionst John Tanner.

Yet Shaw's characters are vivid and memorable if only for those conceptual eccentricities of theirs, which, naturally enough, reflect themselves in their behaviour.

effected by inverting the role of his characters and the course of incidents. The inversion often comes as a surprise and usually at the end of the play. Of these conventional types is melodrama which he used in "The Devil's Disciple." There, plot, incident and characters belong to the ordinary world of melodrama, but the principle governing its actions and the motives that actuate its characters are foreign to that world. Dick Dudgeon's self-sacrifice for Parson Anderson is neither the result of his heroic spirit, nor is it for the love of the latter's wife, Judith. He does it by sheer impulse or instinct, just as in life some people sacrifice themselves for the sake of others whom they have neither met nor known before, for to Shaw, many good deeds are performed in life for no specific reason Besides, and this is a central theme in the Shavian drama, the legend that makes love the motive behind such actions is false. It was Shaw's contention-rather exaggerated, I am ofraid,-that crimes rather than sacrifices and good deeds are actnated by love.

Another of these conventional dramatic forms is the romance which, again, was used by Shaw after inverting it. Pygmalion, is, perhaps, the best example of an inverted romance. The inversion here is primarily that of action, for Shaw's Pygmalion, unlike the Pygmalion of romance, tries to change a human being into a statue. In the same way, Shaw handled most of the other traditional forms such as domestic drama (e. g. Candida) musical comedy (e. g. You Never Can Tell, and the basic idea of Man and Superman), musical comedy (e. g. Arms and the Man), and heroic plays (e. g. the Man of Destiny).

Besides these variations on the current theatrical patterns, Shaw evolved his type which he on one or two occasions called 'disquisitory', thus disarming his critics. This novel type of debated frama became completely static in form. Whereas the plot in the ordinary form was used now straight-forwardly by being tied down to the main situation and event (a form which is a rarity in the Shavian drama), now ironically by being inverted as the case with most of the Shavian plays, in the disquisitory plays it was, on the whole, ignored and isolated. The dialogue in this Shavian dramatic genre gets the upper hand over the main situation and event. Nevertheless, an interplay between plot and theme is still in evidence in certain plays, as, for example, in Getting Married, but the latter, (i. e, the theme) is more dramatic than the former. The trouble is that the plot is often too weak or insignificant to be of any consequence, as in most of the parts of 'Back to Methuselah'. The dramatic conflict, being transferred to a higher intellectual level, almost ceases to belong to the theatre were it not for certain theatrical qualities inherent in the dialogue, characters and, sometimes, situation of his plays. For Shaw used every art and trick of the popular stage, and set out to keep his audience's interest to the end by employing the element of surprise both in dialogue and situation. That is one reason why some of the effects he aimed at

Shaw's choice of this type of drama is neither accidental nor unintelligible. He was induced to adopt it, by, on the one hand, the state of staleness and artificiality prevalent in the contemporary theatre which called for serious consideration, and on the other hand, by his own desire to use the threatre as a forum for his own social reform campaign and the propagation of the new ideas. As an intellectual and theorist, he was very much interested in examining and exposing the ideas and principles behind the various social and political institutions which he was determined to reform. So he chose discussion and debate for his method, making of them the staple of all his plays. But he had, first of all, to attract the English audience back to the theatre after quite a long period of boycott, and, secondly to make it possible for them to bear and enjoy this new type of drama, with its explicit didacticism and openly discursive character. Theatre-going in England of his time, was the habit of neither the thoughtful nor the socially conscientions Shaw had, conseqnently, to serve his pills in such a way as to make them swallowable. First, he employed the conventional dramatic form, which he did not use straightforwardly. Secondly, and in order to make the audience put up with the tediousness of sermonising and the unpleasantness of their themes, he resorted to low comedy, and even tomfoolery, to which he refers in these words:

"In order to gain a hearing it was necessary for me to attain the footing of a privileged lunatic with the licence of a jester. My method is to take the utmost trouble to find the right thing to say and then to say it with the utmost levity."

Further still, he had to reach those sections of the community which, though intelligent were not theatre goers. So, he started printing and publishing them in such a way as to make them enjoyable by those people who normally did not read plays. Hence is the lengthy stage directions which give the plays the character of a novel.

Shaw's plays of ideas are a class apart. They are different even from his French model, Brieux whose plays are dictated by one central idea running all through it and consisting a sort of thesis on social problems. But Shaw's plays are not always on social themes, and when they are, their realism is neither sentimentalized as Brieux's nor shabbily photographic like Granville Barker's or Galsworthy's. His is, like Ibsen's, nineteenth century drama with a naturalisitic twist. Yet it is not that of the well-made play of Scribe or Sardon which both the Irish and the Norwegian repudiated.

Shaw, however, did not use one specific form for his drama. He started with the conventional type of English farce and melodrama whose material, characters, stories, stage tricks and setting he kept, intact as much as he could; but the motive behind those actions and his characters' attitude towards life and things in general he rationulized so as to make them ring with realism as he understood it. This he

Shaw and The Drama of Ideas

by

Abdul Wahab Al-Wakil

The term "drama of ideas" is uesd to designate that type of play wherein the ideas and beliefs they embody stand out more prominently than any incident they dramatise, or character they portray. It is a dramatic form that is intended to stir thoughts in the audience and induce people to reflect upon such aspects of life and living as have special urgency, material or spiritual, hence its prevelence during transitional periods and critical junctures in the nation's history - literary as well political. Becuase the material action in this type of dramatic composition is subordinated to the intellectual action, incidents - when they exist, that is - seem unrelated and disjointed. Shaw's plays, for the most part, fall into this category, for in them the most important elemet is the development or exposition of an idea, as in Widower's Houses, Mrs. Warren's Profession, and Major Barbara, or a series of ideas as in Heartbreak House, Wich constitute their subjects. It follows, therefore, that the dialogue, the medium for expressing and developing those ideas, occupies the most important place in the plays, to which everything else - incident, character and plot - come secondary. This is, at least, true of most of the Shavian plays whose plot and incident are subsidiaries, whereas ideas and doctrines are essentials, despite the fact that the former elements may sometimes be more powerful and salient, than the latter. In such plays as the Devil's Disciple, where the action does stand out, it does so not for its own sake but as a means of conveying certain ideas. The vehicle through which the intellectual action is transported, the dialogne that is, takes the form of discussion, debate, dissertation and conversation, all of which render the play static. Therefore, the dramatic conflict, in its conventional sense of a clash involving either violent physical action or intense emotional disturbance, is necessarily lacking. Hence is the hue and cry raised by the critics against the Shavian drama.

Just as Shaw replaced physical conflict by mental and verbal clashes, which he considered far more exciting, so did he substitute moral passion for sensual passion, thus breaking the long-stading monopoly of physical passion in the conventional drama. It is through this transference of the dramatic conflict from the physical to the mental plane that Shaw was able to make his impact on the theatre of the time. Ideas and beliefs, therefore, not only constitute the themes of the plays but also their sources of conflict, for the conflict in the plays of ideas is that of will as it is centred in reasoning individuals who are set in motion by those ideas, or, as in the drama of character and incident, by any feeling. Hence, the crises in this type of play are never intense or violently stirring, and their appeal is limited to the thinking man.

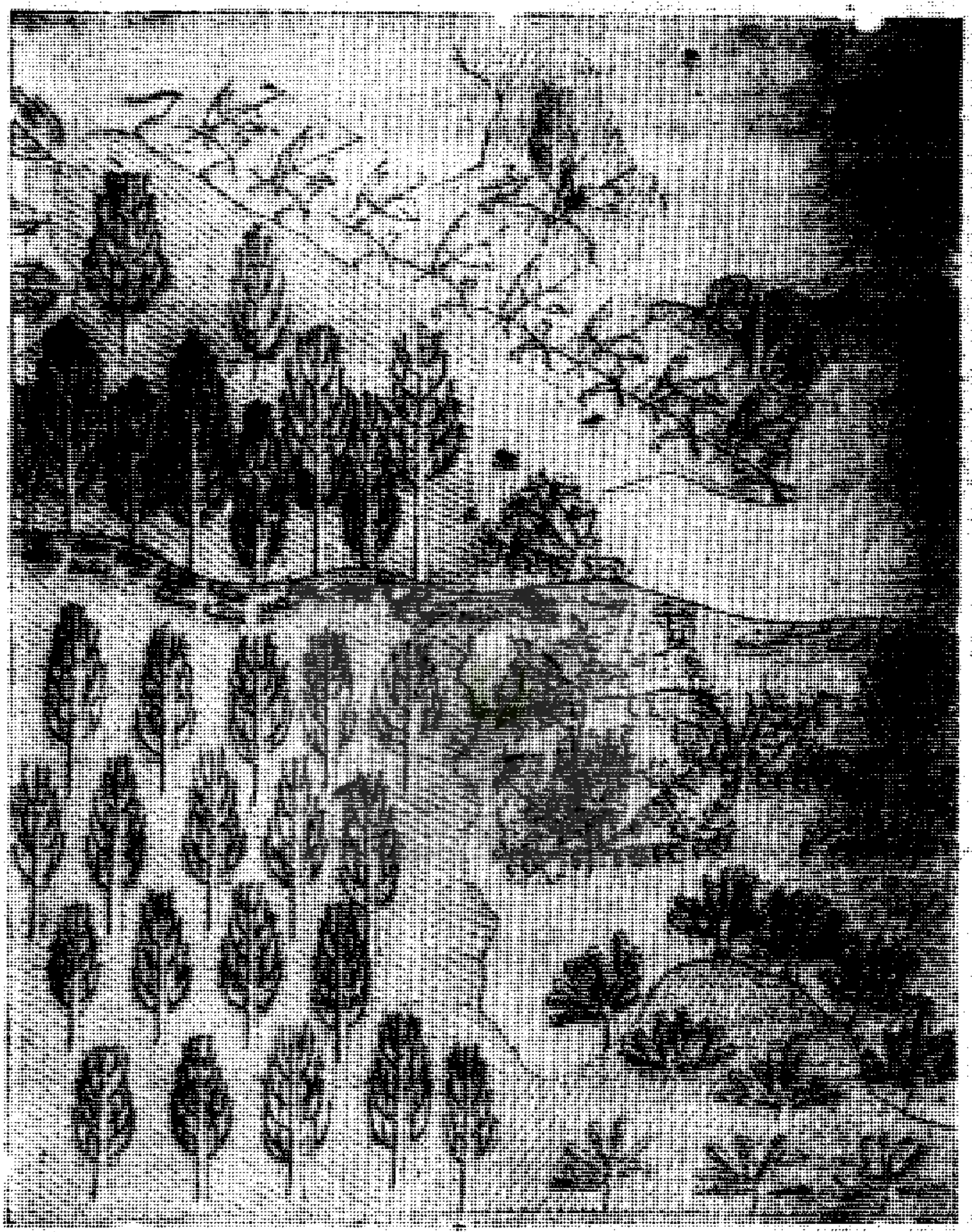


Figure 15. Sennacherib's campaing in a mountainious country, from Kuyunjik



Figure 14. Eurytios crator: Banquet scene



Figure 13. War relief of Sennacherib, from Kuyunjik

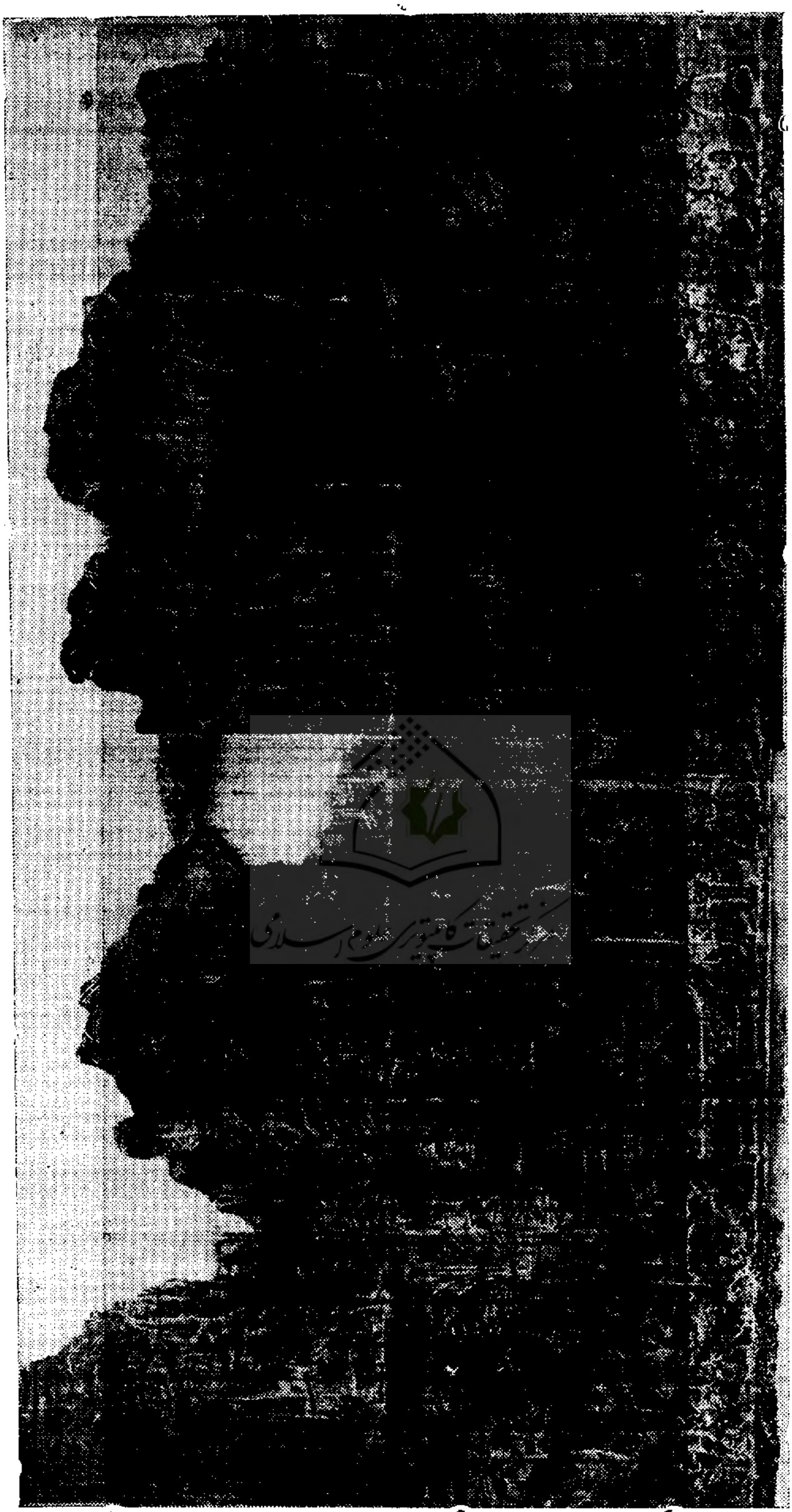


Figure 12. Bas relief of Ashurbanipal, from Kuyunjik

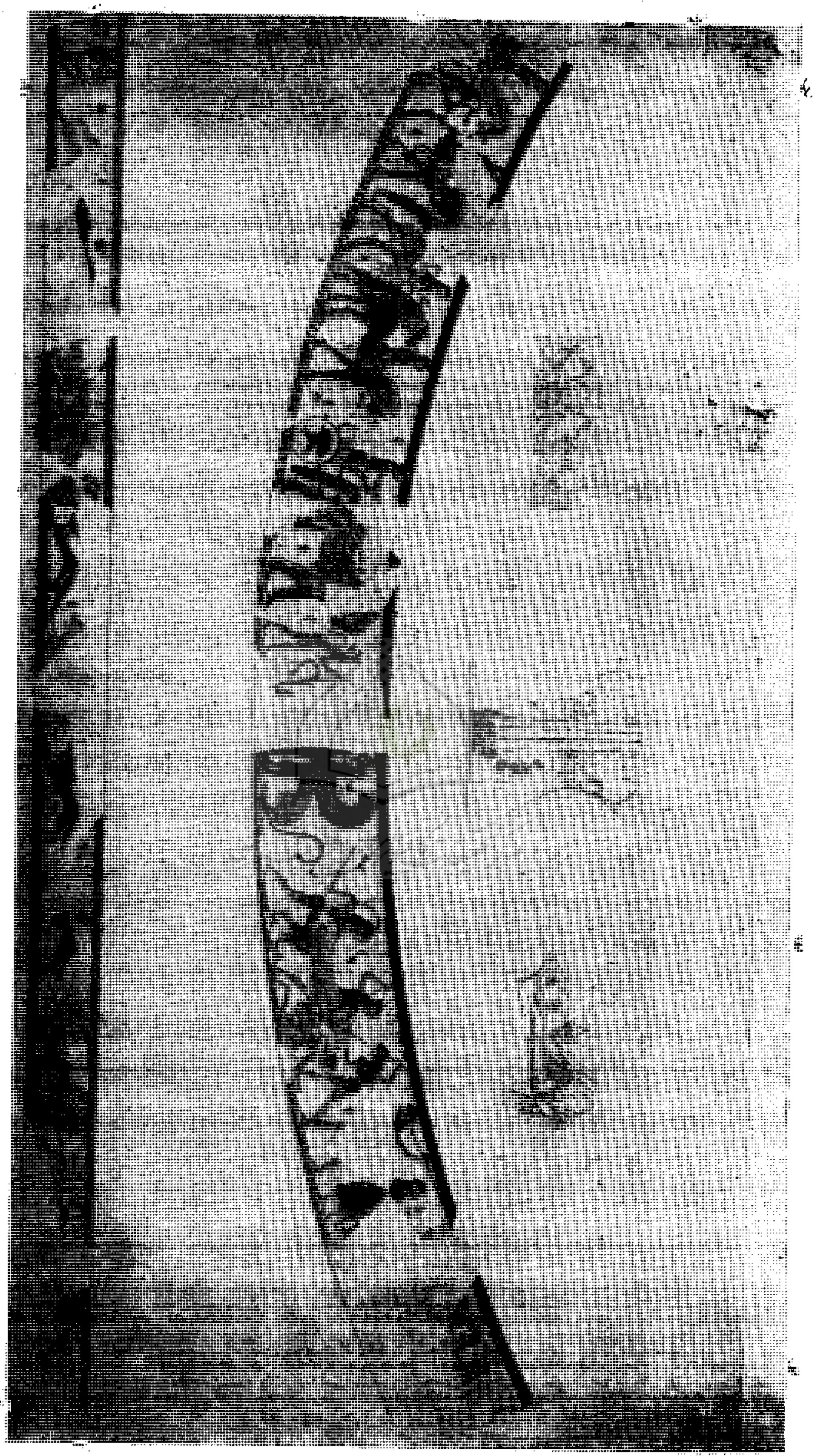


Figure 11. The Chisi vase: The judgment of Paris



Figure 10. The Chigi vase: Warriors advancing against one another

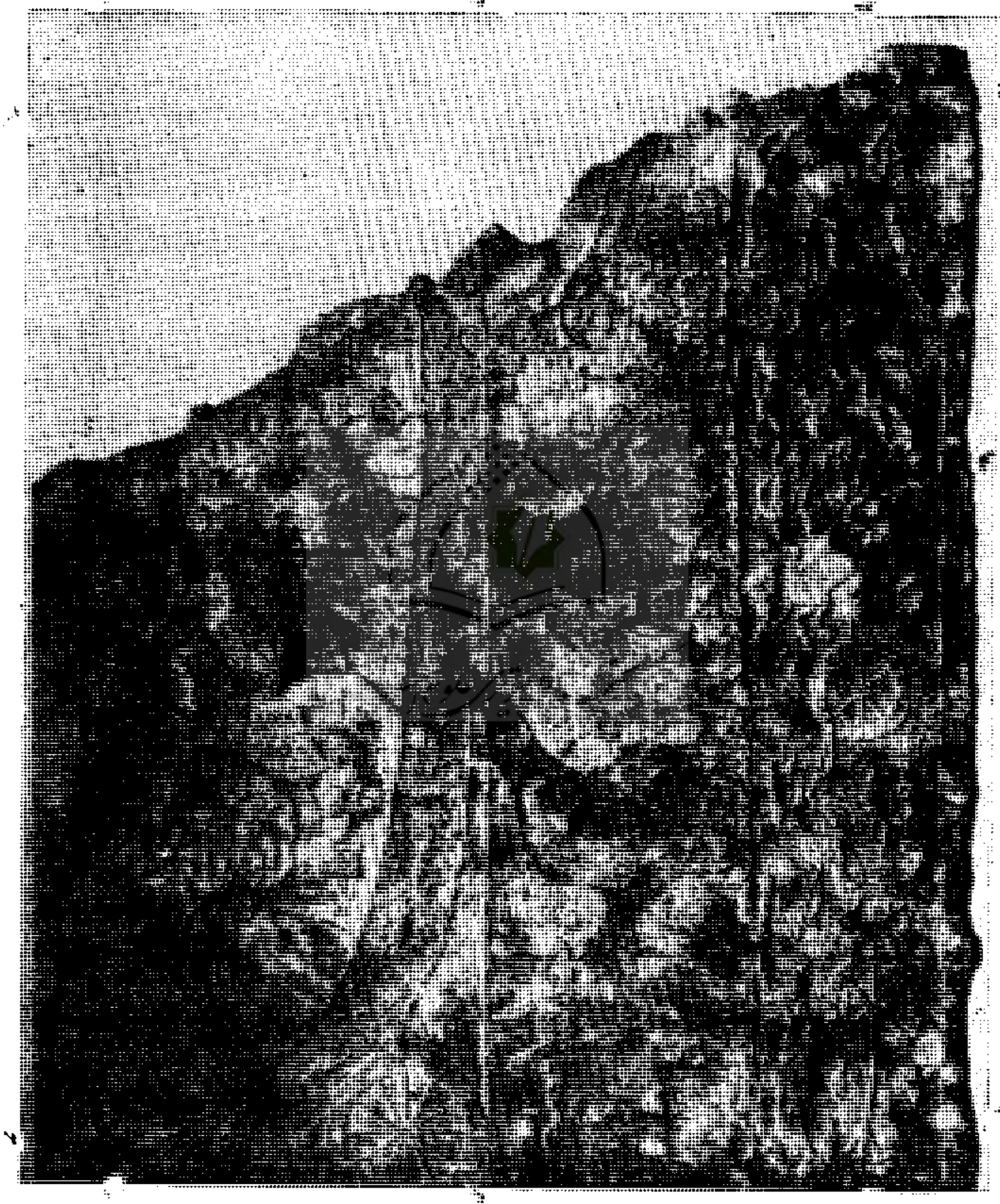


Figure 9. Capture of Susa, from Kuyunjik

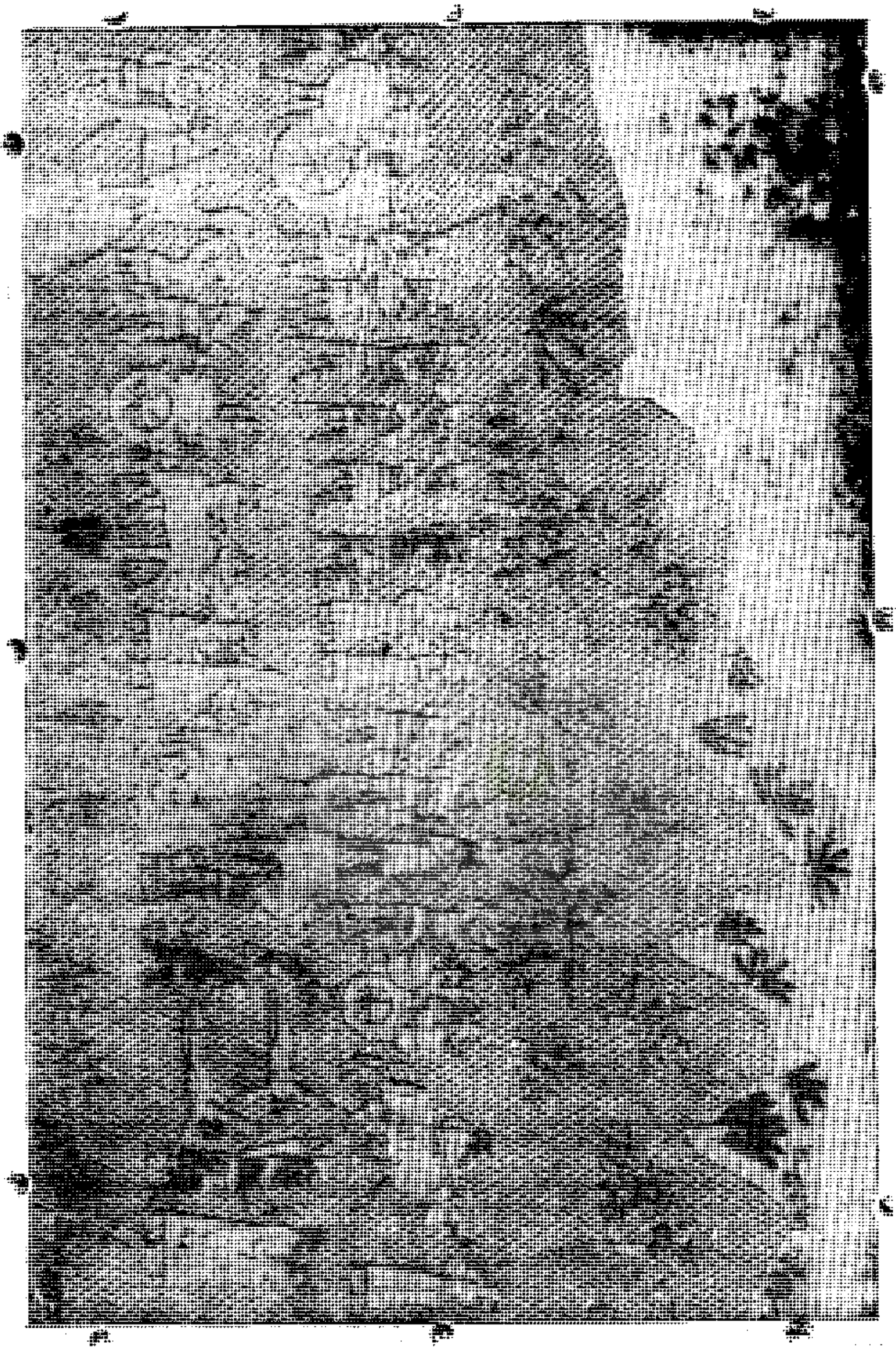


Figure 8 Spoils from Lachish, from Kuyunjik

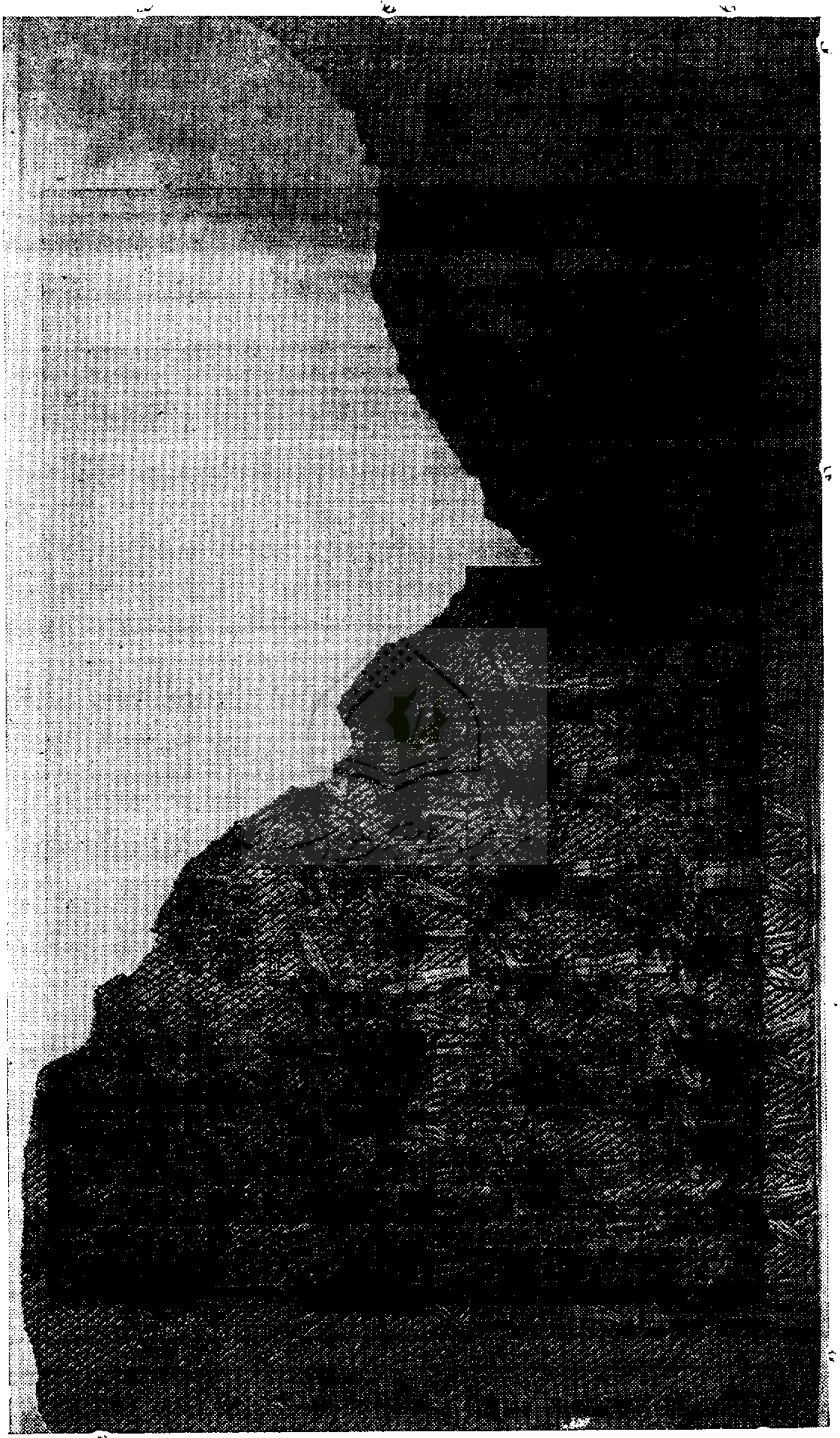


Figure 7. Assyrian army attacks Lanchish, from Kuyunjik



Figure 6. Assyrians at the sourse of the Tigris, from BALAWAT

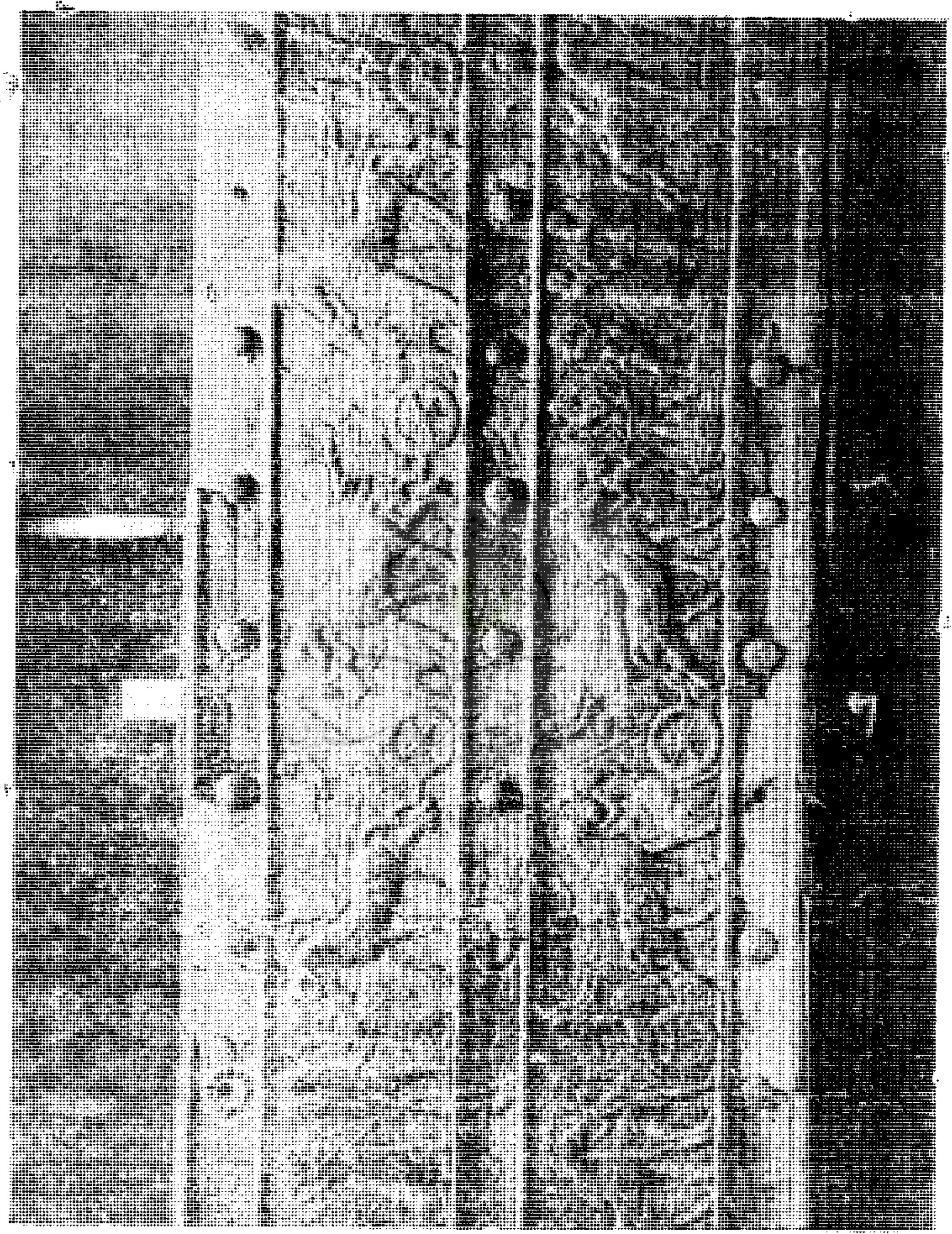


Figure 5. The Assyrian king arrives for ceremonies, from Balawat

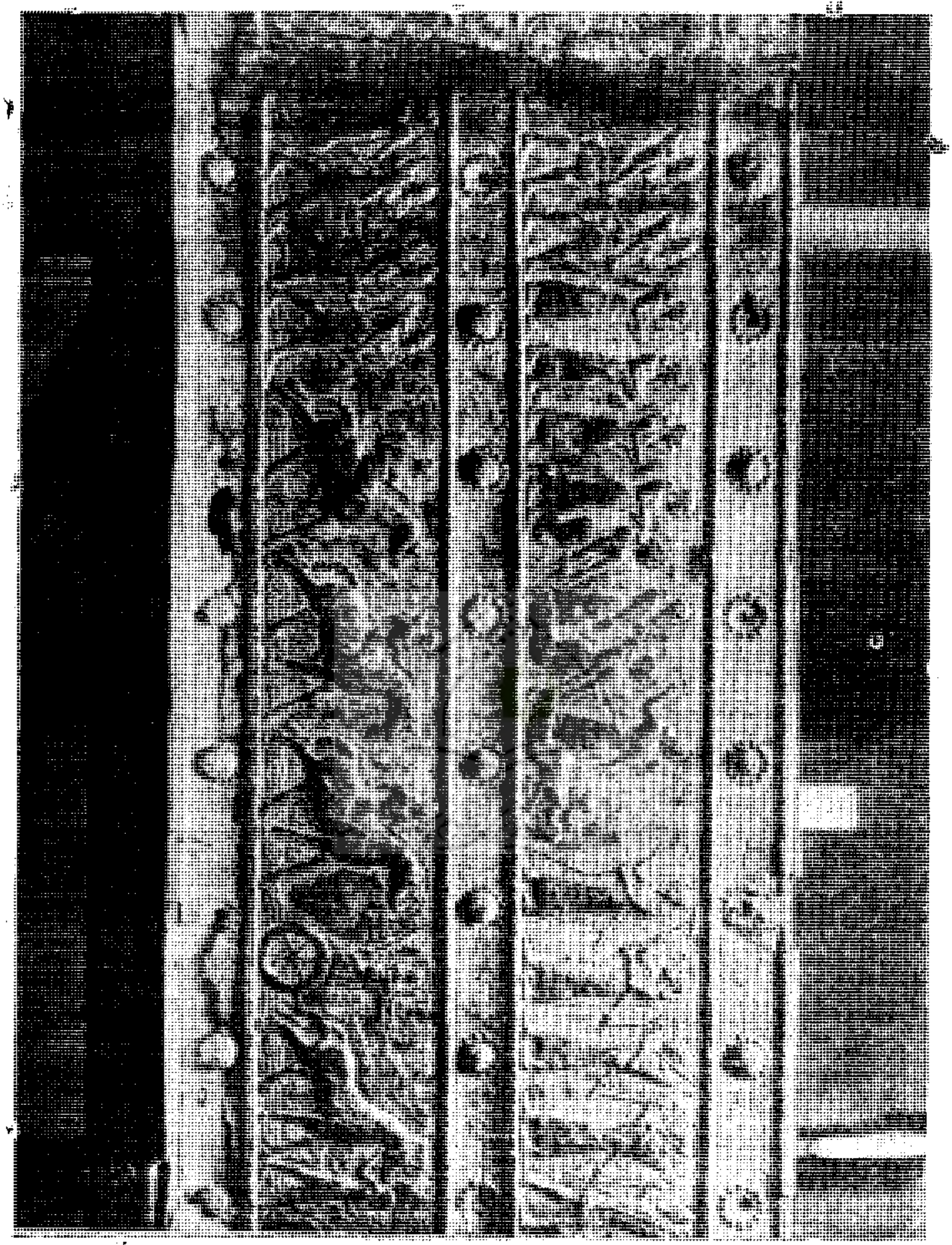


Figure 4. Members of the deputation are kneeling and the local chief is showing submission to Assyrian king, from Balawat



Figure 3. Assyrian soldiers are escorting a native deputation to headquarteres, from Balawat

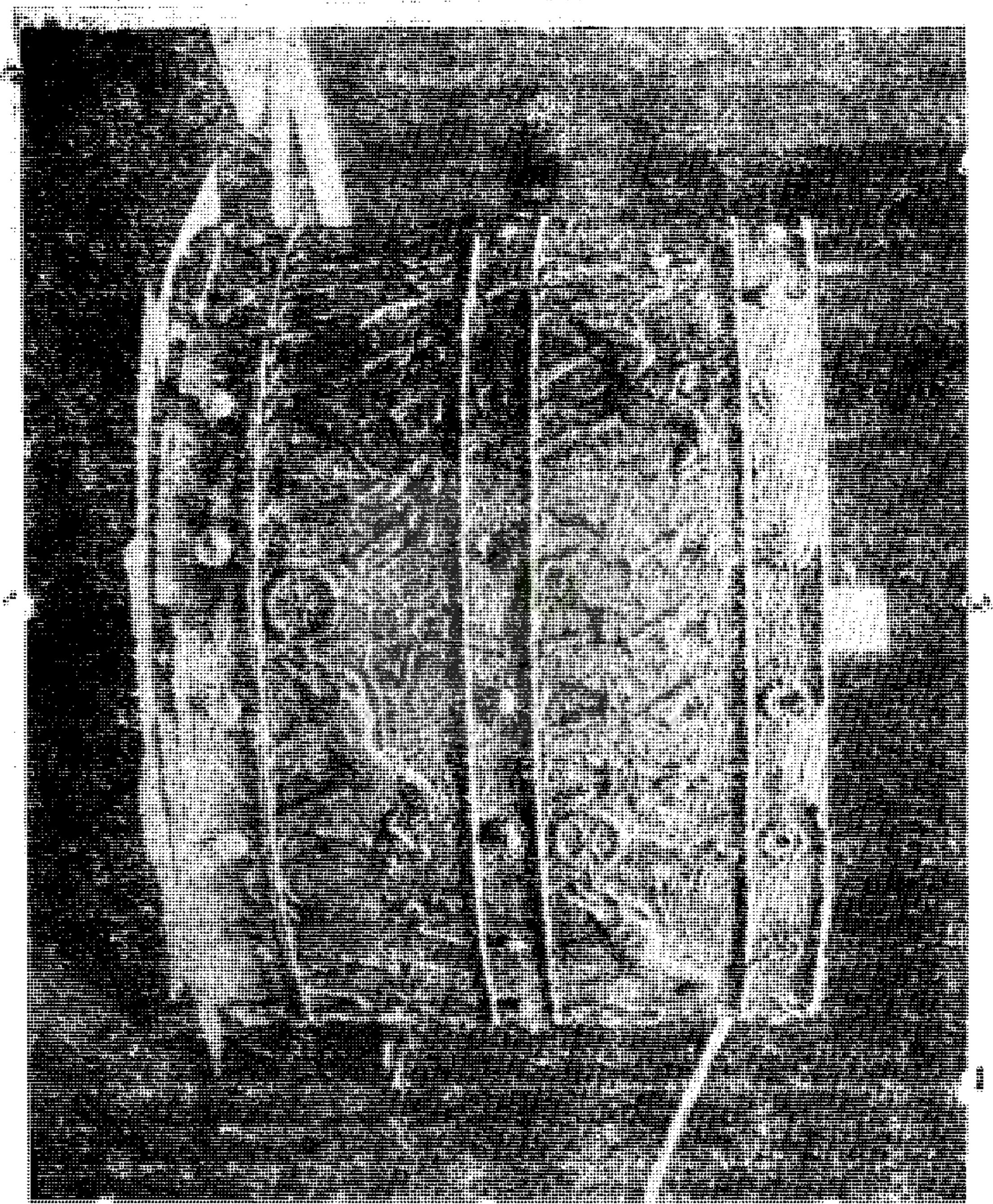


Figure 2. The fall of Kulisi, from Balawat



Figure 1. Assyrian army is leaving camp, from Balawat

Bibliography

Bible, King II.

Buckingham, J., Nineveh, London, 1851.

Chase, G., Greek and Roman Antiquities, Boston, 1950.

Delitzsch, F., Assyrische Lesestuke, Leipzig, 1912.

Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, Pelican History of Art, Baltimore, 1955.

Gadd, C., The Assyrian Sculpture, London, 1934.

Groenewegen, F., Arrest and Movement, London, 1949.

Hall, H., Babylonian and Assyrian Sculpture in the British Museum, Paris, 1928.

King, L., Bronze Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria, B. C. 860-825. London. 1915.

Kaiserliches Deutsches Archaologisches Institut, Antike Denkmaler, Vol. II, Berlin, 1908.

Layard, A., Monuments of Nineveh, Second Series, London, 1853.

Layard, A., Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon, New York, 1853.

Lloyd, S., Foundations in the Dust, Baltimore, 1955.

Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 Vols., Chicago, 1927.

Paterson, B., Assyrian Sculpture, Palace of Sennacherib, The Hague 1916.

Payne, H., Necrocorinthia, Oxford, 1931.

Pritchard, J., Ancient Near Eastern Texts Related to the Old Testaments, Princeton, 1950.

Pritchard, J., The Ancient Near East in Pictures Related to the Old Testament, Princeton, 1954.

Pottier, E., Vases Antiques du Louvre, Ser, I, Paris, 1897.

Rogers, R., Cuneiform Parallels to the Old Testament, New York, 1912.

Smith, W., A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Vol. II, London, 1890.

Walters, H., History of Ancient Pottery, Vol. I. 1905.

The palmettes on the shoulder of the Eurytios crater are derived from Assyrian palmettes, such as those adorning a bronze vessel found at Nimrud,(43) those found on door sills of temples and palaces and tsmples at Khorsabad,(44) and those found on the pavement relief of Ashurbanipal's palace at Kuyunjnk.(45)

(43) Ibid., Pl. 57 A.
(44) Frankfort. op. cit., Fig. 40.
(45) Hall, op. cit., Pl. LVI

also alone, and facing the others. He has food in his left hand, and in his right a big knife.

A kitchen is shown under the right handle of the vase, A large crater without handle is set on a high step with a jug of wine at the edge. A beardless man with a cutlass in his right hand passes with his left hand a haunch of meat to a beardless servant. Between them is a log on which are cut pieces of meat. They wear short red tunics, but their faces as well as their bodies are painted in black. The lower register of the vase shows eleven horsemen (three in frontal view); the horses are galloping to the right, and one is followed by a bird flying to the right. Scenes of animals and hunt are painted on the crater's back. A red line separates the registers, and there is a shoulder decoration of a scrollwork of palmettes alternately reversed.

In Greek mythology "Eurytios was proud of his skill in using the bow, and... introduced Herakles in his art. He offered his daughter Iole as a prize to him who should conquer him and his sons in shooting with the bow. Herakles won the prize."(39) It might be therefore that Eurytios had invited Herakles to his house to reach an agreement. "Eurytios and his sons, with the exception of Iphitos, refused to give up Iole, because they feared lest he should kill the children he might have by her. Herakles accordingly marched against Oechalia with an army... and killed Eurytios and his sons."(40)

Although the occation of Ashurbanipal's banquet and that of Eurytios are so different there are similarities between the two representations. In front of Ashurbanipal's couch is a table, though it differs in shape and puppose from the tables on the **Eurytios** crater.(41) Comparable to the Assyrian king are Didaion, Iphitos, and others on the crater in the way they recline and have thir legs covered with blankets. Ashurbanipal raises a cup in his right hand and has a bowl between his left arm and his chest; the activities of the diners on the Eurytios crater are analogous; the queen too holds a bowl in the right hand and a cup in the left. The motive of the flying bird recurs on the vase.

The horsemen on the Eurytios crater recall those on a war relief of Sennacherib found at Kuynjik,(42) Beside the general idea of a group of horses closely following one another in full gallop, there are specific Similarities in the cut of the tail, and the position of the legs. Comparable too are the horsemen of another relief of Sennacherib, Figure 15, commemorating his victory in a mountainous country.

---

(39) Smith, W., A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Vol. II, London, 1890, P. 114.

(40) Ibid., op. cit.

(41) Hall, op. cit., Pl. XLI.

(42) Layard. Monuments.., Pl. 29.

without human casualty, but a Phoenician bronze dish from Nimrud, on which the hunters are afoot, on horseback, and in a chariot, is different.(31) A hunter on foot is brought down by the lion. Endeavoring to save him a comrade grasps the lion's mane. Here the hunters are wearing "the Egyptian shenti or tunic, their hair is dressed ofter a fashion prevailing in Egypt from the ninth to the eighth century B. C."(32)

On the basis of the mane and the hair around the upper part of the face the Chigi lion may be compared to a lion at the entrance of a temple at Nimrud.(33) Speaking of the latter, Layard says, "In it we may perhaps trace those conventional forms from which the Greek artist first derived his lion."(34)

The type of rosette on a narrow frieze of the Chigi vase is derived from Assyrian ornament. Compare the Kuyunjik rosettes found on a sculptured pavement.(35) and on bronze vessels from Nimrud.(36) The animals on both narrow friezes of the Chigi vase are comparable to those on bronze plates from Nimrud.(37)

* * *

Another example of Greek pottery which appears to show Assyrian influence is the early Corinthian Eurytios crater.(38) On its front is a banquet scene on the upper one of two registers, Figure 14. The corresponding place on the back is occupied by a scene of combat. The banquet is that of Herakles in the house of Eurytios. Four couches are placed in a row. In front of each is a narrow three-legged rectangular table. On each table is a deep bowl of food and a shallow dish with two cakes of conical shape. A dog lies under each table; it is tied by a strap to the foot of the couch behind. On the couches the diners recline, each of them identified by his name's being painted in Corinthin letters above him. At the left is Toxos, facing left, while Klutios is turning to pass a cup to the next couple. Then comes Didaion, stretching to the left with food in his left hand and picking up with his right a cup from the table; yet he turns to speak to his father beside him, who seems to be holding in his left hand a small bottle. Alone on the next couch is Iphitos, who has a cup in his left hand and picks up with his right a bowl from the table. At the same time he turns his head to the right in the direction of Iole and Herakles. Iole is standing between the couches of Iphitos and of Herakles but turning as if to look over her cloak. Herakles, bearded like the men near him, lies

---

(31) Ibid., Pl. 65.
(32) Layard, A., Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon, New York. 1853, P. 183.
(33) Layard, Monuments.., Pl. 2.
(34) Layard, Discoveries.., P. 359.
(35) Layard. Monuments.., Pl. 56.
(36) Ibid., Pl. 59 E.
(37) Ibid., Pl. 64.
(38) Pottier, E., Vases Antiques du Louvre, Series I, Paris, 1927, P. 56, Pl. 48, no. E 635; Payne, op. cit., Pp. 100-103, Pl. 27, no. 780.

..ich appear on the Chigi vase. A further Assyrian parallel is that ..f a war relief of Sennacherib from Kuyunjik, Figure 13.[24]

Of the row of boys on the lower wide frieze, Figure 11, each rides a horese and leads another; in his right hand he holds the rein of the first, and in the left that of the second. Parallels may be found on the gates of Shalmaneser III at Balawat dating two hundred years earlier. In the lower register where the capture of the city of Parga in Hamath by the Assyrians in 854 B. C. is commemorated, the horseman is also riding one horse and leading another.[25] He holds the rein of the horse to the right in his left hand and of the horse to the left in his right hand, but the rope of the rein of this horse goes round the neck of the other. In another relief commemorating Shalmaneser's campaign to the source of the Tigris in the year 853 B. C. reproduced in Figure 4, the horsemen hold the reins of both horses either in the left hand or in the right. Further comparable examples from the gates of Balawat are to be seen in King's plates LX and LXXVIII. Also in the bull hunt of Ashurnasirpal mentioned above there is a royal attendant riding one horse and leading another.[26]

The chariot of the Chigi vase is drawn by four horses distinguished by their yellow, black, red, and black colors respectively, and by the number of heads and legs. The two horses of Assyrian war chariots are also distinguished by the number of heads and legs, Take for example the war relief of Ashurnasirpal's campaign against Armenia in 860 B. C.[27] But in the Assyrian relief the legs of the near horse are put forward while on the Chigi vase they are put backward of those of the other horses. The position of the horses' legs as they are depicted on an Assyrian relief commemorating a campaign in Syria in 854 B. C.[28] is somewhat similar to that of the Chigi vase.

The sphinx of the Chigi vase is comparable to the sphinxes on the Phoenician bowls discovered at Nimrud.[29] Notice the similarity of the tail forming a question mark, and with a pear-shaped inner tip. Comparable also are the sphinxes on Phoenician bronze vessels found at Nimrud.[30]

The lion of the Chigi vase is ferociously bringing down a man and biting him. Two streams of blood flow from the shoulder of the victim. Three comrades are thrusting spears into the beast, two into its back and one into its thigh. Streams of blood are also springing from these wounds. In Assyrian hunts the lions are regularly shown overpowered

---

(24) Paterson, op. cit., Pl. 37.
(25) King, op. cit., Pl. L, Pl. LVII is Shalmaneser's relief next mentioned.
(26) Hall, op. cit., Pl. XVIII.
(27) King, op. cit., Pl. IV.
(28) King, op. cit., Pl. LI.
(29) Layard, A. Monuments of Nineveh, Second Series, London, 1853, Pl. 68
(30) Ibid., Pl. 59 B.

Another activity in which the Assyrian kings toyed with destruction is the lion hunt. Among many reliefs showing this sport that were found at Nimrud and Kuyunjik is an alabaster reilef of Ashurnasirpal from Nimrud.(19) The king is in a chariat drawn by three horses that the charioteer urges forward in order to escape a ilon alrerdy shot with four arrows. The king, who has just dispatched another wounded lion, now takes deadly aim at this infuriated monster, the brow of which indicates its rage. Behind this attacking lion are two of the king's bodyguard with their shields and daggers in readiness for the kill. Each wears a conical cap with a large tassel at the back of the head. The charioteer's head is uncovered; he has a whip in his right hand.

A close parallel to this scene is one of bull-hunting, in which that beast is the prey of same king.(20) Besides the replacement of lions by bulls, other minor changes are observable, such as the careless attitude of the king and the attendnts' being on horseback.

From Kuyunjik there are various reliefs of Ashurbanipal engaged in the lion hunt; sometimes the hunters are afoot, sometimes in chariots. Among these representations there is the well-known one of the lion springing at Ashurbanipal: the lion evidently thought to be dead returns to the attack after the king has turned his attention to other game, but the wounded beast is hit a double blow by the king's attendants.(21)

* * *

The chigi vase is one of the early Greek works that exhibit Assyrian inspiration.(22) This jug is Proto-Corinthian of about 650 B. C. It is decorated with four friezes, two broad ones with figures, and two narrow ones with motives taken from hunting. The colors are black, yellow, and bright crimson, on a cream ground. The upper wide frieze shows masses of warriors advancing against one another, Figure 10. The lower wide frieze shows a row of boys on horseback, a chariot drawn by four horses, a sphinx, hunters slaying a lion, and a fragmentary group representing the Judgment of Paris, Figure 11. Of the upper frieze the compact group of marching soldiers with their round shields and pointed spears may be compared to what is seen on a relief of Ashurbanipal discovered at Kuyunjik, Figure 12.(23) The Assyrians, similarly equipped with long spears and round shields, march close together. Their crested helms noticeably resemble those

---

(19) Pritchard, op. cit., P. 57, no. 184; Hall, op. cit., Pl. XVIII.

(20) Hall, op. cit., Pl. XVIII.

(21) Groenewegen, F., Arrest and Movement, London, 1949, Pl. IXXX; Frankfort, op. cit., Pl. 110.

(22) Walters, H., History of Ancient Pottery, Vol. I, London, 1905, Pp. 309-310; Payne, H.. Necrocorinthia, Oxford, 1931, Pp. 18, 54, 71; Kaiserliches, Deutsches Archaologisches Institut. Antike Denkmaler, Vol. II, Berlin, 1908, Pls. 44.45.

(23) Paterson, B., Assyrian Sculptur, Palace of Sennacherib, The Hague, 1916, Pls. 55 56; Hall, op. cit., Pl. XXXVI, no. 2.

smaller size, their bushy beards, and their low conical caps, to which are attached two or more tails. They wear an inner garment reaching a little below the knee and an outer fringed robe falling down the back to the ankles.

The Assyrians are distinguished by their pointed conical caps, their long beards, their shields rounded above and rectangular below, their long spears, and the daggers they carry on their backs.

The Karkha River, which marks the end of the battle, carries carcasses of horses, slain Elamites, and their equipments downstream.(15)

The upper register of Figure 9 shows Susa deserted, the inhabitants gone to submit to the victors, before whom further to the left they kissing the ground.(16) In the register below at the river bank the Assyrian generals are hailed by men, women, and children, who are dancing, singing, and playing instruments.(17) First come five men, three of them carrying harps of many strings which they strike with both hands, dancing at the same time to the measure; a fourth plays on a double pipe such as was used by the Greeks; the fifth carries an instrument that has a hollow case over which are stretched a number of strings, which are fingered with the left hand struck with a small hammer held in the right. These men are followed by six female musicians, four playing on the harp, one on the double pipe, and the sixth on a drum beaten with both hands. Then come a suite of six women and nine boys and girls of different ages singing and clapping their hands.

Relating to this campaign against Susa there is also an alabaster relief found at Kuyunjik with representation of the subsequent feasting with which Ashurbanipal celebrated his victory over Teumman, King of Elam.(18) The king is reclining on a high couch, drinking from a bowl, and holding a blossom in his left hand. At his feet the queen sits on a high throne. Before her is a table with several objects on it. To the right there is another table with the sword, bow, and quiver of the king. Four attendants stand with fiy-wisps two behind the king and two behind the queen. Two servants bring food while another assists with a fiy-wisp. To the left is a harpist and the hands of another musician playing on a drum. On a branch in front of the harpist hangs the severed head of Teumman, the occasion of the banquet. The garden setting is indicated by leafy fruitful vines and palm trees, with birds perching or flitting about.

★ ★ ★

(15) Hall, op. cit.; Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, Baltimore, 1955, Pl. 103.

(16) Frankfort, op. cit., Pl. 103.

(17) Layard, A., Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon, New York, 1853, P. 455.

(18) Pritchard, The Ancient Near East in Pictures Related to Old Testament, 1954, P. 155, no. 451.; Hall, op. cit., Pl. XLI.

Rabshaka, followed by the principal officers. The general wears an emroidered robe, and a fillet with rosettes and long tassled bands.

The throne is elevated on a platform. Its side bears three registers of figures and its legs end in a pine-shaped foot. Over its back is thrown an embroidered cloth. The king's feet rest on a footstool cased in embossed metal, and with large ending in lion's paws. Two attendants behind the king hold fans above his head. He dressed in an ample ornamented robe fringed and tasseled. His right hand holds two arrows and his left rests upon a bow. These are emblems indicating his triumph over his enemies. Above his head is an inscription which is translated as follows: "Sennacherib, King of the World, King of Assyria, seated himself on a throne, and the prisoners of Lachish marched before him.(10) Behind him is his tent, pitched on a wooded hill. Above the tent is an inscription reading: "Tent of Sennacherib, King of Assyria."(11)

★ ★ ★

On a limestone relief of Ashurbanipal, found at Kuyunjik, is a third representation of warfare. It commemorates the fall of Susa, the capital of Elam.

In one of his texts Ashurbanipal says: "In my fifth campaign I marched against Elam at the command of Ashur, Sin, Shamash, Adad, Bel, Nabu, Ishtar of Nineveh, Ishtar of Arbela, Urta, Nergal, and Nusku... Like the onset of a strong storm I overwhelmed Elam in its entirenty. I cut off the head of Teumman, their king, the haughty one, who plotted evil. Countless of his warriors I slew... with their corpses I filled the plain around Susa.(12) Another text reads: "I, Ashurbanipal, King of assyria, displayed publicly the head of Teumman, King of Elam, in front of the gates inside the city, where from of old it had been said by the oracle: "The head of your foes you should cut off."(13)

The battle took place near the Karkha River(14) A large surface is used for rendering the scene, and separation into registers is abandoned where the fighting reached its climax. The Assyrians, pressing in from the left, are shown driving the Elamites into the river to the right.

The Susian warriors are differentiated from the Assyrians by their

---

(10) Pritchard, J., Ancient Near Eastern Texts Related to Old Testament, Princeton, 1950, P. 288; Rogers, op. cit., P. 345; Luckenbill, op. cit., P. 198.

(11) Luckenbill, op. cit. P. 198.

(12) Ibid., P. 300.

(13) Ibid., P. 396.

(14) Hall, H., Babydonian and Assyrian Sculpture in the British Museum, Paris, 1928, Pl. XLV; Pritchard, J., The Ancient Near East in Pictures Related to the Old Testament, Princeton. 1954, P. 64, no. 204.

his strong walled cities, as well as the small cities in their neighborhood, which were without number, by siege engines and by attacking and storming on foot, I besieged and took. 200150 people great and small, male and female; horses, mules, asses, camels, cattle, and sheep, without number, I brought away from them and counted as spoil. Himself, like a caged bird, I shut up in Jerusalem. I slew the governors and nobles who committed sin, and hung their bodies on pillars around the city.''(8)

These events are depicted on a series of gypsum reliefs found by Layard in a chamber at Kuynjik.(9) Figure 7 shows in part the Assyrian infantry in a hilly and wooded country. It is defended by double walls with towers manned by bowmen and by soldiers who throw stones and firebrands upon the attackers. Against the fortification the Assyrians have built tracks of three layers over which they have moved seven sieg engines equipped with a spearlike beam, by which they are trying to destroy the superstructure of the defences. On each battering ram is a bowman discharging his arrow and a soldier pouring water with a ladle upon the flaming brands that threaten to destroy the engine. Behind comes an Assyrian bowman under the protection of a large round shield carried by soldiers. Other bowmen are protected by bands of reed in front, and by shields borne by soldiers in back. The turret of the defenders is manned by bowmen and soldiers though part of the city is already taken; men and women carrying their possessions are coming out from the gate below three small windows. The Assyrian warriors are impaling three nude men. Figure 8 shows part of the spoils of Lachish: men and women and animals are led by Assyrian officers into the presence of the king, who receives them seated on his throne. Around the battlefield is strewn the debris of war, lances, stones, and a broken ladder.

The vanquished are distinguished from the victors by their dress. The defenders wear a pointed helmet with a fringed lappet falling over the ears. Some of the captives have a kind of turban with one end hanging down to the shoulder. Others have no head covering. Their grament is either a robe reaching to the ankles or a tunic falling lower than the thigh and girdled at the waist. The women wear a long skirt with an outer cloak thrown over the back of the head falling to the feet.

Prisoners are kneeling humbly before Sennacherib. They are brought into the prsence by the Assyrian general, probably the

(8) Delitzsch, F., Assyrische Lessestucke, Leipzig, 1912, P. 67.; Rogers, R., Cuneiform Parallels to the Old Testament, New York, 1912, P. 343; Luckenbill, op. cit., II, P. 120.

(9) Layard, A., Monuments of Nineveh, Second Series, London, 1853, Pls. 20-23.

a sacrificial scene; the lower show the capture of kulisi and the setting up of the royal image at the source of the Tigris river. On the upper registers of Figure I and 2 we see Assyrian infantry, cavelry and charioteers leaving camp; on Figure 3 Assyrian chariots a escorting a native deputation to headquarters; then on Figure. 4 always in the upper register, members of the deputation are kneeling, and the local chief is kissing the grounds before the Assyrian king; Figure 5 shows Shalmaneser's chariot and the royal escort returning home; Figure 6 has a sacrificial scene forming part of the ceremonies at the source of the Tigris after the defeat of the enemy. This source seems to be a grotto in which drops of water fall from the ceiling on the stalagmites below. A sculptor is engraving an inscription with a hammer and chisel. A scribe stands nearby holding a tablet. In the front of the grotto is a sacrificial bull. On the mountain above is a castle. To the right a native appears amazed at the activities. To the left is the Assyrian army leaving this loquality in quest of further victories.

Turning to the lower scenes, we find in Figure 1 the king, accompanied by an infantry escort, departing from the Assyrian camp in his chariot; in Figure 2 he is met by a messenger who brings news of the fall of kulisi, in Figure 3 the city is seen in flames, and its inhabitants are being impaled, beheaded, and mutilated, in Figure 4 the king arrives with an Assyrian force of infantry, cavalry, and charioteers, advancing up the left bank of the stream; then in Figure 5 he is seen leaving his chariot, mounting a horse, and crossing the stream. In the lower register of Figure 6 we see a bull and a ram brought forward for sacrifice before the image of Shalmaneser, which is being carved on the rock face in front of the tunnel's mouth by a sculptor standing on a block in the stream. The subterranean channel of the river is shown by means of rectangular openings, through which men are seen wading and carrying plants.

★ ★ ★

In the year 701 B. C. Sennacherib marched against Hezekiah, king of Judah, and conquered all his fortified cities. The events of this campaign are mentioned in the Bible and in the Assyrian texts. The Bible reads: "Now in the fourteenth year of King Hezekiah did sennacherib king of Assyria come up against all the fenced cities of Judah, and took them. And Hezekiah king of Judah sent to the king of Assyria to Lachish, saying, I have offended; return from me: That which thou puttest on me will I bear."(7) Sennacherib's text reads: "As for Hezekiah, the Jew, who did not submit to my yoke, 46 of

(7) II Kings, xviii, 13-14.

Assyrian Reliefs and their Relations to Greek Vases

by

T. Dabbagh

Relief in Assyrian art was used for displaying Assyrian power in action, and for recording military campaigns in detail. Several examples show the march of the Assyrian armies across plains, over mountains, and through marshes destroying, burning, and killing. Others show chariot charging and siege engines advancing against retreating enemies. Still others commemorate the submission of a foreign king to the Assyrian monarch, or the reception of the tribute imposed on a defeated city, or the sack of a town taken by storm.

Outstanding illustrations of this aspect of Assyrian art are the reliefs of the bronze bands, six feet wide and twenty feet high, that formerly decorated the gates of Balawat.(1) They were discovered by Rassam in 1876,(2) and are now in the British Museum except for two pieces in the Walters' Art Gallery at Baltimore'(3) They figure the wars of Shalmaneser III (859-824 B. C.) and are inscribed.(4) The lower register of Figure 6 reads: "Kulisi, the royal city of Matzuota, I captured; I burned with fire. I entered the source of the river; I offered sacrifices to the gods; my royal image I set up."(5) In relation to this campaign the Black Obelisk, now in the British Museum, reads: "In my seventh year... I advanced to the source of the Tigris, where the coming forth of water is situated. The weapon of Ashur I washed there; I offered sacrifices to my lords; I fashioned a heroic image of my royal self."(6)

Of the two registers into which the bronze bands are divided, the upper show the submission of a local chief or king to Shalmaneser and

(1) King, L., Bronze Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria, B. C. 860-825, London, 1915, Pls. LIV-LIX.

(2) At the ancient Amkerbeel. 15 miles south of Mosul.

(3) Lloyd, S., Foundations in the Dust, Baltimore, 1955, pp. 183-187.

(4) Cf. King, op. cit.

(5) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 vols. Shicago, 1927, I, P. 226.

(6) King, op. cit. P. 30.

قانون تشييد القرى الحديثة

الملكية الصغيرة ، بغداد ١٩٥٣

نشرة الاحصاء الصحي والحياتي ــ وزارة الصحة ، بغداد ١٩٥٥

٥ ــ المصادر الاجنبية :

Foster, Henry — The making of Modern Iraq, London 1936.

Longrigg, S.H. — 'Iraq — 1900 to 1950 London, 1953

— Four Centuries of Modern 'Iraq, London 1925.

Warriner, D. — Land & Poverty in the Middle East, London

— Land Reform & Development in the Middle East, London 1956.

اللباب – الزهاوي – جميل صدقي الزهاوي ، بغداد ١٩٢٨

مختارات في الحجاب والسفور – مصطفى القاضي ، بغداد ١٩٢٤

نظرات في اصلاح الريف – عبدالرزاق الهلالي ، بيروت ١٩٥٤

٢ – **المخطوطات :**

ديوان جواد الشبيبي

ديوان خيري الهنداوي

ديوان عبدالحسين الازري

٣ – **الجرائد والمجلات :**

جريدة الامل – معروف الرصافي ، ١٩٢٣

جريدة الاخاء الوطني – عبدالاله حافظ ، ١٩٣٤

تنوير الافكار – عبدالهادي الاعظمي ، ١٩١٠

دار السلام – انستاس الكرملي ، ١٩١٨ – ١٩٢٠

الرقيب – عبداللطيف ثنيان ، ١٩٠٩

الرشاد – يوسف السامرائي ، ١٩١٠

الزمان – ابراهيم صالح شكر ، ١٩٢٧

عالم الغد – رفيق السيد عيسى ، ١٩٤٥ – ١٩٤٦

العراق – رزوق غنام ، ١٩٢٠ – ١٩٤٦

الغري – عبدالرضا شيخ العراقين ، ٣٩ – ٩٤٧

المعرض – أحمد عزة الاعظمي ونوري الاورفه‌لي ، ٢٥ – ١٩٢٦

لسان العرب – ابراهيم حلمي العمر ، ١٩٢١ – ١٩٢٢

الناشئة الجديدة – ابراهيم صالح شكر ، ١٩٢٢ – ١٩٢٥

النجف – يوسف رجيب ، ٤٤ – ١٣٤٥

النهضة العراقية – حزب النهضة العراقية ، ٢٧ – ١٩٣٠

٤ – **التقارير الرسمية :**

التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، بغداد ١٩٥٥

قانون حقوق واجبات الزراع رقم ٨ ، ١٩٢٣

References مصادر البحث

١ ـ الكتب :

الامواج ـ أحمد الصافي النجفي ، دمشق ١٩٣٢

الاوشال ـ جميل صدقي الزهاوي ، بغداد ١٩٣٤

الادب العصري (جزءان) ـ رفائيل بطي ، القاهرة ١٩٢٣

الاتجاهات الادبية ـ أنيس الخوري المقدسي ، بيروت

الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ـ الدكتور محمد حسين ، القاهرة ٩٥٤ و٩٥٦

حقيقة الزهاوي ـ مهدي العبيدي ، بغداد ١٩٤٧

ديوان البناء ـ عبدالرحمن البناء ، ١٩٣٢

ديوان الحبوبي ج ١ ـ محمود الحبوبي ، النجف ١٩٤٨

ديوان الجواهري ـ محمد مهدي الجواهري ، ١٩٢٨ و٤٨ و٥٠ و٥٣

ديوان الرصافي ـ معروف الرصافي ، القاهرة ١٩٤٧

ديوان الزهاوي ـ جميل صدقي الزهاوي ، القاهرة ١٩٢٤

ديوان الشبيبي ـ محمد رضا الشبيبي ، القاهرة ١٩٤٠

السفور والحجاب ـ نظيره زين‌الدين ، بيروت ١٩٢٨

سعد صالح ـ محمدعلي كمال‌الدين ، بغداد ١٩٤٩

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ـ يوسف عزالدين ، بغداد ١٩٥٨

الشعر العراقي الحديث ـ يوسف عزالدين ، بغداد ١٩٦٠

صدى السنين ـ محمد بسيم الذويب ، بغداد ١٩٦١

العواطف ـ محمد صالح بحر العلوم ، النجف ١٩٣٧

عواطف وعواصف ـ علي الشرقي ، بغداد ١٩٣٥

And the council (parliament) consists of motionless
firewood
Set up (for burning)
Where is the oil and where is the flame?''(14)

حكومة : صوت من يشكو ظلامته   لها يبعده عن سمعها صمم
ومجلس فيه اخشاب مسندة   بلا حراك فاين النفط والضرم

We have already stressed that, well meant as they are, appeals to the rich to show mercy on the poor are not conductive to an amendment of social injustice. Everyone has a natural inborn right to life, civilisation and a standard of living which does not fall short of the subsistence level, whether he be born rich or poor. The West has long ago recognised these truths, and realised that social reform and not philanthropy is the right method to amend the lot of the poor.

The infiltration of the principles and ideas of socialism goes back to the second world war. As soon as these penetrate far enough into Iraq, the mentality of many poets undergoes a marked changed. They abandon philanthropy for the sake of a well-defined programme of social reform. They demand social equality and a decent standard of living for the whole of the population. They insist that the poor can no longer be denied the right to lead a civilised life. They claim that it is not admissible that a minority of rich people should have the power to seize the proceeds of the toil of the majority. The oppressed poor have the same right to live in welfare and happiness. This movement is led by people who, educated in Europe, can draw comparisons between the conditions of life of the majority of the population in the West and in Iraq. Later on the majority of the poets adopt their way of thinking.

Summing up, we can say that the poetry of the poets who have embraced the cause of the poor is far from being art for art's sake, and has a very explicit practical purpose in view. It is full of a fervent desire to amend the lot of the poor and destitute and, especially during and after the second world war, shows the way to social reform which it sometimes wants to enforce at all costs, even by violent methods.

رأيت فتاة انهك الذل جسمها   يحيط بها كوخ هناك مهدم
تعالج طفلا يشتكي شدة الطوى   وتحنو عليه والمدامع تسجم
وتعطيه ثديا اذهب الجوع دره   فينظرها تبكي عليه فيبغم
تعلله واليأس ملء جفونها   يكلم عنها وهي لا تتكلم

Wemust admit that this is a vivid, poignant picture of a hungry mother and a hungry child which cannot fail to evoke the reader's sympathy.

As we have stressed already the majority of the poets who have expounded the cause of poverty feel very strongly on the subject. Every line proves that they really have the good of the poor and destitute, at heart. They are carried away by their feelings for the poor. The sentiments they express are individual and vary from poet to poet, though they all eventually culminate in the same fervent call for pity. All these poets come from similar surroundings as the people they portray, have met with similar difficulties, have known hunger and thirst and despair, and, more often than not, write out of personal experience. That is what makes their poetry so convincing and moving at the same time. When they see the sufferings of the poor they are roused to it and want to communicate their feelings to the rich who alone can help; hence their frequent appeals to the wealthy whom they ask to be benevolent and merciful. The methods to which they resort are more reminiscent of philanthropy than of serious social reform.

We can find many examples of the invocation of the rich in Iraqi poetry. There are Muhammad al-Hashimi, al-'Uzari, al-'Athari, al-Habbuui, al-Pachahi, Sa'd Salih, al-Dujaili, al-Sharqi, al-Shabibi and al-Zahawi. But Baharl-'Ulum shows considerably more courage than all of them. His favourite literary approach to the subject is to contrast the way of living of the social classes. He describes the situation of the poor and their sufferings and subsequently shows us the luxurious life which the wealthy lead in their palaces, bluntly charging both government and parliament with the responsibility for this social injustice. He declares that the country derives no benefit at all from either government or parliament. He compares these representative and administrative bodies to firewood whose only use is to serve as fuel, and wants them to burn. He says:

> "This government! The voice that complains of injustice
> Is too distant to be heard by them for in their ear is deafness

(14) al-'Awatif, p. 118.

عليهـا ثيـاب رثه ومـلاءة   كاحشائها فى كل حين تبزل
تكفكف دمعـاً بالبنان وكلما   مشت خطوة أو خطوتين تمهل
تمـد يمينا للسؤال ضعيفة   وتخجل منهم حينما هى تسأل
أارملة الجندى لا تخجلى فمن   حقوق العلا ان الحكومة تخجل

Al-Banna. who began life as a building worker, carried bricks on his back and head in his youth and suffered with the poor as one of them, feels most strongly on this subject. His love for the poor manifests itself on every page of his work. He is dedicated to the cause of the poor. The building workers are the worst paid in Iraq. They never became masters unless they are very clever and work hard for a long time. If al-Banna' had had enough time to study the constructions of the Arabic language, he might have become one of the great poets of Iraq. He is a born poet and has the makings of an artist. His feelings are profound and sincere, but in spite of his talent he is often handicapped by technical shortcoming like a poor vocabulary and inadequate knowledge of the constructions. He had to go on working as a builder to earn the barest necessities of life, but always felt the urge to write. Al-Athari watched him once when, supervising the work on a building site, he seized a piece of yellow brick and began to write on it.(13) Construction is not his strongest side but the picture he draws of the life of the poor in Iraq is realistic and moving. In one of his poems he describes a poor woman living in a humble cottage, her body wrecked by misery, her hungry child asking for food which she cannot provide because her breasts are dry. If we draw a comparison between the way the same motif, that of the starving child, is handled by the three poets al-Rusafi, al-Zahawi and al-Banna, we find that it is al-Rusafi who was most successful. Al-Zahawi failed for lack of sincere feeling, but in the case of al-Banna' it is the words that fail him. Still, the story comes alive, and has remained alive up to the present moment. He says:

"I saw a lass, her body destroyed by misery,
Surrounded by the ruins of a cottage.
She was comforting a child, complaining of violent hunger,
And caring for him, while her tears streamed down.
She gave him her breasts which hunger had dried up;
He looks at her while she weeps for him
And he cries.
She comforts him while despair fills her eyes
and speaks for her."

(13) Introduction to the second volume of his Diwan.

Al-Zahawi wrote a good deal of poetry and published many Diwans, but the problem of poverty somehow escaped his attention, perhaps for lack of sympathy. There is a poem written before the British occupation which deals with the problem of the soldier's widow who has to manage on a tiny pension below the level of subsistence. For lack of adequate nourishment she contracts tuberculosis. Sick and deserted by her friends and family who shun her because of her illness and poverty she goes to the authorities to collect her pension. Here she has to endure callous treatment and al-Zahawi seizes the opportunity to condemn the heartless attitude of the Ottoman officials towards the public.(11) Though he resents it, he regards it not as a social but as a private problem. It is not so much the problem of poverty as such that he is interested in, but the isolated experience of the individual. It is the destiny of the impoverished rich woman to share the fate of the poor. The poet frequently departs from the social problems and lets many other subiects creep into his narratives: there is the description of her husband, the insertion of proverbs and general truths and other disgressions which can only be regarded as padding. However, in spite of the sentimental tirades on the subject of motherhood and hungry children, he does not succeed in making the story convincing and moving. He somehow fails to grasp the essential points. At last, the soldier's widow is reduced to begging and stands there invoking the pity of the public on her hungry child. This is also a moment which chould be very moving but Al-Zahawi is incapable of communicating the emotion to the reader. He is successful in one point only and that is when he scolds the government who neglect the soldier and ignore the fate of his widow. He does not make the government directly responsible for the poverty in Iraq in general, for he lacks what we might call a social conscience, but this is perhaps due to his different social background. Nor does he put forward any suggestions for reform like al-Rusafi. The poem ends with a description of the begging woman. He says:

> "She wears ragged clothes and cloak
> Torn like her entrails,
> She holds back her tears with her fingers
> And when she takes a step or two, she does it slowly
> She holds out her weak right hand begging
> And she is ashamed before those she begs from
> O widow of the soldier, do not feel shame for it is the
> high duty of the govtnment(12) to feel shame.

---

(11) al-Zahawi's Diwan, p. 247.

(12) al-Diwan, p. 86.

This is indeed a poignant realistic description of hunger and distress. His neighbours may give him help and a little food now and then but cannot afford to do so every day. But even though they were able to keep him on bread and water, he is doomed to die in any case, for he has no money to send for the doctor. Al-Rusafi gives a moving description of the death of this poor sick man. Death creeps on him while his sister is sitting by his side. The corpse is left unburied at home for there is no money for a shroud until a rich man takes pity at last and pays for shroud and burial. Al-Rusafi now addresses all the rich people, saying:

> "O, rich people! How many times
> Have you misused the favours of God
> Since you have no mercy?
> Miserable people remain awake through hunger
> While you sleep in ease, satiated
> With all sorts of food and drink."(8)

ايها الاغنياء كم قــــد ظلمتم　　نعم الله حيث ما قد رحمتم
سهر البائسون جوعــاً ونمتم　　بهناء من بعد ما قــد طعمتم
من طعــــام منوع وشــــراب

There is a strong religious influence on Al-Rusafi's narrative poetry. He threatens the rich with the wrath of God and warns them that His punishment will overtake them unless they mend their ways. Exhortations of this kind would undoubtedly have been very effective in ancient times when Moslems lived in the fear of God, and were predominantly actuated by religious motives, but I doubt whether his arguments cut much ice with the modern Iraqi rich. He appeals to the feelings of the rich people trying to rouse their pity and influence them to have mercy on poor widows and orphans, the sick and destitute(9). As he says, distributing alms is a beautiful action which will be praised by the tongues of pople and rewarded by God.(10) In marked contrast to the revoluionary tendency of his political poetry his social poetry is characterised by a calm and subdued attitude. We have the impression that the poet believes in predestination and is convinced that some people have to lead the life of poverty since it is the way of life providence has chosen for them once and for all. Though he desires reform, he is more of a philanthropist than a social reformer. All he does is to invoke the pity of the rich; this can hardly be called a realistic approach to the problem since the rich never do anything unless they are forced to.

---

(8) al-Diwan, p. 102.
(9) al-Diwan, p. 206.
(10) al-Diwan, p. 221.

man who is dying for want of money to pay the doctor(5); another frequently occurring theme is that of a nursing mother who has been left a widow and has to find food for her child.(6) The picture of poverty given by al-Rusafi is both true and vivid. He prefers to tell a story, a way of handling the subject which he rightly considers more impressive than mere sermonising and admonishing. They are often interwoven with calls for reform. He has a profound knowledge of the social conditions in Iraq, and his suggestions are those of the clever specialist. The majority of his stories are realistic. He was once asked what had given him the idea to write the "Orphan at the Festival", and replied: "I went to see a friend who has a tobacconist's shop in the proximity of the Al Haidarkhanah Mosque in the night of 'Iyd al-Adha. While I was sitting in his shop, a veiled woman came and whispered something into his ear. I gathered from her dress that she was poor, and ask my friend what it was thae she had whispered to him. He said: "She wanted to pawn a big dish for she has two fatherless children to support. She asked for four piastres because they are hungry". Al-Rusafi quickly followed her out of the shop and gave her all the money he had which was twelve piastres. She hesitated to take it and offered him the dish in exchange saying: "May God repay you! Take the dish". Al-Rusafi refused to take it, but the tears were running down his cheeks when he came back home and sat down to describe the suffering of a poor human being. That was the origin of the "Orphan at the Festival".

To analyse the descriptive poetry of al-Rusafi in detail would fill a volume. We shall therefore limit ourselves to two typical examples of his poetic portraits. The first is the picture of a man who has no one but a sister he supports, to live with him. However, he falls ill and cannot earn his daily bread. He gets worse and once, waking from his sleep, he asks his sister for a piece of bread; alas, she has only water to offer him. Al-Rusafi says:

"He wants bread while hunger is burning his entrails
She puts him off with hope, then brings him water
and begs his forgiveness
But will the water, while it cools his thirst
Also still the fire of hunger in him?(7)

رام خبزا والجوع اذكى الاورا   فى حشاه فعللته اصطبارا
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذارا   وهل الماء وهو يطفى اوارا
يطفىء الجوع ذاكيا بالتهاب

---

(5) ibid., p. 94.
(6) ibid., p. 204.
(7) al-Diwan, p. 79.

VI. Poverty.

In analysing the problem of poverty in Iraq we shall limit ourselves to the cities for, though the position is worse in rural areas, we have dealt with it exhaustively in the preceding chapter. The majority of the Iraqi people live in a state of abject poverty which has few parallels. They lack food, their clothes and homes are grossly inadequate. They live in dark, unhealthy, crowded rooms. When it rains the water penetrates the interior of their dwellings, and the floor becomes mud. They do not change their clothes before they fall their backs in shreds, and when they buy new ones all they can afford is European second-hand clothes.

For six months of the year, during the heat of the summer, they can sleep in air, a circumstance which, to a certain degree, counteracts the diseases they would otherwise succumb to. The open air and the sun help to make good some of the ravages of the winter. But for that the rate of mortality would be incredibly high. The sick die without being seen by a doctor, partly because they cannot afford medical care, and partly because they care very little if they live or die, leaving everything in the hands of destiny. As we have already mentioned, some still put their faith in amulees and prayers. The rate of infant mortality is appalling, and the figures give us a vague idea of the prevailing conditions;(1) the majority of children die for lack of adequate food.(2) They suffer, for the most part from diseases like malaria and bilharzie, but there are, of course, many others.(3) With the exception of the large towns, Iraq still has to do without pure water and electric light; primitive methods of lighting like candles and paraffin lamps are still in general use.

These conditions are reflected in the poetry of our time and the majority of the poets coming from the middle and the low classes of society their sympathy is both deep and sincere. At the top of the list of the poets who discuss poverty is al-Rusafi. He lived in al-Qaraghul and the pain and suffering of human beings was his first source of inspiration. His Diwan is full of descriptions of the life of the poor. One of his favourite subjects is that of the orphan at the festival: he stands there watching the sons of the rich, clad in sumptuous and ornate clothes while he himself has nothing but old and worn garments.(4) A motif which appears time and time again is the poor

---

(1) See Annual Bulletin of Health and Vital Statistics for 1952, by the Ministry of Health, p. 5.
(2) ibid., pp. 6 and 7.
(3) ibid., pp. 15, 127 and 129.
(4) al-Diwan, p. 58.

five poems[20] praising science. Here he urges people to acquire knowledge and found schools which would go on spreading it. He enumerates all the inventions of modern science known at the time, mentioning the wireless, the steamship, the railway and the torpedo. There is also Bahr al 'Ulum who has served a prison sentence of two months for writing a poem whose opinions differ too much from the current ideas on the subject. He realises that science can be put to a special use for it can supply the means of breaking the chains of tyranny and thus clear the way to freedom. He blames the government for its inertia and urges the nation to rebel against the indolent rulers who do nothing to remedy her backwardness and decay. He declares that illiteracy is at the bottom of all social problems. He says:

> "Ignorance drags her (i.e. the nation) down through
> love of desires
> And the links of strength are broken".[21]

اسقطه الجهـــل بحب الهـوى فأنفصمت منـــه عرى شـــده

As we have seen the fight against illiteracy has only just begun and the final victory of progress and education is still a long way off. Still, the government and thinking people have now united their forces to speed up the march of progress and have had some success in the last few years.

(20) al-Lisan, issue 3.
(21) al-'Awatif, p. 37.

فلو قيل من يستهض القوم للعلا	اذا ســاء محياهم لقلت المعلـم
معلم ابنــاء البــلاد طبيبهم	يداوى سقام الجهل والجهل مسقم
وما هــو الا كوكب فى ســمائهم	به يهتدى السارى الى النجم منهم

Al-Zahawi also wrote on the same subject. In one of his poems he bewails the sad fate of the Mustansiriyah College which had been turned into a coal store, shops and places of amusement after having been a university of great renown, dispensing knowledge to large numbers of famous scholars. In a deeply nostalgic mood, recalling past glory, he describes the Mustansiriyah as it used to be, a source of science and knowledge.(12) In another poem he addresses the Mustansiriyah, extolling her past services, parising her role as an alma mater nourishing the minds of the World. He then addresses science itself, saying:

> "O science, shine forth like a star since ignorance has spread darkness
> And send your Light as a messenger.'(13)

ايهـا العلم لح اذ الليـل ادجى　　كوكبا وابعث الضياء دليـلا

In another poem he compares science to the day which brings well-being and happiness to the nation while ignorance is like the dark night, full of misery and despair.(14) In another place, again, he says that all the calamities of the East can be traced back to ignorance.(15)

These are the opinions of both al-Rusafi and al-Zahawi on the shortcomings of the Iraqi educational system. Apart from these two there are many other poets who, at some time or other, have voiced their views on the problem of education and ignorance. We have a fine poem by al-Shabibi who says:

آه لو مثلوا لى الجهل شخصا　　وتقاضوا اليّ حللت قتـله

> "Oh, if they represented ignorance as a person
> And asked to pronounce judgment
> I would kill him and make his killing lawful."(16)

Others are al-'Ubaidi(17) Sa'ad Salih(18) Husain al-Zarifi(19) and 'Abdul Razzaq al-Hashimi 'Abdul Rahman al Benna also composed

(12) ibid, p. 127.
(13) Al-Zahawi Diwan, p. 149.
(14) ibid. p. 228
(15) ibid. p. 237.
(16) al-Shabibi's Diwan, p. 55.
(17) Butti. vol. 1, p. 145.
(18) Sa'd Salih, p. 156.
(19) Lisan al-Arab, 127/2.

Sometimes it is the youth that he addresses. He compares science to a robe of honour, to be worn by the educated whom it will adorn with splendour and power. He wonders why the sons do not follow in their fathers' footsteps(6). In delivering a poem in al-Ma'had al-Ilmi he insisted on new schools being founded all over the country as the only way to teach independence of thought.(7) In another poem written when al-Tafayyud school was founded he declared that science was a panacea sure to cure every disease. He also stated that what schools required before all was complete freedom in teaching their students. Then schools would automatically produce scientists of genius, creative artists, ingenious inventors and efficient farmers. He is not in favour of teachers punishing their students for punishment breeds evil and rebellion.(8) Al-Rusafi was one of those who demanded a uniform system of education for all the Arab countries even before the Arab League was founded. He said that the best cure and surest way to Arab unity was a common educational organisation embracing all the Arab countries. He says:

> "Be of one opinion in the field you are working on
> Then work with an activity which knows no boredom
> And follow, in all Arab countries, a path based on
> unity of education. This is to be the one plan;
> And when we call all the Arabs,
> It will be as if we call one man."(9)

فأجمعوا الرأى فيما تعملون به ثم اعملوا بنشاط ينكر المللا
ثم انهجوا فى بلاد العرب اجمعها نهجا على وحـــدة التعليم مشتملا
حتى اذا ما انتدبنا العرب قاطبة كنـــا كأنا انتدبنا واحـدا رجـلا

In another poem he says that graduate students deserve every encouragement since they have reached a higher level than other citizens.(10) A poem dealing with the place of the teacher in the social structure of the country deserves special attention. Here he says:

> "If one asks: Who will raise the nation to elevation
> If its life is had?
> I answer: the teacher.
> The teacher of the sons of the country is their doctor
> He treats the disease of ignorance, for ignorance
> brings disease
> He is nought but a star in their sky
> By which one guides those who march onward to
> glory.(11)

(6) ibid. pp. 74-75.
(7) ibid. pp. 65-68.
(8) ibid. pp. 85-88.
(9) ibid. p. 88.
(10) ibid. pp. 88-90. see also 262.
(11) ibid. p. 507.

It is imperative to realise that it is the illiteracy of the nation that is really at the root of all evil. If the majority of the population were able to read and write and take intelligent interest in what is happening in Iraq, if it were capable of criticism and independent initiative, no government would dare to follow a policy unsupported by the nation, and urgent reforms would neither be denied nor delayed. Thus it is really lack of education that keeps Iraq in its present backward condition.

As we have mentioned already the onward march of education was by no means unimpeded. The obstacles it met in its way came from both sheikhs and feudalists who rightly feared that if education were allowed to spread and became generally accessible, then their hitherto undisputed supremacy would quickly come to an end. A nation able to read and write would soon find out that conditions of life in other countries were different from her own, and yearn for the abolition of the injustice and wrongs it was suffering from. The consequence would be demands for a reform of the existing social system and for new, more reasonable conditions. The sheikhs and feudalists realised that what the spread of education would result in, was the end of their rule, and they were not going to tolerate it and its inevitable consequence if they could help it. This is the reason for their impeding of educational reform.

Meanwhile the poets were watching all the stages of this development with a wary eye. Among the reforms on whose introduction they insisted education was given priority. In urging the nation to educate her sons and daughters, the poets always referred to the personal example of the Prophets, to the Hadith and the glorious past of Islam; they always pointed out that the Arabs had reached summits of glory at a time whon they valued education more than anything else. Most modern Iraqi poets have written on this subject, each of them in a style and manner conditioned by his own education and experience. The majority were sincerely and deeply interested in the subject. Let us adduce the example of al-Rusafi who seized evry opportunity to praise knowledge and science. Sometimes he addresses the students whom he considers to be the force of the country, calling upon them to gather behind the banner of science which would strengthen the weak and enrich the poor, and augment the fame of the country. He says:

"If the country is watered with abundant science,
The powerless of the nation will become powerful
And who was weak will become strong
And who was poor will become rich."[5]

اذا ارتوت البلاد بفيض علم   فعاجز اهلهـــا يمسى قديرا
ويقوى من يكون بهـــا ضعيفاً   ويغنى من يكون بها فقـــيرا

(5) Al-Diwan. 52-54.

V. Education.

During the Ottoman period education was very limited in extent. This does not mean that hnowledge was not considered valuable, but it was accessible only to graduate officials who were preparing for government service, for the Walis were merely interested in the acquisition and accumulation of personal wealth, and cared little for the welfare of the country. The percentage of literacy did not exceed one half per cent. of the population.(1) When the British entered Iraq they were not long in noticing the deplorably low level of education, and to raise it was their first concern.(2) Then, when the provisional national government was formed, education occupied a prominent place on the Iraqi programme. A network of schools began to spread all over the country. In 1920 the number of schools was 88 in all, comprising 8,000 students, but by 1954 it had increased to 1451 schools where not less than 258,333 students were taught.(3) This is, of course, still vastly inadequate when compared with the number of the population.

Since 1920 the problem of illiteracy has been receiving more and more attention from both public and government. It became the fervent desire of the Iraqis to revive the scientific and literary glory of the 'Abbasid period, the golden age of Iraq when it was the centre of Islamic culture. Apart from nostalgic allusions to the past, the poets also endeavoured to kill superstitions and belief in magic which were rampant and doing untold harm to the country.

It is a general truth that there can be no true democracy without education. As the constitution says, the nation is the source from which authority springs, for it is the nation which selects men to represent her in parliament. An illiterate nation will never be able to produce a fully responsible, efficient and reliable parliamentary representation. Under the prevailing conditions the Iraqi govrnment realised that there was no relying on the nation as it was. Parliament remained a toy in the hands of the cabinet ministers. Instead of taking directions from the nation in the sense of true parliamentary rule, the government made the nation obey its rulings.

In 1947, the rate of literacy was a mere 8 per cent. in the provinces and 27 per cent. in Baghdad itself. These figures refer to people who for the most part were barely able to read and write and had otherwise little education. We must also stress that the above figures represent the average which means that there were, in 1947, areas where the percentage of literate people was only 3 per cent.(4)

(1) Longrigg op. cit. p. 376.
(2) Foster, op. cit. p. 254.
(3) See Annual Report of Ministry of Education. p. 40.
(4) The Annual Report of the Ministry if Education 1953_54. p. 8.

The sweat of life runs from you like pearls
To decorate the sash of the rich
Can you stop the army of the greedy
When you have no arms for defence but your cries?''

هذي ديونك لم يسدد بعضها عجزا فكيف تسـدد الارباح
بغضون وجهك للمشقة اسطر وعلى جبينـك للشـقا الواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئا فيزان منهـا للغنى وشـاح
أتصد جيش الطامعين ولم يكن لك فى الدفاع سوى الصياح سلاح

Then he describes the palaces of the rich, full of well-being and happiness, and the rich themselves who, clad in silk and surrounded with things of beauty, care little for the plight of the poor farmer, even though the latter's rights are clear, for greed is deaf to the voice of the weak. Eventually, seeing that reform is unattainable if one recoils from the use of force, al-Safi calls on the farmer to strike and destroy the plants he has sown with such care. He says sadly:

''O planter who plants hoping for reward
Abandon it because its fruit is sadness
Uproot it, for the delicious fruit is forbidden to the planter
And allowed to the strong.''

يا غـارس الثمـر المؤمل نفعـه دعـه فـان ثمـاره الاتراح
اقلعـه فالثمر اللذ ذ محـرم للغارسـين وللقـوى مبـاح

All these exhortations, however, have been in vain. The condition of the peasant has hitherto remained unchanged, and will remain unchanged for some time to come, for the rich feudal landlords are still in conrol of the affairs of state and still enjoy the undiminished support of the rulers. Every attempt at reform is regularly nipped in the bud; they take no warning from the fate which has overtaken feudalist govenments in many other countries, and may well reap a terrible harvest.

He also mentions other problems linked with the peasant question e.g. poverty. He tells us how cramped the peasant's accommodation is, since he is forced to share the little living space he has with the domestic animals; he descibes the rags he is covered with, and the miserable bits of furniture in his humble hut.(1)

There are many other poets living and writing in al-Najaf, as Husain Kamal al-Din(2) Mahmud al-Habbubi(3) Muhammad Rida al-Muzaffari(4) and Muhammad Jawad al-Sudam(5); from al-'Imarah Husain Haji Wahaj(6); from Karbala 'Abbas Hilmi(7). In my opinion the remarkable poem of al-Safi al-Najafi is the rochest in ideas and fruitful suggestions concerning this problem. It is the first poem in his Diwan, and a very charming one at that. In it he addresses the peasant exhorting him not to overwork himself, but to look after his own well being, since his effort benefits others only and he himself gets nothing out it but dire poverty and the humblest livelihood. He says:

> "O Farmer, be gentle with yourself
> You make an effort, but your effort is not crowned with success."

رفقاً بنفسك ايهـــا الفـــلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

then, describing the peasant's house, he says:

> "Your house, like your times, is dark at night
> It has neither candles nor lamp
> Your roof leaks when the eye of the sky is weeping
> And your hut is blown away when the wind blows".

فى الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السما ويطير كوخك ان تهب رياح

Despite all, the feudalists do nothing to alleviate the peasant's lot, but continue adding to the heavy burden on his shoulders by taking the lion's share of the harvest. He says:

> "These are your debts a part of which has not been paid
> Because you are unable; how then can you pay the interest?
> In the wrinkles of your face lines (speak) of difficulties
> And on your forehead are pages of your misery.

(1) al-Diwan, pp. 203 and 128.
(2) al-Nahda al-'Iraqiyah 272/2/1928.
(3) al-Diwan, vol, 1. al-Najaf, 1948. p. 29.
(4) Muhammad Jamal al-Hashimi; 'al 'Adab al Jadid', al-Najaf (n.d.) 130.
(5) al-Nahda al-'Iraqiya, 325/2/1929.
(6) ibid, 254/2/1928.
(7) al-'Iraq, 1681/7/1926.

يا ابنة الريف اجمعي لي حطبا وخـــذي من زفراتي ضـــرما
واحرقي كـــل ظلوم غاشم يجد اللذة في ان يظلمـــا
واتركي الرحمة فالناس هنـا همـــج يحتقـــرون الرحمـــا

Another of the poets of Al Najaf to choose the same subject matter is Muhammad Mahdi al-Jawahiri. Where he differs from Bahr al-Ulum is that he advocates the policy of patience and endurance, and gives logical reasoning priority over fiery sentiments. Towards the authorities he adopts the attitude of persuasion, trying to convince them that they should attempt to amend the lot of the peasant in their own interest, for, if he were left to live in the existing conditions it might lead to disastrous consequences for the entire nation.(1) After giving a moving description of the position of the farmer he wonders how the authorities can feel satisfied with having such, naked, sick, undernourished subjects. He requests them to tour the villages of Iraq and inspect the districts. He says:

> "You will see things the least of which will amaze
> those who are patient
> People naked, barefoot, humble and hungry
> How could their youth awaiting death in hunger
> Defend their country?"(2)

تروا ما يثير الصابرين اقله عراة حفاة صاغرين جياعـــا
وان شبابا يرقب الموت صابرا متى استطاع عن حوض البلاد دفاعا

'Ali al-Sharqi is another to deal with the same problem. He does not underrate its importance as one of the most pressing national problems awaiting solution.(3) He realises that the peasant is entitled to his share of the national weath and insists that the village is the source of the happiness of the nation. He says:

> "If you seek the happiness of the country
> Examine its affairs in the countryside
> When the country is satisfied the signs of its happiness
> show in the villages".(4)

ان تفتش عن ارتيـــاح بلاد فتفقد شؤونهـــا في النواحي
واذا ارتاحت البـــلاد تبدت في قراهـــا علائم الارتيـــاح

---

(1) his Diwan vol. 1, Baghdad 1949, p. 19.
(2) al Diwan, vol. 2. Baghdad 1950. p. 158-159.
(3) al-Diwan, pp. 102 and 109.
(4) al-'Iraq 1898/7/1926 and al-Diwan, 163.

انت يا فلاح عانيت البـــلا واجتنى غـــيرك اثمار التعب
تسهر الليل لجعل الاغنيـــاء بارتيـــاح وهنـــاء وطـــرب

Since the rich do not acknowledge his rights, continues the poet, he must try to get them by force, abandon his scythe and drench the earth with their blood; he must not weaken in his resolution and resist from the struggle, for the language of force is the only language these people understand. He says:

> "Leave your fields and throw away your sickle
> And drench the earth with blood
> With the edge of your sword settle your accounts with
> governments
> Who have taken your rights as booty."(1)

فاترك الزرع ونح المنجـــلا عنك حيناً واملأ الارض دما
وبحـــد السيف حاسب دولا بينها حقك اضحى مغنمـــا

However, the Diwan offers no practical solution to the problem. The poet's approach to it is very subjective and purely sentimental. We can see that he feels very keenly on this subject but he has no clearly defined ideas on it. He desires reform, if needs by forcible means, and incites the peasants to take up arms against the authorities. Bahr al-'Ulum is unquestionably sincere. He is determined to destroy everybody who bars the progress of the nation and is determined to resort to force. That is why he has spent most of his life in jail. He was tortured by the police until his mind was temporarily unbalanced. We can safely say that he has suffered more than others for his convictions. Of course, there have been brief spells of freedom in between the prison sentences imposed on him. That is when he was able to publish his poetry - he has his own review - and to deliver speeches. A typical firebrand he is deterred by nothing if it will help him to put his ideas into practice and will not recoil from burning, killing and wholesale destruction. I suppose that the government really fears him because he is the firely embodiment of the spirit revolution. Thus he says:

> "O daughter of the countryside. Gather firewood for me
> And light the fire with my deep sighs.
> Burn every oppressor who enjoys wronging others
> Foresake all mercy, here the people are savages who
> Despise merciful men"(2)

(1) ibid, 122.
(2) ibid, 146.

most prominent of them is Muhammad Salih Bahr al-Ulum who has exposed the cause of the Iraqi peasant and served it truly and faithfully all through his life. He dedicates his Diwan, "al-'Awatif" to the peasants, saying:

> "O peasant, accept from me sentiments
> Which express my feelings
> Do not be sad if you do not find clothes to protect you
> While others' clothes are of silk
> The work of time does not know the weak
> And pays no attention to the poor."

تقبـــل ايهـــا الفـــلاح منى   عواطف يستبان بهـــا شعورى
ولا تحـــزن اذا لم تلق ثوبا   يقيك وثوب غيرك من حرير
فشأن الدهر لم يعرف ضعيفا   ولم يألف مراعـــاة الفقـــير

Bahr al-'Ulum's Diwan is full of graphic descriptions of the sad plight of the Iraqi peasant and his heart overflows with pain and sympathy. The peasant's misery, ignorance, backwardness, moral decay, his physical ill-health are all represented here. He has even given one of his poems the significant title "Buried Alive"(1) Here the poet exposes the callousness of the rich people who dwell in palaces, but do not shrink from seizing the proceeds of the poor peasant's labour without offering him anything in return but hunger and privation. His food is of the poorest kind, he has to bear, unprotected, the cold of the winter and the heat of the summer; he lives on the same level as his animals. Therefore the poet urges him to resist those who want him to die slowly. Another poem, in which he deals with the Iraqi revolution, is entitled "The Peasant Revolution"(2) in recognition of the peasant who sacrifices himself and his property to get rid of the invader. In the revolution, says the poet, the peasants struggled until they succeeded, while the feudalists led an easy life in the struggle but reaped all the fruits. Then, instead of raising him to their own level, they left him in his ruined hut like an animal, destitute and helpless.

There is a third, even more interesting poem, which he delivered in Al-Najaf. After reciting it he was indicted for sedition, put on trial before a military court and sentenced to life imprisonment. That happened in 1935. In this poem he deals again with the most important problem of the peasant's life, his exploitation by those superior to him in wealth and social position. Here he addresses the peasant, saying:

> "O peasant, you have endured and sufferd
> While others harvested the fruit of your toil
> You spend sleepless nights in order to give the rich rest, pleasure and delight."(3)

---

(1) al-'Awatif, al-Najaf, 1937, pp. 20-32
(2) ibid, 89.
(3) ibid, 121.

He lives on a starvation diet which consists, for the most part, of bread; meat is an unheard of luxury known to him only in the form of left over from rich feudalist's table.

There is no law to protect the peasant from the whims of the feudalists and landlords; he can be dismissed at will, and can be prosecuted for the debts he is unable to pay. There is a law forcing him to remain in the service of his landlord until the debt he has contracted has been paid off in full; another article of the said law bans the employment of a peasant by another landlord.(1) Pure and clear drinking water is considered a luxury which the peasant cannot afford;(2) the water he drinks comes straight from the river.(3) His house is a mud hut, his roof is made from the trunk and the leaves of the palm tree; he lives in a windowless, badly ventilated room together with his animals. Here he spends his life, in constant fear of the cold and of thieves. He sleeps on the bare ground.(4) Some Iraqi governments have tried to amend this situation by founding modern villages and raising the standard of living.(5) In 1936 a bill was passed and ratified which provided for the establishment of new villages. This law, however, has remained on paper and has never been implemented due to the resistance of the feudalists. The feudalists and the landlords have always stood in the way of reform. They seem to fear that the farmer might become awake to the injustice of his true position. Their influence on every Iraqi government has always been great for they have a share in the authority.(6) The feudalists are naturally afraid of teaching the farmer, and so there is a high percentage of illiteracy in the rural districts. The life of the local teacher is made a misery by most landlords.(7) Sometimes they instigate the supporters to steal the teacher's property at night in order to frighten him into leaving; they sometimes even succeed in bribing the administration to turn a deaf ear to his complaints.

This is the general outline of the social and economic position of the Iraqi peasant in the twentieth century, as it is reflected in the mirror of modern Iraqi poetry. I have observed that the majority of the poets interested in the rural problem have one thing in common; they all come from the region of the Euphrates, especially from Al-Najaf. Their interest in the rural problem is due not so much to ties of blood or links of close relationship which cannot be established, as to proximity and daily intercourse. In any case, they are thoroughly familiar with the problem and their interest in it is sincere. One of the

(1) Al-Hilali, p. 76.
(2) D. Warriner, Introduction, op. cit. & p. 114.
(3) Hasan Muhammad Ali, p. 26.
(4) ibid, 78.
(5) Al-Hilali, p. 54.
(6) D. Warriner, op. cit.
(7) Al-Hilali, p. 46 and 42.